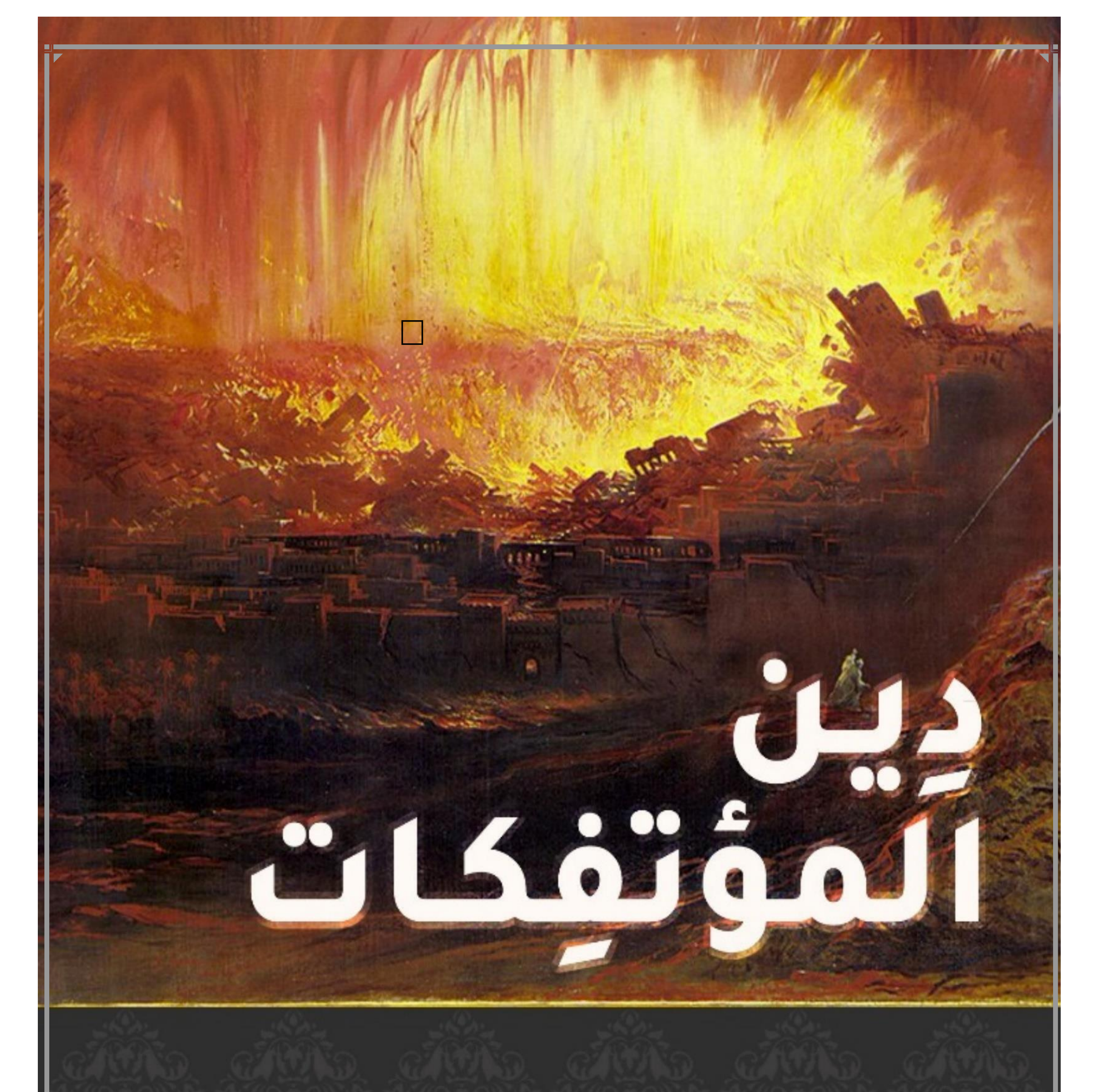


دين المؤتفكات

عمرو عبد العزيز

المقدمة

بسم الله القادر القاهر،

لولا إيماني بربي العادل، المستعلي على العباد، المُنكِّلُ بأمم المجرمين، لأطبق الإياس على نفسي، فما نشهده مؤذن بالهلكة التي لا يضطلع بأفداحها إنس ولا جان!

هلكة مُضي البشرية إلى أشأم فتنة وأنكد بلاء!

هلكة توشك أن تربو في فُحشها آثام جاحدي الأنبياء مجتمعين!

نحن ماضون إلى زمن ينبعث فيها المُجَّان والفساق أرسالا لملاحقة المتطهرين وإيذائهم؛ بل طلابهم إزهاق روح المؤمنين!

وأمثالنا من سيؤدبون، وفي أضيافنا وأولادنا سيطمعون! وسيُهدد الأُباة بشواظ من نار، يُحرَّق بها في الأخاديد كل مجترئ مُنازع داعٍ إلى الصراط المستقيم!

وما ذلك الإجرام كله، إلا لإيماننا بخلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وإيمان الملعونين بأنهم خالقوه النشأة الأُخرى، وأن خلق الإنسان للإنسان هو أحسن تقويم!

وقد زرع الله الفِطَر في صلصال خَلْقِهِ، ولم يزرع أولئك إلا اللوطية ومناقضة الفِطَر في إنسانهم المشؤوم!

وقد خلق الله الجنسين الذكر والأنثى، ولم يخلق أولئك إلا (النوع / الجندر)؛ فلا ذكر ولا أنثى!

وفي دين زمن الفُحشِ والبهتان، واستطالة شؤم الغرب الأثيم، لم نر آفك من مسخ خلق الله إلى ما لُعن بأمر الله والنبيين والصديقين في كل منزل ومقال، ولا أشأم من هدم بنيان المجتمع المُشيَّد فوق أُسِّ الفِطَر، ومأسسة الفوضى المُشيَّدة فوق أُسِّ الرذائل!

أقد أظل الصالحين زمن الإخراج، وأطل عليهم زمن الحريق؟!

ربما!

ألا تُبصر الغيم الأحمر في الأفق يحتشد؟ ذاك الهول القادم! ذاك قطر الدم المسفوك لا لقيلة لا إله إلا الله وحدها، بل لقيلة الفطرة ذاتها، التي لم يختلف عليها إنسان قبل ذاك الزمان: أنا خلقنا الزوجين الذكر والأنثى!

ذاك عصر رجاله بفروج نساء، ونساؤه بلحىً!

ذاك عصر تُلقى فيه بالجب إن اشمأز قلبك من اللوطيين أو قلت لهم أف!

لا تقل لهم أف! إياك!

والنهرُ الموت! النهرُ الموت!

أنشهد نهاية العالم الذي ثقِفناه؟ أنشهد بداية مخلوقات الإنسانوية الشوهاء؟!

أيكون عزاؤنا أن طالِعنا خيرٌ من طالع خلائفنا؟!

وأي عزاء في شقاء الأبناء؟!



لم تثب فكرة كتاب عن اللوطية في عقلي قبل عام ٢٠٠٦، بعدما أتممت الثانية والعشرين، وكنت حينما أتابع المادة الإعلامية الغربية ألحظ أن أولئك يُمهدون لجليل؛ فجلست أخطط الفصول، وأفكر في مسلك البحث المناسب؛ ثم نسيت الأمر - وإن احتفظت بالأوراق إلى الآن- فتزوجت وانشغلت بالحياة والأفكار، وعشت سنوات الثورة وانشغالات السياسة ولطمة درك وجوب تطوير الذات والفكر واللغة والعلوم؛ ثم هوى صرح الآمال في هاوية الغُمة، وأولِجنا بئرا بلا قرار، وبدا كما لو أن المجرمين قد تنادوا فكادوا للإنسانية كلها في ذلك العقد الذميم، فلم تُتلى علينا إلا أنباء لا يُهوِّن شؤم سالفها إلا ثِقل وطأة مستحدثها!

وصالحو المسلمين أين؟ بين أسير وشريد وقاعد مذهول!

وها نحن في مطلع العقد الثالث من القرن الجديد! عقد مُلوَّن بصِبغتي العار والشنار، صبغة العنصرية وصبغة اللوطية، تتناطحان، ويذيع الغرب في العالم أنهما نقيضان، وأن الإنسان إما يكون مع يمين المجرمين أو شمال الفاحشين، ولا ثالث!

هنا جلست مقعد المهمومين، وشرعت في كتابة هذا السفر، متثاقلا، يمر عليَّ الشهر تلو الآخر، والسنة تلو السنة! فمنذ ثلاثة لا يصدُّ رغبتي إنهاء الكتاب، إلا مناورة نفسي إياي، ومعاناة أناملي الحُبسة!

أمشمئزة كانت؟ أم يقتلها فضول معرفة قعر الغيهب؟!

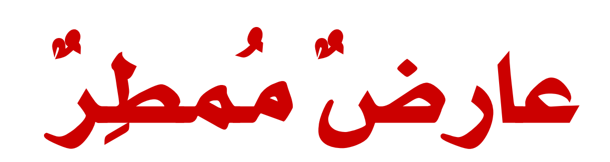
وأنا لنفسي عاذر، فالعجائب تتلو الغرائب، وأنا أرقب كل هذا في دهشٍ من جرأة القوم، وسرعة تطور أفكارهم، ومقدار اتساع حيلهم!

أبصرت لشهور تحوُّل ما وُصِمت لقيلي إياه قديما بالهوس والمُبالغة والإغراب = إلى حقائق اليوم ووقائع العصر، ومجمع الرأي الذي لا يجرؤ على مسِّه إلا المنتحرين!

لكنني مضيت، ووفقني الله قدر استطاعتي، وأنهيت هذا الكتاب عسى أن يكون إعلاما لخلفائنا بأنَّا لم نكن كالنائحات نترثَّى ماضينا دون فِعال، بل كنا رجالا نزود عن حياض هذا الدين بأقلامنا وألسنتنا، إلى أن يأذن الله بلفظة زُهير!

وأرجو القارئ أن يغفر لي النقائص، وأن يتجاوز عن الهنات، إذ يعلم ربي أني لم أتعمدها، وبذلت ما سمح به وقتي ومعرفتي وعلمي لقراءة كل ما يخدم فكرة هذا الكتاب، ويُجلي جانبا من جوانب تلك الداهية الحالكة! وأشكر كل من ساهم في خروج هذا الكتاب إلى النور، خاصة من بعثوا لي الأخبار تترى أثناء كتابتي عنها في مواقع التواصل خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة، فجزاهم الله كل خير.

وأسأل ربي أن يُبقي هذا الكتاب في الناس، إن نفعهم، ولا يستوفي لي أجر كتابته إلا في الآخرة، بالمغفرة والرحمة والتجاوز عني والضمِّ للصالحين، وأسأل ربي أن يذهبه جفاءً، إن آذاهم، ويغفر لي زللي، فهو العالم بأني ما اجتهدت فيه إلا استنقاذا للمسلمين، وشفقةً بالمؤمنين.


عارضٌ مُمطِرٌ

الفصل الأول: تكوُّن دين اللوطية

لن يسلُس بحثُنا، ويستنير فهمنا لذاك الكثيب المظلم من آثار اللوطيَّة، إلا بمدخل نستعرض فيه معا جذور بناء الظاهرة اللوطيَّة، الناشبة في المئين من دقائق الفكر الغربي.

وانتخال غابات ذاك الفكر، ثم انتخاب ما يظنُّه الباحث أسسا كبرى لتكوُّن اللوطيَّة دينا علمانيا، إقدامٌ ومغامرة = فلا يجسر جادٌّ على ادعاء شمول الاطلاع، أو الفهم الدقيق لكافة جوانب ذاك البحر الفكري والفلسفي الخضم، إذ أن القصور الثقافي حتميٌّ إلا لهواة المزاعم الشقيَّة!

وقد استفرغت جهدي وطاقتي للفهم ثم الانتخاب، ولا يُكلِّف الله نفسا إلا وسعها، سائلا المغفرة على التقصير إن استبانت للقارئ بعد ذلك أسس أقوى وأظهر مما عرضته.

وقد كان الاختصار هو المبدأ الناظم لبنية هذا الفصل: فإيجاز واقتضاب لما نوقِش بصورة متكررة في الثقافة العربيَّة، وبسطٌ نسبي لما أعياني الوقوف على نظيرٍ عربي له، ولم أصادف منه إلا النتف والمقاطع التي لا يحدث بها الغناء؛ فكان من الأول: الأس النسوي، والنسبوي، والتطوري - ومن الثاني: الأس الثوري، والليبرالي الفرداني.

كما أضفت بعض العوامل العَرَضيَّة، التي أحسبها ساهمت في تنامي اللوطيَّة، وزدت في الإيجاز إيجازا عندها، لظني أن سهمها لم يكُن قاصِدا السفك، ولم يكُن إلا أثرا للأسس الكبرى.

ولن يفوت جامع تلك الأسس، ملاحظة أنها، حتى النسبويَّة منها، قد نظَّرت لنوع من أنواع الطوبيا الأرضية، حتى حسِب كل مؤمن بإحدى تلك الفلسفات، أنه ينظُر الخلاصَ وقد فغمته رياحين جنة الميعاد، التي شيَّدها بعقله وحده. فأين وصلنا؟

وتركت بعض الأفكار في فصول تالية، هي بها أليق، ونسبتها إليها أوفق.

أولا: الأسس الكبرى لظهور دين اللوطية.

الأس الأول: التطوُّر الشامل.

فَقَارُ الأسس القادمة، هي فلسفة التطور المجتمعي الشامل، خاصة في صورتها الحتميَّة. ومُلخَّص التعريف بها، أنها نظريَّة تؤمن بسير التاريخ الإنساني في خط تقدمي مستمر، أحادي الاتجاه عند الأغلبية، يقوم على قدر كبير من تجاوز الماضي ونفي مُنتجاته، والنظر إلى كل مرحلة حديثة على أنها أرقى من سابقتها (١). وقد يختلف منظرو تلك النظرية حول الحتميَّة، أو اتجاه التقدُّم = إلا أنهم يجتمعون على الإيمان بأن للتطور المجتمعي حزمة من القوانين والقواعد التي يمكن استخلاصها من تاريخ تطور المجتمعات الإنسانية. ومُقابل أولئك توجد مجموعة أخرى من الاجتماعيين الذين يرفضون الانشغال بالبحث عن (فلسفة تاريخية) ولا يعترفون بالبحث عن القوانين، إنما ينهمكون فقط بالبحث عن الأحداث التاريخية وتحقيقها (٢).

ونظرية التطور المجتمعي من بنات عصر التنوير الأوروبي، فقد ظهرت، على سبيل المثال، فكرة التقسيم الثلاثي للتاريخ (بدائي ثم وسيط ثم حديث) في كتابات جيامبتيستا فيكو، وآن تِرْجُتْ خلال القرن الثامن عشر، ثم انتشرت أثناء القرن التاسع عشر، قرن الأيدولوجيات، وخاصَّةً بعدما سادت فكرة أوجست كونت، الذي قسَّم التاريخ إلى ثلاث مراحل: لاهوتيَّة بدائية، ثم ميتافيزقيَّة وسيطة، ثم أخيرا، وضعيَّة، وفيها يسود العلم ويطَّرِحُ الجهل والخرافات والإيمان بالغيب (٢)، ويصحب تلك السيادة تطور مستمر شامل من الناحيتين الفكرية والمجتمعيَّة. ولعل نظريَّة

التطور البيولوجي لم تكن في حقيقتها إلا تبريرا علمويا للنظريَّة الفكرية والاجتماعية التي سادت القرون الأخيرة في أوروبا.
وقد شُيِّدت أكبر أيدولجيات القرن الماضي والعالم الحالي فوق تلك النظريَّة، كالليبراليَّة والماركسيَّة، وعوملت لأحقاب متطاولة كمسلمة مفروغ منها في الحقل العلمي قبل الفكري، كما نرى عند عمالقة علماء الاجتماع التاريخيين، مثل دوركاييم(٣) وسبنسر(٤).

وإننا، المسلمين، وإن كنا نؤمن بأن العلم يُطوِّر المجتمع الإنساني والمعرفي من جهة - وإلا ما كان الله سبحانه وتعالى قد حثنا على الغوص فيه والتعلُّم والبحث المستمر- إلا أننا لا نُرفِق ذاك بشيئين: ألا وهما الحتميَّة، والتجاوز الأخلاقي والمعرفي والتشريعي والمجتمعي الكامل مع نفي الماضي.
وثمَّت حاجة للتفصيل ها هنا:
إن الحتميَّة التي تؤمن بها جمهرة منظري التطور المجتمعي، تقتضي ضرورة الإيمان بأن الإنسان في تطور خطي مستمر على كافة المستويات، وأن تقدمه واجب = إذ أن معيار قياس التقدُّم يذيِّلُ المجتمع ويضعُ العلم والتقنية في الصدارة؛ فما دام المجتمع يتقدَّم علمويًّا فهو حتما يتقدَّمُ في كل شيء آخر!
وكما في العلم، الذي تجبُّ النظريات الجديدة فيه كل عتيق = كذلك المجتمع ومنظومته وأفكاره وتشريعاته، يجبُّ الحديث منها القديم!
وكما في العلم، الذي يذمُّ الحديثُ منه الرجعيَّ المتمسك بنظريات جاوزها الزمان = كذلك المجتمع ومنظومته، يذمُّ الحداثي فيه الأصولي التقليدي المتمسك بنظريات وتشريعات وأفكار أسلاف كانت معارفهم وأدواتهم البحثية والعلمية أكثر تخلفا، في أعصُر بدائيات مظلمات!

فالحتميَّة لا تعني فقط لزوم الإيمان بديمومة المُضيِّ إلى الأمام؛ إنما توجِب الإيمان بحتميَّة رِفعة الحديث وضِعة القديم، وحتميَّة البحث الدائم عن اللحظة المُثلى، إن كان هناك شيء كذلك! لذا كانت نظريات التطور المجتمعي، في عصر سيادتها الذي وصل ذروة تركيبه في منتصف القرن العشرين مع الوظيفية والبنيوية ومدارس الحداثة = مُعادية عامَّةً للأديان، إذ اعتبرتها ظاهرة مجتمعية تاريخية انقضى عصرها، وعائقا خطيرا لزعمها أنها أم الحق المُطلق للتاريخ والتشريع والتنظيم المجتمعي! والواجب، أن يظل الإنسان مؤمنا بكون ما أقره من تشريعات أو تنظيمات مجتمعية، يمكن أن يصل إلى ما هو أعلى مع التحديث والتطور، ذاك جوهر الإيمان التطوري.

أما الإسلام فيستقلُّ هنا بما لا يشاكل ذلك البتة، إذ يؤكِّد أن ثمَّ مصدر رباني مُنزَّلٌ منذ خمسة عشر قرنا، يشتمل على أفضل تشريع وأعظم دستور أخلاق وأنسب تنظيم مجتمعي يمكن أن يطمح البشر إليه؛ وما على الإنسان بعد ذلك إلا ضبط حياته كي توافق ذاك التشريع القانوني والأخلاقي = فالمِثالُ موجود، والواقع مُراعىً. والتقدُّم العلمي والمجتمعي لا يكون إلا داخل الإطار المُنزَّل، فهو لا مُتجاوِزٌ ولا نافٍ، إنما مُطوِّر مُقدِّسٌ لما أنزله الله مُطلقا في كل زمان ومكان، مُحترِمٌ لعمل السلف لا يُعدِّل عليهم إلا في أضيق الحدود، وفيما يسمح النصُّ المُقدَّس بالتعديل عليه.

ثم أن العلم التجريبي المحض ليس قيِّما على التطور المجتمعي؛ ففضيلة المجتمع الأولى هي اتباعه القرآن والعمل به، والتطور العلمي جزء من هذا العمل، ولا يستمد حافزه إلا من تلك الفضيلة؛ فإن حافظت أمة الإسلام على صورة المجتمع الأخلاقي والتشريعي وتدنت مكانتها العلميَّة = اعتُبرت أمة فُضلى ممدوحة الآخرة والعمل الروحي وإن نقصها المزيد من الانضباط والعمل الدنيوي؛ أما إذا حدث العكس، بأن حافظت الأمة على العلم وتدنت أخلاقيا وتشريعيا = فهي أمة مذمومة الآخرة

والعمل الروحي، ممدوحة في وجه واحد فقط ألا وهو حيازة أسباب مُلكِ الدنيا، العلوم.

وسنرى قريبا، أن تلك النظريَّة أُخذِت كمُسلَّمة، بُني فوقها البحث عن النموذج المثالي، واحتقار النماذج السالفة، تارة في النسويَّة، وتارة في فكر ثورة حضارة البهجة، وتارات في الليبراليَّة والاشتراكية، وهذا طبيعي، إذ أن تلك الفلسفات وُجِدت في عصر تسيُّد فلسفة التطور حقول العلوم الإنسانية، أي حتى الستينيات تقريبا، قبل تفككه مع حيرة الحداثة وارتباك مفاهيم التنمية واضطراب الفرضية العلمانية[1] في الحقل السياسي منذ الثورة الإيرانية، وظهور عوامل عديدة مفاجئة في كل المجتمعات والحقول العلمية، ما خفض في النهاية من اليقين بالتطور المجتمعي أو حتميته على الأقل، على المستوى الأكاديمي بصورة خاصة. أما على المستوى الأيدولوجي، فقد استمر فكر التطور وإن كان قد تأثر بالنسبوية وما بعد الحداثة، كما سنرى في الأس الأخير.

الأس الثاني: النسوية.

أول الأسس الخاصة، التي ساهمت في إظهار اللوطيَّة مباشرةً، هي النسويَّة، وهي مسمى عام لعقيدة، وحركة أيدولوجيَّة، واجتماعيَّة، يمكن تلخيص أبرز اتجاهاتها

في المعاني الآتية (٥):

- فهي نظرية عامة عن طبيعة اضطهاد الرجال للنساء.
- وهي نظرية سياسية تهدف لتحرير النساء من استغلال الرجال.

[1] الفرضية العلمانية: أن الدين يتجه كلما تقدم العالم نحو الاختفاء من المشهد السياسي، راجع (354).

- وهي حركة اجتماعيَّة حداثية لتغيير ما يتعلق بأحوال النساء كافةً: القانونية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية.
- وهي أيدولوجيا معارضة لكافة الأشكال الفكريَّة والسلوكيَّة لاضطهاد النساء ومعاداتهن (الميزوجينيَّة).

وللنسويَّة مدرستان كبيرتان، وعدة مدارس فرعيَّة، الأولى هي النسوية الليبراليَّة، والثانية هي النسويَّة الراديكاليَّة. والليبراليَّة منهما هي الأقدم، إذ ترجع إلى نهايات القرن الثامن عشر، وقت البدايات الأولى، وكانت بالمجمل جزءا من حركة الاستنارة الليبراليَّة، وقد ظلت قضاياها الرئيسية هي تحقيق المساواة القانونية والسياسية مع الرجال‹٦›.

أما الثانية، الراديكاليَّة، فقد اشتعلت أوارها في الستينيات، فيما يعرف بالموجة النسويَّة الثانية ‹٧›، وهي جزء من الثورة الجنسيَّة التي غمرت الغرب في ذلك الوقت، وعليه كانت أفكارها أكثر ثوريَّة وغضبا وتعصبا ضد الرجال (٨). ولا يُمكن القول بأن الفكر النسوي المعاصر ينتمي إلى الأولى القديمة، أكثر من الثانية الراديكاليَّة المتعصبة.

ومأثم النسويَّة ووزرها الأكبر في قضية اللوطية، هو تفكيكها ارتباط الهوية العضوية الجنسية، بالهويَّة المجتمعية، زاعمةً أن التلازم بين هذه وتلك مصنوع مُخترع ونتاج للبطريركية‹٩›الذكورية = إذ لا يلزم من وجود الأعضاء الأنثوية

عند إنسان، أن يكون امرأة وسيِّدة، بما يحمله معنى (امرأة) من أفكار مسبقة مُركَّبة عن وظيفتها ودورها الاجتماعي!

أنصِت للنسويَّة أورسولا شوي، وتدبَّر قولها، حين تصرُخ بعبارتها الشهيرة: (نحن لا نولد إناثًا، إنما نُجعَل كذلك)(١٠)!

إذن ما الذي يصنع الهويَّة؟

سيفتقر فهمنا حينئذٍ إلى رحلة في أغَوار التاريخ كي نفهم مرادهن ومقصدهن، وإن كانت هناك صعوبة في جمع كافة الرؤى النسويَّة لشكُّل التاريخ والواقع، خاصةً مع الاختلاف بين النسوية الليبراليَّة التي تعزف عن التحليل التاريخي لكيفية حدوث القمع، والنسويَّة الراديكالية المولعة بذلك (٨)، فالنسوية في الحقيقة (نسويات) كثيرة ومتضاربة ومتناقضة، والنسويات يتعاورن كثيرا، وقد شهدنا بعض من تضع بجوار صورتهن في المعاجم مصطلح (نسوية) راضي الضمير، تكتب هي نفسها نقدا حارا ملتهبا للنسوية، ويطير به كل من ندَّ عنه نور الفهم، غير مُدرك أن ما تنقده تلك النسوية إنما هو طراز آخر من النسوية! كأن تنقد نسوية إسلاموليبرالية النسوية الراديكالية، أو النسوية البيضاء! إنها لا تنظر لنسويتها باعتبارها (نسوية)، بل باعتبارها حقيقة مطلقة يستحيل وصمها بالأدلجة ويستحيل قولبتها في مسمىً وإطار! وتلك لعمري أزمة كبرى لا نفقهها في واقعنا الفكري والثقافي، أن هناك نقدا علمانيا للعملنة! ونقدا ليبراليا للتعددية! ونقدا نسويا للنسوية! فليس كل من نقد العلمانية أو النسوية معادٍ لهما، إنما قد يكون مُبشِّرًا بشكل أعقد، ونمط أخفى!

إلا أنني سأحاول عرض ما يجمع أشتات رؤى جمهرة النسويَّات الأقحاح للتاريخ، ومنه نفهم تصورهن للواقع وللحلول المطلوبة، وأخيرا نصل إلى معرفة كيف ساهمت الفلسفة النسويَّة في صناعة اللوطيَّة.

فلا ترى النسويَّات المجتمع والتاريخ إلا في إطار الأس الأول، وهو التطور المجتمعي الشامل، على الصورة الآتية:

١- المجتمع مصنع هوياتنا، وهو مُشبَّع بأفكار ممتدة منذ بُدَّاءِ البشرية والوجود

الإنساني، إلى حاضِرنا: ففي الأعصر الأولى لفجر تحول الإنسان من حيوان أعجمي إلى عاقل، كانت القوة البدنية هي معيار تنسيق التراتبية الاجتماعية، ولما كان الأقوى والأقدر على الصيد هو الرجل، فقد نضَّد نسقا اجتماعيا يسوِّده ويجعله آمرا للكائن الأضعف، المرأة، التي شغلها برعاية الأطفال، وأفسد طموحها بقصرها على الأعمال الداخلية كتجهيز مكان مبيته، وتلبية شهواته.

وكرهًا رضخت المرأة، لأن الظروف البدائية القاسية لم تسمح لها بمناوءة الرجل ومقارعة تلك الهيمنة لخلع نير الرق.

فالرجل منذ مُفتتح التاريخ وفجر الإنسانية لم يكن إلا مستبدا غشوما جائرا، يستخدم توحشه وقوته العضليَّة لقمع المرأة المسكينة وقتل طموحها بتحقيق كينونة وهوية متميزة عنه ومستغنية.

٢- لكن ذلك لم يكن أقبح فعال الرجل، بل ما أتى بعد ذلك أفحش:

فقد عمم الذكور ذاك التنظيم المجتمعي وجعلوه الطبيعي الأوحد، ثم ورَّثوه للنشء من بعدهم، حيث لا تكون الأنثى فيه إلا مسترقَّة مُهانة ذليلة، ومن هنا أصبحت هوية الذكور من الأطفال هي (رجال)، وأصبحت هوية الإناث (نساء).

فالرجل مثلا هو صناعة مجتمعية متوارثة، يتدرب عليها الصغار منذ التنشئة الاجتماعية والأسرية الأولى، فيُدرَّب الصبيان على القتال والصيد وقهر المرأة والتسلط عليها والإيمان بالتفوق الذكري بحق الطبيعة! أما المرأة هي الأخرى فليست إلا صناعة مجتمعية متوارثة، تتدرب عليها الإناث منذ الولادة، وتُغسل أدمغتهن ويتلقنَّ أن وظيفتهن هي الخضوع لسيادة الرجل وتسلُّطه وإنفاذ أوامره وقبول هذا البغي والترحيب بالدور المجتمعي الذي تؤديه كل امرأة من تنظيف منزل إلى إعداد طعام وتربية أطفال.

٣- ثم جاءت تاريخيا بعد ذلك المرحلة الثالثة، القرار وخلع القداسة على النظام البطريركي الباغي:

فبالتأطير الديني، أدخل الرجل مفاهيمه في الأديان التي اخترعها أو صاغها، وزعم أن (الإله) هو الآمر بتلك التراتبية والصورة المجتمعية والأدوار المسبقة = فتقدَّس هذا التنظيم المجتمعي الفاجر، وترسخ إيمان النساء به، وتهيبن مخالفته حتى اتهمن هن أنفسهن كل من لا تضبط دورها الاجتماعي المرسوم بالشذوذ والنشوز!

أي أن المرأة أصبحت أول أعداء الأنثى؛ بمكر الرجل التاريخي السرمدي، والذي لم يتوقف لحظة.

٤- ثم تطورت المجتمعات وتقدَّم التاريخ، وأظلنا عصر كسر أغلال الأديان والخرافات وكل ما اخترعه الرجل ومجتمعه الذكوري البطركي[2]! جاء زمان طلب المساواة الكاملة بين الجنسين.

[2] النظام البطريركي: نظام يمثل فيه الرجل دور القائد صاحب الحق في السيادة، لذكوريته، مثل الأب في منزله، والبابا في الدين، والملك في السلطة / راجع مادة نظام سلطة الأب في (333).

لقد تحولت النسوية في تلك المرحلة سريعا، وخلال عقود قليلة فقط، من ثقافة مضادة، معادية للمجتمع وقيمه ومعاييره، إلى ثقافة فرعية، يتسامح معها البعض ويعترف بها وإن لم يتبناها، ثم إلى ثقافة سائدة، تضع هي القيم والمعايير، وتتبَّع المخالفين وتعاقب المارقين!

٥- لكن المساواة الحقيقية لن تكون إلا باجتثاث الهيأة الأولى من الجذور، إنهاء ربط

الرجل بالذكر، والمرأة بالأنثى = فلا يُشكَّلُ الطفل بناءً على تصنيفه الجنسي (ذكر أو أنثى)، إنما يُشكِّل هو ذاته، وتُعزز فيه قيم الحرية، وأن لا فارق بين الجنسين؛ فإن أرادت الأنثى أن تعيش في الدور الاجتماعي الذي اعتاد الناس على تسميته من أدوار الذكور -هُلل لها، فهي ثائرة على التخلف والأفكار الرجعية البدائية المتوارثة، وإذا أراد الذكر أن يمارس أدوارا اجتماعية ارتبطت بالأنثى؛ فحيهلا!
إذن العلاقة بين الجنسين صراعية أبدا وهي حقيقة بيولوجية لا مناص عنها ولا

محيص إلا إليها(١١)، وفي ذلك الصراع يستعمل الرجل حيله العقلية للسيطرة على

الأنثى، وتوريث ثقافة السيطرة تلك إلى الأجيال اللاحقة(١٢)!

هذا مُجمَل جمهرة التصورات النسويَّة عن التاريخ والمجتمع والهويَّة، وهو يختلف حدةً في التفاصيل بين نسويَّة وأخرى، ويختلف كذلك في اتهام الرجل ذاته ومن ثمَّ قصده بالعداء الملتهب لطبيعته النتنة، كما يظهر في النسويَّة الراديكاليَّة، أو اتهام المجتمع وتنظيمه واعتبار فِعال الرجل لم تكن إلا ميراثا ناتجا عن عدم فهم للوضع المتخلف، كما يظهر في النسويَّة الليبراليَّة.

لكننا نخلُص بما يلزمنا في ذلك المبحث، بالمبدأ الأول الذي يدور عليه حديثنا: وهو فلسفة (النوع / الجندر) التي أفرزها هذا الخطل؛ فالنسويات يتحلقن حول فكرة مركزية كبرى، وهي الإيمان بمفهوم الجندر، والانشغال بتتبع وجذوره وآثاره

(١٣).

إن الجندر[3] هو النوع الاجتماعي، نمط مصنوع. والرجل والمرأة هما تعريفان جندريَّان، أما التعريفات الجنسية البيولوجية الثابتة فهي (الذكر والأنثى) = وهذا منفكٌّ عن ذاك، ووظيفة الثورة النسوية التحررية تغيير الرؤى المجتمعية عن النوع (الجندر)، وتطويرها حتى الوصول للمساواة الكاملة، فتأتي يوتوبيا (المساواة النوعية Gender Equality) الكاملة!

إن المجتمع هو العدو، وهو موطن العمل الرئيس للنسويَّة؛ فهو خالق الأنواع وزاعم ثبات الأنماط، توهما منه أن النوع يساوي الجنس البيولوجي للمولود = أما الحقيقة فعلى خلاف ذلك، إذ أن جنس المولود لا دلالة له ضرورةً، ولا تُحشد دلالات الجنس البيولوجي بالأفكار المسبقة المصنوعة، إلا ببقايا أعصر الأديان والتخلف من ثقافات ذكوريَّة قمعيَّة.

من هنا نترك النسويَّة لندخل في مرحلة جديدة بدأت من حيث انتهت النسويَّة: مرحلة فلسفة الجندر!

---

[3] يُستخدم الجندر مرادفا للجنس البيولوجي في الاستعمال العام، فيُقسَّم النوع إلى صنفين، ذكر وأنثى، لكن المعنى الاجتماعي له مختلف، ويُفرَّق بوضوح بينه وبين الجنس البيولوجي للإنسان، فهو مجموعة من الخصائص الاجتماعية المرتبطة ثقافيا بأحد النوعين (5) –والفلسفة الجندرية قائمة على فكرة الجندر بالمعنى الثاني لا الأول.

١- قيل، ما دام المجتمع هو صانع المرأة والرجل، وأن جنس المولود لا دلالة له، وأن على كل إنسان أن يختار الدور الاجتماعي الذي يحبه = فما الذي يمنع أن يلعب الذكر الدور الاجتماعي للأنثى كاملا، بعلاقاته الجنسية -فيكون لوطيا؟ وما الذي يمنع الأنثى أن تفعل نفس الشيء فتلوط بالنساء؟ بل ما الذي يمنع ظهور أشكال متعددة لا حصر لها: كرجل يريد أن يكون أنثى فيزرع ثديا ويعيش امرأةً؟ حتى لو كان يحب النساء ولا يلوط، فالمفاهيم منفكة! وكذا أنثى تزيل ثدييها وتطلب العيش كرجل حتى إن كانت تحب الرجال؟ فظهر مفهوم الخِناث والمترجلات (الترانسجندر).

٢- وجاءت كذلك موجة أخرى نسويَّة الأصول، تطالب بتمكين المبادئ السالفة على مستوى أكبر، بتعديل التنشئة الأسرية والمجتمعية لتصبح أحرص على استبعاد كل عامل في التنشئة يوجه لنوع معين = فظهرت أفكار الجنس الموحد Unisex في الملابس، وتوحيد الألعاب بين الجنسين، وتعليم الأطفال أنهم لا ينتمون لنوع معين، وأن وجود الذكر أو المهبل، ليس له دلالة، وأنهم طُلَقاءُ في اختيار ما يرتاحون إليه من أنواع.

٣- وارتبط التطور التاريخي والمجتمعي، كما عند النسويَّة، بالخلاص من الأفكار المسبقة القديمة والمتخلفة عن نوع الإنسان، وتخليق دلالات جديدة تحقق المساواة الكاملة بين كل البشر!

وما واجبنا الإنساني تجاه ذلك التطور؟

علينا معرفة أن عداوة اللوطي أو اللوطية، لم تنبع إلا من أفكار نتنة عتيقة ترسخت لدينا من أزمان التوحش والبداءة، أزمان كانت تربط الجنس بالنوع الاجتماعي، أزمان كان كل اختلاف وتنوع يُصنَّف كشذوذ مستحق للعلاج أو العقاب!

علينا معرفة أن الإنسانية لم ولن ترتقي إلا إذا أدركنا أن اللوطيين والخِناث هم أفراد شجعان لم يستسلموا لأفكار مجتمعاتهم وتصنيفاته المتوارثة من عصور الظلام، ولم يرضخوا لربط جنسهم بنوعهم، فثاروا على كل ذلك وحرروا جندرهم، بل خلقوه من جديد، وعلى كل إنسان أن يدعم ثورتهم، كما دعم تحرير المرأة في القرن الماضي، من أجل الوصول إلى مجتمع المساواة المنشودة، مجتمع ألوان الطيف البهيج المتنوع!

ولما كانت الثقافة النسوية المضادة، قد تحولت إلى ثقافة سائدة، ولما كانت اللوطية ثقافة فرعية بداخلها = فقد تحولت اللوطية إلى ثقافة فرعية للمجتمع كله، وأصبح هناك (مجتمع لوطي LGBT Community) له هوية مميزة يجب الحفاظ عليها! وهي حاليا تنتقل من كونها ثقافة فرعية، إلى كونها ثقافة سائدة، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

ذاك كان مسار الوصول من النسوية إلى اللوطية، التي هي في حقيقتها وريثة الأولى ومؤدَّاها ولازمها، والتي كانت أفكارها الكبرى بنات الفلسفة النسوية، والتي تقصد ذات الهدف: وهو تحرير النوع الاجتماعي من مفاهيم الظلام، وتحميله مفاهيم الأنوار والحرية. مع إضافة وجوب فتحه للتنوع بعدما ظل مغلقا طوال التاريخ على نوعين فقط، تبعا لوهم حتمية ارتباطه بالجنس.

هذا هو مجمل أثر الفلسفة النسوية، ويلزمه نقاش نخوضه قبل الانتقال للأس التالي:

أولا: لقد بُنيت تلك الفلسفة كُلها على حتميَّة التطور المجتمعي والإنساني عامةً، وأن كافة التشريعات والتنظيمات المجتمعيَّة القديمة معيبة، بنات دهر السيادة

الذكوريَّة = وعليه لا تتسق الفلسفة النسويَّة وتكمُل سوى بالإلحاد، وإلا لو وُجِد إله فهو ظالم مُحابٍ للرجال على حساب النساء، إذ لم تُقر أي شريعة، خاصة الإبراهيمية، بفكرة تقاسم السيادة والمساواة المطلقة بين الجنسين؛ فظل تسويد الرجل على الأنثى هو الأصل، ولو في جانب واحد من جوانب الحياة.

ماذا يُقدِّم الإلحاد إذن؟ إنه يُقدِّم الصورة الوحيدة التي تنظم كل التفسير النسوي للسيادة الموروثة، فكيف تؤثِّم كافة التشريعات والتنظيمات المجتمعية في التاريخ، بينما غالبها آتٍ من نصوص أديان واضحة الانتساب لإله خالق؟ إن إيمانك بالإله يُلزِمك أن تقول بتنزيله أحسن التشريعات، حتى إن عبث بها البشر بعد ذلك. ويُلزِمك أن تؤكِّد على وضوح تحيُّز النصوص الرئيسية للتنظيم المجتمعي والتشريعي لسيادة الذكور والتحفظ على الأنثى باسم الصيانة، وأن تؤمن بصحة تلك نصوص المطلقة زمانا ومكانا = وهذا مستحيل عند النسويَّة، التي تؤكِّد على أن كل تشريع وكل مجتمع سبق لم يكن إلا ذكوريا ملعونا! لذا لا تستقيم النسويَّة أبدا والإيمان بوجود إله خالق، ولا تخلو مؤمنة بدين إلهي، مع النسويَّة، من تناقضات فادحة تهزها وتزلزل طرحها إن تعمقت فيه ولزمت لوازمه = فالإلحاد حتمي لاستقامة النظم وانعقاد اللوازم.

لكن مشكلة الإلحاد الكبرى، ألا وهي غياب المعايير، تطلُّ فاحشةً حينئذٍ: فما دام لا معيار إلا المادة، إذن يلزمنا أن نرتد إلى حالة البدائية الأولى التي يزعمنها، حيث مادة القوة الجسمانية عند الرجل أكبر، وبالتالي يكون هو الأقدر على إخضاع المرأة الأضعف أبدا، فعلام التشكِّي؟ البقاء للأقوى! والدنيا صراع!

ثانيا: لم تخلُ كافة الرؤى التي أسلمت النسويَّة من تلك التناقضات الفاحشة، بل زِدن عليها، مهما حاولن التخفف من الراديكاليَّة، ومهما حاولن الاكتفاء بالنوازع الليبراليَّة التي تتحدث عن ظلم المرأة وتسويد الرجل عليها بالقوامة؛ فالإسلام مناقض للتطور الشامل، ولا يتحدث عن أصل حيواني للإنسان والمجتمعات كان

مصدر تبني المجتمع البشري مفهوم إعطاء السيادة للأقوى فقط! ولا يُقبَل من مسلم أن يزعم جور تشريعات الله لأي أمة من أهل الكتاب، كبني إسرائيل، بل يخرج من الملة من ادعى أن شرائع الإسلام جملةً كانت وقتيَّة متخلفة ابنة مجتمعها، أو ظالمة بحق فئة من الفئات = هذه المبادئ، كافَّةً، مناقضة تماما للرؤى النسويَّة للتاريخ وللتطور التي ذكرناها، وتلفيق كل ذلك مع بعضه البعض يزيد النسوية المؤسلمة اضطرابا فوق اضطراب النسويَّة الأصلية، وقد ناقشت ذلك بصورة أكبر في فصل التنسون، من كتاب الإسلاموطوبيا، فارجع إليه.

ثالثا: هل تحررت الأنثى، أم ضاعت وسط بحر اللوطية والتنوع؟ إن هذا أول ما يجول بذهنك عندما تبصر مآل الخطاب النسوي بكافة أطيافه، بعدما تصدرت نتائجه -أي قضايا توسُّع الجندر وتحرير اللوطية- عناوين الفكر المجتمعي بدلا من قضايا تحرير المرأة.

بالنسبة لكل كافر بالنسويَّة، فقد حققت الراديكاليَّة منها نجاحات ضخمة في إعادة تشكيل التنظيمات المجتمعية بالغرب والعالم -حتى لو بصورة غير مباشرة- عن طريق دفع الهيئات المقاومة لها بالتحالف مع النسويَّة الليبراليَّة المخففة وتلبية أوامرها، ونقاش ذلك يطول جدا = لكن مع ذلك، لا توجد لا نسويَّة راديكاليَّة، ولا ليبرالية، إلا وتجأر بالشكوى من استمرار التحيز المجتمعي الذكوري، واستمرار تأبُّه المتزوجات خاصةً عليهن وتجافيهن عن القضية والاستسلام للرجال في المعركة[4]، وبالتالي يُشكِّل تراجع الاهتمام المهووس بالنسويَّة وتمكين المرأة، إلى المقاعد الخلفية، مقابل خلب اللوطيَّة لألباب الحقوقيين = نكسة للقضية النسويَّة، فضلا عن الارتكاس الذي حدث لصورة المرأة القويَّة، بما صنعه اللوطيون والخِنات

---

[4] النسويَّة من نظريات الصراع، مثل الماركسيَّة، حيث تؤمن بحتمية الصراع الأبدي بين النوعين، الذكر والأنثى، ونظرية الصراع conflict theory هو مُصطلح يطلق على كل نظرية تنطلق من فرضية قيام المجتمع على صراع حتمي بين طرفين أو أكثر (5).

من تشبه بالنموذج الأنثوي المدلل العابد للرجال، والذي عاد للواجهة مرة أخرى على أيديهم!

رابعا: ألهب الانتقال من النوع الطبيعي الفطري المساوي للجنس، إلى النوع المصنوع الوهمي، أُوارَ فوضى النوع: فلم يعد يوجد رجال بحق، ولا نساء بحق، وسالت الميول الجنسية مع الهوية المجتمعية مع الهوية الجنسية، لتصنع شبكة ضخمة من الأنواع المستحدثة المُنكرة! وصارت المرأة أحد أضلاع تلك الشبكة، حيث لا يوجد (جنس نساء) حقيقي كامل، بل هناك نساء يُعرِّفن أنفسهن بأنهن ذكور مترجلات، ولا يرتضين بالممارسة النسويَّة بل يحاولن حيازة السلطات الذكورية تشبها بالنموذج الذكوري الخشن الشهواني الفظ الذي رسمه الإعلام النسوي! وهناك نسوة لوطيات يردن لعب دور (المرأة) التقليدي، مع (فحلتهن) اللوطيَّة؛ ولا تشغل نفسها بالهوس النسوي الرافض لأي دور مستكين أو خاضع تؤديه المرأة! وهناك نساء لوطيَّات يعشقن النسويَّة الراديكاليَّة ويرين فيها النظرية المعبرة عنهن، كما جاء في العبارة الشهيرة لتي جراس أتكينسون، النسوية الراديكالية ذائعة الصيت: (إن كانت النسوية هي النظرية، فاللوطية النسوية هي التطبيق)[5]! ولوطيات أخريات ينظرن إلى النسويَّة باعتبارها شيء كئيب يرفضنه لأنهن يردن اللواطة بامرأة تتدلل معهن وتخضع لهن.. إلخ!

وما عند النساء، أضعافه في المماثلة عند الرجال!

فأين القضية النسويَّة وسط هذا الزخم المجنون؟ إن الهيستريا التي كانت تُسعِّر حرب الإعلام والرأي العام في القرن الماضي ضد أي لمحة (ميزوجينيَّة) /تحقيرية للمرأة، والحساسية المفرطة في ذلك الشأن، ورِثتها اللوطيَّة، بل زادت عليها، حتى أنه

---

[5] Feminism is the theory; lesbianism is the practice

يمكن وصف اللوطيَّة بنظرية ما بعد نسويَّة. ولا أمثل من حالة اقتحام الخِناث اللوطيين للرياضات النسوية، والجدل المُثار حول ذلك، دليلا على ذلك.

فمؤخرا، حينما وصفت لاعبة التنس السابقة مارتينا نافارا، اللوطية النسوية الناشطة في مجال نشر ودعم اللواط منذ عقود، اقتحام الخِناث للرياضات النسوية، بالجنون والخداع، وأن الواجب وقف ذلك = هاج الغرب وماج، واتهِمت بمعاداة اللوطيين الخِناث والمترجلات (Transphobic) وطُرِدت من تحالف حقوقي للدفاع عن اللوطيين وغيرهم في المجال الرياضي(١٤)! وقد احتجت مارتينا بعدما حقق بعض الخِناث أفضلية على النساء في الرياضات النسوية، تلك التي كانت دوما إحدى أهم آليات الحركة النسوية في الاحتجاج على عالم الرجال، بصنع عالم نسائي خالص يسعى إلى الريادة يوما، وهو ما لم يتحقق وظلت الرياضة النسائية دائما في الظل إلا النادر الهامشي؛ لكن هذا العالم يتم اقتحامه من الذكور الخِناث حاليا! كأنما لا يكفي الحركات النسوية ما هم فيه من فشل رياضي، إذ بالرجال يقتحمون فخرهم! هذا هو ما أزعج مارتينا، النسوية اللوطية التي قضت عمرها تدافع عن اللوطية والنسوية، فخرجت من صلب قضيتها الديدان التي أكلت سمعتها، وجعلتها مثار هجوم اللوطيين في العالم اليوم! هذا والمؤسسات الغربية بشكل عام في اضطراب حاليا: إذ أن عدم معاملة الخِناث اللوطيين على أنهم إناث، يهددهم بالعداء ضد اللوطية وتهم الكراهية، فكيف يكون الحل؟ لابد من الموافقة شيئا فشيئا على اختراق أولئك الذكور عالم الإناث الرياضي! لا مفر! بل المعترض على ذلك سيتهم تصريحا بالعداء للوطية أو الخناثة! فإذا كانت إحدى رائدات اللوطية في العالم قد صُنِع معها ما صُنع، فماذا لو كان المعترض طبيعيا؟!

ومن أمثلة حالات الاقتحام الجنونية، حالة خنث لوطي سمى نفسه هانّاه مونسي، كان لاعبا لكرة اليد في منتخب استراليا للرجال، ثم أعلن أنه يريد أن يكون خنثا لوطيا ولعب في المنتخب الاسترالي للنساء، ثم بعد ذلك قرر أن يلعب في الرجبي النسائي(١٥)!

لمعرفة حجم تداعيات هذا الموقف الذي أقرته الهيئات التشريعية الأمريكية، بالسماح للخناث والمترجلات بالالتحاق بالفرق التي يُنمون أنفسهم إليها (نوعيا) لا بحسب جنس الولادة = يجب أن تعلم أن من حقائق الرياضات العامة نشدان ذي القوة البدنية الأعلى، ولا مجاملات في المعايير والمقاسات الكمية!

إن سُمِح بلاعب برازيلي لوطي خنث مع منتخب النساء، وهو ما حدث في الكرة الطائرة بالفعل، أو لاعب أسترالي خنث لوطي مع منتخب سيدات أستراليا، وهو ما حدث أيضا بالفعل، فما الذي سيوقف الاجتياح الذكري المتخنث اللوطي لكافة الرياضات مستقبلا؟ إنهم أفضل وأقوى بدنيا ومهاريا! هذا يهدد بتحول الرياضة النسائية إلى رياضة (المخنثين) من الرجال، وانتهاء العنصر النسائي الحقيقي من التواجد الرياضي للأبد! لأن الرياضات الرجالية ككرة القدم وغيرها لن تقبل النساء المترجلات اللوطيات لضعفهن المُركَّب، وحتى لو حدث فسيكون حالات نادرة جدا! وكل وجود لخنِث في فريق، سيزيد من قوته وسيدعم من حظوظه، ما سيُلجئ الآخرين للرد باستجلاب الخِناث كذلك!

هل اتضحت حجم المشكلة التي فجَّرت ثورة مارتينا؟ إن ذلك قد يكون بداية النهاية للتواجد النسوي في الرياضة! ومن يدري، ربما تتحول الانتخابات وكافة مظاهر الحياة التي كن يحاربن من أجل (المساواة) فيها إلى مباراة بين الذكور الرجال، والذكور الخناث! الأولون يلعبون دور الرجال، والآخرون يلعبون دور النساء في تقسيمة المساواة الجندرية المجتمعية!

ثم ما يزيد الجنون جنونا: أنهم لا يشترطون أن يكون الخنث اللوطي ممارسا للواط! بل يمكن أن يتخنث ويرتدي كالنساء ويتعامل كالنساء، ويعلن كذلك أنه محب للنساء -لوطية نسوية! وهو ما قد يفتح بابا واسعا للاحتيال!

ولنختم نقاش تلك النقطة بالحديث عن (زوبي Zuby)، مغني الراب البريطاني الذي نشر في مارس من هذا العام فيديو على صفحته يُعلن فيه أنه كسر الرقم القياسي العالمي لرفع النساء للأثقال (٢٣٨ كجم)، إذ أنه قد أعلن نفسه أنه خنِث أنثى أثناء كسره ذلك الرقم، وقال ساخراً لجمهوره: إياكم والاعتراض أيها المتعصبون(١٦)! ثم كسر رقما آخر في نفس المجلس، وأعلن بعدها أنه سيعود رجلا!

لقد قضى زوبي على كل شيء في دقيقة! ولم يحر أحد من السادة المتفلسفين جوابا على المتسائلين بجدية: أهذا ممكن؟! هذا فعل مستهجن لكنه أليق بمنطقكم، وأوفق لمبدأكم، فعلام الإنكار؟!

لقد أنجبت النسوية طاعونا ضد النساء أنفسهن، ولم تُزدنا الأيام والحوداث إلا يقينا بكونها المثال التاريخي الأكبر على شيوع طيش النساء، لا عقلهن كما ادعين، وما من عاقلة إلا وعلمت هذه الحقيقة منذ زمن!

بذلك ننتهي من النقاش الأس النسويّ ودوره، وننتقل إلى الأس التالي.

الأس الثالث: الفردانيَّة.

اللوطية الحديثة نشءٌ ليبرالي، ولن يكتمل تصورنا لها إلا باستعراض آثار الليبرالية كدين علماني عليها. وسأتعرض لأبرز أساس ليبرالي أحسبه يُلزِم بتقديم

اللوطيَّة، حتى إن لم يكُن حين وضعه الواضعون يُتصوَّر إمكان وصول اللزوم به لذاك المضيق، وهو الفردانية!

تُعرَّف الفردانية بأنها عقيدة سياسية ليبرالية، تحضُّ على استقلال الأفراد الذاتي وحريتهم في مجتمعهم، وهي عِماد الرأسمالية، وتكوِّن جزءا لا يتجزَّأ من الحضارة الغربية الحديثة (١٧). وهي كعبة الفكر الليبرالي منذ النشأة، والتي لم يخفَ على متدبرها ارتباطها الوثيق بالفكر البروتستانتي، الذي كان ثورة على الكنيسة ومبادئها، حتى قيل إن البروتستانتية ليست إلا نموذجا دينيا للفردانيَّة (٧). وفي ذاك المعتقد لا يكون كل إنسان مميَّزا فحسب، بل متفرِّدا ذا أولوية على المجتمع كله، حتى عتا جمعٌ من الليبراليين فأنكر وجود (المجتمع) ذاته، قالوا: ما المجتمع إلا مجموعة من الأفراد المكتفين بذواتهم (١٨)!

إن الفردانية لم تكن منذ اليفاع إلا منظوراً معاديًا للجماعيَّة التي كرستها الكاثوليكية، التي يتعزى فيها المرء الآثم بتقوى جماعته كلها (٥)، ويحرص على الخضوع للنخب ولمنظومة القيم الاجتماعيّة التي نشأ فيها، ويتمسك بتوريث تلك المنظومة لأبنائه من بعده، فيبقى المجتمع ساكنا، ويبقى كل امرئ رهين جماعته، فابن القِن قن، وابن السيد سيد، ولا فرد، إنما مجتمع، والخلاص جماعي لا فردي = هنا جاءت الفردانية من البروتستانتية والرأسمالية معا، فالأولى بثورتها على الكاثوليكية أكدت مسؤولية الفرد عن نفسه وخلاصه هو وحده، واستغنائه عن نخبة من الكهان والملوك والأمراء تكون وسيطا بينه وبين ربه، والثانية بثورتها على

النظام الإقطاعي (الفيودالي) الذي تعامل مع الشرائح والطبقات الاجتماعية بتصلب، وروَّج لمفاهيم وشعارات عامة عن الطبقات والأعراق لا يفر منها المرء، ولا يحيص إلا إليها! فالأسود عبد بليد، والفقير حاقد سارق، والثري ابن السراة، يسبغ حسبه عليه أحسن المكارم والصفات، والأمراء والملوك سادة بالفطرة لا يطمح من دونهم إلى اقتباس لمحة من شعاع حصافتهم ورزانتهم!

تلك المفاهيم التي قولبت كل إنسان وحكمت عليه بحياة طبقته التي لا تتغير أسكنت المجتمعات بين شِعاب التخلُّف = فكان لا بد من الثورة عليها حينما صعدت الرأسمالية بالبرجوازيات الصغيرة الطامحة في خلخلة بنيان النخب متوارثة السيادة، سواءً الدينية أو السياسية.

ثمَّ أطلت الفردانية كأساس لتلك الثورة الحتمية، حيث (اكتشف) الغربيون فكرة التمايزات الفردية وفكرة (لا تزر وازرة وزر أخرى) وفكرة (كلهم آتيه يوم القيامة فردا) و(إنك لست بخير من أحمر ولا أسود؛ إلا أن تفضله بتقوى أو عمل)!

لكن لما جاءت تلك الاكتشافات خليط دين علماني = لم تنضبط بضابط مماثل لضبط الإسلام حرية الفرد، فخاطت الليبراليَّة ثوب الفردانية حريرا يصول فيه السوس! لا يحتفي ببهرجه إلا الجاهل، ولا يغيب عن الثقِف اهتراء نسجه وفساد حشوه.

فقد عاب فردانيَّة الليبرالية المصنوعة في الفكر الأوروبي تحديدا مزاعمها الرومانسية حول (تفرُّد) كل شخص (١٧) وأولويته على المجتمع (١٨) وضرورة حمايته في وجه النظام السياسي والمجتمعي والديني، والذي صُوِّر خِصما للحريَّة =

فكانت الفردنة انتزاعا للإنسان من روابطه التقليدية مع عائلته ومجتمعه، وتحفيزا

على اختيار شخصيته وهويته الذاتية بمعزل عن مؤثرات بيئته (٧).

ولن يتمكَّن الفرد من تطوير ذاته الخاصة الحقيقية دون أي مؤثِّر خارجي إلا بتحرير ذاتي كامل من كافة القيود المجتمعية أو الدينية أو السياسية التي تحاول قولبته؛ فالحرية هي الحالة الوحيدة التي يمكن للأفراد تنمية مهاراتهم وتحقيق

ذواتهم فيها (١٨) وتلك الحرية مضمونة طالما لم يقم المرء بإيذاء الآخرين.

لذا خاضت الليبراليَّة الوغى من أجل تقوية الإيمان بالإنسان ذاته وبأن الأصل فيه وفي علاقاته بالآخرين هو الخير = فهي كنظرية رومانسيَّة لا يمكن أن تتلاءم طويلا مع واقعية السلطويين أمثال هوبز ودي سبينوزا، ونظريات الأصل الشرير للإنسان عامةً.

وبقدر ما أجلَّت الفردانيةُ الحريةَ، قدَّست العقلانيَّة العلمانية، حيث أوجبت على العقل الإنساني محاربة كافة التقاليد التي نشَّأها المجتمع الأبوي / البطريركي

(١٨)، فهي الأغلال واجبة الكسر، وعنى ذلك زوال كل حاكمية إلا حاكمية هوى

الفرد نفسه!

فلا سلطان ولا حاكمية لمجتمع، ولا لدين، ولا لأعراف وعادات؛ إنما الحاكمية للفرد الفذ، الإنسان كل إنسان، ذاك المخلوق الذكي الذي لا يشبه واحدٌ منه الآخر! إن كل ذلك لا يُفهَم إلا بإدراك السياق الأوروبي القروسطي الإقطاعي الكاثوليكي الساكن الذي تحدثنا عنه، وبإدراك أن كل تلك الثورة الأوروبية الطائشة المتمردة لما لم تجد لها ركنا ركينًا من كتاب سماوي لديها؛ استندت إلى عقل الأرض،

وأحسنت التنظير والكلام البلاغي الإنشائي الجميل. ثم لما نزل كل ذلك إلى الواقع كانت الكوراث: فمن إمبريالية مسيحية إلى إمبريالية علمانية إلى إمبريالية اقتصادية إلى إمبريالية مقنَّعة خفيَّة = لم تتوقف الدول الليبرالية عن سحق باقي العالم وفرض نظريتها على الجميع، دون أن يقتنع الموجِبون أنفسهم بأن الليبرالية دين صالح للسيادة والحكم العالمي الواقعي حقيقة، وأفعالهم خير شهيد! وقد استفضت في نقاش ذلك بكتاب هلال السيادة، فليُرجع إليه.

وقد زودت الفردانيَّة، وما أحاط بها من تقاليد ليبرالية، اللوطيِّين بالأسس الآتية:

أولا: أن هوية الإنسان يحددها هو لنفسه، فهو متفرِّد مُقدَّس الاختيار لا يخضع لأي معيار مجتمعي أو ديني، لأن كل تلك المعايير ليست إلا مظاهر للأبوية، ولحاكمية وتسلط (الآخرين) عليه محاولةً لقولبته في هوية وميول محددة = وهذا أساس انتشار عبارات معاصرة مثل (من أنت لتحكم عليّ؟) و(أنت لست الإله لتحاكم أفعالي!)، وقد قدَّس اللوطيون ميولهم مع الوقت، حتى وإن شعروا بالإحراج منها في زمن ما، لكنهم وجدوا في الليبرالية متنفساً، إذ تقول لهم أن المجتمع عدوكم، وأنكم أنتم من تحددون الصواب من الخطأ والصالح من الطالح، ما دمتم لا تؤذون الآخرين جسديا. فأنتم متفردون لا يجب أن تخضعوا لسلطان، كونوا رجالا أو نساءً إن شئتم بلا قيد إلا هواكم. وقد أسلفنا الحديث عن كيفية تحولهم من ثقافة فرعية بداخل ثقافة مضادة (النسوية) إلى ثقافة سائدة! ولعلك قد انتبهت لمسمى مظاهراتهم وأعيادهم: الفخر اللوطي Gay Pride!

ثانيا: ساهم ظهور علم النفس الحديث مؤسسا داخل مجتمعات تدين بالليبرالية في فشوِّ تلك الظاهرة، فاستبطن العلم ذاته أسسها ومبادئها أثناء تفحصه للحالات وتفسيره لها: إذ كان يبحث الفرد ونفسه بتقديسه وافتراض الصدق فيه بمناهج مثل الاستبطان، عِماد الاستفتاءات والاستبيانات النفسية (١٩)، وينصت لتفسير

ميوله الشاذة وشهواته لا باعتبارها أكاذيب أو تبريرات نفس تخدع الذات قبل الآخرين، أو وسوسات شيطانية؛ بل باعتبارها حقائق = فما هو المعيار الحقيقي، حتى يُعتبر شذوذًا اعتراف أحد الذكران أنه يعشق الذكور وحدهم؟ لقد ظلت المجتمعات الليبرالية في تناقض باعتبارها اللوطية مرضا حتى لزمت لوازمها وتخلصت من تلك الحاكمية المعيارية المجتمعية، بالأفكار النسبويَّة = فأبطلت كون اللواط مرضا أو شذوذا! وعليه أنصت النفسيون كثيرا وحللوا كافة الأكاذيب وأهواء النفوس وأباطيل الحديث التي قالها اللوطيون ثم أخرجوا منها أطنان الدراسات المؤكِّدة لكون الأفراد إما يولدون بميول لوطية طبيعية رغما عنهم، هذا عند مدرسة الجبليَّة، وإما يولدون بلا ميول محددة، إنما يفرض المجتمع عليهم بحاكمية أفكاره شكلا محددا من العلاقات الجنسية، ثم يتعذبون حياتهم من الخضوع لذاك الشكل بينما ميولهم التي تتشكل أثناء نموهم قد تخالف القطيع المجتمعي، والمُتعارف عليه، فيسوءها الرضوخ!

فلا جرم، شكَّلت الفردانيَّة بأفكارها ولوازمها منظور كثير من علماء النفس عامةً، والمؤسسين لفكر طبيعية اللوطيَّة خاصةً.

ثالثا: أسس اللوطيون دعاياتهم الرئيسية وقت ظهورهم على فكرة تميُّز اللوطيين كأفراد، وإظهار معاناتهم الشخصية من حاكمية مجتمعهم وساستهم.

ولأضرب مثلا بفيلم صدر عام ٢٠١٤ صوِّرت فيه قصة معاناة عالم الرياضيات الفذ

(آلن تُرينج) الذي كان لوطيًّا وعانى من مجتمعه وتشريعات بلده بريطانيا التي أغلظت عليه وأفسدت حياته لميوله الجنسيَّة التي لا ذنب له فيها، رغم إحسانه، إذ

كان من كبار عملية إنقاذ بريطانيا طوال الحرب العالمية الثانية(٢٠)!

إن تلك الفكرة تظهر جلية في مشهد يجلس فيه تُرينج أمام المحقق الإنجليزي بعدما انتهى من رواية بطولاته الكبرى وإنقاذه لبلده بعقله الألمعي، ثم إخباره بميوله التي لا ذنب له فيها، سائلا إياه في الختام عن حكمه عليه كإنسان: أهو بطل أم وحش؟ هنا يُلقِّنك الغرب بالإجابة على لسان المحقق: لايمكنني أن أحكم عليك!

إن البروباجندا الليبرالية الفردانية الرومانسية عن تفرُّد كل إنسان وتميُّزه لم تتوقف لحظة إعلاميًّا، إنما أجادت التخفّي في صور عديدة، وقد استُخدِمت بكثافة في الدعاية للوطيّة.

رابعا: زرعت الفردانيَّة الليبرالية ميلا لإضفاء الثورية واتخاذ صف الفرد ضد الأحكام والقيم المجتمعية والدينية والسياسية.

وقد كانت العدوانية ضد كافة السلطات والقيود هي مطيَّة اللوطيين زمنا طويلا إلى نفوس الشباب بتأجيج حميَّتهم وشغفهم بالتمرد؛ فما اللوطية إلا ثورة على العالم القديم وتحرير للمستقبل من ضيق الأفق والقولبة الجاهزة المتوارثة! وإن كان هذا سيظهر بصورة أوضح في الأس الثوري القادم.

إن تلك هي الآثار الأوضح للفردانية، ولو دققت فيها وفصَّلت ما كفاني هذا السفر، فلنكتفي بهذا موضحين في الختام أن الماركسية ذاتها جزء من ثورة التنوير العقلاني في أوروبا، فلا يظنن ظانٌّ أن تلك الأسس الليبراليَّة لا علاقة لها بالاشتراكيين، خاصةً الحقوقيين منهم، بما يجتمعوا عليه من أفكار مجتمعية مع اليسار الليبرالي = إذ أن كونهم يجتنبون مفهوم الفردانيّة الصريحة بمسار أطول، لا يعني أنهم وصولهم إلى خلاف ذات الفلسفة عن الإنسان المتفرد المتميز ووجوب مساندته والهجوم على الأنساق المجتمعية والدينية المتوارثة، بصورة قد تفوق الليبراليين أنفسهم! فاليسار الحقوقي بأطيافه (متلبرل) فلسفيًّا وإن نخر الناخرون وجزع البُلهاء!

وكشف دور تلك الأسس في إظهار دين اللوطيَّة هو فضح لليسار الحقوقي الاشتراكي مثلما هو فضح لليبرالية سواءً بسواء.

الأس الرابع: ثورة حضارة البهجة.

تعد فلسفة (حضارة البهجة) اليوتوبية من أعمدة التيار اللوطي في الغرب منذ منتصف القرن الماضي إلى الآن؛ فإن كانت كافة الأسس السابقة تبحث وتعِد بفردوس أرضي ويوتوبيا ضمنًا؛ فهذا الأساس تحديدا قائمٌ صراحةً على فكرة اليوتوبيا وصناعة فردوس حضارة المباهج!

وسنبدأ حديثنا منذ حقبة الثورة الجنسيَّة التي بلغت في نهاية الستينيات ذروتها، ونبَّأت الوقائع المتكررة المتتالية في أوروبا بقرب قيام حدث رمزي كبير يجسد علوها؛ حتى دهم الغرب حفل الوودستوك، نذير العصر الماجن الجديد!

والوودستوك هو حفل شبابي لموسيقى الروك أُعلِن عن التجهيز له في مكان عام بالولايات المتحدة الأمريكية، وهاجمته جمهرة المجتمع الأمريكي الأميل للمحافظة حينها هجوما كاسحا!

فظهرت الصورة الكلية للمشهد كالآتي:

يمينٌ يحتشد فيه المجتمع التقليدي العجوز القديم، يَبهَر أنفاسه يأسا لكتم زئير العاصفة الثورية الشبابية الحديثة!

ويسارٌ يُكوِّن الشباب فيه بؤرة المستقبل!

في جهة: المجتمع المحافظ، الكئيب، المهووس بقتل الفيتناميين المساكين!

وفي الأخرى: مجتمع البهجة والشباب والموسيقى وهجران الحرب لصالح الحب!

وما إن بدأ الحفل في ولاية نيويورك حتى فاق المشهد المهيب كل ما تصوره أحد: فقد حضر ما يقارب النصف مليون شخص أكثرهم من المراهقين والشباب! والكل آتٍ بشعار واحد، رفع راية (الموسيقى والحب)!

واستمروا بين عرايا وشبه عرايا في الهواء الطلق لثلاثة أيام؛ ومورس الحب فيه بكافة أشكاله وشذوذاته!

صور لمئات الفتيات عاريات الصدور أو الأجساد دون أي سعي لتستر أو لمحة ارتباك!

صور لقبلات حارة وأجساد متعانقة متجاورة متراصة بلا نهاية!

كانت هذه الصدمة فريدة لدرجة إطلاق اسم هذا الحفل علما على الجيل كله، فسُمِّي بجيل الوودستوك Woodstock Generation، الجيل الذي مثَّل طليعة نقل الحضارة العالمية إلى عصر ما بعد الثورة الجنسية، حيث هُدِّمت كثير من القيم، وانفك الجنس عن القيم التقليدية الفطرية للإنسان.

لكن ما علاقة ممارسة الجنس وتحرير الشهوات من كل ضابط، بمعاداة الحرب؟ ولماذا كانت الثورة الجنسية ابتداءً؟

سيُلزمنا الفهمُ العودة إلى الخلف بضع سنوات، إلى عهد ظهور الشعار الشهير: مارس الحب، لا الحرب!

ففي نهاية الخمسينيات، نشر (هربرت ماركوزه) الفيلسوف النقدي الألماني الأمريكي المعروف، كتابه (الإيروس والحضارة)، الذي قدم فيه نموذجا تفسيريا للحضارة الغربية وكآبتها وأسس العنف فيها، مستخدما مزيجُ أفكارٍ فرويدية وماركسية، ومطالبا بتغيير تلك الكآبة وتقويض الحضارة الصراعية المُقبِضة، لبناء حضارة تآلفية ودية مُبهِجة = وهو النموذج النظري الذي ينتمي إلى فرضية عامة سيسميها ميشيل فوكو بعد ذلك بالفرضية القمعية Repression hypothesis.

ونموذج ماركوزه يسير الفهم إن قرأته بهدوء، وإن علمت بعضا من فلسفة فرويد وماركس لن يعتاص عليك دركه لحظة، وملخصه الآتي (٢١):

١- أن الحضارة الغربية طافحة بالقهر؛ فالمجتمع مقموع بنظام الهيمنة الطبقية الرأسمالية الملوَّث بالتصور البروتستانتي الزاهد عن الشهوات = وقد فرض بهذا النظام قيودا غير ضرورية على ممارسة الجنس، ساهمت في تحويل طاقة (الليبيدو)[6] المقموعة إلى فائض إنتاج ينتفع به المهيمنون على تلكم المجتمعات خاصة في القرون الأخيرة.

٢- وأن هذا القمع لا يُعظِّم فقط بؤس العمالة، بل يدفع لمزيد من العداوات والأحقاد الطبقية = ما يغمر الجميع، انتهاء، في مستنقع عداوات وحروب أبدية داخليا وخارجيا.

٣- وليس السبب المُهيِّج لأبدية الحروب في النظام الرأسمالي إلا هذا العامل في المقام الأول = فالقمع المجتمعي للملذات الحسية، وخاصة التوجهات والرغبات الجنسية، ينحرف بطاقة الإنسان بعيدا عن رضاه الذاتي الذي لا يتم إلا بإشباع شهواته، وتزيد وتيرة القمع رجاء إنالة رأس المال، وخدمةً للحرب مُستعقبا ومُستقبلا!

---

[6] مصطلح فرويدي يعني به الطاقة النفسية للغريزة الجنسية في الإنسان، بصورة خاصة، أو غريزة الحياة كلها بمعنى أعم، راجع (347).

٤- وعليه نخرج بقاعدة تاريخية اجتماعية ونفسية كبرى، نبني عليها الكثير: أن القمع الجنسي كلما تزايد حدةً = زاد العنف شرا!

٥- أما المجتمع الاشتراكي طبقا لماركوزه، فهو الذي يستطيع أن يقضي تماما على الزعم الرأسمالي بأن العنف العالمي داخليا وخارجيا إنما هو قائم على الصدام بين مبادئ الواقع وبين الإيروس (مبادئ المتعة) = فالحقيقة أن العنف القائم هو بين العمالة المقهورة وبين الإيروس؛ وسيكون المجتمع الاشتراكي المطلوب هو آلة نيل الأماني ببناء حضارة قائمة لا على العمالة البائسة، إنما على مبادئ المتعة والإيروس.

٦- لكن ما الذي سيصنعه تفعيل مبادئ الإيروس؟ إنه سيخلق المباهج الحسية (الشهوات) في أشكال متعددة Polymorphous sensuality، وتلك الشهوات المتحررة من كل قيد ستبعد الإنسان عن العنف وتنصر الإيروس وتكون دعامة لبناء الحضارة الغربية المبهجة، بدلا من الحضارة الغربية الرأسمالية البائسة التي طال قمعها للإيروس، مع ملاحظة أن ماركوزه لم يقصد الشهوات الجنسية فقط، بل كافة المباهج الحسية عموما؛ لكن تحرر الشهوات الجنسية تبعا لفرويد كان العمود الفقري لتحرير المُتع الذي يريده.

هذا ملخص التحليل والحل الفلسفي الذي قدمه ماركوزه، وقد كان لتلك الفكرة التي نشرها في كتابه (الإيروس والحضارة) في نهاية الخمسينيات أثرا فادحا على الثورة الجنسية التي زلزلت المجتمعات الغربية في الستينيات، فقد صار بطلا شعبيًّا

لشباب الثورة الجنسيَّة‹٢٢›= ويؤكد البعض على أن هذا الكتاب الذي حاز شهرة ضخمة في أمريكا، كان أحد أهم المصادر الفكرية الملهمة للثورة الجنسية المضادة لثقافة الغرب الملتزمة جنسيا حينها، وعبارة (مارس الحب، لا الحرب) الأشهر على الإطلاق يمكن تتبع أصولها إلى هذا الكتاب وتلك النظرية ‹٢١›، مع الانتباه أن (مارس الحب) تعني بصورة أساسية الغرق في ممارسة الجنس، لكن بعبارة تربط بين الجنس والحب معا وتخفف من وطأة المعنى الثقيل!

ولنناقش الآن الممارسة العملية للحب، أي أفكار الثورة الجنسية.

لقد رفضت الثورة الجنسية المبادئ المجتمعية التقليدية المتعلقة بالجنس، مثل ربط ممارسة الجنس بالزواج، وجعل الإنجاب هو الغرض من الجماع = فاستهدفت ارتغاب ممارسة الجنس مطلقا دون أي بُعد آخر لها، غاية في ذاتها لا وسيلة للإنجاب، ولا واجبة التأطير بإطار شرعي اجتماعي أو ديني، فلا يلزم أن تمارس الجنس مع حليلة لك، ولا يلزم أن تهدف من تلك الممارسة سوى التمتع والنشوة وإشباع ملذاتك.

كذلك رفضت صناعة مثال معياري للعلاقة الجنسية، مثل: الجنس الأحادي (فرد واحد مع فرد آخر فقط) والجنس المستقيم (رجل مع أنثى فقط)؛ بل يمكن للفرد أن يمارس الجنس مع عدة أفراد في نفس اللحظة، وكذلك يمكنه أن يلوط كما يشاء.

إن خلاصة رؤية رواد الثورة من تحقيق تلك الأفكار: الإيمان بأن المباهج والشهوات الجنسية لا يجب أن يقمعها مجتمع صنع أفكاره بنفسه لنفسه، ويفرض استمرارها كثقافة مجتمعية بأدوات الضبط المجتمعي المستمرة رغما عنهم = بل يجب أن يتطور المجتمع ليزيل كآبته تلك ويقتلع جذور الحرب من أعماق الإنسانية ليصل

إلى المستقبل اليوتوبي المنتظر، حيث حضارة البهجة والنشوة والغرق في المباهج واللذات.

بعبارة أخرى: صناعة الجنة في الدنيا، لا انتظارها في السماء أو من السماء!

تلك هي الأسس التي بُني عليها الربط في علاقات توافقية أو تناقضية بين عدة مفاهيم مختلفة:

مثل الربط بين الحب والجنس وجعلهما شبه مترادفين، والربط بين الشهوات الجنسية وبين التقاليد المجتمعية والدينية المستقيمة المستقرة عن الجنس، وجعل طلب الأول يلزم منه العداء للثاني.

والربط بين الحالة الفطرية الطبيعية وبين الحضارة ومبادئ التنظيم المجتمعي، وجعل الوصول للحالة الإنسانية الطبيعية الأولى لا يكون إلا بالتحرر الجنسي، بينما لا تعني القيود والتنظيمات الدينية والمجتمعية إلا عوامل الكبت والقمع ومصادر الكآبة والغضب.

وكذلك الربط بين الانحلال الجنسي والتطور والثورة؛ فلا تكون الثورة التطورية إلا على المجتمعات المهترئة القديمة التقليدية، ولا يكون التقدم إلا بالانحلال الجنسي، وبالتالي، الربط بين انفلات الشهوات وبين البهجة الحضارية!

إن نشوة الجنس (الحر) هي ذاتها نشوة الحضارة (الحرة)!

لقد مُجِّد الجنس كثقافة مجتمعيَّة موجهة لكافة الأنشطة، وعلمت كافة الصناعات، التجميلية والإعلامية والتلفازية والسينمائية أن الجنس مُربح دوما؛ فالمرء يجب ألا يلبس إلا ما هو مُثير جنسيا، ولا يضع إلا عطرا ذا جاذبية جنسيَّة، وركَّزت الصناعات الدوائية على فرع التجميل وكل ما يزيد الأنشطة الجنسيَّة! ونشأت ثقافة كاملة تتمحور حول الجنس، وتُمجِّد العزوبة، التي نُظِر إليها أنها مرحلة المباهج والعلاقات الجنسية المتنوعة والكثيرة! ولم يكن من الغريب، ظهور أصوات نسائية في منتصف الثمانينيات تشكو بأن ثورة التحرير الجنسي تلك لم

تحررهن على الإطلاق = إذ أن معيار الجاذبية الجنسية، الذي صار هو معيار المجتمع الأول، ألزمهُن بخيار واحد فقط، وهو استمرار الانغماس في علاقات جنسية بلا توقف مع العديد من الناس، لإثبات قدرتهن التسويقية، وأنهن لسن بضاعة كاسدة، والحفاظ طوال الوقت على كل ما يجعلهن مُشتهيات ومرغوبات من ملبس ومسلك

«٢٣»

وصارت التقاليد التي كانت مستقرة في الثقافة المجتمعية الغربية مرادفةً للرجعية والتخلف والقمع المجتمعي، وأصبح الهدف صناعة ثقافة مضادة تحاول إسقاط هذه المنظومة القيمية البالية المرتبطة بالدين والأعراف.

أما الدين؛ فلأنه التهديد الأول المعتاد = إذ لا يقوم فقط بتوريث مستمر للصورة المتزمتة عن الجنس وارتباطه بالزواج وإعمار الأرض عبر الأجيال، بل لكونه يُرسِّخ تلك الصورة بإضفاء القداسة عليها وربطها برضى إله خالق وبمهمة مقدسة لا يجوز تلويثها بلوحات العبث الوجودي في تصورات الجنس! كما أن الأديان وإن تفاوتت في وضع القيود على المباهج الحسية، من متزمت مثل المسيحية، التي تُقصِر الجنس على علاقة أحادية طوال العمر، وتربط الجنس بالإنجاب وحده خاصةً في أغلب مذاهبها، إلى أقل تزمتا مثل الإسلام، الذي يقصره على عدد معين وصور معينة ولا يسمح بالعلاقات بين نفس الجنس؛ مع عدم ربط الجنس ضرورةً بالإنجاب = إلا أنه تفاوُت في حجم القيود ومساحات الحرية التي يمن بها التشريع، فهو تفاوت في القمع لا تفاوت في الفضل! فلا فضل إلا بالتحرر الشامل من كل قيد وشغل كافة مساحات الحرية دون منٍّ من أحد ولا جهة ولا دين!

إن الأديان تحت شعار (قمع انفلات الشهوات) تتفق على وجوب التقيد بصور للجنس، وتضع هدفا مقدسا ساميا هو إعمار الأرض، إضافة لتمجيد الاعتدال وقتل

المتع الحسية المنطلقة بلا حساب = فإذا سقط الدين تيسر تبديل الأعراف وتحويلها بأدوات التغيير المجتمعي مثل التشريعات القانونية والإعلام.

وقد يحدث أن تكون الأعراف أكثر رسوخا في المجتمع من المفاهيم الدينية، مثلما ترى في بعض قبائل الصعيد المصري من تقديس للدين الإسلامي وحبه والغيرة عليه، ثم هم مع ذلك لا يقبلون حكم الإسلام في عُرف الثأر الجائر (قتل من لا ذنب له ما دام ينتمي لأسرة القاتل)! فللعرف رسوخ ومكانة نفسية ومجتمعية تفوق الشعائر والأحكام الدينية! كذلك فإن الأعراف في قبائل نجد الغارقة في النظريات العنصرية المتطرفة العرقية والسلالية واللونة، تأخذ في بعض الأحيان صورا مناقضة للإسلام تماما وإن حاولت الاحتيال عليه، مثل رفض زواج البنات من أفراد منتمين إلى قبيلة مغايرة، أو النظر لابن القبيلة على أنه أسمى ممن لا ينتمي لقبيلة كالمنتمي إلى عائلة متمدنة؛ هذا فوق النظر لأنفسهم كعرب باعتبارهم عرقا أعلى من غيرهم؛ فكل تلك أعراف تستحكم في النفوس بصورة أكبر من استحكام الإسلام نفسه.

لكن الأعراف رغم رسوخها الثقيل خاصة في المجتمعات المتخلفة، إلا أنها تفتقد لعامل مهم في توطين ذاتها بما لا يزعزعه تعاقب الأجيال = وهو الشرعية الدينية! لذا حاول بعض العلماء قديما وحديثا ترسيخ النظرية العنصرية والعرقية وإلباسها تارة لبوسا علميا لعلمانية دينهم كالنازية، وتارة اجتماعيا ثقافيا يتخذ صورة العلمية مثلما فعل الشعوبيون الفرس، أو لبوسا دينيا بأدلة شرعية مثلما يفعل أصحاب نظريات التفوق العرقي الأبيض من النصارى، ومثلما فعل كثير من العرب بدايةً من العهد الأموي! فصمود العرف عبر الأجيال وتحمله اهتزاز الانقلابات والثورات الجيلية والمجتمعية لا يستمد قوته الكبرى من ذاته ضرورةً، إنما من ارتباطه بشرعية دينية ولو بالاحتيال.

ومن هنا تتبدى خطورة دعاوى من يحاولون مواجهة اللوطية محتجين بمخالفتها الثقافة المجتمعية الشرقية! فتجد المعارض من أولئك يهتف: هذه دعاوى لا تنتمي لثقافتنا، ويجب احترام خصوصيتنا الثقافية! كأنما الإشكال أن قبح اللوطية نسبي متعلق بثقافتنا لا أكثر، لا إشكال قبح مطلق للفعل في كل زمان ومكان!

نعم، يمكن أن تكون الثقافة المجتمعية خاطئة ويلزم تغييرها، وكم من ثقافة مجتمعية شرقية متجذرة في بلادنا ليس بينها وبين الإسلام صلة؛ بل كم من ثقافة عرفية مناقضة للإسلام تنتظر مؤمنا يجتثها عنوةً؛ فالدعوة الثقافية التي تستشهد بالأعراف والتقاليد المستقرة في ذاتها، دعوى متهافتة، يمكن دحضها من قبل اللوطيين بكل يسر!

بل لعلك لاحظت أن اللوطيين يجذبون دوما الحوار إلى تلك المساحة الثقافية، بدلا من المساحة الدينية التي تستند في شرعيتها إلى قوانين كونية إلهية لا يمكن وصمها بالخطأ ولا يمكن استبدالها ولا يمكن نقدها! إن اللوطي الذكي سيقبل نقاشا تصفه فيه بالشاذ مقارنة بنقاش تصفه فيه بحفيد قوم لوط أو اللوطية! في الأولى هذا نقاش عرفي ثقافي ظرفي تاريخاني نسبوي مرتبط بالبنية المجتمعية الحالية، وفي الثاني هذا نقاش ديني في حكم ثابت مُنَزَّل أبدي!

وإن كان بعض أذكيائهم - بل قل: خبثائهم! - يلعب كالمعتاد بورقة (تفسير النص) التي يُتَّهم فيها كالمعتاد الفقهاء وكافة علماء الأمة بتحريف تفسير النصوص الشرعية المتواترة، وضرورة (فتح النص) لاجتهادات جديدة تفككه وتشكك في تحريم المحرمات وتقلبه إلى النقيض تماما؛ مثل أولئك الذين يدَّعون أن قوم لوط عُذِّبوا لاعتدائهم على الأضياف لا على (الفعل) بذاته! فإن تحدثت عن (نص الفاحشة) ذكر لك أنه لا يعترف بمعناها اللغوي السائد؛ مخترعا العديد من المعاني مستعملا أدوات المدارس الأدبية النقدية من تأويلية إلى تفكيكية، مستظلا بمناهج ما بعد الحداثة وقتل المؤلف! أما إن تحدثت عن السُّنَّة فالجواب أيسر من شربة الماء:

أنا لا أعترف بالسُّنَّة هذه، البخاري دجال ومسلم مُحتال! وسترى فيما بعد أنهم ما قالوا هذا الحجاج من عقولهم؛ إنما نقشوه نقشا من لوطيي البروتستانت!

إن التوجيه الدعائي والإعلامي، واستغلال حب الأجيال الجديدة التمرد على الأهالي والتقاليد الموروثة، خاصة مع المظالم الاجتماعية المستحكمة، وزيادة الانفصال الفكري بين الأجيال يوما تلو الآخر لسرعة التطور التقني وتيسُّر سبل التواصل الفكري = أثبتا المقدرة على تدمير الأعراف المجتمعية المستقرة، خاصة التي لا يوجد لها أساس ديني أصيل!

وكذلك ابتداءً من الشعار الشهير (مارس الحب لا الحرب) الموثِّق بين الحب والجنس وحدهما شُيِّد نموذجٌ دعائيّ كامل في تلك المراحل المبكرة، يختزل معنى الحب بين الطرفين فيهما وحدهما.

لنتوقف دقيقة شرحا لأبعاد ومخاطر ذلك الاختزال؛ فعلاقة الحب في الإسلام ثلاثية الأطراف، علاقة حب بين الله وبين العبدين، وبين العبدين كليهما؛ وعليه ليس في تأسيسه ارتباط حتمي بالجنس= فالمرء يحب الآخر بحسب موالاته ومعاداته للإله الحق، ومعرفة الحق لا تكون إلا بالأداة الحق، الإسلام، وعليه نشأت عقيدة الولاء والبراء، فكلها تطبيق لمعاني الحب والبغضاء. أما الحب الحسي، المؤسس على الجنس وحده؛ فله مكانه؛ لكنه ليس الأصل، وعليه لم يُقبَل من المسلم أن يتزوج مشركة وإن شغفت قلبه عشقا لحُسنِها وطبعها وأخلاقها وقوامها، وليس له أن يمسها إن بقيت على شركها -لأن الله سبحانه موجود في تلك العلاقة، وله تشريع يجب على المسلم الرضوخ إليه حبا لربه وموالاة للمسلمين.

وهذا كله مناقض للإنسانوية التي ربطت بين الحب والجنس فقط، واختزلت العلاقة المعقدة المركبة الثلاثية إلى علاقة ثنائية لا إله فيها إلا منفيا؛ فبحذف الإنسانوية الإله من المعادلة الثلاثية وإحلال جوهر الإنسان محله، أنتجت لنا نموذج

دين الإنسانوية/الهيومانية[7]، بولائه وبرائه وطقوسه = ودليل هذا ما رأيناه من الإنسانويين المنتسبين للإسلام الذين يرفضون إدخال كل من نفع الإنسانية، مثل ستيفن هوكنج وستيف جوبز وغيرهما، في زمرة أهل جهنم! إن الإله، عند من يؤمن من هؤلاء بإله، ليس إلا ظلا للإله الحقيقي: الإنسان -وهو مُطالب وجوبا برحمة كل من دان بالإنسانوية ورعى حقها، ملحدا به أو غير ملحد، كما أن عليه تعذيب من كفر بها وحاربها، كالجهاديين وغيرهم!

فعلى التحقيق لا يوجد رب للعالمين مستعلٍ، الإنسانوية هي علاقة ثنائية بين الإنسان والإنسان الآخر، لا توجد علاقة ثلاثية، فلا مجال للمعاداة على أسس دينية أو غير دينية، بل الولاء للجوهر الإنساني ذاته في كلا الجانبين، ولا معنى لبراء من إنسان آخر إرضاء لعرش فارغ فوق السماوات! لقد صيَّر الإنسان نفسه إلها، وما دام لم يعتدِ على الآخرين اعتداءً صريحا ظالما مؤذيا لا تأويل فيه = فليصنع ما شاء، لا يُسأل عما يُفعل والمؤمنون يُسألون!

ثم أن الإيمان بالحب بناءً على ذلك النموذج الإنسانوي، يُلزم سؤالا إنكاريا: فما وجه نشر خطاب عدائي أو قمعي لتوجهات إنسانية قائمة على زيادة تلك العلاقات متانة، أي العلاقات الجنسية؟ ما هدف إصدار تشريعات مُلجمة وكابحة؟

إن الجنس هو أعظم وأسمى وسائل نشر الحب بين البشر؛ ولا يمكن أن يُشارك في تقييده إلا جهول ظلامي متطرف، إرضاءً لإله مُتوهَّم ومجتمع يئن من أعباء هذا الوهم!

فالحق الإنسانوي الأوحد هو أن الحب ينتصر دوما Love wins!

---

[7] لم يكن علمانيو مصر الشباب أكثر قربا من الحق يوما إلا حينما رفعوا شعار (أدين بدين الإنسانية)!

بذا تُقدِّم الإنسانوية مزيدا من الحجج لدعم الفلسفة اللوطية، فهي، من وجه، إله يرفع العقاب عن الأفراد الذين يمارسون هذا النوع من الجنس ويرفض إدانتهم لتحقيقهم الهدف الأسمى: وهو جنة الحب والسعادة وحضارة الإيروس.

وهي، من وجه آخر، ترفض وجود أي إله أو سلطان آخر غيرها يُقيِّد علاقات حب تحقق السعادة الإنسانية بين الأفراد = فكل ما يصنع السعادة الإنسانية، وخاصة الجنس، مطلوب لذاته، وهو فكر مرتبط من ناحية أخرى بالهدونيزم ومبدأ الحصول على أكبر قدر من المتعة، لكن ذاك نقاش آخر يطول وله أبعاد في السياسة والاقتصاد وتاريخ الأيدولوجيات والفلسفات الغربية منذ الإغريق إلى الآن، لا يسعه هذا الكتاب.

فإن تدبرت كل ما سبق، أدركت بسهولة سبب نشأة الجدل الغربي المعاصر -خاصة في ألمانيا- حول مسألة تجريم الجنس بين المحارم: فالعلاقة بين الابن وأمه أو الأخ وأخته أو الأب وابنته هي علاقة إنسانية لا يحق لمجتمع مؤسس على تقاليد قديمة أن يتدخل فيها ما دامت لا تؤذي أحدا، فما وجه منع الزواج والجنس بين هؤلاء؟

لنضرب مثلا: في عام ٢٠١٤، دعا المجلس الوطني الألماني للأخلاق إلى إلغاء القوانين

التي تحظر زواج المحارم، بعدما نظر في قضية أخ يعيش زوجا مع أخته، وله منها أولاد = فقد أنكر المجلس استمرار (التابوهات/المحرمات) المجتمعية، والتي منها زواج

المحارم(٢٤).

ولم يجد المتمسكون بالتجريم، على أساس لا ديني علماني، إلا حجة كون الحظر يهدف إلى منع الأذى عن الإنسانية، لأن أطفال ذلك الزواج سيصابون بتشوهات خلقية أو عقلية تؤذيهم!

وتلك حجة متهافتة على تأبيد التجريم = فما وجه التحجج بها إذا استأصلت الأم أو الأخت رحمها؟! ما وجه التحجج بها إذا عقَّم الأخ أو الأب نفسه جراحيا بما لا يؤذي متعته؟ ما وجه التحجج بها إذا توصل علم الأجنة إلى التدخل المبكر ومنع التشوهات؟ عليك أن (تهتم بشأنك) وألا (تحكم على الآخرين)، فالحكم يحتاج إلى معيار ثابت، والمعيار الثابت يحتاج إلى إله، والإله هنا إما معدوم = فالحق نسبي ولا معيار للحكم، وإما موجود وهو الإنسانوية = فلا مجال لتجريم ما يعزز سعادة البشر، وأوله الجنس بكل أنواعه!

ولا سبب لتكبيل الأشكال الجنسية المختلفة والمتنوعة، مثل الجنس الجماعي، وتبادل الزوجات، واللوطية، والجنس بين الأقارب المحرمين = إذ لا معنى لمفهوم التحريم؛ فمن المُحرِّم؟ لا وجه للحكم على أحد؛ خاصةً إذا انخرط في علاقة غير مؤذية تحقق أكبر قدر من المباهج والسعادة مثل الجنس!

إن المفاهيم المجتمعية التقليدية والدينية، تؤسس لفكرة أن (فطرة الإنسان) لها شكل واحد للعلاقة: زواج الذكر والأنثى. في المسيحية ذكر وأنثى واحدة، وفي الإسلام ذكر وأربع إناث بحد أقصى مع فتح المجال للمزيد من المُتَع الحسيَّة، لكن عبر قيام مؤسسة أخرى معادية للإنسانوية وهي الاسترقاق، ولا تختلف اليهودية كثيرا! إذن تجتمع الأديان الإلهية على تثبيت صورة (طبيعية) للجنس أولا، ثم على تأطير هذا الجنس داخل إطار لا يجوز الخروج عنه وهو العلاقة التي سمح بها الله زواجا أو تملُّكا = وكل ما عدا ذلك ليس إلا شذوذا شهوانيا مستحقا للعقاب.

يبني الخطاب الإنسانوي التحريري منارا للثورة على تلك المفاهيم التقليدية، التي هي من بقايا خرافات الأديان = فلابد من تحرير الجنس سواء من سلطة المجتمع أو سلطة الأديان، وبتحرره يتحرر الإنسان ويصنع الحضارة المُبهجة، فالإنسان مملوء بالرغبة في الشهوات الممتعة لكنها مكبلة مُضيَّقة، ما يُنشئ جوا من الكآبة والحزن والغضب العدواني، يولِّد الحرب والصراع الأبدي! وكل ذلك قد ينقلب رأسا على

عقِب، فقط إذا ثار الإنسان على تلك المفاهيم والمعايير والتقاليد وأطلق العنان لشهواته كيفما شاء.

من هنا ذاع نظْمُ أفكار الحرية، والبهجة، وإطلاق الشهوات الجنسية بلا عنان، والثورة على الدين والتقاليد والمجتمعات والأجيال القديمة المتخلفة في نسق واحد: الثورة التقدُّميَّة من أجل حضارة البهجة.

ودائما يضرب المؤمنون بذلك المثال بيوتوبيا قردة البونوبو!

فتلك القردة تعيش عالما من الحب، وتستخدام الجنس لتمتين العلاقات الاجتماعية والتراتبية، فهو ليس مُخصصا عندها للإنجاب فقط (١١). وعالم الحب الذي يمثلونه لا قيود فيه على الأنواع والأشكال، إذ تلقى فيهم اللوطية الذكرية والنسوية، والفُحش بالمحارم، والتفحش الجماعي؛ وتشهي الأطفال! هذا هو مجتمع البونوبو المسالم جدا الذي (يمارس الحب) أبدا بلا توقف، والذي يمتدحه هذا القسم من الإنسانويين كنموذج لحياة البهجة التي يطلبها الإنسان، حياة الجنس الجماعي واللوطي الذكوري والنسائي، والمُتبادِل، وكل شكل من أشكال إخراج الشهوات والمباهج، فمجتمع قردة البونوبو هو الحلم المنشود، الذي يدفع الإباحيين للتساؤل:

متى تنجح الإنسانية في محاكاة (يوتوبيا البونوبو) المنشودة(٢٥)؟!

ولا تلق بالا حينئذ لرفض البحث العلمي ذاك التصور الساذج عن يوتوبيا البونوبو المنشودة: فالقيادة في مجموعات البونوبو غالبا تكون لأم، داعمةً لابنها في وأد أي تنافس(٢٦)، والجنس ليس بلا قواعد مطلقا، بل يقمع المجتمع عادةً الجماع بين

الأهل المقربين، ولا تعني اللوطية دوما الحب، بل تستخدمها الإناث في اختبار الوافدات الجديدات على القطيع دون أدنى اهتمام (٢٧)!

لكن متى شغلت تلك الأيدولوجيات نفسها بالتوصيف العلمي الدقيق؟!

على أي حال، جوبهت نظرية ماركوزه بهجوم مضاد بعد عقود قليلة، من ميشيل فوكو.

ويؤمن البعض أن رؤية ونظرية ماركوزه لم تفقد صلاحيتها في الغرب، إلا بعد نقد فوكو للرؤى المازجة بين الماركسية والفرويدية! بل إن ماركوزه نفسه أعلن هجره أطروحته الساذجة تلك بعد انتكاس الحركات التحررية والشبابية أثناء عصر الحرب الباردة! كما أن الحركات اللوطية نفسها Homophile movement لم تتوقف عن نفي أي جذور اشتراكية راديكالية وشيوعية أثناء الحرب الباردة، حرصًا منها على تجنب مواجهة الدولة والصدام معها أيدولوجيًّا = وكل هذا يدعم وجهة نظر من يرى أن تمثيل فكر ماركوزه للأساس الذي بُنيت عليه الدعاوي والحركات اللوطية Gay Liberation Movements لم يكن إلا عرضيًّا، غير مقصود بذاته، مستدلا بأقوال له ترجح إمكان انزعاجه حين كتابته الإيروس والحضارة، إن علم أن كتابه سيكون من مؤسسي فكر الحركات اللوطية (٢٨)!

أما ما يهمنا نحن ها هنا، هو معرفة السياق الذي ظهرت فيه تلك المفاهيم والأفكار، حتى لو تراجع عنها صاحبها فيما بعد = فقد ترسخت كأسس في الحركات اللوطية إلى الآن، ويصعب جدا تجاهل مركزية فكر (حضارة البهجة) اليوتوبي والمبني على فكر التحرر الجنسي واللواط، أو التقليل من شأن أثر ماركوزه في غرس تلك الأيدولوجيا والبناء الجلي للبروباجندا والدعاية اللوطية عليها إلى اليوم، حتى إذا

كانت الجوانب الفرويدية والماركسية في أطروحته قد هُجرت من أجل ابتلاعها في أيدولوجيات ليبرالية وما بعد حداثية أخرى لا تتوافق مع أفكار ماركوزه الشمولية.
ولقد شُغِل الفرنسي ميشيل فوكو، الفيلسوف الفرنسي الشهير الذي أرَّخ للجنس في كتابه ذائع الصيت (تاريخ الجنسانية)، بنقد ذاك المزيج من التحليل النفسي والماركسية الذي قدمه ماركوزه؛ لكن مخالفته تلك تبلورت في نموذج معين، يلزم أن نتعرض له، خاصة أن كتابه كان ثورة شهيرة على الرؤية الماركوزية، مع الانتباه لمحدودية أثره مقارنةً بأثر كتاب مركوزه!
أن أول ما هوجم عليه ماركوزه، كان فرضية القمع التي تتحدث عن كبح الحضارة الغربية منذ القرن السابع عشر للجنس، خاصة في العصر الرأسمالي الملوث بالبروتستانتية = فقد أثبت فوكو رواية أخرى ثرية بالأدلة أن النقيض هو ما جرى، موضِّحا تشجيع الحضارة الغربية للأوروبيين منذ هذا القرن تحديدا على الحكي عن الجنس بالتفصيل؛ لا العكس!
وقد كانت بداية هذا المسار في تعديلات كنسية على شكل الاعتراف الذي كان مُجملا طوال تاريخ المسيحية؛ فالمُذنب كان لا يزيد حينما يأتي قِسًّا للاعتراف عن قوله قد زنيت، أو قد مارست اللواط؛ لكن بداية من ذلك القرن غُيِّر أسلوب الاعتراف من الإجمال إلى التفصيل = فأصبح المُذنب مُطالبا بسرد كافة ما جرى أثناء العملية الجنسية الآثمة!
يقول فوكو، أن الأدب الإباحي الجنسي لن يصل بك، إذا تتبعت جذوره، إلا لغرفة الاعترافات الكنسيَّة! ويسرد طوال الفصلين الأول والثاني عديد الحوادث عن تحويل الثقافة الجنسية من حكايا مغلَّفة تُروى في مجالس خاصة بلا ضابط، إلى (ثقافة عامة) تُضبط مجتمعيا باللغة والمفردات ثم تُعمم في مرحلة لاحقة.
كذلك يشير فوكو إلى انتقال الجنس، في القرن التاسع عشر، من حقل الأخلاق إلى حقل العلم، وقد كان هذا يعني التخلص ببطء من الخطاب القيمي والديني،

خطاب الحلال والحرام والصواب والخطأ والهدف السامي، والتحوُّل إلى خطاب (متعقلن) يبحث في النوازع ويهتم بتفاصيل الأفعال الشاذة ويشجع على سرد الشهوات المنفلتة الغريبة، سعيا للتصنيف العلمي لتلك الأفعال والميول = وهي، بالطبع، تصنيفات لا تستند إلى منظومة قيمية أو أخلاقية أو دينية؛ بل تخالفها قدر الإمكان، تميُّزا لها بزعم الحياد العلمي (٢٩). وفي كل هذا تعزيز للفردانية غير منكور.

إن نقض فوكو لسردية ماركوزه لا يهدم فقط فرضية القمع؛ بل يهدم أداة التحليل النفسي الفرويدي الماركسي ذاتها، ويقدم بديلا لها أداة التحليل الاجتماعي للظاهرة = فاللوطية كذلك ذات مقاربات اجتماعية ونفسية، وموطن الخلاف المفصلي بين هذين النوعين من المقاربات هو: على من تقع المسؤولية الأكبر في تشكُّل الواقع؟ المجتمع أم النفس الإنسانية؟

ومن الواجبات فهم موقف فوكو نفسه من الحرية الجنسية، فهو لم يعنِ بنقضه لفرضية القمع تلك أن الحضارة الغربية تعيش في بهجة جنسية من قديم، فهو من مؤيدي المزيد من الانفتاح الجنسي، إنما كان خلافه مع ماركوزه يتمحور حول ادعاء قمع الشهوات حتى القرن العشرين، وهو ينقضه بالتأكيد أنها كانت في سبيلها للانفتاح وانفلات الشهوات وتسير بإصرار في ذلك الطريق منذ القرن السابع عشر.

وفوكو لوطي شهير، وكان عشيقا لرجل اسمه دانيل ديفير حتى الموت، وورث ديفير منزله كزوج، وقد كان ينظر إلى اللوطية باعتبارها مُعززة للصداقة!

إن ماركوزه وفوكو لا يفترقان في المسعى الختامي كثيرا، بل كما قيل قديما: كل الطرق تؤدي إلى روما! وسترى في فصل لاحق، حينما نعرض نظرية الشذوذ، أنها قامت على أسس فوكوية صريحة.

أخيرا، نعرض للمآخذ العامة الملحوظة منا كمسلمين على نظرية حضارة البهجة كلها، بمختلف مقارباتها، سواء ما قاله ماركوزه أو قاله غيره، في إيجاز:

فمن تلك المآخذ، الاختزال السخيف لعوامل حركة التاريخ وصعود وانهيار الحضارات = فقد بُنيت النظرية أساسا على نظرية أخرى فاضحة الاختزال وكبيرة الادعاءات، وهي الماركسيَّة، وكذلك على فلسفة فرويديَّة خالصة تجاوز علماء النفس قبل غيرهم مزاعم كونها حقا مطلقا = فمن الماركسية أخذ التحليل الطبقي وتحليل التاريخ بالعامل المادي الاقتصادي، ومن الفرويدية أخذ مركزية الجنس كعامل مفسِّر لأكبر المشاكل في حياة البشر، فجاء الناتج كما رأينا!

والحقل التحليلي السياسي أو النفسي قد فقه هذا الاختزال منذ عقود عدة، وأضاف عشرات العوامل الأخرى التي عُلِم أنها مشاركة سواء في حركة التاريخ وصناعة الواقع، أو في نفس الإنسان وردود أفعاله؛ بالتالي لم يعُد هذا الحل المقدم من ماركوزه، المؤسس على الاختزال، صالحا لمناقشة جديَّة في عالم اليوم.

كذلك يُنبئ التاريخ غير المُستقى من الدين، أن فتح الباب المطلق للشهوات الجنسية بأنواعها لم يكن يعني التقدُّم والسعادة المجتمعيَّة وإيقاف الصراع؛ فحضارة اليونان كانت في عموم مواطنها منفلتة، وكذا الرومانيَّة الوثنية المتأخرة، وكانت الجواري في أغلب التاريخ يمثِّلن بابا مفتوحا لإطلاق الشهوات الجنسية = ولم يعنِ كل ذلك الارتباط بالسعادة المجتمعيَّة العامة والخلو من الحروب والمشاكل! فعوامل الصراعات المجتمعية والدولية أكبر بكثير من أن يتم حصرها في الكبت الجنسي، وقد امتلأت أوروبا ذاتها بالصراعات الداخلية قبل ظهور المسيحية، حينما كانت الحياة الوثنية أشد إباحيةً، ولم تكن هناك علاقة صريحة للتقوى والفضيلة بكبت الجنس كما جرى مع المسيحية = بل وأخرجت تلك الحضارة الصراعية اثنتين من أكبر الإمبراطوريات الاستعمارية في التاريخ القديم: الهيللنية والرومانيَّة، حيث صُرِع أغلب العالم المعروف وقتها بأيدي (حضارات البهجة) تلك! ولم تستطع

أوروبا المسيحية التقيَّة محاكاة تلك النزعة الإمبراطوريَّة المهووسة بالحروب والسيطرة، إلا في عصر اضمحلال السلطة الدينيَّة واكتشاف الأمريكتين وظهور القومية ثم الإمبريالية!

وغاية ما يمكن أن نقوله، أن أوروبا الاستعماريَّة الصراعية، حينما كان الرجال يزنون ويلوطون بلا رقيب = هي ذاتها أوروبا الاستعماريَّة الصراعية حينما كان الرجال لا يُمارسون الجنس إلا مع زوجة واحدة فقط! لم تصل أوروبا أبدا إلى حضارة بهجة، بل ظلت تُصارع الأمم وتصرعهم وتقتلهم وتقتات على جهودهم لبناء الرفاهية والرخاء المنشودين.

كما أن الطرح يأكل نفسه؛ فأولئك الذين لا يُحارِبون ويُبشِّرون بوقف الصراعات وإحلال اليوتوبيا والفردوس بالجنس وحده = تحوط بأركانهم أقوى جيوش الأرض وتُعزُّ أجنابهم! ألم يظهر الهيبيز وتندلع الثورة الجنسية في أقوى بلاد الأرض، أمريكا، حيث لا يُمسُّ أولئك في دعواهم رغم انفلاتهم وسُكرِهم ونشوتهِم؟ أليس ذلك لأن صواريخ بلدهم النووية موجَّهة إلى كل عاصمة في عالمهم؟!

وهذا يقودنا إلى نقطة أخرى متعلقة بنا، نحن المسلمين، فانتشار مثل ذاك الطرح إن لم يتسبب بضرر كبير لأمريكا والغرب، فهذا لتمكنهم في مقعد السيادة العالميَّة، وانتشار الانحلال المجتمعي لا يعني انتشاره فكريًّا بالطريقة النظريَّة التي تحدث عنها ماركوزه وأمثاله، بل يعي رجال الساسة هناك أن الدوافع الصراعية لا علاقة لها بذلك السفه والترف الفكري، وأن حيازة القوة مطلب إنساني مستقل بذاته.

لكن ماذا عنا نحن؟ مسلمون مُهانون ومشرَّدون تمطرهم الدنيا بنيران المدافع والصواريخ، ولا يجدون ملجأً من كل ذلك إلا الله، ثم التفكُّر في أمل أن يأتي يوم يُحصِّلون فيه قوة تردع كل معتدٍ ومُغتصب، وتضع لهم قدما مرة أخرى في مُركَّب السيادة العالمية!

إن انتشار ذلك الفكر، في أمة بهذه الحالة = يعني إحلالهم أنفسهم دار البوار!

ويزيد من خطورة ذلك الطرح على أمة المسلمين، أن دواعي الشغف متجذرة في حاضرها أكثر من غيرها؛ فهو طرح طوبوي يعدُ بمُستقبل لا صراع فيه وبسحب الشباب من الواقع الكئيب = والأمة تنقر لنفسها عن أي طرح يعد بالخلاص من الصراع، وشبابها أحوج لغمس أنفسهم فيما يُبعِدهم عن الواقع الكالح!

وهو طرح يدعم الانفلات الجنسي = والأمة مكبوتة بقيود تكبح حتى أدنى الشهوات بدعاوى رفع سن الزواج نظريًّا ومنع الأعراف الغالية له عمليا.

وهو طرح يُقدَّم من الغرب وينشره في إعلامه = والأمة غالبها يعبد الغرب ويُقدِّس إعلامه!

فكيف لا يجد هذا الطرح آذانا مصغية فينا؟ وكيف يكون حالنا إن انتشر ذلك الفكر فقضى على البقية الباقية من صلاح مجتمعاتنا!

سنكون أمة هيبيز بلا حُماة الهيبيز!

الأس الخامس: النسبوية، وما بعد الحداثة.

النسبوية، وإن كانت فلسفة قائمة بذاتها، إلا أنها أيضا عماد نظريات ما بعد الحداثة، وأثرها عارمٌ في مئات الأفكار الغربية والعالمية، وفي اليسار الليبرالي خاصة. وسنتخيَّر الحديث عما يُوضِّحها لنا كموثِّر على المسار الفلسفي اللوطي، موضِّحين كيف كانت تلك الفلسفة أحد أسس التكوين.

ترتكز الفلسفة النسبويَّة على فكرة أن الحق لا يُمكن أن يُحصر في فكر أو أيدولوجيا أو دين؛ فالحق نسبي، وما تراه اليوم محرما، ربما يصبح حِلًّا في الغد، أو ربما هو حِلٌّ

حاضر في ثقافة أخرى(٣٠)!

كما أنها حين تمتزج مع الفلسفة التطوريَّة الباقية في حقل الأيدولوجيّات، تروج لقدرة التطور المجتمعي المستمر وتقدمه الذي لا ينتهي، على تحديد الصواب المناسب لكل مرحلة تاريخية.

أما تحديدُ معيارٍ للصواب والخطأ، تاريخيٍّ أبدي، مصدره دين أو فكر = فخرافة ودجل، فمن الذي يُحدِّد الشرائع والمعايير؟ أليس الإنسان؟ لقد قال السوفسطائي الأغريقي بروتاغوراس، عميد النسبويَّة، أن الإنسان هو مقياس كل شيء: وقد كان يعني بذلك، أن كل منظور ورأي لشخص، هو جيد وصحيح كأي منظور ورأي لشخص آخر (٣٠) وقد عمِد بروتاغوراس في ذلك إلى تحدي المعارف والقيم المفروضة من مصدر خارجي غير إنساني، خاصة الإله(٣١).

ولقد مرَّت الفلسفة الغربية بثلاث مراحل مع النسبويَّة، السوفسطائية الأولى، التي بدأت في القرن الخامس قبل الميلاد، ثم الفكر النافي للنسبويَّة المُطلقة، وهو يمتد من عصر الفلسفة الأفلاطونية والأرسطيَّة إلى القرن العشرين، أي خلال العصر الفلسفي الوثني ثم الفلسفي المسيحي ثم الفلسفي الإنسانوي الحداثي، وأخيرا الإحياء بالفلسفة ما بعد الحداثية، التي أعادت السوفسطائية ومزاعم نسبويتها المعرفيَّة والأخلاقيَّة إلى الوجود مرة أخرى، وفيه أُعطي الإنسان حق تحديد كافة المعارف من جديد، دون مصدر أعلى، ولو كان المجتمع أو الأيدولوجيات أو العلماء أو المفكرين؛ ففلسفة ما بعد الحدثة في حقيقتها هي سوفسطائية مُحدِثة.

وزعمُها: أن الإنسان هو مُخترع الآلهة والأديان لإضفاء صفة القداسة والخلود على مُخترعاته الفكرية والثقافية، وقد كان في اكتشاف التنوع الثقافي والمعرفي بعلوم الأنثربولوجيا وغيرها، توهينٌ لادعاءات امتلاك الحق المُطلق؛ فما هو خطأ في ثقافة،

صواب في أخرى، ولا مزيَّة لمجتمع دون آخر، تدفعنا لتصديقه والإيمان بامتلاكه وحده المعيار الأصوب.

إن التنوع الثقافي والديني دليل على أن كل مجتمع بشري قد (اخترع) ما يناسبه من المعايير والمقدسات، واحترام الإنسان يفرض علينا تبجيل ذلك التنوع الثقافي والفكري، والإيمان بأن لا فضل لمعيار على آخر، ولا رفعة لثقافة على أخرى، وعدم ملكية أحد للحق المطلق، لا في هيئة الأفكار ولا في نَظْمِ المعيار. والمؤمن بغير ذلك هو الأصولي الديني المتطرِّف، ذاك البربري الكافر بالتعددية الدينية والثقافية والنسبويَّة، والمعارض للإنسانويَّة العلمانيَّة (٣٢).

أما فلسفة ما بعد الحداثة، فتُعرَّف بأنها رؤية تزعم استحالة وجود مقولات ونصوص عالمية مُطلَقة تتعلق بالقيم والتقدُّم والسببية التاريخيَّة = والاستحالة حادثة لأن كافة المعارف مُشكَّلة بتصور صاحبها لا أكثر؛ فكل معرفة تكونت لدينا متأثِّرة بالظرف الذي تلقينا فيه الحدث وفسَّرناه، مثل الظرف الثقافي وغيره؛ وعليه لا يمكن أن تكون المعرفة عالميَّة أو مُطلقة، إنما كل معرفة لا تكون إلا جزئية متعلقة بالموقف والحدث لا أكثر (٣٣).

وقد كان من آثار ذلك، التأكيد على أن دلالات الألفاظ ليست عامَّة، بل هي مجرد موروث مجتمعي وثقافي يمكن تغييره، وعليه كان الحضُّ على النظر إلى دلالة (الذكر) ودلالة (الأنثى) بصورة جديدة، بُنيت فوقها النسوية ومفهوم الجندر = فأصبح لفظ الذكر لا يرتبط في دلالته بالرجل حتما، وكذا الأنثى، كيف والدلالات ملك الإنسان المُعرِّف لذاته وهويته ونوعه الاجتماعي الذي يرغب في عيشه؟ وكما لا يحق لأحد ادعاء احتكار ملكية المعيار الوحيد للصواب والخطأ؛

كذلك لا يحق لأحد أن يفرض مفهومه للألفاظ والدلالة التي يتبناها، على شخص آخر.

ماذا يعني ذلك في حياتك اليومية؟ يعني أن اعتقادك كون الفعل (كذا) حلال أو حرام، أو صواب أو خطأ = ناتج من ثقافتك وبيئك الاجتماعية التي نشأت فيها، وواجبك أن تعترف بهذا وتحتفظ باعتقادك ذلك لنفسك.

أما إن حاولت فرض معيارك هذا على غيرك، أو حتى محاكمة أفعاله إلى ما تؤمن به من قواعد وقوانين = فبغيٌ وافتراءٌ وتعدٍّ على إنسانيته ومعتقداته، إذ أن هذا ليس من حقك أولا، وليس إلا غطرسة دوغمائية أصولية متطرفة منك ثانيا، لعدم إيمانك بنسبية الحق ورفض تسليمك بلا معياريته.

والمثال العملي، هو في حكمك على الخنِث، فأنت تصرُّ على توصيفه بمعيار يُلزِم الارتباط بين الذكورة والرجولة، وهذا هو معيارك أنت، وهو معيار متخلف قديم من بقايا عصور ما قبل التاريخ، لا يؤمن بانفصال دلالات الألفاظ، ولا يُسلم بحقِّ الإنسان أن يفسر اللفظ ويُحمِّله ما شاء من معنىً.

فالخنِث يسمي نفسه امرأة ويريد من المجتمع أن يعامله كامرأة ولا يناديه إلا بأدوات التأنيث، والمترجلة تسمي نفسها رجلا وترفُض من المجتمع مخاطبتها بغير أدوات التذكير، وهما أحرار فيما يريدان وعلينا احترام حرية اختيارهما ووضع معاييرنا في منازلنا، وعلينا الإيمان بمعايير مجتمع المستقبل، التي تُعزز نسبوية الحق ونسبوية المعاني والألفاظ، وتفتح الأبواب واسعةً للتعددية الثقافية والفكرية والجندرية. هذا هو مختصر أثر ما بعد الحداثة والنسبوية.

ويتبقى نقاشٌ أخير:

أولا: إن الإيمان بالنسبويَّة، هو وهم، مُتناقِض، نعاين أثره كل يوم: فالذي يؤمن بنسبويَّة الحق والأخلاق والقيم والأديان، وبأن إيمانك بمعيار ونموذج تحاكم إليه الناس هو خطأ وتعصُّبٌ وانغلاق = يعتبرك ضالًّا مُضِلًّا، لأنك تُخالف (معياره) الذي

لا يوجد فيه حق مُطلق ولا صواب مُطلَق ولا مِعيارٌ أبدي للمعرفة! إذن هو نفسه يملك مِعيارًا يقيس سلوكك وعقائدك عليه؛ فإن خالفته هاجمك وآمن بأنك من المفسدين! وهو نفسه يؤمن بوجوب النهي عن المُنكَر الذي تصنعه بسلوكك الناتج عن عقيدتك وإيمانك وأصوليتك المتطرفة، وأمرك بالمعروف الذي هو الصواب الإنسانوي من وجهة نظره ومعياره، ودعوتك إلى اتباع مذهبه النسبوي، وعدم الرضا عن مذهبك اليقيني الدوغمائي! ذاك التناقض الذي لا يرتفع هو أشهر ما يواجه النسبية ويُذيبها في لحظة، ولا مفر منه، وقد حاول إشعيا برلين التنظير بما يحفظ لوازم النظرية من السقوط، فلم ينتج إلا يوتوبيا لا معنى لها ولا يعتد بها أحد (١٨)! فالنسبويَّة تضع هي ذاتها معيارا تحاكم إليه الناس! وإن شئت الصدق أكثر، قلت إن النسبوية غير موجودة في الواقع على التحقيق، وليست إلا آلة فلسفيَّة موطِّئة لتمكين فلسفة مضادة عن طريق تفكيك سابقتها = فلا توجد نسبويَّة في القوانين مثلا، بل التشريعات مُلزِمة، ولا يحق لأحد أن يطلب الإفلات من العقاب مثلا في ولاية أمريكية تجرم زواج القاصرات إن أقدم عليه، حتى إن كانت الولاية التي ينتمي إليها لا تمنعه؛ فلكل ولاية تشريعاتها المُلزِمة والتي يجب على المقيم فيها احترامها وإن لم يؤمن بها. وقد أحسن تشارلز بيرد، المؤرخ الأمريكي، حين قال صراحةً في عام ١٩٣٣ أن وظيفته كمؤرخ للأفكار هو هدم أفكار الفلاسفة، فالمؤرخ الفكري يضع الفيلسوف في علاقة مع حركة الأفكار والاهتمامات التي يقف فيها أو يطفو فوقها، بأن يُضفي على مشروعه ما يناسبه من النسبية (٣٤)، وهي وظيفة لمؤرخي الأفكار قد تخفى عن البعض، فالمؤرخ قد يبدو بريئًا في نسبته كل فكرة

وكل عقيدة وكل فلسفة إلى إطار ثقافي قبلي أو اجتماعي ظرفي، ولكن الغرض الأسمى قد يكون خدمة مشروع تفكيك فكر معين، أو تفكيك كل فكر، لصالح النسبوية وعدم اليقين! هكذا لا تكون النسبوية وأدواتها مثل التأريخ الفكري والتفكيك الاجتماعي والثقافي سوى مشاريع هدم عقائد وأفكار. ويزعم النسبويون أنهم لا يريدون سوى الهدم لا غير، كيما يعرف الإنسان حقيقة معتقداته وأصولها، وأنها غير حقيقية مطلقا، لكن ما من نسبوي إلا وله إطار آخر يجذبك إليه، ويعتقده بأنه فوق أن يكون معتقدا هو ذاته، كالليبرالية أو التعددية أو غيرها، فهو عنده أسمى من أن يوضع جنبا إلى جنب بجوار المعتقدات الأرضية القبيحة، وأرسخ حقيقةً من أن يُبحث له هو ذاته عن جذور فكرية وأسباب اجتماعية أو نفسية! النسبوي هو شخص أشد دوغمائيةً من كافة من ينتقدهم، لكن أين العقل؟!

- ويُلزِم تطبيق النسبويَّة اللوطيين بتناقضات أشنع، عند تطبيقها في كافة المجالات، وقد حدث هذا في حالات ننتقي منها ثلاثة فقط، لندرك حجم سُخف ذلك الزعم:

ففي الولايات المتحدة الأمريكية، عرف شخص أبيض يدعى Ja Du نفسه أنه عابر للعرق (Trans Racial)، مؤكِّدًا أنه أعاد تعريف عرقه ليصبح فيلبينيًّا! وله مجموعة مؤيِّدة مُشابهة، تُنكِر العرق الذي ولدت به، وتؤكِّد أنها أعادت تعريف عرقها وتحديد هويَّته ليصبح عِرقا آخر، وبناءً على أساس الهوى المحض والراحة الشخصية لا غير، فقد سمع (جا) عن الأكل الفلبيني وعادات الفلبينيين، وقرر أنه سيصبح من العرق الفلبيني بناءً على هذا!(٣٥)!

وقد سبق (جا) امرأة بيضاء، هي رتشيل دوليزال Rachel Dolezal التي ظلت لعشر سنوات تُعرِّف نفسها بأنها (امرأة سوداء) لا بيضاء، داعيةً المجتمع إلى الاعتراف بالترانسراسيال، كما اعترفوا بالترانسجندر (الخِناث)‹٣٦›.

ولنتوقف لحظة عند حديث رِتشيل مع الصحفيين، إذ أنها الرئيسة السابقة لإحدى المنظمات الحقوقية المساندة للسود؛ فهي أكثر تماسكا من عابر العرق (جا)، تقول: إن الجندر ليس ثنائيا (ذكر وأنثى)، بل ليس حتى بيولوجيا (بناءً على العضو الجنسي) = أما ما صدمني حقًا، هو أن العرق أيضا ليس بيولوجيًّا! إن ما أدعو إليه هو أن يكون العرق سائلا هو الآخر Racial fluid، بنفس الطريقة التي سُمِح بها للجندر بأن يكون سائلا[٨]!

ولرتشيل منطق: فالعرق حقا مفهوم أكثر سيولة من الناحية البيولوجية من الجندر، وما دمنا قد أسلنا الجندر وقبلنا بهذا فلم نرفض نفس الأمر مع العرق؟

تقول رتشيل: "إن العرق كذبة، إذًا كيف نكذب حول كذبة؟!" ‹٣٦›.

أما الحالة الثالثة، فهي إميل راتلباند، وهو رجل عجوز في التاسعة والستين مفتون بالتفكير الإيجابي، رفع قضية لتخفيض عشرين عاما من عمره دُفعةً واحدة!

---

[8] سيولة الجندر Gender Fluid هو مصطلح يُطلق على الحالة التي تسعى إليها النظرية اللوطيَّة في صناعة المجتمع، وفيها يكون مسموحا لكل إنسان أن يُغيّر جندره ويعيد تعريفه، كأن يحول هويته من ذكر إلى أنثى والعكس، بغض النظر عن الحالة الفسيولوجيَّة، ويعرف كذلك بأنه حالة يعلن فيها المرء عدم انتمائه لجندر معين، أو لميل معين، فهو بين الكل، يُجامع الرجال والنساء والخناث وكل إنسان.

يقول إميل: "إننا نعيش في زمن يمكن فيه تغيير الاسم والجندر؛ فما الذي يمنع تغيير العمر أيضا؟"(٣٧)!

ما الذي يجمع تلك الحالات كافَّةً؟ إنه إنكار المحسوس المُشاهد، بمحض الهوى والإحساس الداخلي، تماما كما يفعل الخِناث اللوطيون؛ فلم يُنكر الناس التزام اللوازم؟ أليست النسبويَّة هي الحق؟ أليس الإحساس الداخلي للإنسان هو فقط المُحدد لأول عناصر تكوين هويته في تلك الدنيا وأوضحها، ألا وهو العنصر الجنسي؟ إذن ما معنى التعصب ضد النسبويَّة في العمر والعرق كذلك؟ بل إن مفاهيم العمر والعرق أقل وضوحا وأكثر نسبية من العنصر البيولوجي الجنسي؛ وإن كان الجنس هو أكذوبة مُجتمعيَّة وتاريخيَّة كبرى؛ فما المانع من الزعم بأن العمر والعرق مثله؟ إن هذا سيدعونا إلى آفاق جديدة من (التنوع): فلم لا تنفصل الدوال في تعريف الإنسان ذاته، فيُعرِّف أحدهم نفسه بأنه سمكة أو طائر كناري؟ إن لجأنا للعلم فالتشريح لا يعترف بغير النوعين مع وجود حالة ثالثة مُركَّبة فيها خلل وهي الخنثى، فلا يمكن التحجج بالعلم، ولن يبقى إلا الفكر والنفس = وهنا لا يصبح هناك معنى لإنكار تعريف أحدهم نفسه بأنه حيوان أو حشرة أو طير!
ذاك بعض العبث، ولمريدي اللعب بحبوحة في هذا الفكر وذاك المعتقد! فالاحتمالات لا نهاية لها، وتنوع الألعاب منوط باتساع خيال كل إنسان على هذا الكوكب!

ثانيا: العوامل العرضية في صعود دين اللوطية.

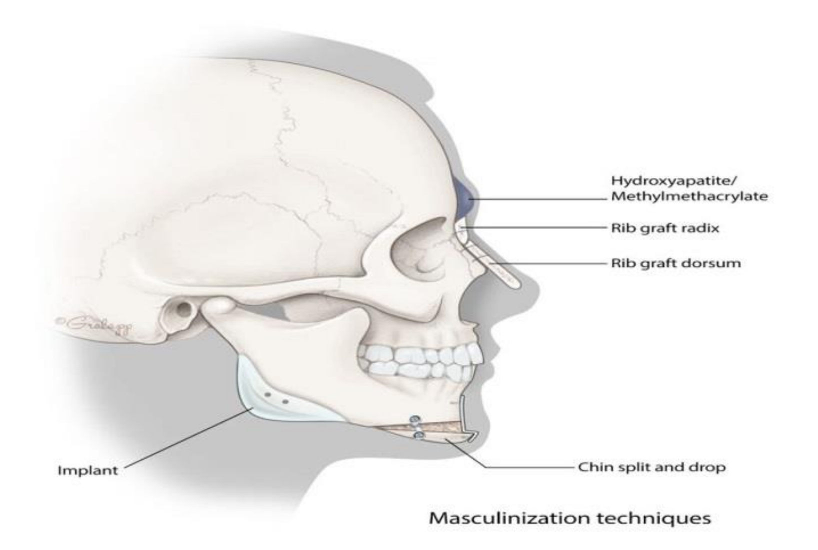
بذا تنتهي الأسس الفلسفيَّة الخمس الكبرى، ويتبقى فقط ذِكر موجز لبعض العوامل التي ساهمت بصورة عرضية، غير مباشرة غالبا، في صعود الحركة اللوطيَّة.

أولا: التقدم الطبي.

هذا أحد العوامل القويَّة في تنامي الظاهرة اللوطيَّة، من ثلاث جهات:

الجهة الأولى، تطور جراحات التجميل، ويُسرها وانخفاض تكاليفها مقارنةً بالماضي، وذلك شجَّع على أمرين، الأوَّل توحيد مقاييس عامة للجمال الأنثوي والذكوري يُمكِن الوصول إليها صناعيًّا، وكذلك اعتياد الناس تلك الصور الصناعيَّة ودخولها ثقافتهم كأنها طبيعية، ومثال هذا ما نراه من توحيد مقياس جمال العرب في جمع من المغنيات الشاميات واللبنانيات، فيما وصفه البعض بصورة نانسي أو هيفاء: الأعين الزرقاء، والشفاة الدقيقة المرسومة المنفوخة، والأنف الأقنى، والذقن الرقيق. وقد نجح جراحو التجميل في تثبيت هذه الصورة كمعيار للجمال في أذهان الناس، حتى طمح بعض اللوطيين والخِناث العرب فيه، فأجروا جراحات تجميلية صاروا بعدها يشبهون ذلك النموذج المعياري! والأمر نفسه يظهر بصورة أكثر تنوعًا في الغرب، حيث يخضع اللوطيون والخِناث لما يُسمى بجراحة تأنيث الوجه Facial Feminization Surgery أو MTF وهي اختصار لمصطلح (من ذكر لأنثى) = وفيها يقوم الجرَّاح بإجراء تعديلات متفاوتة العُمق في وجه الرجل ليصبح أنثويًّا ‹٣٨›، وهي جراحات بدأت منذ الثمانينيات ومستمرة إلى الآن. وكذا أصبح للوطيَّة المترجلة القدرة على تحويل وجهها لذكوري بجراحة أخرى تسمى بجراحة تذكير الوجه Facial Masculinization Surgery أو FTM، وقد بدأت منذ عام ٢٠١٥ إلى الآن.

في الصورة التالية، خطوات تغيير شكل الوجه الأنثوي ليصبح ذكوريا‹٣٩›:



Masculinization techniques

الثاني: أنه شجَّع على عمليات التحوُّل المظهري للجنس آخر، وغلق باب العودة، بصورة أكبر، لرخص الأسعار في بعض الأماكن؛ فإن كانت جراحة تشكيل مِهبل صناعي للوطي الخنِث، تتكلف حوالي ١٢ ألف دولار، وجراحة زرع ثدي، تتكلف حوالي ستة آلاف دولار، وجراحة كاملة لتأنيث الوجه أو تذكيره، تتكلف في أقصاها ما يقارب الواحد وعشرين آلاف دولار، وتُقدَّر قيمة الجراحات الكليَّة ما بين الواحد وأربعين ألف دولار إلى مئة ألف دولار، فإن تايلاند توفِّر ذلك كله بسعر عشرة آلاف دولار فقط(٤٠). كما أن ثمَّت دفعٌ دائم من المجتمع الحقوقي الغربي نحو الدولة كي تكفُل بالتأمين الصحي للمواطنين إجراءهم تلك الجراحات مجانا بمؤسسات طب التعديل الجندري(٤١) مثل مركز فيلادلفيا الطبي لجراحات الترانسجندر؛ وبذلك تتحمل الدولة تكاليف تخنيث مواطنيها وترجلهم! نِعم الدولة!

والجهة الثانية، جهة تطور جراحات (إعادة تشكيل الجنس Gender Reassignment Surgery) للأفراد؛ وهي فرع من الجراحات التجميليَّة، لكنها مُختصّة بالأعضاء التناسلية تحديدا، وفيها يصنع الأطباء مِهبلا صناعيا للوطي الخنِث، أو يزرعون قضيبا صناعيا للوطيَّة المترجلة، أو يُعالِجون حجم البظر ليشبه القضيب، مع زرع أثداء للوطي وإزالة أثداء اللوطيَّة.

لنضرب مثلا بجراحة ال Vaginoplasty، وهو مصطلح عام لكل جراحة تُعدِّل في المِهبل، سواء بصناعة ممر له عند المواليد الإناث اللواتي يُعانين تشوها يُغلق المِهبل، أو النساء اللواتي تعرضن لتشوه مهبلي نتاج مرض أصبن به، وهو داخل فيما وصفه الفقهاء المسلمون بالرَّتقِ والقَرَنِ؛ ثم أنه كذلك دالٌّ على الجراحة التي تشقُّ مهبلا صناعيا للوطيّ. ولها عدة طرق سأتخيَّر منها ما يُناسِب الإيجاز، وتكفي في ذات الوقت لإدراك حجم التقدُّم الحالي لتلك الجراحات وخطورتها، وهي طريقة ال Penile Inversion، وخطواتها كالآتي:

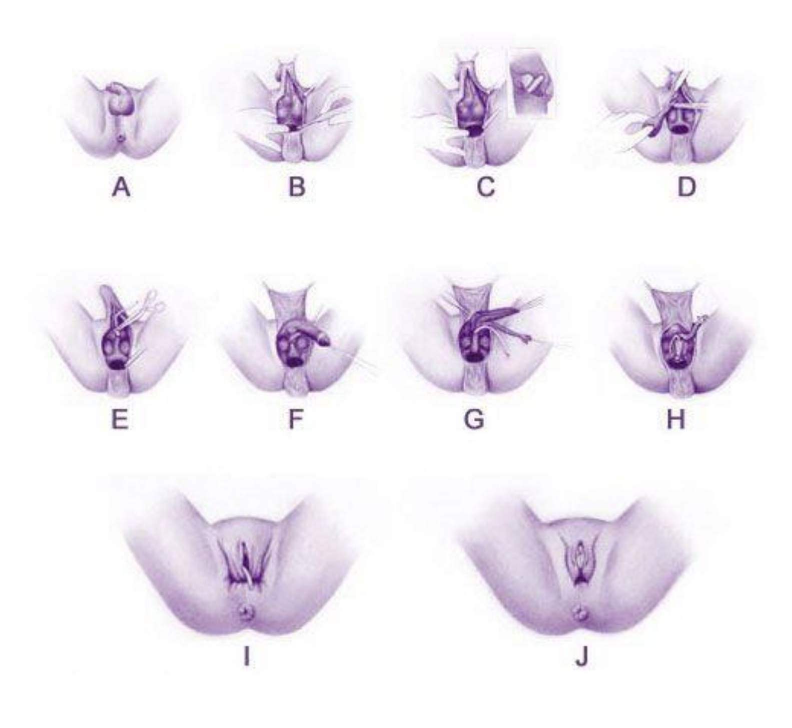
١- يقطع الجرَّاح القضيب والخصيتين ويزيلهما، ويعيد توجيه الإحليل ليكون مخرجه فتحة صغيرة أسفل المهبل الصناعي، مُماثلةً لعضو الأنثى (وتلك الخطوة الأوليَّة مشتركة بين كافة طرق جراحة المهبل الصناعي).

٢- يُزيل الجلد المُحيط بالذكر، ثم يقلبه كي يصنع منه أنبوبا داخليًّا، مماثلةً للقناة المهبليَّة.

٣- ثم بعد صناعة القناة، تؤخذ القلفة، لصناعة بظر صناعي يوفر له استمرار الإمتاع بمداعبته، ويؤخذ كيس الصفن، لصناعة شفري المهبل.

بذلك تنتهي الجراحة، مع احتمال الاحتياج لأخرى، لعلاج أحد المضاعفات الشهيرة لها، المتمثلة في حدوث فتحة بين المستقيم والمهبل الصناعي، وهي حالة تسمى Vaginal Rectal Fistula، تجعل البراز يخرج من الفرج الصناعي، وكذلك يحتاج الخنِث اللوطي إلى دهان الزيوت والمزلِّقات دوما لتيسير عملية الممارسة الجنسية مع شريكه الذكر (٤٢).

في الصورة التالية، خطوات جراحة إزالة القضيب، وصناعة مهبل صناعي (٤٣):



الجهة الثالثة، تطوُّر العلاج الهرموني، الذي يُحفِّز إظهار الصفات الثانويَّة للخنِث، مثل أن ينمو ثدييه إلى حجم مماثل للأنثى بمجرد أخذ الهرمونات، دون جراحة، وكذلك تغير نمو الشعر وأماكن تجمع الدهون في الجسم، حتى يصبح الخنِث، خاصة إن تعرض للمعالجة الهرمونية في سن مبكرة، شبه امرأة لا تكاد تجد فيه اختلافا عن النساء في النعومة البضة وتراكم الدهون في الثديين والمؤخرة، وتصبح المُترجِّلة مماثلة للذكر، ينمو لديها الشعر الكثيف في وجهها وباقي الجسد.

إن تلك التطورات الطبية الضخمة، التي تعِدُ بمزيد من الفتوحات والنجاحات في المستقبل، خاصة مع استمرار انخفاض التكاليف = تلعب دورا هاما في إشاعة اللوطيَّة عن طريق تيسير التحولات المُثيرة للوطيين من الناحية الجسدية، ما يمنحهم أفضليَّة على غيرهم من اللوطيين العاديين في القدرة على اجتذاب المزيد من الناس لممارسة اللواط معهم، حتى ثارت نقاشات حول ما إذا كان يمكن وصف الرجل الذي يلوط في خنِث هذه صورته بأنه لوطي حقا! فاللوطي عندهم لا ينجذب لجسد النساء، بينما الخنِث يمتلك جسد أنثى مثالية، وإذا صنع الفرج الصناعي لن تملك تفريقه عن النساء إلا بصعوبة = فكيف يوصف المنجذب لمثل ذلك بأنه لوطي(٤٤)؟

وكذا الأمر في المترجلة التي أجرت جراحات التذكير والعلاج الهرموني، إذ تصبح ذكرا في كل شيء إلا العضو الذكري، وحتى هذا يعملون على علاجه كي تكون المُترجِّلة مالكة لآخر ما يمنع تحولها لذكر صناعي بصورة أرخص تكلفةً من الموجود حاليا[9]! والشبكة العنكبوتية ملأى بصور مخيفة لعشرات اللوطيات

[9] ولك أن تُفكِّر وتتأمَّل، ماذا سيصنع الخنِث في مجتمع المسلمين عامةً والعرب خاصةً، بجسده الأنثوي ودأبه إشباع شهوته بإيقاع الرجال والشباب، وضمان عدم الحمل وعدم الخوف من الأهل أو المطالبة بزواج! إن الأمر سيصبح أشد وطأةً من انفجار نووي في المجتمع!

المترجلات بعدما أجرين الجراحات اللازمة، وصار لديهن شعرا في صدرهن ولحىً طوال وعضلات منتفخة، ما يُحيل على العقل أن يتصور أن أولئك نساء أو كنَّ نساءً ذات يوم! أما صور الخِناث فحدِّث ولا حرج!

ثانيا: توقف الحروب في الغرب وشيوع التخنُّث، عصر الرفاه.

ذاك عامل من العوامل التي تحتاج مني دراسة أوسع وأضخم وتحريرا أدق، ليس ها هُنا محلَّه، كما أنه قد يُشكلُ عليه كذلك ببعض ما يطيل الرد، لكنني أذكره مختصرا.

خلاصة هذا العامل، في رأيي: أن إيقاف الحروب وانتشار الترف والرفاه في الأمة، يُشجِّع على ظهور أجيال، رجالُها أكثر ابتعادا عما يشدُّ عودهم، ويقوي نفوسهم، ونساؤها، أكثر تسلُّطًا على الرجال، وأكثر اعتقادا بأن لا فارق حقيقي بين الجنسين؛ فالكل في الدّعة سواء = وهذا يؤدي بالتالي إلى انتشار قيم التخنُّث في المجتمع، وكذا أفكار النسويَّة.

وإن صح هذا فلعله قد يُفسِّر سبب الشيوع الضخم الحالي لأفكار النسويَّة واللوطيَّة، والذي إذا تتبعته وجدته يكاد يتمركز في دول الرفاه، عالم الغرب التي أوقف الحروب فيما بين بعضه البعض بعد الحرب العالمية الثانية وظهور القنبلة النووية بشكل خاص، وطوال ما يقارب القرن حاليا، وهو حدثٌ غير مسبوق بتلك الصورة في تاريخ الإنسانيَّة عامَّة؛ فبحسب تلك الرؤية التي تُنبِّه للربط بين وقف الحروب وشيوع قيم الترف والرفاه في المجتمع، وبين شيوع قيم التخنُّث والتنسون = يكون تفسير الصعود غير المسبوق للوطيَّة والنسويَّة، هو الوقف غير المسبوق للحروب.

وإذا صح فسيكون أثره على العالم الإسلامي، الواقع في الاحتلال الناعم، الخفي، احتلال الوكالات = فادح الضرر! فإن كان الغرب قد أوقف الحروب وأشاع قيم الرفاه المجتمعي، إلا أن هذا لم يتم إلا بعد سيادته وحيازته كافة أسباب القوة، فما

بال الشرق المسلم يُشيع تلك القيم، بآلة العولمة خاصةً، بينما هو غارق في التبعيَّة والضعف!

وقد يرد على ذلك العامل إشكالان: الأول، أن اللوطيَّة ذاعت في مجتمعات مقاتلة عسكرية صرفة مثل المماليك والساموراي، وكذا في الحضارة الإغريقية العسكرية ثم الرومانية، حتى قيل بأن الإسكندر المقدوني ذاته كان يلوط(٤٥)، وقيل على يوليوس قيصر أنه رجل كل امرأة، وامرأة كل رجل، واتُهم باللواطة مع ملك نيقوميديا = ومع هذا كان من أقوى العسكريين في التاريخ.

والثاني: قد يُقال إن الغرب بنسويَّته ولوطيته يزداد قوة وسيطرة، بينما الشرق المسلم يزداد ضعفا وتبعيَّةً؛ فلو حدث الربط يلزم من ذلك أن اللوطيَّة والنسويَّة صنعا أكبر قوة عسكريَّة في التاريخ.

ومثل تلك الإشكالات تحتاج، كما أوضحت، لاستعراض وبحث طويل، لكنني لا أتركها دون رد موجز عليها، فأقول: أن الاستشهاد بالساموراي وكافة النماذج التي جمعت بين اللوطيَّة والتخنُّث وبين القوة العسكريَّة، هو استشهاد بما ندَّ وندُر في التاريخ الإنساني على قاعدة عامة، كما أن الإمبراطوريَّة الرومانيَّة ظلت حضارة عسكريَّة تهتم بقيم الأسرة حال صعودها وإن انحدرت في أعصرها المتأخرة مع اضمحلال أخلاقيات المجتمع كله، وقد تنبه لذلك الإمبراطور الروماني أُغسطُس، وحاول إعادة الحياة الاجتماعيَّة الرومانيَّة إلى صوابها بقوانينه الشهيرة التي بقيت حتى بداية العصر المسيحي، وفيها حرَّم الزنا والفجور، وسمح للأب بقتل ابنته الزانية، بل وقتل شريكها معها، وكذلك سمح للزوج بقتل زوجته وعشيقها، وشجَّع على الزواج، بعدما كان مهجوراً في الطبقات المترفة العليا تحديدا، وأعطى مكافآت لمن يتزوج(٤٦) = فالقول بأن الحضارة الرومانيَّة كانت حضارة خنا وفجور وزنا

ولوطيَّة، غير صحيح بذاك الإطلاق؛ فهي لم تكُن كذلك حال صعودها، وارتبط انتشار ذلك ببدء الاضمحلال وإن ظل لقرون، وقد انتبه أمثال أغسطس لوجوب استعادة لحظة الصعود بإنهاء مظاهر الفجور المجتمعي، وإن كانت أكثر إباحيةً من الأعصر المسيحية بكل تأكيد، كما أسلفنا القول.

وهذا كله بفرض صحة زعم لوطية الإسكندر، والذي يتجادل فيه المؤرخون (٤٥)، وصدق تهمة لوطية قيصر، الذي نقل تبرؤه من اللواطة، نفس المؤرخ الذي نقل إشاعة لوطيته(٤٧)، ويُثبت المؤرخون ألمه من تلك الفرية طوال حياته(٤٨)! وقد كانت تلك الإشاعة سببا في قلة احترام الأجناد له، فانظر كيف كانت اللوطية مستهجنة!

أما اليابان، فقد شهدت صعودها الأكبر في عصر سادت فيه قيم الصلاح المجتمعي، عصر ميجي، الربع الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وقد ظلت قيم الأسرة والفضيلة هي السائدة دائما في المجتمع الياباني وإن شوشها عدم تحريم اللواط والنظر إليه عند البعض باعتباره آلية لتوثيق الروابط بين بعض الرجال، لكنها ظلت ممارسة نادرة مجتمعيا.

وهذا كله مع ملاحظة أن الربط حقيقةً هو بين (آثار) وقف الحرب، و(شيوع) قيم الفجور والزنا والنسويّة واللواط، لا بين العسكريَّة مُطلقا، وبين اللواط والزنا.

وعليه يكون القول بأن القيم المُجتمعيَّة الغربيَّة، مع انتشار اللوطيَّة والنسويَّة، هي أقوى من القيم المجتمعيَّة الإسلاميَّة المعاصرة = زعم فارِغ، ويطول الرد عليه، هذا والشرق المُسلِم الضعيف المُنهار عسكريا، لا يُمثِّل إلا القليل من قيم الإسلام الكبرى.

كما أن القول بنسبة صعود الحضارة الغربيَّة إلى الريادة بالنسويَّة واللوطيَّة، هو محضُ خرف وجهل = فما صعدت الحضارة الغربيَّة إلى المقدمة وسحقت الجميع، إلا في القرون الخمسة الأخيرة، ولم تسُد فيها قيم النسويَّة واللوطيَّة إلا في النصف قرن الأخير وحده، وهو في الحقيقة عصر حفاظ على السيادة بإفقار العالم وتمكين الغرب من رقابه؛ فكيف يُقال بأن لزوم ربط اضمحلال الحروب باللوطيَّة والنسويَّة، يعني صِحَّة موقف الغرب؟! بل العكس هو الصحيح، إذ أن عصور ظهوره وصعوده وسيادته وتمكُّنه كانت أعصر قيم الأسرة وبقايا المسيحية من كراهية اللواط وتحريمه هو والزنا، قبل أن تنتصر قيم الأديان العلمانيَّة وتُصبح الأقوى والأسوَد في مُركبات أديان الدول الغربيَّة، وهذا ما فطِن إليه اليمينيون[10].

ذلك هو نِقاشُ ذلك العامل بإيجاز، ولعلي أعود إليه يوما لبحثٍ ونقاشٍ أوسع.

ثالثا: انتشار الإتخامِ من الجنس.

وذاك عامل آخر، نوقِش في الأدبيات الإسلامية من قبل، وخلاصته أن الغلو في الانفتاح الجنسي يدفع للتخمة من الجنس الطبيعي، ويوجِّه الإنسان، بطبيعته الإنسانية الشرِهة، إلى أشكال مختلفة للمتع الجنسيَّة، وهنا تكون اللوطيَّة شكلا من أشكال الاستزادة ومحاولة لإشباع الشره الذي لا ينتهي.

وقد يُعزز تصحيح هذا العامل وقبوله، أن اللواط ارتبط انتشاره في العصر الإسلامي بحركة الاستزادة من الرقيق بصورة كبيرة، وانتهاء المشكلة الجنسيَّة الطبيعية من المجتمع سواء بتعدد الزوجات أو بالرق، وهذا كله، وإن لم يكُن هو العامل الأوحد لظهور اللواط في المجتمع حينها، إلا أنه كان من الأسباب والله أعلم.

---

[10] إن شاء الله، سأناقش (مُركَّب دين الدولة) ومفهوم الأديان العلمانية والإلهيَّة في كتاب هلال السيادة.

كذلك نلحظ أن الصعود اللوطيّ في العصر الحديث مرتبطٌ بعصر الثورة الجنسيَّة، كما ذكرنا قبلا، وقد انتشر اللواط بكثافة أكبر مع حالة الفوضى الجنسية (فوضى الحب) وإتخام الناس بالمحتوى الجنسي الطبيعي، حتى أن أثر الأفلام الجنسية، صناعة البورن، في الأشخاص الذين لا يمارسون الجنس، صار صانعًا للتخمة من الصور الطبيعية للجنس كذلك، فنجد حتى الإنسان الذي لم يُمارس الجنس في حياته، يتوجه لرؤية المزيد من الأشكال غير الطبيعية والشاذة من الجنس، وهو ما رأينا مشاكله وآثاره بعد الزواج، إذ لا يكتفي ولا يرضى.

فالتخمة من الجنس، ألعن أثرا في المجتمع، وأقدر على نشر اللوطيَّة فيه، من الكبت، الذي قد يدفع للوطيَّة من اتجاه آخر، نحو البحث الجنسي عن العزيز المفقود، أي الجنس الآخر، في الجنس المُتاح للمُخالطة، وهو ما سأناقشه في العامل التالي = وكلاهما تطرُّفٌ وسوء.

وقد لوحظ في البحوث النفسية الاجتماعية، أن المجتمع الغربي مثلا، باعتياده رؤية النساء عرايا، لم يعُد يبدي نفس الاستجابة ذاته التي كان يُبديها في مطلع القرن العشرين! ففي مطلع القرن كان يكفي إبداء المرأة أسفل ركبتيها كي يهتاج

الرجل العادي، وفي نهاية القرن لم يعد هذا هو نفس الحال ‹٤٩›! ويتحدث العاملون

في المدن السياحية الإباحية المصرية، كالغردقة وشرم الشيخ، عن قلة اكتراثهم بجسد الإناث وأثدائهن العارية بعد أشهر قليلة من العمل هناك، لأن أكثر الغربيات يتعرين من الأعلى أمامهم طوال النهار، فيخفت الشغف الأول، ويضمحل حتى يكاد يختفي، ويصبح تعريهن أقل إثارةً من لبسهن! بل وقد تصبح المصرية والعربية أشد جذبا لمنازع الشهوة وإثارة لها من جميلات الغرب العرايا! وهذه من عجائب النفس، المعلومة عندهم!

رابعا: انتشار مؤسسات الجبر على أحادية النوع، ورفع سن الزواج.

من ملحوظات العصر الحديث، انتشار مؤسسات تُقصِر التواجد فيها على جنس واحد لسنوات طويلة، بصورة قسرية.

فمن ذلك في عالمنا العربي، مؤسسات التعليم، التي يقضي فيها الإنسان سنوات مراهقته ومطلع شبابه، المزدحم بالشبق والغلمة، في عُزلة عن الجنس الآخر، فلا يجد منفذا لإخراج شهواته إلا مع المتاح أمامه، نفس جنسه. وهذا العامل لا يكون وحده، إنما يرافقه ارتفاع سن الزواج إلى نهاية العشرينيات، أي أن الفرد يقضي سنوات تعليمه كلها، التي لا تنتهي إلا بعد دخوله سن النضج، بين أفرد من ذات جنسه! فيظل الشاب أو الفتاة حوالي عشر سنوات في خضم النشاط الجنسي، والتحولات النفسية والبدنية الكبيرة، في معزل عن جنس آخر يُفرِّغ فيه انفعالاته النفسية والجنسية = وعليه ينتشر اللواط والسحاق، خاصة في الدول التي يجتمع فيها هذان العاملان: الفصل الحاد بين الجنسين، وارتفاع سن الزواج. وهذا يساعد لا على انتشار اللوطية فقط، إنما على اضطراب هوية الأفراد؛ إذ أن تورط بعضهم لسنوات طويلة في ممارسات لوطية، سواء بالحب أو الممارسة الفعلية = يُعزز الاعتقاد بكون الفاعل مجبولا على ذلك، وأنه لاط ليس للعوامل الخارجية والبيئية والتربوية، إنما لميول مركبة في ذاته؛ فيصعب جدا علاجه، الذي يقتضي ابتداءً إقناعه بخطأ تصوره الذي كونه عن ذاته طوال سنوات! كما أن من الملحوظات السيكولوجية عند جمهرة من اللوطيات، أنهن يتهيجن في سن مبكر عن الطبيعي، لذا يعزو بعض أطباء النفس ذلك الميل الذي نشأن عليه، إلى حالة الهياج المبكر، والتي لا تجد منفذا لها في ذلك السن الصغير المضطرب إلا الفتيات المحيطات بها في الحضانة أو المدرسة المبكرة، ما يجعلها تكبر وفي نفسها إيمان بأنها لوطية، وأنها تنجذب إلى النساء وحدهن، وقد تستقر تلك الشهوة في النفس وتتمكن، وتُمتحن بها المرأة وتُبتلى، وسنستفيض في ذلك لاحقا.

ولإثبات صحة ذلك العامل، أي تأثير مؤسسات الجبر على أحادية النوع في ذيوع اللوطية، بحثت عن أقرب الحالات المدروسة اجتماعيا لهذا النموذج؛ فلم أجد أفضل من دراسة دافيد وارد وجين كاسبوم عن اللوطية في سجن نساء أمريكي بستينيات القرن الماضي. فمن أوجه التشابه بين النموذجين: أنها مؤسسة تُجبر على أحادية النوع، ومنع الصور الطبيعية للجنس، وأخيرا، سيادة القيم المجتمعية التي تحرم اللوطية في هذا الزمن بأمريكا، ما يجعلها شبيهة بالمجتمعات العربية المعاصرة. مع مراعاة أوجه الاختلاف التي تتمثل في نُضج النسوة، وميولهن نحو الإجرام، ويأسهن من تحصيل الصور الطبيعية، والعداء مع المجتمع.

في تلك الدراسة، التي أشارت أنه بالرغم من أن المسجل رسميا من اللوطية في سجن النساء هو ١٩٪ فقط؛ إلا أن أغلب المشاركين في الاستفتاء (سجينات ومسؤولين) قد قدَّر عدد النسوة السجينات اللواتي تورطن في ممارسات لوطية بالنصف تقريبا، وتوقع البعض وصول الرقم إلى ٩٠٪؛ وهي نسب لا تبتعد كثيرا عن نسب اللوطية في سجون الرجال! وقد لوحظ وجود أصناف ثلاثة من اللوطيات، الأول هو اللواتي يبحثن عن لعب دور امرأة، تعشق وتحب ويلبي طرف آخر احتياجاتها الجنسية، فلا تجد سوى النسوة، وأولئك أكثرهن يرجع إلى طبيعتهن ما إن يغادرن السجن، ويرفضن اللواطة، والثاني هو اللواتي تلعبن دور المرأة المترجلة، المتغزلة في محاسن النساء، واللاهثة ورائهن، دون أن يكُنَّ كذلك قبل السجن، فقد لعِبن هذا الدور في السجن فقط، والصنف الثالث، وهو نادر جدا، هو النسوة المترجلات اللواتي كن لوطيات قبل السجن، ولا يرتضين غيرها(٥٠).

فانظر كيف دفع اجتماع هذين العاملين بالنسوة نحو اللوطية، بل وتغير الهويات والميول، فانغمست إناث طبيعيات في أدوار مختلفة، وعشن بتلك الصورة لسنوات!
فهذا دال على خطورة اجتماع هذين العاملين معا، وأنهما من أبرز فواعل انتشار اللوطية، خاصةً مع الهشاشة النفسية للمراهقين والمراهقات، وانتشار أفكار اللوطية في زماننا، ما يُنذر بأن الظاهرة قد تكون أبشع في المجتمع المدرسي للمسلمين.
أما في الغرب، فالتوسع في السجون، وإلغاء كافة العقوبات البدنية = كان يعني، بالتالي، التوسع في تشييد مجتمع يتوفر فيه هذان العاملان، وعليه، إنشاء مصنع تنتشر فيه اللوطية بكافة صورها!
وهذا من أشنع آثار السجون، التي تتواجد عندنا كما هي عندهم، وهي بيان جلي لخطورة دعاوى إلغاء العقوبات البدنية، كالقطع والرجم والقصاص، واستبدالها بالسجن. أضف إلى ذلك أن اللوطيين الخِناث، الذين يتم اعتقالهم، يُسجنون مع الرجال، وكذا المترجلات مع الإناث! فتأمل الكارثة!
ولا أطرف من حادث قريب وقع في إنجلترا، لمجرم تمرس في اغتصاب النساء والاعتداء عليهن، فسُجن، وفي سجنه أبلغ المسؤولين أنه غير نوعه لأنثى، فنقلوه لسجن النساء، ليفاجئهم باغتصاب السجينات وتعذيبهن (51)!

والحل ليس في استبدال المؤسسات أحادية الجنس بالمختلطة؛ وإلا كنا نستبدل اللواط بالزنا! لكن في نشر الزواج المبكر، وغلق المؤسسات العقابية القائمة على السجون، وإعادة فلسفة العقاب الإسلامية الفورية الناجزة، وتحجيم سنوات وأوقات بقاء صغار السن والمراهقين في المؤسسات الأحادية.
بذا نصل إلى ختام نقاش أهم الأسس الفكرية والعوامل العرضية المؤسسة للوطية، وينتهي مبحثنا الأول، الذي هو مدخل لكل ما يلي.



أسماء الظن والهوى

الفصل الثاني: اللوطية واللغة

أتسهم اللغة في صوغ آرائنا وتصوراتنا لقضية معينة؟

دون شرح مُتكلِّف يخرج بنا عن نطاق الكتاب، مباشرةً أقول: نعم! تلك حقيقة إنسانية ولغوية لا ينتطح فيها عنزان، ولا يتفلسف فيها إلا مسفسط!

انظر مثلا لنموذج التأثر الاجتماعي الذي أوردته (جين إتشسن) عن علاقة المجتمع بالفكر واللغة، وكيف يغير كل منهم الآخر: إذ تحدثت عن استبدال أداة التفخيم Vos التي خصت خطاب السادة في عصور الإقطاع، إلى الأداة Tu الحميمية بعد ظهور عصور المساواة (٥٢).

نعم! الصياغات اللغوية والألفاظ والمصطلحات وحتى أدوات التعريف والتنكير وربط الجمل وتلوين الكلام بالتنغيم إلى أقل مورفيم وأبسط فونيم = الكل يحمل دلالات متعددة، ويختلف من لغة لأخرى وحتى بين اللهجات أو الطبقات المختلفة، وتعمل الثقافة عملا كبيرا في التأثير باللغة والتأثر بها.

ولتشكيل الكلام للتصورات مثال سياسي مصري شهير، وهو استخدام مصطلح (النكسة) الهادئ الدال على كبوة خفيفة في مسيرة منتصرة، بدلا من مصطلح (الهزيمة) المُجاهِر بجسامة الانهيار الذي لا يُعلَم أيخرج منه المقهور أم يكبو بلا انتهاض! ذاك مصطلح انتخله هيكل بعناية واضحة دلالةً على هزيمة ٦٧ المُذلة، تخفيفا وتبديلا لأثرها المادي والمعنوي، وقد كان هذا واجبا = لتمكين زرع الإيمان بقدرة الانتصار في القادة قبل الجند؛ إذ أن عبد الناصر ورجاله لم يكونوا يشحنون

بهذا اللفظ عساكرهم فقط بالإيمان أن بمقدورهم القفز من الوهدة التي سقطوا فيها، بل يحفزون أنفسهم كذلك!

نعم اللغة تشكل جزءا كبيرا من تصورات الناس، ثم الواقع تشكله التصورات؛ فاللغة مؤثرة على الواقع، والواقع مؤثر فيها. وتتفتح أبواب تشكُّل وعي الناس وتكوينه لمن يعي هذه الحقيقة ويُفعِّلها بسلطان السياسة والأدب والإعلام، فهي تُسهم بأكبر الأنصبة في تشكيل وتحديد ما يسميه نورمان فيركليف (الخطاب والمنطق السليم) (٥٣). وفي مجال اللوطية، وبحضٍّ من أمها الأولى (النسوية)، يؤكَّد دوما على أن جمهرة اللغات (منحازة جندريا)! فلم تفتأ النسويات تجادلن أن اللغات الأكثر انحيازا إلى الرجال Sexism ترتبط بسلوكيات أهلها، التي تستعلن عداء المرأة واحتقارها(٥٤)، وقد التقطت اللوطية منهن تلك الفكرة، فتحدثت عن كون اللغة مبنية بصورة تحتاج إلى تطوير، فهي مؤسسة على عداء التنوع الجندري والجنسي!

وسأستعرض فيما هو آتٍ أبرز مباحث علاقة اللوطية باللغة، موضحا كيف صارت أحد أمكر أدوات تشكيل واقع عصر ما بعد الفطرية الذي يقاتلون من أجل تعميمه.

أولا: حاجة اللوطيين إلى لغة جديدة.

في عام ٢٠١٢ نُشِرت ورقة بحثية في دورية الدراسات اللوطية النسوية بعنوان

(التمكين بالتسمية) عُرِضت فيها مساعي اللوطيين واللوطيات العرب المحموم إلى إيجاد مصطلح مُستحسن ومخالف للتسميات العربية لأفعالهم.

فهم لا يصفون توجهاتهم بالمصطلح الغربي gay -والذي يحمل معنى المرح في الأصل- إنما يُجبرون على التعريب بمصطلح (شاذ أو شاذة) بدلالته على أشخاص مخالفين للطبيعة، أغراب عنها، وأشرار، أو بمصطلح نخبوي غير واسع الرواج حينها هو (المثلي)، دون ثقف الفارق الضخم بين المعنيين. وقد أكد كثير من اللوطيين العرب على غياب كلمة عربية عامة مفهومة تصفهم وتبين توجهاتهم دون حمل معنى يزري بهم ويحتقِرهم = ومثَّلت تلك مشكلة ضخمة اضطر بسببها محررو دورية لبنانية مخصصة لرواية قصص اللوطيين واللوطيات اسمها (البريد المستعجل) إلى نشر القصص باللغة الإنجليزية بدلا من العربية؛ وقد كان من ضمن الأسباب: عدم صلاحية العربية للاستخدام بسبب التسميات المُهينة للوطيين! وقد كافح اللوطيون العرب باستخدام الكنايات والحيل اللغوية والكلمات العلمية لوصف التوجهات الجنسية ابتعادا عن التسميات المتداولة الخشنة، لأن العربية كلغة لم تُكيِّف نفسها لاستخدام كلمات جديدة (مريحة) لنعت التعبيرات الجنسية (٥٥)!

وقد أكدت الباحثة أن استبدال الأوصاف العربية المهينة للوطيين بمعجم جديد ليس فيه أسماء تقبيحية أو مؤذية لمشاعر اللوطيين والخِناث = يمثل جانبا كبيرا من (كفاح) اللوطيين العرب؛ الذين حشدوا كافة قواهم ومجموعاتهم ومواقعهم

على الإنترنت من أجل صناعة (حركة مقاومة) تهدف إلى تشكيل وتعميم (معجم لوطي عربي) اتفقوا على حياكته بمنوال المعجم اللوطي الغربي: وكانت أهم صفات المادة المعجمية الجديدة تهيأة كافة مصطلحاتها وأسمائها بما يحفز عدم إطلاق الأحكام السيئة، أو يحمل خلفية قيمية، أي تغييب كل اسم أو معنىً يحضُّ على اللجوء إلى نماذج فكرية من قبيل الحل والحرمة أو المعروف والمنكر أو الطبيعي والشاذ، وتوليد معانٍ ومصطلحات تحثُّ على قبول التوجهات الجنسية اللوطية

والتطبيع مع أهلها (55)!

كُتِب هذا البحث ونُشِر قبل ستة أعوام من الآن، احتفاءً بحركة (المقاومة) التي انطلقت قبل عقد واحد ووصلت ختاما إلى السعي في تعميم بل فرض مصطلحات (المثلي، والمثلية، وعابر الجنس) مواكبةً لحرب شرسة ضد كافة المصطلحات الأخرى مثل اللوطية والسحاقية والتخنث والشذوذ؛ وقد كان هدفهم يزداد مع الأيام تبجحا: لابد من جحد الألفاظ العربية القيمية المهينة واستيلاد قاموس لوطي عربي يروِّج له وحده بما تملكه ألفاظه المحبوكة بإتقان من مقدرة على تقريب اللواط وتطبيعه والترحيب بأهله مجتمعيا.

أدار اللوطيون المعركة، وحققوا حتى الآن ما لم يحلموا به! فبين فوضى المنطقة العربية وانشغال الإسلاميين بالانغماس السياسي فدفع الإبادة، تمدد هؤلاء في الخطاب الإعلامي والتواصلي (مواقع التواصل) ونفذوا خطة (المقاومة)، حتى استخدم الإسلاميون أنفسهم القاموس الجديد، جهلا بما يجري فيهم من تبديل، وغفلة عما يُنصب لهم من شِراك!

وسألقي الضوء على سبب تلك (المعركة) مع اللغات عامةً، والعربية ومصطلحاتها خاصةً، مع بيان سبب تحضيضهم على المصطلحات الجديدة، مستخدما أدوات دلالية بسيطة، وبأقل قدر ممكن لتوضيح الفوارق بين المصطلحات الرئيسية

المقموعة أو المفروضة، معتمدا في بناء النتائج على ألوف التعليقات والمناقشات على صفحات مواقع التواصل والمنتديات والمدونات المهتمة بمناقشة اللوطية، إضافة لدراسة استبيانية شاملة، وضعتها كاملة في مُلحق بنهاية الكتاب، إذ أني لم أعرض في المتن بعض ما أثرته فيها، وأرجو من القارئ أن لا يختم دون الاطلاع عليها.

ثانيا: مصطلحات اللوطية المعتمدة في الكتاب.

قبل أن أبدأ يتوجب عليّ أن أقدم تعريفا بأهم المصطلحات الواردة في ذلك المبحث اللغوي والتي ستستمر طوال الكتاب:

أولا: اللوطية.

هي ترجمة لكلمة Homosexuality ومرادفاتها مثل Gay وLesbianism، وحتى مصطلح LGBT بتنوعاته، وهي الألفاظ التي فرض اللوطيون تعريبها بلفظ (المثلية الجنسية) الذي لا يعرف قاموسهم غيرها.

وعلى الرغم من أن ترجمتهم حرفيا أدق، ولهذا استعاروها؛ إلا أن التسليم بذلك اللفظ يحقق لهم مرادهم كما سأناقش فيما بعد، لذا أقوم بترجمتها بتلك الصورة آملا من المسلمين أن يستمروا في إطلاق هذا الاسم عليها لا الاستسلام للحرب الشعواء التي يشنها اللوطيون.

كذلك أستخدمها أحيانا تعبيرا عن دين المؤتفكات، أو أيدولوجيا الجندر: وهو الإطار الفكري العام الذي سمح بالاعتراف باللواط كتوجهات وميول جنسية طبيعية لا شاذة.

إذن مقصدي من الأيدولوجيا اللوطية هو توصيف الإطار أو التوجه الفكري الذي يعتبر اللواط ميولا طبيعية، لأصحابها حقوق لا علاقة لها بالشرع؛ ولا أقصد

باللوطية (لواط الرجال) فقط بل أدل بها على كافة الممارسات الجنسية الواقعة بين أشخاص من نفس الجنس، على صورة التطبيع.

ولفظ اللوطية مشتق من فعل قوم لوط الذي اصطلح جمهور الفقهاء لغويا على توصيفه باللواط، وهو بالتجريد دال على ممارسة جنسية بين شخصين من نفس الجنس، فهو لفظ عام يحسُن توسعته لكي يدخل تحته الممارسات الذكورية-الذكورية، أو الذكورية- الخناثية، أو النسائية-النسائية، وبذا يكون تعميم المصطلح أقرب للاستخدام الغربي للفظ Homosexuality ولفكر أيدولوجيا الجندر التعميمي = من تضييقه وقصره على الممارسة الذكورية وحدها.

كما أن مقصودي بعبارة (على صورة التطبيع) التفرقة بين من وقع في اللواط مع إيمانه بحرمته واعتباره شهوة آثمة عرضت له، وبين الأباعد الذين وطنوا أنفسهم على طبيعية تلك الميول وأحقية الاعتراف بها والدفاع عنها = وهذا تفريق واجب لازم: فاللوطي أصالةً هو المؤمن بالأيدولوجيا اللوطية وإن لم يكن هو ذاته ممارسا للواط، مثل الحقوقي المدافع عن تلك الأيدولوجيا ومروجها، بينما قد يمارس المسلم اللواط مع البقاء على أصل الإسلام إيمانا منه بالإثم واعترافا بالذنب وعدم الجهر به مع السعي الدؤوب لرفعه = فهؤلاء طبيعيون وإن مارسوا فعلا محرما؛ فاللوطي ليس مُمارس اللواط مطلقا، بل من جاهر به واستعلن أو آمن بطبيعيته وأحقيته في المساواة مع غيره.

وسبب ادِّعامي على ذاك المصطلح، وطلبي نشره وحده، مع نبذ المصطلحات الأخرى = هو ارتباطه بقوم لوط، إذ أن ذكره هو ومشتقاته يبعث في الأذهان كل ما فعلوه من فواحش ومنكرات، وكل ما قبحهم به الله ورسوله والسلف والعلماء، وكذا صور العقاب العظيم والتنكيل الأليم؛ فكل تلك الدلالات يحملها مصطلح واحد هو:

اللوطية، ويؤيد ذلك موافقة ٩٨.٥٪ من المُستفتين على تذكير مصطلح اللواط

إياهم بقوم لوط.

إن هذا المصطلح محمل بدلالات موجودة منذ أُنزلت التوراة! أي أن وزنه أثقل من أربعة آلاف عام! فكيف بالله يُقارن بمصطلحات حديثة مثل الشذوذ والمثلية، لا جذور لها في السرد الديني! بل بمزيد تدقيق وشرح وتحليل، كما سنفعل لاحقا، ستعلم أن جذورها علمانية ضد التحريم الرباني!

معارضة: اللوطية في الخطاب التراثي والشرعي.

وسأقف برهةً لأرد اعتراضَ بعض المتبرمين من لفظ (اللواط) وما اشتُقَّ منه، تنزيها منهم لسيدنا ونبينا لوط عليه السلام، وهو رفض لا أنكر أني أضمرته يوما، فقد شقَّ عليَّ زمنا تبنيه، وغُمَّ عني ذيوعه واستفاضته، حتى رجعت إليه بعدما بحثت وعلمت أفضليته وسبرت إمكان نوط جليل المهام إليه في ترذيل الفاحشة.

وقد تكرر هذا الشجب كثيرا منذ افتتحت الحديث عن اللوطية، وتوهَّم البعض حُسن استهجانهم للفظ، ونسبوني إلى الجهل شفقةً منهم ورحمة، بدلا من أن يعالنوني بسوء أدبي مع نبي الله!

ولإزالة الوهم، أقول:

أن لفظ اللوطية مذكور هو هو في مسند الإمام أحمد في حديث حسن عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (اللوطية الصغرى) وصفا لإتيان المرأة مخالفةً؛ وقد ذكره الإمام أحمد رضي الله عنه قائلا: (قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا ثلاثا في اللوطية) وكان هذا تعليقا منه على حديث آخر قال فيه النبي (عمل قوم لوط).

فتأمل كيف أردف الإمام أحمد مصطلح (اللوطية) بعبارة (عمل قوم لوط)! وما كان ليصنع ذلك عن هوى؛ بل لدليل ورود المصطلح موقوفا ومرفوعا في أحاديث أخرى.

ومن خال أن توهين السند يُسعِفه، أُذكره أن رتبة الحديث لا علاقة لها دوما بعلوم اللغة، فيكفي اللغوي ورود اللفظ في هذه الأعصر دون نكير، وهو من المعلومات المستفيضة عند أهل تلك العلوم.

كما أن المطلع على المُدَّونات الفقهية والشرعية التي كتبها أهل الشريعة يعرف أن ألفاظ اللواط واللوطية واللياطة واللاطة مستفضية ذائعة في كلامهم، بل يكاد الخطاب الفقهي يجمع عليها وحدها؛ لولا فقيه هنا أو هناك يقول (عمل قوم لوط)؛ وعدد المخالفين أندر من العنقاء في تراث الشريعة، هذا بفرض أنهم يخالفون عمدا؛ غير أن كبار الأئمة على المصطلح المذكور.

هذا ولا أنكر تجدد أسفي كلما علمت أن أكثر المعترضين عليه، هم طلاب علم من أهل السنة السلفيين، كيف وقد استخدمه ابن تيمية، وكذا ابن القيم في نونيته: (واسأل شرار الخلق أغلى أمة ... لوطية هم ناكحو الذكران)؟ لكن فيم العجب وبعض أولئك لم يستنكف عن تكفير القائلين بكروية الأرض، ثم حينما جئناه بكلام الإمام ابن تيمية وأثبتنا أنه يقول بإجماع أئمة المسلمين على كرويتها طاش عقله واتهمنا بالتلفيق أو سوء فهم الإمام! ولعل هذا راجع لما راج في بعضهم من الاستنامة للمدونات العلمية المعاصرة والتلحف بها، وهي عصرية اللغة، قد لا تميل لاستخدام كلمة غير الشذوذ، والله أعلم.

لكن: أكان الصحب والسلف مخطئون؟ هل أساء العلماء كابرا عن كابر الأدب مع نبي الله لوط؟

الحقيقة أن أهل العلم لم يخطئوا في استخدامهم هذا المصطلح، حتى لو لم يكن قد ورد عن النبي والصحابة = إذ أن النسب للمركب في اللغة يكون لأكثر جزئيه تميُّزا؛ ألا ترى أنك تقول عن النسبة لبني هاشم (هاشمي) ولا تقول (بني) ولا (بنيهاشمي)؟! كذلك إذا نسبت لقوم لوط تقول (لوطي) -لا (قوملوطي) ولا (قومي)! فهذا هو المعتمد من جهة اللغة، وقد التزمه العلماء والفقهاء؛ فاشتقاق لفظ (لوطي) ليس من اسم (لوط) ذاته، بل من اسم (قوم لوط). ولما كانت قواعد النسبة الصحيحة تحذف (قوم) من المنتسب إليه حين النسبة، وقع الخلط عند البعض ظنا أن النسبة إلى سيدنا لوط نفسه!

أُزيدُكَ؟ أتعلم أن لفظ اللوطية النسائية بأحرفه تلك قد ورد في أثر منذ القرون الأوَل؟!

روى أبو حاتم في الزهد، عن حفصة بنت زيد، قالت: دخلت على سالم وكان عمي، فسألته عما أحدث النساء من مضاجعة بعضهن بعضا، فقال: "والذي نفسي بيده، إنهما لتأتيان يوم القيامة زانيتين أو لوطيتين، وإن لوطية النساء مثل لوطية الرجال" (٥٦).

وأنا أعذر الناس في حميتهم وغيرتهم على نبي الله، ماداموا لم يجهروا بجهالاتهم عن سوء أدب مستخدمي لفظ اللوطية، غفر الله لنا ولهم، كيف ولفظ (اللوطية النسائية) ذاته مذكور في الأثر؟!

ثانيا: الخنِث والمترجلة.

هو تعريب للفظ الترانسجندر Transgender الذي اصطلح المعجم اللوطي على تعريبه بالمتحولين أو العابرين جنسيا، وهو يختلف عن الخنثى في كون الخنِث مصنوع، بينما الخنثى طبيعي مخلوق بهذه الصورة التي تجمع أعضاء الذكورة

والأنوثة معا؛ وله أحكام شرعية مُعترف بها بين أهل الفقه، وفتاوى قديمة ومعاصرة، منها على سبيل المثال جواز إزالة أعضاء أحد الجنسين إن وصل لسن محدد يمكنه من تحديد هوية جنسه الأقرب، وسنعرض لكل هذا تفصيلا في بحث الشريعة.

إن هذا شيء، والخنِث المصنوع شيء آخر: الأخير شخص طبيعي، يملك الأعضاء الجنسية الظاهرية لجنس واحد، لكنه مع ذلك يُشاكل الجنس الآخر بما قد يصل إلى إجراء عملية تحوُّل، كما استعرضنا في الفصل الأول، رفقة تعديل علاجي هرموني مكثف يغير من شكل الجسد وصفاته إلى نعومة جسد الأنثى = هذا في حالة الذكر الخنِث، أو يُزال فيه الرحم والثديين، ويضاف قضيب صناعي، مع تعديل علاجي هرموني مكثف لإنبات الشعر في الوجه والجسد مشاكلةً للذكور = هذا في حالة المرأة المترجلة.

وجدة المصطلح بهذا المعنى علتها حداثة تلك الهيئة في الأساس؛ فلم يرد على الفقهاء في الأعصر السالفة مثل تلك الصورة الشوهاء من مسخ الفِطر!

وأحسبه معبرا تماما عن هذه الحالة الجديدة: وهو الشخص الذي خضع لجراحات غيرته عضويا إلى ما هو أشد من الخنثى. واستعملت لفظ الخنِث لا المخنث لاعتياد تعميم الثاني لغويا، فيطلق على الخنثى والمتصنع، بينما الخنِث هو المتثني المتكسر من الرجال معجميا، وهو وإن ساوى المتخنث إلا أن شهرة اللفظ الأخير قد تشتت الأذهان وتربك تحديد تمييز هذه الحالة الجديدة، فأحببت أن أميز بغير المتداوَل ولم أجد أفضل من هذا المصطلح العربي الأصيل غير المبتذل والذي لا يحمل صورة ذهنية أقل شناعةً من الصورة المعاصرة. والشأن في الخلاف على استخدامه يسير بإذن الله، ليس كالشأن في المصطلح الأول.

ثالثا: اللوطية النسوية.

اعتمدت هذا المصطلح بدلا من السحاق، والذي نجده في الحضارة الغربية بلفظ مماثل قديم هو Tribadism بنفس الدلالة، وهو وصف لفعل جنسي واحد بين النساءِ تم تعميمه في التراث عَلَما على فاعلات تلك الفاحشة؛ مع تخلي الغربيين عن هذا المصطلح منذ زمن، وبقائه علما على هذا الفعل في التراث والواقع العربي حتى بين اللوطيات؛ حتى بدأن في استبدال مصطلح السحاقية بكلمة القاموس اللوطي الجديدة: مثلية، التي يحتفون بها باعتبارها أقل إهانة وأكثر ملاءمة للممارسة الجنسية النسائية المعاصرة، التي تنوعت صورها وكاد يغيب عنها صورة السحق نفسه وهو تدالك المرأتين شفرتيهما؛ فكيف يستمر تعميمه علما؟! كما أن مصطلح (السحاق) يخرج بفرادته عن إطار النظرية العامة اللوطية، والتي يجب أن تستخدم نفس أسلوب وقاموس بناء الأسماء والأفعال، لتأكيد تجانسها وتعميم تفسيراتها؛ فإن كان الرجل قد وُصِف بالمثلي؛ فالمرأة كذلك يجب أن توصف بالمثلية، فعلة التصنيف والتسمية واحدة علميا ومجتمعيا.

وأنا لا أستخدم هذا الوصف، بل وأوافقهم أنه قاصر وعاجز الدلالة عن توصيف الممارسة المعاصرة بين النساء؛ كما أنه يحقق فرادة خادعة استخدمتها بعض اللوطيات للتأكيد على أن فعلهن ليس محرما إنما فعل الرجال هو فقط المحرم في القرآن الذي زعمنَّ أنهن لن يؤمنَّ بسواه!

والحق أن أصل الفعل نفسه مجردا هو المحرم؛ وبالتالي ففعلهن من جنس فعل قوم لوط بلا تمييز؛ فإن وُصِف فعل قوم لوط باللوطية = ففعل النساء يحسُن له ذات الوصف، لبيان الاقتران وعدم المفاصلة؛ وعليه أعتمد ها هنا لفظ (اللوطية النسائية) للإشارة إلى ما وُصِف بالسحاق في تراثنا، ولفظ اللوطيات بدلا من السحاقيات، إضافة للأصل التراثي الذي أشرت إليه سابقا.

ثالثا: المصطلحات المهجوة في الكتاب.

أولا: مصطلح الشذوذ الجنسي.

دينيا وأدبيا، يغيب هذا المصطلح -بقدر ما بحثت- عن الخطاب التراثي للأمة الإسلامية، ونفي تواتره قبل القرن الماضي مما يوثَق به.

ولن تتجشم جهدا، إن ارتبت فنقرت عن أصوله قبل أن تنتبه لعدم ظهوره في العربية إلا أثناء الغزو الأوروبي للعالم العربي الإسلامي، وهنا قد يبين أساسه إن عرفنا لمحة صغيرة من تاريخ علم النفس: فقد كان القرن التاسع عشر محلا للصراع بين النظريتين: العضوية والنفسية، لتفسير الأمراض العقلية في أوروبا. وفي نهاية القرن تفوقت المدرسة السيكولوجية على أيدي برنهايم الذي أثر بدوره على فرويد مُنشئ التحليل النفسي والذي تحدث عن كون السلوك الشاذ مُعبِّرا عن صراعات داخلية منذ الطفولة (٥٧)، فتاريخ استعمال مصطلح الشذوذ، أي السلوك غير الطبيعي، المخالف للعرف أو المألوف، يسبق بقليل تاريخ ظهور هذا المصطلح في العربية، مما يرجِّح مصدريته الأوروبية. وبشكل عام، قد يرجع هذا المصطلح إلى توماس الأكويني، الكاثوليكي الشهير الذي عاش في القرن الثالث عشر، والذي استخدم مصطلح (غير الطبيعي / الشاذ) لوصف اللواطة‹٥٨›، وسيستمر هذا إلى الثلث الأخير من القرن العشرين، إذ ستعتمده العلمانية الغربية هي الأخرى لموافقته نموذجها. وفي هذا اللفظ عيوب مقارنة بلفظ اللوطية الذي أقترحه، أوضحها في النقاش اللغوي عن قريب.

ثانيا: مصطلح المثلية.

وهي التعريب الحديث للكلمة الإنجليزية Homosexual، المصطلح الذي يستلهم أسلوب العلم في تصنيف الكائنات والمخلوقات، فالبشر -زعموا- إما نوع يشتهي جنسيا نفس نوعه، وإما نوع يشتهي جنسيا النوع المغاير له، ولما كانت إطالة الترجمة في غير صالح صناعة مصطلح سهل الانتشار يسير التداول، استُبدلت معجميا بكلمة (مثلي) الخفيفة حتى من الناحية الصوتية؛ ألا تحمل أذنك أثقالا حينما تمر عليها كلمة (لوطي)، بما في قلبها من طاء انفجارية تفخيمية صادمة؛ ثم تسمع (مثلي) فتمر مرققة رخوة لطيفة الأثر؟

وقد استُخدم المصطلح في المحتوى العربي منذ وقت مبكر في هذا القرن، على مواقع الإنترنت تحديدا، ورغم ندرته، إلا أن الأوروبية كانت أكثر المواقع استخداما له فاطرًا ومكررًا، مثل موقع البي بي سي أونلاين، إذ أشار في عام ٢٠٠٢ إلى الحادث المصري الشهير الذي دُهِم فيه اللوطيون بإحدى المراكب النيلية، وذاعت قضيتهم إعلاميا باسم (حادث كوين بوت) بالعنوان الآتي: "منظمة حقوق الإنسان المصرية ترفض الدفاع عن المثليين جنسيا"(٥٩). وتجد في موقع سويسري آخر خبرا عن اللوطية بالعربية في عام ٢٠٠٥ بالعنوان الآتي "المثليون قد يتزوجون قريبا في سويسرا"(٦٠)، أما في المحتوى غير الغربي تلحظ استعماله حتى خارج إطار المواقع والمنتديات العلمانية؛ فتلقاه في خبر بموقع إيلاف عام ٢٠٠٥ بالعنوان الآتي: "العلاقات

الجنسية المثلية في فلسطين" (٦١)، بل قد وجدته حتى في موقع إسلام ويب، إذ

استخدمه الدكتور محمد عبد العليم إجابةً على أحد الاستشارات النفسية (٦٢).

والملاحظ في الاستخدامات العربية قبل عام ٢٠٠٥ أنها لم تكن تُفرق بين المصطلحين،

كما في المثالين اللذين ذكرتهما، إذ أن الكاتب يُبادل في التعبير عن اللوطية بين الشذوذ والمثلية، ويدينها تحت أي مسمى، والدليل على ضبابية الفارق حينها حتى بين بعض العلمانيين، أن كاتبة تدعو نفسها بشرى ناصر، وهي علمانية نسوية نشطت على موقع الحوار المتمدن قديما[11] كانت قد كتبت عن اللوطية بعنوان

(المثلية أو الشذوذ الجنسي) فتحدثت باعتبار الأول مرادفا للثاني (٦٣)؛ فلم يكُن

خبث منبت مصطلح المثلية قد تجلى بعد.

لكن بدايةً من ظهور مواقع التواصل، وتحوُّل القضية اللوطية إلى مركز المسألة الحقوقية العالمية والغربية، سيتسع انتشار مصطلح المثلية شعبويا بدلا من الحصر في زُمرِ النخب العلمانية وبعض النوادر خارجها، وسيكون هذا النشر عمدا ومرفقا بالتأكيد على تميُّزه ومغايرته دلاليا لمصطلح الشذوذ الجنسي تحديدا، لأنه الأوسع انتشارا كما سأوضح فيما بعد، ولأنه هو المعني بمعركة اعتذار الغرب وتكفيره عن استخدامه طوال القرن الماضي بحق اللوطيين!

---

[11] موقع علماني شهير، جمع أكواما من الخِباث تُفسد المجرة، وقد كان في مطلع الألفية منبرا طاغيا يجمع جلَّ أعداء الإسلام!

ومع بداية العقد الثاني من الألفية الجديدة سينثال التقريع والعذل والتأنيب والتبكيت في حق كل من يرفض استخدام مصطلح المثلية، وستضربنا أمواج الحملة تلو الأخرى ضد كل مسمى غيره، مع رواج عقيدة (التصويب) في العلمانيين العرب؛ لذا، وكما سنرى لاحقا، يعتبر العلمانيون الجدد تحديدا أن مصطلح (المثلية) قضية من قضاياهم الكبرى؛ فلابد من قمع كل مصطلح فيه إهانة ولو بعيدة، وليس في العربية مصطلح غير مهين إلا هذا المُستحدَث.

والآن، بعد توضيح كافة المصطلحات الخاصة ومعناها في هذا الكتاب، أشرع في مناقشة دلالية موجزة، مُقارنا بين الأسماء التي عليها مدار معركة المصطلح العربي، وهي اللواط والمثلية والشذوذ، بكافة تراكيبها الاشتقاقية المختلفة مثل لوطي ومثلي وشاذ.

وسأستخدم في هذه المناقشة عدة أدوات توضيحية مُحمَّلة بنظريات دلالية لا يُشترط أن أقبلها جملةً، كالنظرية السلوكية، ولكني فقط أنتقي ما يُبيِّن لسائلي: أثمَّ فارق حقا بين المصطلحات الثلاثة؟ أيستحق الأمر تلك المبالغة مني في وصفها بالحرب؟ أكانت تبالغ الباحثة المُشار إليها سلفا، في توصيفها سعي اللوطيين تغيير اللغة = بالنضال والكفاح والمقاومة؟!

لنر!

رابعا: تحليل المعاني.

أولا: الفوارق النوعية في المعنى.

إن تناولنا الاختلافات بين المعنى الأساسي لكل من هذه المسميات، سنلاحظ أن ألفاظ (لوطي وشاذ ومثلي) توشك أن تتماثل في المعنى الأساسي: وهي ممارسة الذكر

للجنس مع الذكور، لهذا قد يخلط البعض فيتوهم ترادف الكل؛ لكن التباينات تبدأ في الظهور بدايةً من سبر المعنى الإضافي.

١) الاختلاف في المعنى الإضافي.

إن كان لفظ اللوطي مشحونا بدلالة الإزراء على صاحب هذا الفعل وتبيان ما في سلوكه من مخالفة لأوامر (الإله) والتحدي لمعايير الحلال والحرام؛ فإن لفظ الشاذ يخالفه لا في حمله ذات المعنى المُشمئز من الفاعل، إنما في سلوكه المخالف لمعايير (المجتمع) وأوامره التي نشَّأ عليها البشر الطبيعيين.

أما المثلي فتغيب عنه الدلالة المُحقِّرة؛ إذ هو لفظ محايد يصف توجها جنسيا بلا أي خلفية دينية أو مجتمعية أو معيارية عامة.

٢) الاختلاف في المعني الأسلوبي.

أما الخلاف في النوع الأسلوبي فظاهر في فقهية مصدر كلمة اللوطية، فهي المتداولة في كتب الشريعة بمشتقاتها المختلفة (لواط، لاط،لاطة)؛ وهي ذات دلالة دينية تواضع جمهور أهل العلم الشرعي عليها. بينما مصطلح الشذوذ لم يُتداول في المدوَّنة الفقهية كما ذكرنا سابقا، بل لا ينتسب إلا للمجتمعات العربية والإسلامية في القرن الأخير، قرن التأثر بأدب ومناهج الحضارة الأوروبية، والتي كانت أثناء القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تتبنى نظرية (الطبيعي والشاذ)؛ وعليه تبوأ هذا المصطلح كرسي السيادة وذاع بين الإعلاميين والفنانين والأدباء؛ فالعوام، بل أزاح كل ما عداه إلى الظل والنفور.

أما المثلي فجذوره الليبرالية العلمانية طاغية أسلوبيا، ومؤثِّرة في كل المعاني الأخري.

٣) الاختلاف في السياقات.

يتباين السياق الثقافي والعاطفي بينهم غاية التباين؛ فكلمة (لوطي) تستعمل في سياق مرتبط بالشريعة، وتثير مشاعر البغض والعداء.
وكلمة (شاذ) تستعمل في السياق الثقافي العامي والصحفي والأدبي، وتثير مشاعر النفور.
وكلمة (مثلي) تستعمل في السياق الثقافي الليبرالي كدلالة سعة أفق مجتمعية، وتثير مشاعر التسامح والتعاطف.

٤) الاختلاف في المعاني النفسية.

أما فحص المعنى النفسي عند المُستخدِم؛ فيظهر أن لفظ لوطي يعكس احتقارا وعداءً ورغبة في عقاب فاعل هذا الفعل وتبيان حرمته.
وأن لفظ شاذ يعكس نفورا ومجانبةً لما يخالف المجتمع.
في حين أن لفظ مثلي لا يحمل إلا معنى الاحترام والمساواة بين الطبيعي واللوطي، ورفض استخدام أي مصطلح إلا ما يقرره اللوطيون تعريفا لأنفسهم، وهذا من أعلى درجات الاعتراف بهم واحترام رغباتهم!

الخلاصة:

يوحي مصطلح مثلي بأن هذه الميول ثابتة، موازية لميول أخرى (مغايرة) وبالتالي فليس للشخص ذنب في تكوُّنها، بينما مصطلح لوطي يوحي بالشهوات الخاطئة التي استوجبت العذاب عندما لم يتخلص منها صانعوها من قوم لوط، في حين أن مصطلح شاذ يوحي بثبات هذه الميول كذلك؛ لكن مخالفةً للمعيار المجتمعي السائد،

فالحاكمية للمجتمع، وكل هذا نستفيض به بعد أسطر. وفي الجدول التالي أجمل هذه الاختلافات المعنوية:

نوع المعنى	مثلي	لوطي	شاذ
الأساسي	رجل + يميل لممارسة الجنس مع الرجال	ذكر + يمارس الجنس مع الرجال	ذكر + يميل للذكور أو يمارس الجنس معهم بصورة ثابتة سلوكيا
الإضافي	معنى محايد	الإزراء بصاحبه واحتقاره لمخالفة معايير وأوامر الله	الإزراء بصاحبه واحتقاره لمخالفة معايير وأوامر المجتمع
الأسلوبي	ليبرالي	شرعي وتراثي	عامي وأدبي
النفسي	احترام	احتقار وعداء	نفور
الإيحائي	ميول ثابتة للشخص ليس له ذنب فيها (مثلي – مغاير)	شهوات شيطانية تستحق العقاب	ميول ثابتة مخالفة للمعيار المجتمعي

ثانيا: اختلافات السلوك والاستجابة.

مثلت النظرية السلوكية ثورة في العديد من المجالات العلمية زمنا حتى انهار سلطانها بسبب مشكلتي الحتمية والآلية التي أكَّدَت عليها، ومع ذلك لم يمكن التخلي عن كافة آلياتها وأفكارها، ومنها استجابة الأفراد لألفاظ محددة، نتاجا للتنشئة الثقافية والاجتماعية المتباينة.

وسأستخدم هنا المقاربة السلوكية بصورة محدودة، لبيان اختلافات سلوك السامع لهذه المصطلحات الثلاثة والذي يختلف تبعا لتوجهه إلى الآتي:

١) الاستجابة العلمانية

إن البدهي في تصور السلوك العلماني بكافة توجهاته، والليبرالي منه خاصةً، هو استحضار نماذج زعمائهم على مواقع التواصل والمؤسسات الحقوقية، وتحليل خطابهم، الموافق لما هو موجود في الغرب حاليا، حذو القذة بالقذة؛ لكن الشروع في البحث المدقق سيُنبئك بتصورات محددة عن السلوك، قد يفجؤك عدم اتفاقها تماما مع نتائج الدراسة كما سنرى.

لقد كتبت قبل الدراسة بعام واحد أن الاستجابة السلوكية العلمانية لمصطلح لوطي: عدوانية، وسنجد النفور موجودا بصورة أخف عند استخدام مصطلح شاذ؛ أما مصطلح مثلي فيلقى ترحابا واضحا، مع الإشارة لتغيُّب تلك السلوكيات في عصر ما قبل ريادة الأيدولوجيا اللوطية لقضية الحقوق الليبرالية؛ فكان من المعتاد أن تجد الليبرالي العربي في القرن الماضي، عدوا للواط، محتقرا لأهله، لا لأن اللواط عنده محرم في الدين الإسلامي، بل لأنه كان محرما في الدين العلماني الذي يتبعه، فكان يُرحِّب بلفظ الشواذ ولا يستبدله في توصيف اللوطيين = فهم قد شذوا عن (قوانين المجتمع الغربي العلماني) لذا استحقوا منه النفور.

لكن زمن هذا العلماني قد ولّى، وأتى زمن العلماني النافر من مصطلح (الشذوذ) المُقاتل من أجل حقوق (المثليين)!

ومتى كان العلماني غير إمعة متطفل؟! أعندك شك أن لو قال الغربيون غدا أن تشهي الأطفال جائز، لخرج في أصلاب العلمانية العربية حالا من يُجيزه ويروجه، ولما مضي عقد واحد دون أن يكون شعار علمانية العرب: اغتصبوا الأطفال!

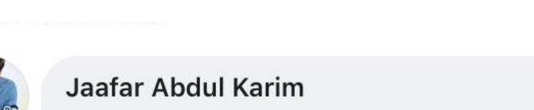
لقد كنت أتحدث حينما كتبت هذا على مستوى تحليل خطاب المشاهير والمثقفين من الحقوقيين والمروجين للعلمانية، وسأضع الآن مجموعة من الصور لأحاديث بعضهم المتعلقة بمصطلح المثلية والفارق بينه وبين الشذوذ، وستلاحظ العدائية في

الطرح التصحيحي، واهتمامهم البالغ بالتنفير عن كل مصطلح غيره. وانتبه لصياغة بعضهم النقاش بصورة ساخرة، واضطراري لإبهام السباب دون حذفه نهائيا لتعريفك بحجم غضبهم وعزمهم، ومقدار غلظتهم في زجر المخالفين:



هي المثلية الجنسية طبعا "شذوذ" لأنها بتهدم المجتمع وضد الفطرة الإنسانية عشان كده الإسلام حرمها.. لكن العبودية وما ملكت اليمين طبعا برضو "طبيعية" لأنها كانت متوافقة مع المجتمع والجينات البشرية عشان كده ما تحرمتش ولا اعتبرت مرض ولا جنون ولا أي حاجة.. بالعكس دي اتعملها قوانين وفي نصوص مقدسة بتنظمها عادي.. يعني ممكن تبقى مستعبد واحد وتبقى مؤمن ومحترم وإنسان طبيعي وكل حاجة.. بس لو كنت مثلي الجنس تبقى كافر ومجنون أو على الأقل خالص مريض.. المنطق المشوي











Mustafa Abdin
April 7, 2016 ·

المثلية الجنسية توجه جنسي طبيعي مثل التوجه الجنسي المغاير ومن الخطأ التعبير عن هذا التوجه الجنسي بعبارة "شاذ جنسياً" لأن هذا التعبير يعطي انطباع أن التوجه الجنسي المغاير هو التوجه الجنسي الطبيعي الوحيد. المثلية و الازدواجية و غيرها من التوجهات الجنسية جميعها توجهات جنسية طبيعية. (طالما أنها تحصل في الطبيعية فهي طبيعية).

الفكرة الثانية التي أود أن أذكرها هي أن اعتبار المثلية الجنسية عمل مقبول اجتماعياً غير مرتبط بكون هذا التوجه الجنسي طبيعي أم غير طبيعي لأن قبول المثلية في المجتمع لا يجب أن يكون مبني على ماهو طبيعي أو غير طبيعي و إنما من منظور الحريات الشخصية و مدى تأثير هذا العمل على الآخرين. في النهاية أود أن أقدم مثال عن مغالطة الطبيعية (اعتبار كل ماهو طبيعي جيد و كل ماهو غير طبيعي سيئ)

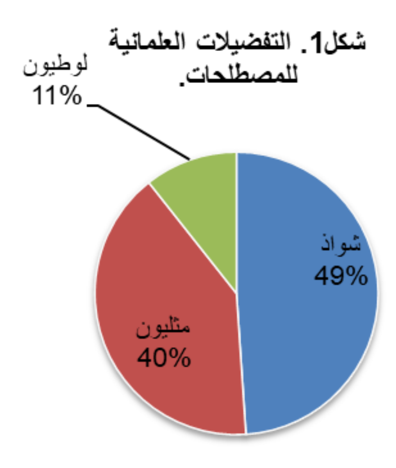
مادة اليورانيوم مادة طبيعية ١٠٠٪ لكنها خيار سيئ جداً كوجبة للطعام و بالتالي تقييم الأشياء من منظور ماهو طبيعي و غير طبيعي هو تقييم خاطئ (مغالطة الطبيعية).

Like Comment Share

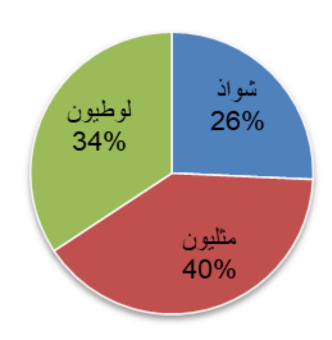
599

41 shares

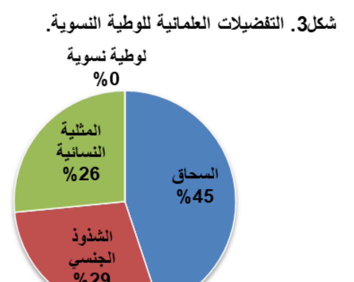
لكن كل هذا قد يبدو متعارضا للوهلة الأولى مع نتائج الدراسة، التي جاءت بالصورة الآتية:



شكل2. حجم النفور من المصطلحات الأخرى.



شكل3. التفضيلات العلمانية للوطية النسوية.



لقد أظهرت أن أكثر المصطلحات التي استخدمها العلمانيون والليبراليون في توصيف اللوطيين هو الشواذ ٤٩٪، ثم المثليين بنسبة ٤٠٪، مع قلة اختارت مصطلح اللوطية لتوصيفهم: ١١٪. وفي اللوطية النسوية كان مصطلح السحاق الأكثر رواجا ٤٥٪، يتلوه مصطلح المثلية النسائية ٢٦٪، وأخيرا مصطلح الشذوذ الجنسي ٢٩٪، ولم يختر أحد مصطلح اللوطية النسوية.

أما حجم الضيق من المصطلحات، فيُظهر الاضطراب بصورة أكبر: فبينما هناك

٢٣٪ من العلمانيين أعلنوا عدم ضيقهم من أي مصطلح لوصف اللوطيين، جاءت

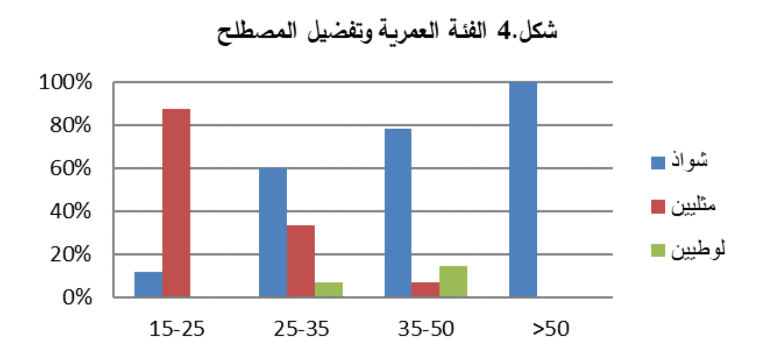
نسب نفور الباقين لتُظهر أن ٤٠٪ منهم يضيقون بمصطلح المثلية، و٣٤٪ ينفرون من

مصطلح اللوطية، مقابل ٢٩٪ يتأففون من مصطلح الشذوذ!

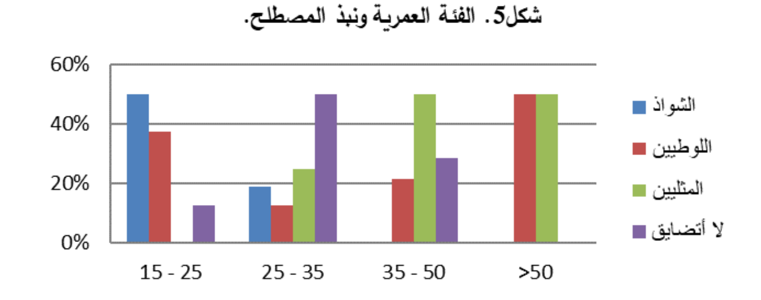
فما تفسير ذلك؟ لماذا تضاربت النسب مع التوقعات المبنية على مراقبة خطاب النماذج العلمانية الحقوقية المعروفة؟
لا أرى تفسيرا لذلك سوى أن جمهور العلمانيين العرب لم يكتظ بعد من الليبرالية الجديدة التي يبشر بها أعلامُهم مؤخرا، ولم يتَّرعوا من حديثهم عن الحقوق اللوطية بما يكفي لفقه وجوب انتخال اللفظ المناسب لليبرالية بحرفية؛ فهم، وإن أخذهم الريب من لفظ اللوطية فلم ينتقه إلا القلة؛ إلا أن ثقف الفروق بين الشذوذ والمثلية لم يُمكَّنوا منه بما يكفي. هم أكثر الفئات نفورا من لفظ اللوطية، فمقارنةً بالعوام مثلا، نجد نسبة تقبلهم لمصطلح المثلية الضعف، ونسبة نفورهم من مصطلح اللوطية كبير، كما أن الربع أبدى ضيقه من أكثر المصطلحات رواجا وهو الشواذ، فلو اعتبرنا رفض هذا المصطلح الشهير مقياسا للوعي بالتصويب السياسي والحقوقي PC ونموذج الليبرالية اللوطية الجديدة المعاصرة -وهو ما أرجحه، لأن الخطاب الذي يرفضه مقتصر على مجموعات تنتمي لهذه الأيدولوجيا الحديثة- فيمكننا ترجيح أن نسب المنتمين إليها، المنزهين أنفسهم عن الليبرالية الحقوقية التقليدية القديمة، لا تزيد عن ربع العلمانيين والليبراليين حاليًا.

وهذه النسب فيها دلالة على وجود اضطراب بين جيلين من العلمانيين والليبراليين، فهل هناك دليل على هذا الاستنتاج؟

الحقيقة أن هذا استنتاج تثبته الدراسة بالفعل، انظر أولا الأشكال ٤ و٥:



شكل.4 الفئة العمرية وتفضيل المصطلح



شكل5. الفئة العمرية ونبذ المصطلح.

الشكل ٤ نجد أن رواج مصطلح (المثلية) بين العلمانيين متغير مع العمر بما يوافق

كلامي: ففي الفئة العمرية الأقل من ٢٥ عاما نجد نسبة تفضيل مصطلح المثلية

هي ٨٨٪، بينما نسبة ١٢٪ فقط فضلت مصطلح الشواذ، ورفض كل منتمٍ لتلك

الفئة العمرية من العلمانيين مصطلح اللوطية. وفي اللوطية النسوية كان هناك

شبه تقارب في النسب بين مصطلحي السحاق والمثلية النسائية، بينما رفضوا جميعا مصطلح الشذوذ الجنسي أو اللوطية النسوية.

بينما في الفئات العمرية الأكبر سنجد مصطلح الشواذ هو الأكثر انتشارا، مع

ظهور بمقدار الربع لمصطلح المثلية في الفئة العمرية من ٢٥ إلى ٣٥، أي مواليد

نهاية الثمانينيات حتى منتصف التسعينيات، وهم القنطرة بين المرحلتين الليبراليتين القديمة والجديدة، فقد حضروا كلتيهما وبالتالي هم موضع اجتماع نموذجي الليبرالية المجرِّمة للوطية والمؤيدة لها.

أما الفئات العمرية الأكبر من ٣٥ فلن تجد فيها استخدام لفظ المثلية إلا نادرا، ولا

يكاد أصحابها يعرفون سوى مصطلح (الشاذ)؛ لكن قلة في الفئة الأصغر من ٥٠ سنة

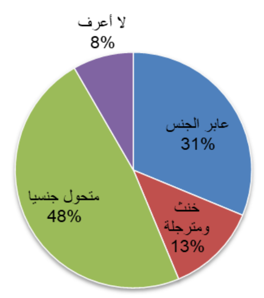
استخدمت مصطلح اللوطية، وقد يكون سبب هذا أنه لم يكن مقدوحا فيه بالصورة الحالية في عصر الليبرالية القديمة، إذ كان يُستخدم، نادرا؛ لكن بلا نكير أو انتباه، فالسياق الليبرالي والعلماني العام كان يُدين اللوطية. نلاحظ كذلك رواج مصطلح السحاق في كافة الأجيال، وعلة هذا أن اللوطيات أنفسهن ظللن إلى الوقت الحالي يستخدمنه بالتبادل مع مصطلح المثلية، وهو متفرد غير مشحون بالمعاني والدلالات الدينية الموجودة في مصطلح اللوطية.

يتبقى أخيراً أن نعرف أن الفئة العلمانية اختارت مصطلحي عابر الجنس أو متحول الجنس لتوصيف الخِناث والمترجلات، واختارت الأقلية فقط مصطلح التخنث أو

الترجُّل، على نحو ما يُظهر شكل ٦ = وفي هذا دلالة على تأثرهم بالحملات اللوطية

العالمية الجارية لنشر الخِناثة والترجُّل ومسخ الفِطَر، فاختاروا المصطلحات الأكثر رواجا في الخطاب العلماني القائم حاليا بدلا من المصطلحات العربية المتداولة بما فيها من احتقار.


شكل 6. التفضيلات العلمانية لتوصيف الخِناث.



خلاصة الملاحظات الهامة:

- يوجد خلاف بين الأجيال العلمانية العربية في تقبُّل المصطلحات الجديدة، فالأجيال الجديدة تنفر من مصطلحات الشذوذ الجنسي واللواط، بينما لا تُبدي الأجيال الكبيرة ذات النفور؛ بل إن نسبة معتبرة منها أعلنت ضيقها من مصطلح المثلية ذاته، المُخالف لما نشأوا عليه واعتادوه.

- الأجيال الوسيطة، التي تقع بين ٢٥ إلى ٣٥ خاصةً، عندها أزمة تضارب مصطلحات أكبر من غيرها، لأنها عاصرت النموذجين الليبراليين معا، وعاصرت المصطلحات الجديدة والقديمة كلها أثناء نشأتها.

- هذا مُنبئ بأن الأجيال العلمانية القادمة لن تنشأ إلا على مصطلحات القاموس اللوطي الحديث (المثلية وغيرها) ونبذ، بل حرب كل ما عدا ذلك، مع التعامل بحساسية متطرفة ضد مصطلحات كالشذوذ واللوطية، ما يعني تشربهم أكثر من غيرهم لأيدولوجيات التصويب السياسي PC وغيرها من سمات الليبرالية اللوطية الجديدة.

٢) الاستجابة الإسلامية

يُرحِّب المسلمون المُطَّلعون بمصطلح شاذ؛ بينما لا يلقى مصطلح لوطي اعتراضا كبيرا، اللهم إلا عند من يرفض اشتقاق مصطلح لهذا الفعل من اسم النبي الكريم الذي قاومه، وليس رفضهم نابعا من تهاونهم مع الفعل؛ بل النقيض هو الصحيح.

أما مصطلح مثلي فقد أحدث انقساما في السلوك بين العدوانية والقبول = بسبب الجهل بطبيعة دلالته وبما يعنيه اللوطيون عند استخدامه، مما أوهم أنه مجرد توصيف شهوة شخص محدد، ولهذا كان أكثر ملاءمةً إذ يصف ممارس الجنس مع مثيله.

لا يمكن الاعتماد كثيرا في توضيح هذا على الاستبيان، الذي يُظهِر أن مصطلح المثليين مقبول بنسبة ضئيلة؛ فقد يرجع هذا إما لكون عينة الإسلاميين المدروسة أكثرها مرتبط بصفحتي وبعملي، أو بكون جهدي في هذا الشأن قد أثمر ولله الحمد خلال هذين العامين؛ لكن على أي حال هذه النسبة فيها إشكال، وأزعم أننا لو كنا جمعنا نفس الدراسة من رواد صفحات مشاهير الإسلامو ليبرالية والأنماط المنحرفة، التي تجتمع نخبتها كلها تقريبا -في الوقت الحالي- على توصيف اللوطيين بالمثليين، لخرجت النتائج ضخمة لصالح لفظ المثلية، والله أعلم.

لكن على أي حال مما يوثق فيه لكبر حجم النتائج: أن مصطلحي الشذوذ واللوطية مقبولان من جمهرة الإسلاميين، إلا قلة أعلنت نفورها منهما. مصطلح المثلية هو الآخر حصل على إدانة واسعة، لكن تلك الإدانة عليها ذات الاعتراض الذي أبديته قبل أسطر.

الملحوظة الأهم، أن الفئات العمرية التي استخدمت مصطلح المثلية، كانت موزعة

بين فئتي ١٥إلى ٢٥ بنسبة ٤٤٪، و٢٥ إلى ٣٥ بنسبة ٤٠٪. أي أن الأعمار الصغيرة

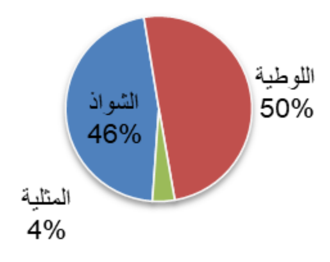
أكثر قبولا وتبنيا لهذا المصطلح حتى في الإسلاميين؛ وهو جرس إنذار خطِر لمستقبل معركة المصطلح.

اختيار ربع الإسلاميين كذلك لمصطلح (متحول الجنس) بدلا من مصطلح المخنث والمترجلة دال على أمرين: أولا، أنهم نفروا من مصطلح (الترانسجندر، عابر الجنس) المرتبط بالخطاب اللوطي، وهذه علامة جيدة. ثانيا: أنهم نفروا من مصطلح التخنث والترجُّل، ويرجع هذا على الأغلب لغموض العلاقة بين الخِناثة المعاصرة، والتخنُّث التقليدي المعروف؛ فهناك عدد لا بأس به من الإسلاميين لا يعرف هل أولئك الذين يجرون الجراحات والعلاجات من أجل نسبة ذواتهم للجنس الآخر، محقون في هذا ولهم عذرهم الطبي، أم لا؟! أي أنهم لا يعرفون الفارق بين الخنِث المصنوع وبين الخنثى. وهو ما يُلزم المزيد من خطاب التوعية بالفوارق بين النوعين. وما يدعم ذاك

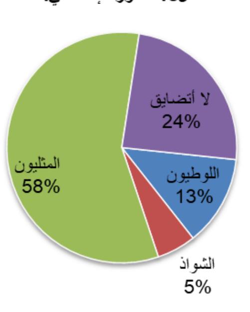
الاستنتاج، اختيار ١٠٪ من الإسلاميين إعلان الجهل بالمصطلح الذي يوصف به

أولئك.

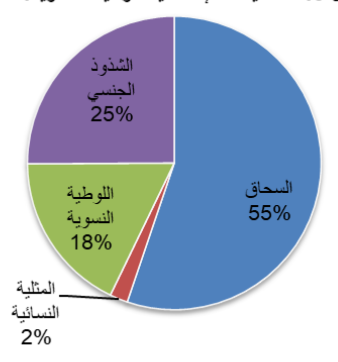
شكل7. التفضيلات الإسلامية.



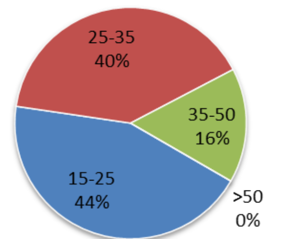
شكل8. النفور الإسلامي.



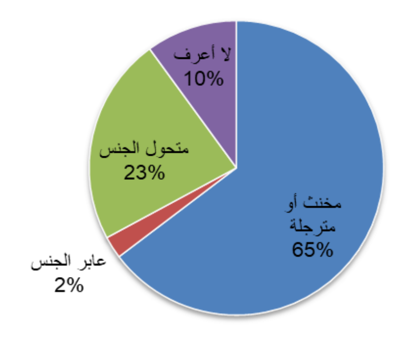
شكل 9. التفضيلات الإسلامية للوطية النسوية.



شكل 10. الفئات العمرية لمستخدمي المثلية.



شكل 11. الإسلامية المفضلة الخِناث والمترجلات.



٣) الاستجابة العامية.

يتعامل العوام مع مصطلح الشواذ -حتى الآن- باعتباره الأكثر ملاءمة، مرحبين به توصيفا لهذا الفعل ولهؤلاء الناس، بينما قد لا يفهمون جيدا مصطلحي اللوطي والمثلي، وإن كانت السلطة الإعلامية وتكرار المصطلح الأخير على آذانهم فتلا في الذروة والغارب سيُعدِّل من سلوكيات الاستقبال ليزدادوا قبولا به وترحيبا، حتى إن كرهوا هذا الفعل وجهلوا دلالة تغييره في المدى القصير؛ فالنصف تقريبا يُشارِك العلمانيين استخدام مصطلح الشذوذ الجنسي، لكننا نلحظ وجود اختلاف في حجم

تقبل لفظ اللوطيين، الذي يأتي في المرتبة الثانية (٣٣٪)، يتلوه لفظ المثليين الذي

يساهم بنسبة (١٥٪) وهي مقبولة جدا للعلمانيين نظرا لحداثته.

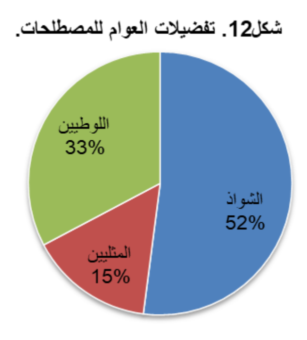
فإن قِسنا متغير الفئة العمرية مع قبول المصطلحات = سنجد أن الفئة الأصغر في السن هي الأكثر استخداما لمصطلح المثلية، بينما الفئات العمرية الأعلى هي الأكثر استخداما لمصطلح الشواذ، ولم يظهر غضب كبير من مصطلح اللواط، بل إن خيار قبول كافة المصطلحات، دون النفور من أي منها، احتل المرتبة الثانية بعد النفور من مصطلح المثلية. وهم يصفون اللوطية النسوية بالسحاق والشذوذ الجنسي بصورة أساسية، متشابهين في ذلك مع الباقين.

أما في توصيف الخِناثة والترجُّل، فقد كان هناك قبول عام لذاك المصطلح (٤٧٪)

يتلوه مصطلح متحول جنسيا.

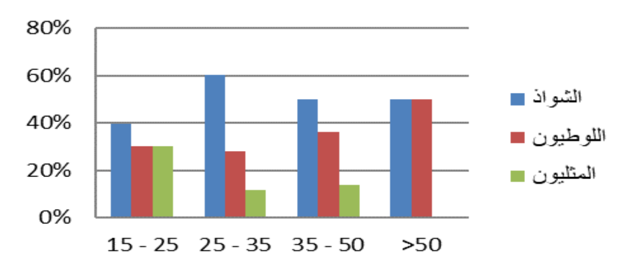
أهم الملاحظات في تلك النتائج أن العوام موضع تذبذب هم أيضا، وإن كانوا - إلى الآن - لا يبدون نفورا من مصطلح محدد، مع غلبة مصطلح الشذوذ الجنسي، إلا أن استمرار العمل الإعلامي على تلقين الأجيال الجديدة مصطلحات معينة مُنبئ بما هو قادم. كما ذاع مصطلح الشذوذ قبلا، حتى رأيناه سيد الأجيال القديمة، وهو الآخر لم يكن وليد التراث أو البيئة الإسلامية = فسيادة مصطلح المثلية والتحول الجنسي مُمكن بصورة أسرع كثيرا من غيرهم، نظرا لتملك الإعلام لأفئدتهم وعدم وجود معتقدات متماسكة راسخة تقولب موقفهم من قضية غامضة وعميقة الغور كقضية تأثير اللغة والمصطلحات في هيكلية المعرفة الفكرية والبنية المجتمعية.

وإن لم يظهر خطاب إسلامي متمايز صريح له أسلوبه ونظمه وشكله المختلف، والمؤكد على تعمُّد تلك المغايرة، ما يُسبب مفاصلة مع المنظومة العلمانية القيمية واللغوية تُظهِر لها الشناءة وتؤلب عليها الجميع = فلا يلومن أحد إلا نفسه على التواهن والتواني أمام من يكاثرونه ولا يتمكَّثون أو يتلعثمون، على تفرق أهوائهم وتهلل منطقهم، فالأفنُ جبلَّة النعام!

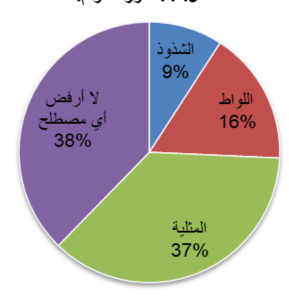


شكل12. تفضيلات العوام للمصطلحات.

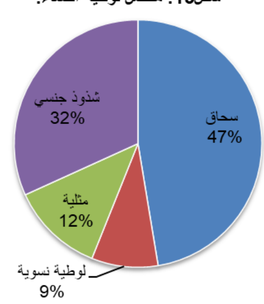
شكل13. علاقة الفئة العمرية بالتفضيلات.



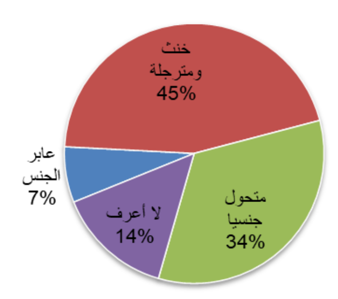
شكل14. نفور العوام.



شكل15. مفضل لوطية النساء.



شكل16. تفضيلات الخِناثة.

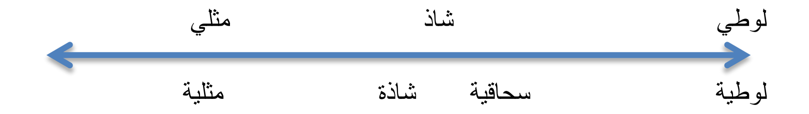


إن إيلاء المنظمات الحقوقية العلمانية العربية المعركة الإعلامية اهتماما كبيرا لنسخ كافة ما سبق من مصطلحات وإلغائها، من أجل تثبيت مصطلح المثلية وحده في عقول المجتمع /العوام، مما لا جدال فيه. أما على الجانب الإسلامي، فتُهدر الجهود والأزمان عند من لا يملكون آلة إعلامية واحدة معتبرة، في تحديد أي المصطلحات أولى! وليس هذا إلا لفداحة الغفلة عن مساعي الآخرين وأغراضهم من كل حرف ينطقونه، حتى رأينا فينا من يُطبِّع استعمال ألفاظهم وقاموسهم مرددا (لا مشاحة في الاصطلاح)، دون نظر لأبعد من منقاره!

وأُجمل في الجدول التالي هذه الاختلافات السلوكية النفسية:

الفئة	لوطي	شاذ	مثلي
الإسلاميون	ترحيب – رفض (انقسام)	قبول كامل	قبول – رفض (انقسام)
العوام (بلا توجه)	محايد حاليا	قبول كامل	محايد حاليا
العلمانيون	عداء كامل	قبول – رفض (اختلاف أجيال)	ترحيب – نفور (اختلاف أجيال)

وعليه إذا وضعنا معيارا لقياس أثر المعنى نفسيا، فالنتيجة ستكون بهذه الصورة، حيث ثقل الوطأة ممتد من اليمين إلى اليسار الأخف، وقد أضفت في المعيار لفظ سحاقية:

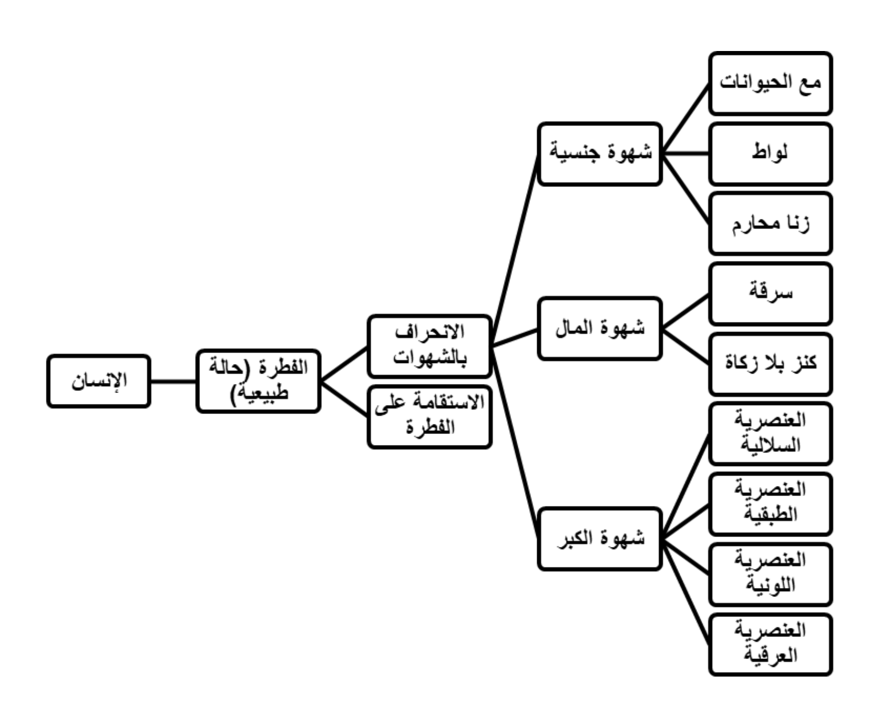


ثالثا: تحليل معنى المصطلحات.

وبالمقاربة التحليلية للمعنى نفحص أحشاء تلك المصطلحات.

١) تحليل مصطلح اللوطية.

يرتبط مصطلح (اللواط) بالمعيار الشرعي، الحالة الطبيعية للإنسان كما بالشكل الآتي:



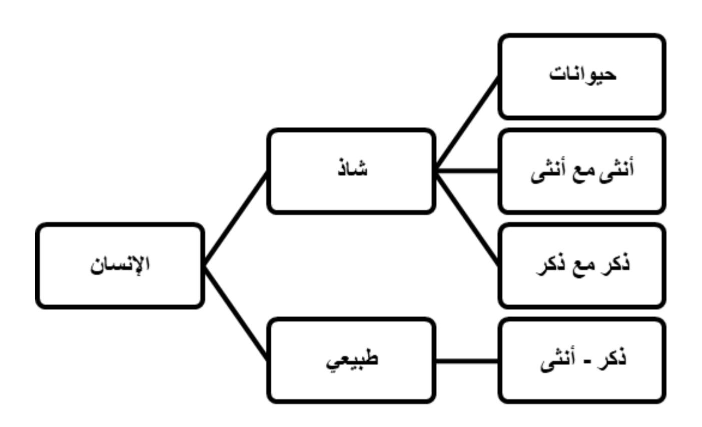
نجد في هذا التقسيم أن الإنسان له طبيعة واحدة (فطرة) يشترك فيها الجنسان الذكر والأنثى، في هذه الحالة الطبيعية ينجذب كلا الجنسين إلى بعضهما البعض، فحب الشهوات اللا نهائية مركوز في طبع الإنسان.

وتأتي الأوامر والنواهي لتحدد أي الشهوات مباحة وأيها ممنوعة وأيها انحراف كامل عن فِطر البشر، وتنحرف نفس الإنسان عن الحالة الطبيعية سواء بذاتها أو بأزيز الشياطين إلى الشهوات المحرمة سواء المنحرفة عن الشريعة الإسلامية: مثل الزنا والكِبر وكَنز المال، أو المنحرفة عن الطبيعة الإنسانية كلها: مثل اللواط.

فاللواط في هذه الصورة هو نوع من الشهوات التي يزينها الشيطان للنفس فتميل إلى ممارسته، كما تميل إلى الزنا أو السرقة أو المحرمات كافة؛ ولعله الصورة الأبشع من الانحراف لأنه يتخطى حواجز الإنسانية كافةً، مثله مثل أكل الخراءة وما إلى ذلك من قبيح المستقذرات التي تقع فيها النفس الإنسانية بإيعاز شيطاني.

٢) تحليل مصطلح الشذوذ.

أما إذا أتينا للفظ شاذ، فسنجده مرتبطا بمعيار تقليدي سطحي في الهيئة التالية:



ينقسم الإنسان نفسه في هذا الشكل إلى نوعين: طبيعي، وشاذ. يميل الطبيعي فيه الذكر إلى الأنثى والعكس، بغض النظر عن التقييم الديني للفعل، فمجرد الميل والممارسة كافيان للحكم بعدم الشذوذ ولو كانا في صورة زنا محارم أو غير ذلك، المهم هو النوع الذي يميل إليه الإنسان، فإن كان يميل لنوعه الجنسي صار شاذا وإن كان يميل للنوع الآخر صار طبيعيا، كما أن هناك صورا أخرى للشذوذ الجنسي مثل الممارسة مع الحيوانات.

أول ملاحظة في هذا التقسيم تناقضه الحتمي، فهو (علماني) من جهة عدم تأسيسه على النموذج الديني لتقسيم الأفعال الذي ذكرناه سابقا، إنما هو مبني على (حالة طبيعية) للإنسان، لكنه مع ذلك يضع أسسا ومبادئ للحالة الطبيعية تلك؛ فمن أين أتت؟! أليس من المجتمع؟! أيصح أن يكون مجتمع حضارة واحدة مثل الحضارة

الغربية الأوروبية تحديدا هو معيار تحديد الطبيعي والشاذ؟ لقد أجابت الأنثروبولوجيا على هذا منذ أكثر من نصف قرن: لا (٦٤)! هذا ميل إمبريالي مرفوض!

هذا كان مبدأ الخلل الأكبر في هذا التقسيم، أن تضع معيارا لتحديد الطبيعي والشاذ بناءً على القيم والأسس المجتمعية، لا بناءً على القيم والأسس الدينية.

وقد أوهنت الدراسات المجتمعية والأنثروبولوجية الثقافية المقارنة من فكرة المركزية الأوروبية الغربية في وضع معايير الصواب والخطأ، إضافة إلى رواج مفهوم النسبوية، والتعددية الثقافية. فتحججت اللوطيَّة بالآتي: من الذي زعم أن القيم والمعايير لمجتمع معين هي الصواب؟! أليست مجرد ثقافة مجتمعية تتغير بتغير الزمان والمكان؟ أليس ارتداء البنطال للنساء كان شذوذا في الثقافة الأوروبية قبل بضع قرون بل في أثناء عصر التنوير نفسه، ثم لما تغير الزمان تغيرت الثقافة وانتقل الشاذ إلى خانة الطبيعي؟!

إن اتفقنا على استبعاد الدين من البنية الاجتماعية والفكرية، وارتضينا أن الثقافات هي نتاج عقلي بشري بمؤثرات بيئية متنوعة، أليس من الخطأ الحكم على فعل ما بأنه شاذ مطلقا زمانا ومكانا؟!

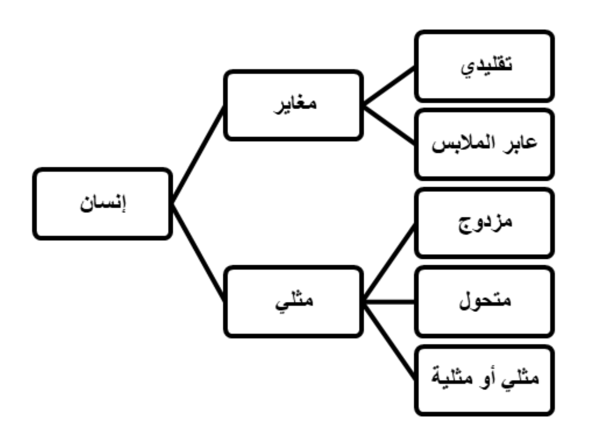
وإن تدبرت مبنى هذه الحجة ستجدها مؤسسة بصورة منطقية لا ريب! فهذا هو لزوم اللازم العلماني برفض التدخل الديني في وضع قيم ومعايير ثابتة للمجتمع بكافة مظاهره، وما غير ذلك وهم وتناقض!

أضف إلى ذلك أن مصطلح (الطبيعي) قد تبدل معناه خلال القرن الأخير بوضوح، فالحيوانات لم تعد (آخر) إنما أصبحت (نحن) لكن في صورة تطورية مختلفة، وعليه يكثر الاحتجاج بوجود اللواطة في الحيوانات، لإثبات أنه (فعل طبيعي) وليس شاذا. وقد يلزم توضيح تناغم الأيدولوجيا الخضراء، مع القضية اللوطية، فقد شُيِّدت فوق

أساس دحض مركزية الإنسان، وتسخيف نظرية التسخير (الأداتية) في التعامل مع الكائنات والطبيعة، وبالتالي لم يعد من المقبول النظر للإنسان باعتباره ذا طبيعة وجوهر أسمى وأرقى من الحيوان، فما وُجِد عند الحيوان هو (طبيعي)، ونطاق البحث عن الممارسات المقبولة لم يعد الحضارات الإنسانية وحدها، إنما الكائنات الحية كذلك، وستجد أن هذا المنظور أثر على القضية اللوطية منذ هافيلوك إيليس في مطلع القرن الماضي، كما سنوضح في فصل لاحق.

٣) تحليل مصطلح المثلية.

أما تحليل مصطلح (مثلي) الذي يروجونه، فيبدي جوهر الخلاف، ولنتأمل أولا الشكل التالي:



تحت النوع الإنساني يندرج في هذا النموذج صنفان من البشر: المثليون والمغايرون، ثم تندرج أنواع أخرى بلا نهاية محددة حتى الآن تحت هذين الصنفين.

لا يتضح حجم جاذبية هذا النموذج بالنسبة للدين العلماني إلا في هذا الشكل، ولأفَصِّل:

١- تلحظ أن الإنسان في هذا النموذج ينقسم لا إلى ذكر وأنثى (المعيار الجنسي) بل إلى نوعين يندرج تحت كل منهما ذكوره وإناثه، وهذا ملائم للأيدولوجيا النسوية التي هي أم الأيدولوجيا الجندرية، والتي ترفض في بعض صورها فكرة المعيارية الجنسية للتقسيم.

٢- تلحظ أن النوعين متوازيان وفي نفس المستوى الإنساني، بلا معيارية لأحدهما على الآخر، فلا يوجد نموذج (طبيعي) معياري كما رأينا في النموذجين الأولين، بل الحقيقة الإنسانية هي الحالة الطبيعية فقط لا غير، وعليه فقد تزلزت وطائد فكرة الشذوذ الراسية وتم اجتثاثها من أصولها، فحين نقول عن الشيء إنه شاذ فإننا نعلن محاكمته إلى مجموعة من القيم والمعايير للصورة الطبيعية، والليبرالية المعاصرة ترفض هذا، وهي، بالأحكام، دائمة التنديد = فكم مرة سمعت عبارة (Don t judge me)، التي عربوها الآن بصياغات مختلفة مثل: (أنت لست الله لتحكم عليه، أو: من عينك إلها لتحكم عليه بالجنة أو النار؟، أو: أنصبت نفسك إلها في الأرض لتحكم على فعله بالخطأ؟، أو: من أدراك أنك أنت الذي على حق؟)؟
إنك في نفس درجته الإنسانية، فلا أفضلية لك عليه ولو كنت أزهد وأتقى أهل الأرض وكان هو ألعنهم جهرا بالفواحش والمنكرات!

٣- تنبه كذلك إلى كون الميول الجنسية في هذا المعيار لم تعد طارئة نتاج شهوة، إنما أصبحت أصيلة في ذات النوع الإنساني، في جبلته وأصل خلقته؛ فالمغاير بداخله ميل للنوع الآخر وإن خرج عن ذلك كان مخالفا لحقيقة هويته وميوله وتصنيفه

الإنساني، و(المثلي) بداخله الميل للنوع ذاته وإن خرج عن ذلك كان مخالفا لحقيقة هويته وميوله وتصنيفه الإنساني، وسترى أثر ذلك في مبحث العلوم، وكيف يُقاتل اللوطيون من أجل إثبات جبليَّة اللوطية.

قارن هذا بالنموذجين السالف ذكرهما للوطي والشاذ، تجدهما يجعلان اللوطية أو الشذوذ حالة مخالفة للطبيعة سواء على هيئة طارئة شهوانية آثمة (اللواط) أو على هيئة ثابتة نسبيا لكنها مخالفة للهوية الجبلية الطبيعية وهي (الشذوذ).

على هذا الأساس ظهرت دعاوى طلب العدالة وعدم ظلم (المثليين!)؛ فميولهم في أصل جبلتهم ولن يستطيعوا التخلي عنها مثلها مثل ميولك المغايرة التي هي في أصل جبلتك، وأنت لن تستطيع أن تفهمها لأنك من (نوع) إنساني آخر، وكل ما عليك لا التسامح معه وقبوله كما هو، بل الترحاب به وتركه يستمتع بحياته ما دام لا يؤذيك! وقد اجتهدت الدعاية الغربية في تصوير (المثلية) مزركشة الألون مرتبطة بالحب والرقص والمرح حتى أطلقوا على اللوطيين: المرحون Gays!

فما يضيرك من هذا النوع الإنساني المرح الملون الضاحك المضحك؟

هذا مع ظهور اتجاه داخلي آخر في أيدولوجيا الجندر يرفض فكرة الميول الجبلية رأسا ويزعم أن الإنسان (محايد) جنسيا ويجب علينا ألا نتدخل في تحديد هوية الجنس الذي يجب أن يحبه!

لكي تفهم مقصود الأيدولوجيا من الاتجاهين أفصِّل لك: هم يقولون إنك إذا جعلت المعيار لون البشرة أو العرق = فستجد الأسود والأبيض والأصفر، يشتركون جميعا في الحقيقة الإنسانية ويختلفون ذكرانا وإناثا. أتقبل أن تجعل أصحاب البشرة البيضاء حكما ومعيارا للحالة الطبيعية للإنسان؟ لو صنعت هذا فأنت عنصري مجرم وهذا لا يقبله الدين الإسلامي بالتأكيد، بل الأصل هو المشترك الإنساني بين هذه الأعراق والألوان؛ وعليه فإنهم يلتزمون ذات الحجة مع التصنيفات المُخترعة

كتصنيف المثلي والمغاير، مساوين إياه للتصنيفات الثابتة بالمشاهدة (أسود وأبيض) و(عربي وأعجمي).

فإن قبلت بهذا التصنيف المُخترع فكيف تُفرِّق في الأحكام بينهم؟! ألست تُسلِّم بأن المساواة واجبة في حق الوجود والحرية وعدم جعل عرق ما معيارا وسيدا على الأعراق الأخرى؟ إذن ما الذي يجعلك تتوقف عند التصنيف لمثلي ومُغاير رفضا للمساواة؟! وفي هذا مغالطة، أناقشها بإيجاز.

دحض مغالطة زعم الكيل بمكيالين في المساواة.

تلك من أكثر الاتهامات استعمالا من جانب الحقوقيين والعلمانيين عموما، وللرد عليها أقول:

أولا: أنه لم يُسلِّم أحد بصحة هذا المعيار المخترع من جانب الجندريين، فلا نرضخ لزعم وجود إنسان (مثلي) أو (مغاير) حتما بالجبلة، ولا دليل علمي حقيقي على هذا، وسنعرض هذا قريبا.

ثانيا: أن التفرقة في الإسلام مُحرَّمة بين أنواع من البشر مخلوقة بالجبلة على صورتها تلك = إذ تحرم التفرقة مثلا على أساس الصفات الموروثة مثل اللون أو العرق أو السلالة؛ إنما تجب في الصفات المكتسبة غير المخلوقة في الجبلة، كالفارق بين المسلم والكافر، والفارق بين المؤمن والفاسق = وعليه فاستمراء الشهوات واستحلال المحرمات = من المكتسبات التي تمتنع فيها المساواة.

وهنا تظهر خطورة من يسلمون للوطيين تقسيمهم ذلك إلى مثلي ومُغاير، فهم يهدمون الحالة الطبيعية للإنسان ويحيلون الفطرة إلى لفظ بلا معنىً، إن الأمر ليس مجرد قبول لمصطلح فقط؛ إنما هو قبول لمنظومة فكرية كاملة يمثلها هذا المصطلح، والفشل الذريع مصير أي تغيير في هذه المنظومة تعديلا لدلالة المصطلح،

مثلما يصنع أولئك الذين يُسلمون بأن (المثلي) حقيقي ومخلوق بهذه الميول ومع ذلك يطلبون له (العلاج)!

أي علاج؟! أليس مجبولا على ذلك؟!

في نهاية هذا الجزء، أرجو أن يكون الله الموفِّق قد أرشدني إلى بيان خطورة المصطلحات وحجم فوارقها الدلالية، منبها إلى أن من سفه وتجاهل تلك المعركة هو هو الأخرق، وليس من حمَّى الوطيس؛ الذي علم وعمل على وجوب انتقال المُعجم اللوطي من عزلة العلمانيين إلى عوام المسلمين، وقد وِفِّق، بينما المسلمون في خصوم عرامةٍ غافلون!

قصاصات، للتأمل:

- (**ما اسمهمش شواذ اسمهم مثليين**، والمثلية الجنسية موجودة فى أكثر من ١٥٠٠ نوع وتوجه جنسى معترف بيه من أكبر المنظمات، زى منظمة الصحة العالمية، وجمعية علم النفس الأمريكية، والجمعية الطبية الأمريكية).

أحمد علاء، طالب الحقوق المصري، الذي رفع علم اللوطيين في حفل موسيقي لفرقة لوطية لبنانية معروفة في القاهرة، على صفحته في مواقع التواصل (٦٥).

- (**اسمهم مثليين يا متخلفين يا رجعيين مش شواذ!!** العمى ضرب هالأمه كل ما بالها لَورا).

مهى إغبارية، نسوية فلسطينية من عرب إسرائيل، على صفحتها بالتويتر (٦٦)

- (**قامت المنظمات والمهتمون بهذا الامر، بعد الدراسات السيكولوجية والبيولوجية والنفسية وغيرها، والحقائق التي اكتشفت واقرت من العلماء، بالاضافة إلى**

النمطية السلبية في تعبير الشذوذ الجنسي= باستخدام تعبير لغوي أكثر تعريفا بالمثلية في المجال العاطفي والجنسي كما في تعبير المثلية الجنسية.
إذا أردنا ان نعرف مدى انتشار التعبيرين لدى الناس سوف نجد ان تعبير الشذوذ هو الاكثر تدولا ومعرفة. طبعا في الشارع التعابير الأكثر تداولا هي ألفاظ أخرى الكثير منا يجدها مهينة عندما نوصف بها من المغايرين! طبعا هذه التعابير القصد منها إهانتنا. أساس الإساءة أو الإهانة في رأيي الشخصي هو معرفة المسيء بتأثير الكلمة السلبي على المتلقي؛ فالمسيء هنا يرى نفسه في مصدر القوة والمتلقي هو الضعيف).

لوطي عربي من السودان، على مدونته (٦٧).

خامسا: مقاربات إصلاح وتحييد اللغات.

تخوض الديانة اللوطية في الغرب معركة أخرى حاليا، على مستوى بنية اللغة ذاتها، سعيا لبناء لغة محايدة جندريا Gender neutral language؛ فاللوطيون يؤمنون بوجوب إنهاء الصورة الثنائية للجنس من المجتمع، ولما كانت اللغة مولدة التصورات كما ذكرنا، توجب لبناء تصور لا يحصر الوجود الإنساني في الذكر الطبيعي والأنثى الطبيعية فقط، أن تُصنع لغة لا تضيق هذا الوجود في نوعين، إما بحذف فكرة الجنس من اللغة ذاتها، وإما بتذويبها واستبدالها بفكرة النوع؛ وعليه اختُرِعت أدوات جديدة تخص كل الأنواع الاجتماعية!
وأصل تلك الفكرة أنهم لما كانوا يزعمون أن كافة اللغات بنات المجتمعات التقليدية الممتدة تاريخيا إلى قديم الزمان حيث البدائية = توجب على اللغات الحية أن تواكب

التطور الدائم في حقوق الإنسان، والتخلص من أكبر جُرم في تاريخ الإنسان: بناء المجتمعات على الثنائية الجندرية (ذكر وأنثى) وعلى شذوذ كل الأشكال الأخرى واضطهادها.

فيذكرون أن اللغة الإنجليزية على سبيل المثال - وكذا العربية والفرنسية وكل اللغات - بُنيت في عصور كان الرجل الذكر البالغ يُنظر إليه كمعيار للإنسان الصحيح الكامل، فالمرأة والطفل والشيخ والعاجز، الكُل يُقاس عليه، وهم جميعا عبارة عن (رجال ناقصين)! وكان اللوطيون وكافة الأصناف الجندرية الأخرى، مُضطهدين غير مُعترف بهم لُغويا إذ هم والعدم سواء.

فما الحل لتطوير اللغات وإنهاء عصور الظلام تلك؟

توجد مقاربتان تُستخدمان على التوازي: هما الاختزال والتوسعة؛ ولا يعني تناقض صورتيهما، أنهما لا تُستخدمان معا، فقد يُطالب البعض بالاختزال في جانب لُغوي، والتوسعة في جانب لُغوي آخر، وقد يحدث تبنٍّ لمقاربة واحدة فقط منهما.

أولا: المقاربة الاختزالية.

ويتحدث أنصار تلك المقاربة عن حذف كافة أشكال التمييز الجندري من اللغة، وإخراج لغة جديدة فيها اختزال للأشكال الثنائية وما شابه ذلك.

والأمثلة على ذلك التوجه:

- إصدار الحكومة الفرنسية في مطلع عام ٢٠١٩ قانونا يُلزِم المؤسسات التعليمية

بالإشارة إلى الوالدين باسم (الوالد ١) و (الوالد ٢)، مع حذف (النظام القديم) الذي

كان يصف الوالدين باسم: الأب والأم، وذاك -بحسب تصريحات المشرعين

الفرنسيين- من أجل إلغاء التمييز ضد اللوطيين، فنموذج (الأب والأم) الاجتماعي والأسري صار قديما لا يجوز الإبقاء عليه، بحسب عضوة برلمانية، وهو معادٍ للوطية، لأن الأسر الحديثة صارت تتكون من أمين أو أبوين أو غير ذلك‹٦٨›!

- واستهداف العديد من المنظمات المئات من المصطلحات التي تماثل policeman، الذي وُضِع في الإنجليزية للدلالة على فرد البوليس عامةً، والذي هو مثال واضح لسيطرة الذكورية على اللغة، والتي جاءت النسوية الأولى بضرورة جعلها قسيما لبوليس وومن/ امرأة بوليس. تستهدف الحركة اللوطية الآن ما هو أبعد من رفضها تحديد الجنس في نوعين فقط ذكر وأنثى (الثنائية الجنسية)، فتقترح حاليا وجوب إلغاء هذين الاسمين واستبدالهما بمصطلح بوليس أوفيسر (ضابط بوليس)[12] ‹٦٩›.

- وقد حذفت بعض المدارس الكندية الضميرين هو وهي (He and She) من أجل المصطلح الحديث زي xe ‹٧٠›! إن (هو وهي) مصطلحات تعتمد النُظُم القديمة بالطبع، وليست محايدة جندريا!

---

[12] مع الانتباه أن هذا المصطلح الإنجليزي مخالف للتعريب، فالتعريب لا يحوي تاء التأنيث وبالتالي فأصل اللفظ مذكر وهذا ما يقفز إلى ذهنك فورا، أما في الإنجليزية فاللفظ محايد لا جنس له، لا هو ذكر ولا هو أنثى ولا هو خنثى.

ثانيا: المقاربة التوسعية.

وهذه مقاربة تطلب تطوير اللغة بإضافة العشرات من الضمائر وغيرها، لا بإزالة الموجود واستبداله. انظر مثلا الصورة التالية، وفيها مقترح إحدى المؤسسات لصورة مبدأية لبعض الضمائر الجديدة:

1	2	3	4	5
e/ey	em	eir	eirs	eirself
he	him	his	his	himself
[name]	[name]	[name]'s	[name]'s	[name]'s self
per	per	pers	pers	perself
she	her	her	hers	herself
sie	sir	hir	hirs	hirself
they	them	their	theirs	themself
ve	ver	vis	vers	verself
zie	zim	zir	zirs	zirself

مصدر الصورة: موقع BBC ‹٧١›.

ولا يُمكن نسيان المشهد الساخر الشهير للنائب الألماني المحافظ (ستيفين كونيجر) في برلمان براندينبيرج، الذي رد على مُقترح يساري بإزالة التمييز اللغوي الجندري ضد اللوطيين، بمشهد سجله التلفاز وتداولته وسائل الإعلام العالمية: فقد صعد كونيجر وقال (سيداتي، وسادتي، واللوطيون، والمخنثون، وكذا، وكذا) فظل لدقائق يقوم بتعداد ستين مصطلحا تحيةً (للتنوع) ومنعا للتمييز والتعصب

الجندري القائم في الاكتفاء بمصطلحي (سيداتي وسادتي) ‹٧٢›! لقد استهزأ

كونيجر بصورة بسيطة وقاصمة في ذات الوقت!

سادسا: أبعاد المقاربات الجندرية على اللغة العربية.

ولنناقش الآن أثر ذلك على العربية لأن من المتوقع أن يشتعل في خلال سنوات قليلة، لولا أن يتداركنا الله برحمته.

أنت في العربية لا تستطيع مثلا استخدام اسم الإشارة (هذه) إضافة إلى لفظ الجلالة (الله)، بل لابد أن تقول: هذا الله. كذلك لا تستعمل الضمير الغائب المؤنث (هي) مع لفظ الجلالة بل لابد من استعمال (هو).

كي نفهم أبعاد ذلك الأمر، سنحلله بالمقاربة الجندرية: إن الإصرار على استخدام العوامل اللغوية المذكرة واعتبار العوامل المؤنثة إهانة، مع الاتفاق على أن الله لا يُقال عنه ذكر ولا أنثى (ليس له جنس)؛ يدل على مكانة الذكر في اللغة العربية التي بُنيَت في مجتمعات تعتبر التأنيث نقصا وإهانة وبالتالي يحظر على المسلم المطالب بمنع كل ما يومئ الى انتقاص في الذات الإلهية أن يستخدم أدوات وعوامل لغوية مؤنثة! فالصحيح إذن -من وجهة النظر النسوية- أن يُشار إلى الإله بالعوامل والأدوات الأنثوية، كما طالبت النسوية المصرية الكافرة نوال السعداوي (٧٣)، وكما تحدثت النائبة الأمريكية رشيدة طالب مؤخرا في قولها "لقد دعوت لها قائلة الحمد لكِ يا الله، فالله عندي أنثى"(٧٤) ؛ لكن الأيدولوجيا اللوطية الجندرية تتخلص من الأسلوب المناكف النسوي لترتفع إلى مستوى أعلى: المطالبة بوجوب صناعة أدوات وعوامل لغوية جديدة محايدة الجنس تماما!

وحتى إذا شرحت الأمر لهنَّ، وأوضحت أن الله هو خالق الذكر والأنثى، وأن استخدام الضمائر المذكرة لا تعني انتماؤه لجنس أي منهما، وإنما لأن اللغات لا تملك الأدوات التي تصف من ليس كمثله شيء، فتستحضر أسمى أدواتها في توصيفه، ولما كان

الله سبحانه قد فضَّل الذكور بالقوامة وبعض المميزات التي تثبت لجنسهم بالإطلاق درجة في الشؤون العامة والإدارة والمُلك، وقد علِمت الأمم كلها ذلك كابرا عن كابر = ارتأت العربية خطأ توصيف الله سبحانه بأدوات جنس لا يملك شؤون نفسه في المُطلق، جنس تابع لولي أو زوج. ولا يُخالِف مسلم أن الله ليس ذكرا ولا أنثى، وأن الإشارة إليه بضمائر المذكر اعتبارية لا حقيقية، ولا يُخالف كذلك أنه لا يجوز الإشارة له بغيرها، لانخفاض درجة الأنثى عن الذكر وتبعيتها، وانخفاض الدرجة اللغوية للتأنيث عن التذكير. حتى إن شرحت كل ذلك فسيزددن عِنادا واتهاما للغة بالانتقاص من الأنثى وتحقيرها، وتبني الإسلام ذلك، إن لم يجرؤ قائلهم ويقول: بل تبنى الله نفسه ذلك، فنسب نفسه إلى جنس الذكور! فإن انعكست المقاربات المتبعة في الغرب على مثل تلك الأفعال، سيُطالب النسويون واللوطيون بإضافة ضمير جديد يصف الإله، مُحايد جندريا، وإزالة كافة الضمائر القديمة من الخطاب العربي والإسلامي، مع الاصطدام الحتمي بالقرآن والسنة، الذي قد يتأولون وجود الخطاب الإلهي فيهما بالصيغ المذكرة، أنه كان مُنزَّلا لمجتمعات بدائية فخاطبهم بما يفقهون!

كما توجد محاولات عربية ملحوظة في بعض الكتابات، يستخدمها الكثيرون دون وعي، بما يخالف أسلوب نظم العربية المعتاد، كأن تجد أحدهم يكتب هكذا: (هم/ هن يسعون للذهاب) فيجمع الكاتب بين الضميرين مع أن الصحيح أن الضمير المذكر شامل ومُغنٍ عن وجوب الكتابة بهذه الصورة العجيبة إلا لعلة تستلزم وجوب إظهار وجود النساء في الجمع الذاهب. كذلك تجد البعض الآخر يُلزم نفسه ذكر الجنسين حيادا في كتابته بمثل ذلك الشكل (إن رأيته/ها فلابد أن تعلم/مي أن ذاك من توفيق الله)! ولا يخفى على متابع للكتابات الحالية المعاصرة انتشار هذا النمط بين الشباب، حتى رأيت شاعرا وأديبا فصيحا من أهل العربية يستخدمه مضحيا

بتشوه كتابته = سعيا لهذا الحياد! إن ذاك هو أول طرائق تعديل اللغة، ولعلك قد أدركت الآن لم يعملون على هذا الحياد أصلا!

إن انتشار ذلك النمط في الكتابة -وهو نمط أعجمي عن العربية- يُعدُّ من نجاحات النسوية في الاختراق وهو مُنبئ بكل سوء، خاصةً حينما تشهد تسلله إلى الأدباء والكتاب الإسلاميين، إذ أن عدم وعي أولئك بخلفية تلك التغيُّرات اللغوية، مُخيفٌ، خاصة إن لم يظهر خطاب مسلم موضِّح لأبعاد تلك المعركة على اللغات وآثارها، فينتشر بين الجميع ليهلك من هلك عن بينة وعن رضىً ومتابعةً واضحة لدين المؤتفكات والنسويات، ويجتنب الهَلكة المؤمنون. وأرجو من الله أن يكون ذلك المبحث نقطة بداية.

في نهاية هذا البحث أسأل نفسي والقارئ: أنشهد تغييرا بنيويا على المستوى اللغوي العربي أبعد من ذلك، تحت مسميات التحديث والتقدم ونبذ المدارس الكلاسيكية التقليدية التراثية؟

أينتبه اللغويون إلى مساعي دعوى (تحييد اللغة) تلك، فيوكزون من يقع في حبائل التقليد نائما؟ أنراهم مشمرين وقوفا متحفزين لحراسة العربية من ذاك الاجتياح اللوطي كما صنعت الأكاديمية الفرنسية، المسؤولة عن اللغة في بلادها، حينما وصفت تلك الأفعال بالقاتلة للغة، والانحراف غير المقبول (٥٤)؟

أم يشتملهم التراخي فلا يستفيقون إلا بعد سنوات قليلة على كابوس الانفصال التام بين لغتهم ولغة الأجيال الجديدة؟

أينتظرون اختلاج المذبوح الآيس أم ينتفضون كالليوث حمايةً للغة القرآن؟

أنكِرٌّ عليهم بحملة مضادة لنشر مصطلحات اللوطية والتخنث، التي استخدمها السلف كابرا عن كابر، مع مصطلحات مشتقة منها لا غير، أم نستسلم في تلك المعركة أمام طوفان الاجتياح اللوطي، فنقول (مثلية) كما يطالبون؟

إن لفظ الشذوذ الجنسي لم يعد ذو معنىً، وقد ينقرض مجتمعيا مع الوقت، فإما أن ينتهض لله حزب من المؤمنين لا يخاف إلا إياه، فينشر المصطلحات التراثية والشرعية التي تغيظ الكفار والمرتدين، وتقض مضاجعهم، وتجعلهم كالحُمُر المُستنفرة، أو يتخنث الجميع فيُردد مصطلحاتهم، ويخاطبهم بلغتهم، ثم لا يقضوا منه وطرهم إلا وهو ذليل، يوصف بالشذوذ!

ألم يأتك نبأ مرض الخوف من اللوطية (الهوموفوبيا)؟ أنت الآن المريض الشاذ! أنت الآن المُعرض للمحاكمة والسجن إن لم تتُب من شذوذك ومرضك ذاك، سجن قد

يصل إلى ثلاث سنوات في سويسرا أيها الغافل (٧٥)!

إننا إن لم نفرض مصطلحاتنا، سيوشك نموذج الإسلام لمبنى اللغة على الانقراض، وواجبنا أن نكون محمية الله في أرضه، إبقاءً للفطرة الإنسانية السليمة، إلى أن يأذن الله فيندثر دين الباطل، ويُدفن مرة أخرى، بعد زمن طال أو قصر. فاحفظ الإنسانية بحفظ مباني اللغة وسلامتها في وجه طوفان اللوطية والسفول.



ابتغاء العادين

الفصل الثالث: الشريعة واللوطية.

ليس عجيبا عدم لقياك في قصص وأخبار العلمانيين مع الشريعة إلا كل خزي وشنار، ولم تكن قضية اللوطية إلا حلقة جديدة في سلسلة الحقد والشناءة! ولا أوجب على المسلمين من فضح ظاهر أولئك، وباطن ما في حديثهم، الكاشحين، من سم ناقع.

وقد يكون من سُخف القول في فصلنا هذا أن نتباحث نهيق القائلين بأن الشرع لم يأت بتحريم اللواط بأنواعه، ذاك أن الإنسان لن يغلب الحمار صوتًا! ألا ترى أنك تُسفِّه باذل وسعه ومستفرغ إطاقه، في جدال شر الدواب، وإقناعهم بلهو الصبيان من الحسابات والعقليات؟ ومن يُعاب حينئذٍ إلا مضيع وقته بتفهيم البهيم؟ ستظل البغال بغالا، وسيظل الأناس أناسا، وأنا لا أرضى لنفسي ولمسلم أن يناقش تلك الرُّذالات، مثل أن اللوطية النسوية لم يأتِ في شأنها تحريم، وغاب عن ذكرها النص، وأن الفاحشة التي تدنس بها قوم لوط هي الاغتصاب، لا اللواطة بتراضٍ!

وكيف لا يُسمون بغالا، وقد قالوا هم ذاتهم أن اللوطية واحدة، وأن (مثلية النساء) هي هي (مثلية الرجال)، ولا مُفرِّق؛ فالفعلان هما حبّ ذات الجنس والميل إليه، والنفور عن الجنس الآخر؟!

أبعدما قالوا ذلك، يزعمون أن (مثلية) الرجال هي المُحرَّمة نصًّا، و(مثلية) النساء غير مُحرَّمة! كيف يُحرِّم الله ذات الفعل من الرجل، ويرضاه من الأنثى؟ ألستم القائلين بعدم الفارق؟

فالخوض في أمثال تلك النقاشات هذر وخطل، نترفع عنه، ويشمئز منه ذوو الألباب، أما السفهاء فلن يرضيهم رد الأسوياء، ولا اعتبار لهم!

لذا نقتصر هنا على مناقشة أسئلة العقلاء، ملتزمين مذاهب أهل السنة المستحسنة، وطرائقهم المحمودة، ونؤكد أن فيها شفاء الغليل، ونزع سُخمة التائه الحائر، بنظرية كاملة لشهوات الإنسان وصورتها، وتأطير قوانين علاج تلك الأضاليل.

وسألتزم لا بعرض خلاصة المذاهب وحدها، ومُختصر المباحث والأقوال، بل أرفد القارئ ببعض النصوص التي جئت منها بقولي، يقرؤها بلسانه، ليستخرج بتعمقه فوق ما استخلصت، وليقيني أن الاطلاع على العبارة الأصلية يُوقف الأذكياء على طرائق للفقهاء ودقائق؛ قد لا يستوعبها الناقل.

ولم ألتزم عرض كافة المذاهب لكل رأي، لتفاوتها في شمول المسائل وتشعبها وإحاطتها، فبعضها يوسع النقاش والمسائل وبعضها يُضيِّق، كما هو معروف لدارسي الفقه المقارن، وكم من كتاب فقهي عمدة في مذهب، تقرؤه ولا تكاد تجد فيه حرفاً عن لوطية النساء، لوضوح حرمتها وعدم ذيوعها.

وليغفر لي القارئ تقصيري، فإن ظهر مني ضعف في موضع، فليسامحني، وليعلم أني بذلت وسعي، وإن كنت على يقين أن مبحث اللوطية سيُتناوَل خلال السنوات القادمة في المئين من الكتب، وسيُفحص كل حرف ويُسبر كل نَقطٍ وشكل في كتب الفقهاء، ما قد يُغني القارئ عن مبحثي هذا في زمن قريب! فإلى أن يتم ذلك، أرجو أن يستعين القارئ بما فيه.

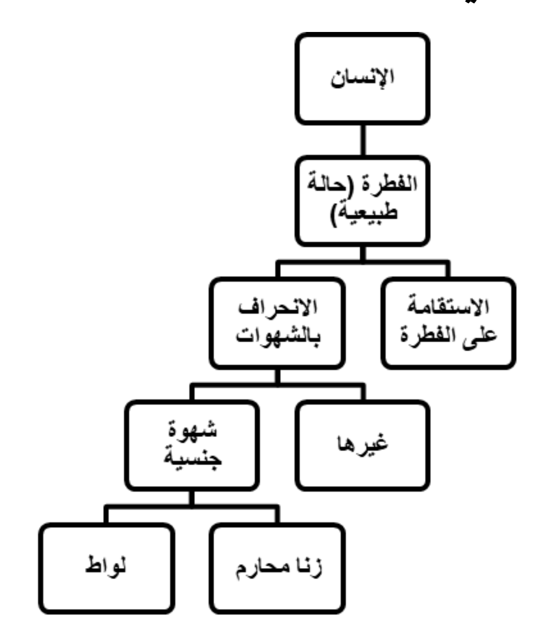
أولا: جبليَّة اللوطية.

نستهدف في مفتتح بحثنا إجابة سؤال يُتداول كثيرا تلك الأيام، وصورته: أتكون اللوطية مُركَّبة في بعض الناس، كما يزعم اللوطيون المعاصرون؟ يحتاج هذا إلى تحرير.

أولا: رأي أهل الشريعة في الجبلية.

اتفق أهل الشرع على مخالفة اللوطية لأصل الفطرة والخلقة الإنسانية، وعلى أن الإنسان قد يُبتلى بشهوة نحو فرد أو ميل لفعل، بزينة الشيطان إياه، فيتخبط قلبه بين جنباته مُعذَّبًا = فيُطلَب منه الصبر ومقاومة هذا البلاء العظيم، لكن لا يُسلَّم له أي زعم وراء ذلك.

وفي الشكل الذي رسمته في بحث اللغة الغناء، فأكرره موجزا:



ويتجلى رأي الفقهاء بين ثنايا النقاش الذي دار بين بعضهم، حول مسألتين، أولها: إمكان أن تكون اللوطية بالطبع، أي بالجبلة؟ والثانية: إمكان وجود اللواط في الجنة؟

يقول أبو يوسف: "الميل إلى الذكور عاهة وهو قبيح في نفسه؛ لأنه محل لم يخلق للوطء ولهذا لم يُبَح في شريعة، بخلاف الخمر، وهو مخرج الحدث، والجنة نُزِّهت عن العاهات" (٧٦).

ويقول الأكمل الحنفي: اللواطة محرمة عقلا وشرعا وطبعا بخلاف الزنا، وأنه ليس بحرام طبعا[13]، فكانت أشد حرمة منه، وإنما لم يُوجِب الحد أبو حنيفة فيها لعدم الدليل عليه، لا لخفتها، وتغليظا على الفاعل؛ لأن الحد مُطهِّر، على قول بعض العلماء.

وفي سؤال: أتكون اللواطة في الجنة؟

أُجيب:

"إن كان حرمتها عقلا وسمعا = لا تكون في الجنة.

وإن كان سمعا فقط = جاز أن تكون.

والصحيح أنها لا تكون فيها = لأنه تعالى استبعده واستقبحه فقال: (**ما سبقكم بها من أحد من العالمين**) وسماه خبيثة في قوله (**كانت تعمل الخبائث**)، والجنة منزهة عن الخبائث" (٧٦).

وعند الخلوتي: "اللواط قبيح عقلا، كما هو قبيح شرعا وطبعا، فلذا كان أقبح من الزنى = لعدم قبحه طبعا. وحكم هذا النوع عدم الشرعية أصلا" (٧٧).

وجاء في المبسوط:

"الحد مشروع زجرا.

وطبع كل واحد من الفاعلين = يدعو إلى الفعل في القبل.

[13] أي الزنا، فهو ليس محرما بالطبع والجبلة، إذ أنه ممارسة جنس بين ذكر وأنثى، فلا ينفر الطبع عنه حين ينفر، لذاته، بل لما يقترن به وهو الإضافة لفاعل مُحرَّم تغليظًا كالأمات والأخوات.

وإذا آل الأمر إلى الدبر = كان المفعول به ممتنعا من ذلك بطبعه، فيتمكن النقصان في دعاء الطبع إليه" (٧٨).

ثانيا: مناقشة قول أهل الشريعة في الجبليَّة.

توجد أدلة لا يعزب عن قارئ القرآن درك سبب اجتماع رأي أئمة المسلمين إن تدبرها:

- فكيف تكون مُركَّبة في أصل جبلة بعض البشر، أي مطبوعة فيهم، ومع ذلك نصَّ رب العالمين أن قوم لوط كانوا أول المجترئين على فعلها؟ قال الله سبحانه حكاية عن نبيه (**ما سبقكم بها أحد من أحد من العالمين**).

ولا يُعترض باحتمال حكاية قول لوط؛ إذ أنه مُرسل مُنزَّه عن خطأ مثل تلك الحجة، وحتى إن أخطأ؛ ما كان الله سبحانه ليوردها عنه تقريرا.

فالآية دالة على أن ذاك الميل لم يُركَّب في أصل خلقة البشر، وما كانت بدعة اللوطي إلا خُلفا للفطرة الإنسانية المشتركة، وليس ذلك بالغريب = ألم تر كيف ذاع لعق موضع الخراءة في بعض سفلة البشر والغربيين، رغم نفور الإنسانية عن ذلك الفعل الشنيع؟! إن ابتداع نواقض الفطر ليس حِكرًا على اللوطيين وحدهم، ولا يُسلَّم لهم بعدم الناقض لمجرد استحسان زمرة من البشر إياه.

لقد ركَّب الله سبحانه فينا الفطر السليمة المشتركة، ولا يصح لإنسان أن يزعم أن شطحاته وفعاله المُنكَرة إنسانيا، والتي أجمع على استبشاعها البشر إلا من ندَّ وضل = تُلزمنا القول بأن هناك شطرا من الإنسانية مجبول عليها!

- ثم أنها لو كانت مُركَّبة مطبوعة، ما انحصر تفشيها في قوم معينين، قوم لوط وحدهم، ولم تكن حينئذ في موضع آخر = فظهر أن ذيوعها واستعلاءها لا يكون إلا بتبني المجتمع إياها سواء بالتقريظ والمحاباة أو بالمياسرة والملاينة، وذاك كله بترويج الشيطان لها كمبهج حسي مُحرَّم غير عادي، والإنسان مجبول على تنازع

نفسه الإيمان وعلى الكفر في آن، قال الله سبحانه عن النفس: (فألهمها فجورها وتقواها).

ألم تر تلذذ جموع الضالين العامدين كسرهم القوانين والشرائع الإلهية والطبيعية؟ وهو باب واسع يعرفه ويتيقن من صحة قولنا فيه، صُنَّاع الإباحية محققهم الله، إذ يعلمون أن أفلام جماع المحارم، كالأب مع ابنته، أو الابن مع أمه أو أخته = تلقى رواجا كبيرا، كونها تُشبع شهوة التلذذ بالإباحية المُحرّمة، وكلما زادت الإباحية تحريما وشناعةً، زاد ميل النفوس المريضة إليها!

- **إذن المُركَّب المتهم ليس نزعة لوطية مختصة ببشر دون بشر، بل نزعة شهوانية إباحية تعشق هتك أستار المحرمات المجتمعية والدينية، ويتسلل بها الشيطان لغواية بني آدم، وحث أصحابها على النهل من المحرم قدر الوسع، وكلما شعر الشخص بالندم، كلما زادت الشهوة تزيُّنًا في عينيه، وتعلَّق قلبه بفعلها، حتى يظن أنه مفطور عليها، مخلوق بها! ولعله يوجد لنفسه مسعىً لتخفيف الإثم، بإقناع عقله أنه مجبول مظلوم معذور!**

- **ولو كانت مُركبة في قوم لوط، ما عاقبهم الله سبحانه عليها، وإلا كان سبحانه عاديا باغيا، حاشاه العادل الرحيم؛ إذ كيف يعاقبهم عقابا عظيما لم يُسبق به أحد من العالمين، وهم مفطورون على ما نهاهم عنه ووبخهم أن فكروا فيه؟**

ولا يُقال إن ذلك من جنس الفطرة على حب الجماع، إذ أن الله سبحانه فطرنا عليه، ثم حرمه إلا على أصناف معينة وبأشراط محددة؛ فقد وُجِّه حب الجنس إلى مصارف شتى، وقُيِّد بما يضبط المجتمع، ولم ينه عنه مطلقا، ولم يزجر فاعله الملتزم بما يوافق الفطرة. أما من خالف، فاستخدم حب الجنس وسيلة للإفساد في الأرض والإتيان بما يناقض فطرة ميل الذكر إلى الأنث؛ فذميم خبيث، وبخه الله، إذ لا تُناقِض فطرةٌ فطرةً أخرى، إنما تنتظم معها في سلك الدر، وتُعلَّق على جيد الإنسان

وقاية لقلبه ونظما لشهواته. بينما اللوطي الراضي بلوطيته نقض فطرة الجنس، بفطرة الميل للنوع الآخر، فقطَّع العقد ونثره، وانحلت شهواته ورانت على قلبه، لذا لعنه الله وخطَّأه وقبح فعاله، وهذا هو معنى كلام الفقهاء في غلظ اللوطية عن الزنا. فاللوطية غير مُركَّبة، ولا مطبوعة، ولا يوجد إنسان يُخلق أنثى في جسد رجل، ولا رجل في جسد أنثى، كما يقول اللوطيون = بل كل إنسان خُلِق خِلقةً كاملة، وأنعم الله عليه بما يُسر له، أما ما ابتُلي به البعض من شُوهَةٍ، وهو الخنثى، فهو من جملة ابتلاء الله سبحانه للإنسان، كما يُخلق البعض بلا فم، أو بلا أطراف، أو بلا حواس؛ بل مصاب أولئك أنكى وأشد من الخنثى! وسنتعرض للنقاش عنه بعد هنيهة.

فرأي السُّنة مُجمِع على قبح اللوطية، وكيف لا يكون، وهي التي لم تُستحسن بذاتها في كل الشرائع والملل الربانية؟ كيف وهي التي لم تُعالج في كافة شرائع الله إلا بالعقاب الأليم؟

ودونك رأي بني إسرائيل ومتقدمي النصارى ممن اتبعوهم، إن لم ترتضِ رأي المسلمين!

وذاك من أمتن الحجج على من يقولون بعدم القبح الذاتي للفِعال، وأنها تستمد قبحها من سياقها، على ما في ذلك من نقاش عقدي وكلامي واسع؛ فاللوطية فعل قبيح بذاته، لم يُخالف في ذلك أحد، ثم استنكروا رأي القلة التي قالت بإمكان وجوده في الجنة، لخُبثه بنفسه.

فكيف يُركِّب الله سبحانه في أنفس بعض البشر ميلا قدريا، لا فكاك منه، لفعل قبيح خبيث بذاته، وينزع منهم الميل للجنس الآخر، الذي أمره بالميل إليه؟!

ونحن إذ نقول بقول السُّنة أن ليست اللوطية مُركَّبة في أحد؛ إلا أننا إن تنزلنا وسلمنا لهم أنها مُركَّبة في البعض؛ فلا يعني ذلك جبليتها وطبيعيتها؛ بل تكون من نوع البلاء الفردي الذي يؤمر بالصبر عليه، كالخنثى المُشكِل، ويؤجر على صبره في

الآخرة. وإن كان هذا الفرض واهٍ، ليس عليه دليل شرعي، ولا علمي بيولوجي، فلا يصرفن أحد نُهمته إلى البحث في تلك الفلاة، فلن يجد فيه ريًّا لعيمان!

ثانيا: أحكام اللوطية.

أولا: حكم استباحة اللياطة.

من أباح فاحشة مجمع عليها = كفر بالله.

فكل من رأى أن اللوطيين رجالهم ونسائهم ليسوا مستحقين للعقاب، والزجر، واللعن، وآمن بأحقيتهم في فعالهم، ولو لم يكن من اللائطين = فقد كفر بالله سبحانه.

ولا يدخل في ذلك من رأى أنهم يستحقون الشفقة والعلاج، أو حتى من توقف وآمن بإمكان الجبليَّة، على ابتداع منه في قوله ذلك = ما دام لا يُنازع في الإيمان بحرمة الفعل، ووجوب عقاب فاعليه.

وإجماع الفقهاء على كفر من أباح الفواحش والمحرمات والخبائث، مما يعلمه ناشئة طلاب العلم، وينسب المبحث إلى الحشو إن استفضت في الاستدلال عليه من كتبهم، بل إنك ترى في العوام من ينفعل عند رؤيته اللاطة المجاهرين بإباحته قائلا: هذا كفر! فإن كان تكفير العامي غير معتبر، إلا أن بعض أصول الشريعة، ومنها تكفير مبيح الفواحش والمحرمات، أقرب لفهم وعقل كل إنسان، وإن لم يحظ بالعلم والفقه!

وهذا أصل كبير في زماننا، فالبعض يحسب أن الواقع في اللوطية كافر في كل حال، وأن من لم يقع فيه؛ لا شيء عليه وليس لوطيا = فتوجَّب التذكير بأن فاعل اللوطية كافر فقط إن استباحه، قال السرخسي: "من استحل ذلك الفعل، فإنه

يصير مرتدا = فيُقتل لذلك" (٧٨). فإذا كان قد آمن بحرمته، ولم يستبحه = فهو

مسلم مرتكب لكبيرة، نرجو له التوبة والمغفرة متى انتهى واستقام، أما المبيح للوطية، فهو كافر للإباحة، لا للوطية = فمناط تكفيره إباحته المحرم، لا اللياطة بذاتها، فلو أباح الخمر كان حكمه هو هو.

وكم تتألم قلوبنا حينما نرى الألوف من شباب المسلمين وفتيانهم وكبارهم، يقعون في الردة ليلا نهارا، بتأييدهم اللوطية، وحق اللاطة نساءً ورجالاً في الحياة والعلاقة، وسخريتهم من الشريعة، وإعراضهم عن الأدلة المتناثرة في كل شق على الإنترنت! وما كان ذلك إلا جهلا بفداحة صنيعهم؛ إذ يحسبون أنفسهم في مأمن، ما داموا هم ذاتهم ليسوا من اللائطين!

وكم من لائط، لم يخرج من الإسلام، بتسليمه للحرمة، وكم من صوَّام قوَّام، وعابدة زاهدة، قد خرجوا عنه منذ دهور برفضهم التحريم!

ثانيا: حكم اللياطة غير المُستبيحة.

اجتمع فقهاء الأمة في تلك المسألة على أمور، وانقسموا في أخرى، يحسن بنا أن نستعرضها مجملة قبل التفصيل:

١) أجمعوا ألا تُساوى اللوطية الذكرية باللوطية النسوية، فحد الأولى أو تعزيرها أشد وأنكى.

٢) وأجمعوا أن لوطية النساء لا حد فيها، وكذا فعل اللوطي بصاحبه فيما دون الإدخال، وإنما الحد حكم كل ما فيه إيلاج ذكر حي.

٣) وانقسموا فيما إذا كان العقاب للوطية الذكور حدا أو تعزيرا.

٤) وانقسموا في صورة الحد، وكيفية قتل الفاعلين.

هذا الإجمال، أما تفصيل المذاهب فعلى النحو الآتي:

المذهب الأول: حكم الصحابة.

اتفق الصحابة على قتل اللوطيَّين المُحصنين، وخالف عليّ رضي الله عنه في غير المحصن، فحَدَّ اللوطيَّ حد الزنا.

وخلاصة أحكامهم (٧٨):

○ حُكم أبي بكر الصديق رضي الله عنه: يُحرقان بالنار، الفاعل والمفعول، بلا نظر إلى حال الإحصان، وقد أمر بتنفيذ هذا الحكم في السبعة الذين وُجدوا على اللواط.

○ حُكم عليّ رضي الله عنه: يُجلد اللوطيان في عدم الإحصان، ويُرجمان في الإحصان.

○ حُكم ابن عباس رضي الله عنه: يُصعد باللوطيين إلى أعلى بناء في القرية، فيلقيان من حالق منكوسين، ويُتبعان رجما بالحجارة إلى الموت. وغرض تلك الصورة محاكاة عذاب أسلافهم قوم لوط.

○ حُكم ابن الزبير: يُحبسان في أنتن موضع، حتى يموتان في نتنهما.

ولم يأتِ أثر لهم عن اللوطية النسوية، والظاهر عدم تصورهم إياها من الأصل، إذ أن لوطية الذكران ذاتها كانت من الغرائب عند العرب؛ فكيف بلوطية النسوة؟

المذهب الثاني: حكم الأحناف.

أولا: حكم اللوطية الذكرية.

انقسموا في لوطية الذكور بين رأيين.

الرأي الأول: مذهب الإمام أبي حنيفة.

وهو أن حكم فاعلي اللوطية التعزير لا الحد.

لم؟ يرى أبو حنيفة رحمه الله أن اللوطية لا ترادف الزنا ولا تدخل في معناه، كما أن الصحابة أمروا بقتل اللاطة بطرق مختلفة، ولو كان داخلا في معنى الزنا لما اجتهدوا في تحديد طريقة العقاب.

وعليه رفض أن يكون عقاب اللوطي حدا، وقال: بل يُعاقَب تعزيرا، وما زاد عن ذلك من عقاب فموكول التقدير للإمام سياسةً، فإن شاء قتله، إن اعتاد على ذلك، وإن شاء اكتفى بضربه وحبسه.

واختُلِف بعد ذلك في قدر التعزير للوطي؛ فقال بعض الأحناف بمذاهب الصحابة مثل حرق اللوطي، أو هدم جدار عليه، أو قذفه من شاهق متبوعا بالأحجار؛ وقالوا: عند أبي حنيفة يُعزَّر بمثل هذا.

وقال البعض الآخر: بل يُجلد اللوطي أو يُحبس حتى الموت أو التوبة.

ثم أطبقوا أن فاعل اللواط إن اعتاده = قتله الإمام، ويكون ثبوت الاعتياد بالمرة الثانية.

نقل الحصكفي عن التعزير: (بنحو الإحراق بالنار وهدم الجدار والتنكيس من محل مرتفع باتباع الأحجار. وفي الحاوي: والجلد أصح، وفي الفتح: يعزر ويسجن حتى يموت أو يتوب، ولو اعتاد اللواطة قتله الإمام سياسة) (٧٦). وعلق ابن عابدين: (في حكم اللواطة: قوله بنحو الإحراق، إلخ = متعلق بقوله يعزر. فعند أبي حنيفة يعزر

بأمثال هذه الأمور.. والرأي إلى الإمام فيما إذا اعتاد ذلك، إن شاء قتله، وإن شاء ضربه وحبسه.

ولا يحد عند الإمام إلا إذا تكرر فيقتل على المفتى به.. والظاهر أنه يقتل في المرة الثانية لصدق التكرار عليه.. ثم ظاهر عبارة الشارح أنه يعزر بالإحراق ونحوه ولو في عبده ونحوه.. (قوله والتنكيس إلخ) قال في الفتح: وكان مأخذ هذا أن قوم لوط أهلكوا بذلك حيث حملت قراهم ونكست بهم، ولا شك في اتباع الهدم بهم وهم نازلون.. وتكلموا في هذا التعزير من الجلد ورميه من أعلى موضع وحبسه في أنتن بقعة وغير ذلك سوى الإخصاء والجب والجلد) (٧٦) [بتصرف يسير من ابن عابدين]. ونقل ابن نجيم أنه يودع في السجن.. حتى يموت أو يتوب، ولو اعتاد اللواطة قتله الإمام محصنا كان أو غير محصن، سياسة (٧٩).

الرأي الثاني: مذهب الإمامين أبي يوسف والشيباني.

وقد خالفا الإمام أبا حنيفة فيما استنتجه من فعل الصحابة، قالا قد أجمع الصحابة على قتل اللوطي، واختلفوا فقط في طريقة القتل؛ فكيف يُكتفى بالتعزير وحده، ويُتأوَّل لقضاء الصحابة بأنه لم يكُن حدًّا؟

وعليه قالا بأن اللوطية داخلة تحت معنى الزنا في كون المُحصن يستحق الرجم وغير المحصن يُجلد ويُغرَّب. فهو "عندهما كالزنا في الحكم فيجلد جلدا إن لم يكن أحصن، ورجما إن أحصن" (٧٦). وقد "قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى: اتفقت الصحابة، رضي الله عنهم، أنه لا يسلم لهما أنفسهما، وإنما اختلفوا في كيفية تغليظ عقوبتهما فأخذنا بقولهم فيما اتفقوا عليه ورجحنا قول علي، رضي الله عنه،

بما يوجب عليهم من الحد" (٧٨) والحد الذي قال به عليّ رضي الله عنه هو الجلد لغير المحصنين، والرجم للمحصنين.

وقد أحسن ابن أبي العز الحنفي رحمه الله، في رده على رأي بعض الأحناف القائلين بأن الحد خص الزنا لأن خطورته أكبر من اللواط، فالزنا يتسبب في خلط الأنساب، وليس كذلك في اللواط. يقول: "إنه إن لم يكن في معنى الزنا من هذا الوجه ففيه خصال من القبح تربو على الزنا من وجوه، منها أن بعض الفسقة يستغني به عن النساء بل يفضله على إتيان النساء مخافة من مجيء الولد، فيفوت بسبب ذلك التناسل المطلوب من التناكح ويفوت التحصين المطلوب منه أيضًا فيفضي إلى استغناء المرأة بالمرأة كما استغنى الرجل بالرجل.

ومنها أن الداعي لما لم يكن في اللواط من الجانبين، فقد يفضي إلى أن المفعول به يعمل على قتل الفاعل، وينشأ من قتله إياه التقاتل والعداوة والبغضاء الذي هو أردى وجوه الفساد، لأنه لما لم يكن له داع إلى الفعل؛ فمطاوعته له إما لما يعطيه من السُّحت، أو لخوفه منه، أو نحو ذلك = فكان هذا الفعل أولى بشرع الزاجر من الزنا.

ومنها: أن النفوس الخبيثة، المتعدية حدود الله، أقوى الدواعي إلى ذلك = فالحد فيه أولى من الحد في الزنا، وهذا يُعلم من أشعارهم، فإن فيها ما يدل على ما انطوت عليه ضمائرهم الفاسدة من تفضيلهم إياه على الوطء في القبل. ولهذا رأى كثير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن حده الرجم مطلقًا، بل أكثرهم على ذلك.

ومنها: أن تلك النطفة الخبيثة إذا حصلت عند المفعول به فسدت وغيرت طباعه إن لم يتداركه الله برحمته، وإلا فسد فسادًا لا يرجى بعده له صلاح، ولهذا يقال: لا يشتري هذه البضاعة إلا من باعها، أي من فعل به في حال صغره فعل هو بغيره في حال كبره، ومال بطبعه إلى ذلك الفعل القبيح" (٨٠).

ثانيا: حكم اللوطية النسوية.

وحكم لوطية النساء هو التعزير، لكن اتساع معنى التعزير عند الأحناف قد يُدخل فيه ما لا يُدخِله غيره من المذاهب، أيُمكن للإمام أن يقتل لاطة النساء تعزيرا أو سياسة، إن رأى فُحش شرِّهن؟ فليُبحث ذلك على الأصول الحنفية من أحناف الفقهاء المعاصرين المعتبرين المتجردين، ممن لا يلهجون بالغرب ولا يولعون بسائد معتقد زمانهم الخرِب، بصفاتهم المذكورة في نهاية المبحث.

المذهب الثالث: حكم المالكية.

أولا: حكم اللوطية الذكرية.

قالوا برجم اللوطي البالغ غير المُكرَه فاعلا كان أو مفعولا، محصنًا أو غير مُحصن. يقول الحطاب الرُّعيني: "اللائط حكمه الرجم مطلقا سواء كان محصنا أو غير محصن فإن كانا بالغين رجما معا، وإن كانا غير بالغين فلا رجم عليهما. وإن كان الفاعل بالغا والمفعول به غير بالغ فليُرجَم الفاعل، وإن كان الفاعل غير بالغ والمفعول به بالغا فلا يُرجَم الفاعل، وانظر حكم المفعول به.. قال الجزولي.. الظاهر أنه لا يرجم لأن وطء غير البالغ كلا وطء" (٨١).

ويقول الزرقاني: "لائط وملوط به؛ فيرجمان مطلقاً أحصنا أم لا.. ولا يدخل في الإطلاق بالغين أو غير بالغين، طائعين أو مكرهين = لأنه يشترط في رجم الفاعل كونه مكلفاً، وفي رجم المفعول تكليفه وطوعه، وكون واطئه بالغًا وإلا لم يرجم المفعول وإنما يؤدب غير المكرَه أدبًا شديدًا" (٨٢).

ويقول الدردير: "وإن كان وطء المكلف المسلم فرج الآدمي لواطا، أي إدخاله الحشفة في دبر ذكر = فيسمى زنا شرعا وفيه الحد" (٨٣) ويقول الدسوقي في حاشيته: "الحاصل أن المشترط في حد اللواط، وهو الرجم = بالنسبة للفاعل تكليفه، وأما بالنسبة للمفعول فتكليفه وتكليف الفاعل معا، وأما الإسلام فلا يشترط في واحد منهما كما يأتي في قول المصنف، وإن عبدين أو كافرين" (٨٣).

ثانيا: حكم اللوطية النسوية.

أما اللوطية النسوية (ويسمونها: المُساحَقة) فقالوا بالتعزير وتأديب الفاعلة، ويُدخِلون مُساحقة فاعلين ذكرين إن كان بلا إيلاج، فهو من ذات الباب. قال الشيخ الزرقاني: "المساحقة: ليست بزنا لأنه لا إيلاج فيها، وأُدِّب فاعله اجتهادًا أي باجتهاد الحاكم" (٨٢). وقال الشيخ الدردير: "لا مُساحقَة لعدم الإيلاج: وهو فعل النساء بعضهن ببعض، فلا حد على فاعله منهن، وأدب اجتهادا أي بالاجتهاد من الحاكم" (٨٣)، وقال ابن عرفة: "عقوبة المتساحقين أدبًا بحسب اجتهاد الإمام على ما يرى من شنعة ذلك، وخبثهما، أو بخمسين خمسين، ونحوها" (٨٤).

المذهب الرابع: حكم الشافعية.

أولا: حكم اللوطية الذكرية.

قالوا بالرجم للمحصن وجلد غير المحصن إضافة إلى تغريبه، فهو كحد الزنى سواءً بسواء، قال النووي في المنهاج: "دبر ذكر أو أنثى كقبل على المذهب"(٨٥).

وقال البعض أن اللوطي يُقتل على كل حال، دون اعتبار الإحصان، وقيل بأن عليه التعزير. قال الخطيب: "في قول: يُقتل محصنا كان أو غيره، لحديث من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به، رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وصحح الحاكم إسناده. وعلى هذا يُقتل بالسيف كالمرتد. وقيل إن واجبه التعزير فقط كإتيان البهيمة" (٨٦).

وقد فرق الشافعية في الحكم بين الفاعل والمفعول به، فالفاعل في معتمد المذهب يعامل كالزاني في حالتيه: الإحصان وعدم الإحصان، بين رجم أو جلد مع تغريب. والمفعول به المكلّف المُختار يُجلد ويُغرَّب ولا يُرجم، لأنهم يعتقدون أن الدُبر لا يتصور فيه إحصان، قال الخطيب: "أما المفعول به فإن كان صغيرا أو مجنونا أو مكرها فلا حد عليه، ولا مهر له؛ لأن منفعة بضع الرجل غير متقومة. وإن كان مكلفا مختارا جلد وغرب محصنا كان أو غيره، سواء أكان رجلا أم امرأة؛ لأن المحل لا يتصور فيه إحصان" (٨٦). وعليه كان التفريق بين الفاعل والمفعول به مبنيًّا على أن مواضع الإحصان هي: فرج الرجل، وفرج الأنثى؛ فهما تعلة الرجم = ولما كان الدبر خارجا عنهما، نُفي عن الموطوء فيه الرجم.

ثانيا: حكم اللوطية النسوية.

أما اللوطية النسوية، فلم يعاملوها معاملة الزنا أو اللواط، لأن التعريف ركنه إيلاج ذكر حي مُشتهىً، واللوطية النسوية لا إيلاج فيها ابتداءً، وحتى في حال اتخاذ إحدى اللوطيات ذكرا مصنوعا تلجه في الأخرى، فإنه يفقد صفتي الحياة والاتصال بآدمي، وهما شرطا التوصيف بالزنا، فلما تعذر حدوث ذاك[14] كان توصيف اللوطية النسائية بالزنا، طبقا للشافعية = غير ممكن، وبالتالي جعلوا عقوبة اللوطية النسوية هي التعزير لا الحد. والتعزير هو عقوبة لمعصية بلا حد ولا كفّارة، وهو يتراوح عند الشافعية بين التوبيخ - عندما لا يتعلق الفعل بحق آدمي- والضرب والحبس، وللقاضي الجمع بينهما على ألا يزيد الحبس عن سنة كما أن للإمام أو القاضي إضافة الإهانة التي تصل إلى الصلب حيا أمام الناس والتشهير بالفاعل أو الفاعلة

إلى التعزير، وأشد الضرب لا يزيد عن أربعين جلدة، ومنه النفي (٨٦).

المذهب الخامس: حكم الحنابلة.

أولا: حكم اللوطية الذكرية.

اختلفوا على الرأيين التاليين:

الرأي الأول: رأي حد الزنا.

قال الجمهور: حكم لوطية الذكور حدُّ الزنا، الجلد والتغريب لغير المُحصن، والرجم للمُحصن، ولم يُفرقوا بين الفاعل والمفعول.

---

[14] إلى الوقت الحالي، وربما تطورت الجراحات والطب إلى الحد الذي يُمكن من تخليق ذكرٍ حقيقي للمرأة، وحينها ستتشعب المسائل المتفرعة عن ذلك إلى حد مدهش، فستُعامل على أصل خلقتها: أنثى، ولكنها لن تكون لوطية نسوية مستحقة للتعزير فقط، بل ستكون قد امتلكت ذكرا حيا مُشتهى، فيُضاف حينئذ المزيد من المسائل والتفريعات الفقهية، المستحدثة التي لم تُتصوَّر قبلًا، وسأناقش كل ذلك قريبا!

يقول الحجاوي في الإقناع: "حد اللواط: الفاعل والمفعول به؛ كزانٍ ولا فرق بين أن يكون في مملوكه أو أجنبي أو أجنبية فإن وطئ زوجته أو مملوكته في دبرها فهو محرم ولا حد فيه. وحد زان بذات محرم؛ كلائط" (٨٧)، ويقول البهوتي: "وحد اللواط الفاعل والمفعول به كزان، لقوله صلى الله عليه وسلم: إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان؛ ولأنه فرج مقصود بالاستمتاع = فوجب فيه الحد كفرج المرأة: فإن كان محصنا رجم، وإلا جُلِد حر مائة وغرب عاما" (٨٨).

ويقول الفتوحي في منتهى الإرادات: "ولوطي، فاعل ومفعول به = كزان" (٧٧).

الرأي الثاني: رأي القتل مُطلقا.

وقال غيرهم من الأئمة أن اللوطي يُقتل فاعلا كان أم مفعولا.

قال المرداوي في الإنصاف: "حد اللوطى، يعنى الفاعل والمفعول به: كحد الزانى سواء. هذا المذهب. وعنه، حده الرجم بكل حال. اختاره الشريف أبو جعفر، وابن القيم رحمه الله، فى كتاب الداء والدواء، وغيرهما. وقدمه الخرقى. قال ابن رجب فى كلام له على ما إذا زنى عبده بابنته: الصحيح، قتل اللوطى، سواء كان محصنا أو غير محصن. ونقل ابن القيم رحمه الله، فى السياسة الشرعية، أن الأصحاب قالوا: لو رأى الإمام تحريق اللوطى، فله ذلك. وهو مروي عن أبى بكر الصديق وجماعة من الصحابة، رضى الله عنهم" [بتصرف يسير] (٨٩).

ثانيا: حكم اللوطية النسوية.

أما لوطية النساء، فالتعزير. قال الحجاوي: "إن وطئ دون الفرج، أو تساحقت امرأتان، أو جامع الخنثي المشكل بذكره، أو جومع في قبله، فلا حد وعليهم التعزير" (٨٧). وقال: "التعزير: وهو التأديب وهو واجب في كل معصية لا حد فيها ولا كفارة: كاستمتاع لا يوجب الحد وإتيان المرأة المرأة" (٨٧). وقال الخلوتي: "وعليهم، أي الواطئ دون الفرج والموطوءة كذلك، والمتساحقتين والخنثى المشكل إذا جامع أو جومع في قبله: التعزير، لارتكابهم تلك المعصية" (٨٨).

وخلاصة أحكام اللوطية النسوية فيمن لم يستبحنها: الإجماع في المذاهب كلها على وجوب التعزير، وأنهن فاسقات، والاختلاف بينهم كائن في صورة التعزير الممكنة.

ثالثا: علة تفاوت العقوبة بين اللوطيتين.

نفرد هنا موضعا لإجابة سؤال متداول عن سبب اختلاف عقوبة اللوطية بين الجنسين: ألا يعني اختلاف عقوبة اللوطية النسوية عن نظيرتها الذكورية أن الأولى أهون شأنًا؟

ذاك سؤال مهم، لأن بعض اللوطيات يزعمن أن اللوطية النسوية لما لم يكن لها حد، ولما غاب عنها الذكر في حديث صحيح = كان يعني ذلك حِلها، أو كونها معصية خفيفة[15]!

وهو زعم يحتاج ابتداءً إلى شرح فلسفة الفقهاء في باب الحدود، خاصةً في عقوبات الزنا، ثم بعد ذلك نقاش هذا الزعم.

أولا: فلسفة الفقهاء في حد اللوطية.

شُيِّدت فلسفة الفقهاء في قضية تغليظ عقوبة الزنا وما تفرع منها، على عمادين:

الأول: الإيلاج، والثاني: اختلاط الأنساب.

أما الأول، فيلزم فيه إيلاج العضو الذكري، وعليه كان وجود ذكر الحي في المسألة هو مدار الحدود؛ فما غاب عنه إيلاج غاب عنه الحد = إذ أن الحدود أعلى العقوبات وأنكاها، لذا تحرز الفقهاء من إدخال كل مشكوك فيه إلى نطاقها، إعمالا لقاعدة إسلامية فقهية حاكمة كبرى، جاءت من حاكم الفقهاء، النبي صلى الله عليه وسلم، وهي: (درء الحدود بالشبهات) = فكل ما لم يثبت صراحةً باتفاق أهل العلم والنصوص الواضحات، لم يجرؤ فقيه على إدخاله في باب الحدود.

والنصوص متفقة على أن كل ما وقع فيه حد وُجِد فيه العضو الذكري، فهو (آلة الزنا) واللواط الذكري كذلك، وليس هذا حال اللوطية النسوية، فلم يثبت من قول صحيح ثابت للنبي أو الصحابة ما يُستدل به على اعتبارها موجبة للحد، وعليه خرجت لوطية النساء من هذا الباب، ولم يساويها الفقهاء بلوطية الذكورية، فقد غابت (الآلة) فغاب الحد، وهو الجزء المُتفق عليه في كل ما وصل إليهم من الآثار.

---

[15] كأنما لو كان لها حد أو ذُكرت في القرآن والسنة كنَّ سيُحرِّمنها!

أما الثاني، فمعناه أن اختلاط الأنساب كان من أسس العقوبة الغليظة على الزنا، حيث يفسد المجتمع ويرتبك ويعيش أزمة هوية عميقة لكل إنسان فيه ولد من الزنا، وهو أمر ماثل أمام أعيننا في الغرب الزنَّاء المعاصر، فكان هذا عمادا للحد، وقد تحدث الفقهاء كذلك عن كون (هدر المياه) موجبا للحد على اللوطي، باعتباره نوع إفساد للمجتمع، ولا أرى تلك حجة صحيحة تفسيرا لإلحاق اللوطي بقائمة المحدودين بالقتل، فالمستمني لا يُحدُّ وهو هادر كذلك، إنما التفسير هو أن اللوطية فاحشة كبرى تُشيع اللعنتين: الخنوثة في الرجال والترجل في النساء، وتدمر المجتمع حيث يكتفي الرجال بالرجال، ما يودي بالنساء إلى مشابهة الرجال في فعلهم لتحقيق كفايتهم، فيكون هذا إفسادا لكافة المجتمع وقد تقدم قول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله. كما أن لوطية الذكور ألصق بفاعليها، فبين الأطراف الأربعة في العلاقات اللوطية: الفاعل والمفعول به، والفاعلة والمفعول بها، تتمثل أخطر حالة في المفعول به من الناحية الجسدية والنفسية، والفاعلة الأنثى التي تعتاد اشتهاء النساء، اللواتي خُلقن موضعا للفتنة من الأصل، وسنناقش ذلك في مبحث العلوم.

وعليه كان النظر إلى اللوطية من جهة قبح الفعل والآثار الواردة بالقتل، لا من جهة اختلاط الأنساب = ولما كان الأمر كذلك كانت اللوطية النسوية، التي ليس فيها خلط للأنساب، أقل درجتين في الأثر المجتمعي عند الفقهاء من الزنا، وأقل درجة من اللوطية الذكورية المنصوص على عقوبة فاعلها، وإن كانت داخلة تحت طائلة العقاب لأنها من جنس اللوطية وإن تدنت خطورةً، لكن العقاب يكون في هذه الحالة تعزيري لا حدّي التزاما بالمبدأ الكلي (درء الحدود) وهو الساعي لمنع إدخال ما لا قطع في مظهر وشكل عقوبته تحت باب الحدود.

ثانيا: فقه نظرية الإسلام العقابية.

يلزم كذلك درك أن نظرية الإسلام العقابية لم تربط الإثم بالعقوبة دوما، فلا نوع العقوبة الدنيوية مرتبط أبدا، ولا حجم العقوبة الدنيوية كذلك.

وتلك قاعدة نفيسة عميت عنها اللوطيات فظنن أنهن قد وقفن على الحجة الباهرة! فالشتم المقذع يوجب التعزير، بينما الحسد والحقد وتمني الشر لا يوجبه، هذا والأول دون الثاني في الإثم، فقد يكون الإنسان محمود السيرة، حسن السريرة، لكنه إذ يصاب بالغضب يفقد اتزانه فيسب ويشتم = هنا يُعاقب بما قد يصل إلى الجلد إن قذف، بينما الثاني الحاقد الحاسد الشرير نفسا الساكن سلوكا ظاهرا، لا يُعاقب في الدنيا على عظم إثمه وجرمه في حق المسلمين مقارنة بسابقه، ولكنه مُرتكب لكبيرة لها عذاب أخروي.

كذلك ليس للغيبة حد، وإن كان لها عقاب عظيم في الآخرة، وليس لعدم التنزه من البول حد، وإن كان مستحقا للعذاب في القبر، وليس لليمين الغموس حد، وإن كانت مستحقة للعذاب الشديد في الآخرة = فثبت أن الإقران بين الحد وبين حجم الجريمة غير لازم كما هو الحال في التقسيم العقابي القانوني المعاصر، والذي قسَّمه القانونيون في مصر مثلا إلى ثلاثة أنواع من الجرائم: الجنايات والجُنَح والمخالفات، فكلما ارتفعت الجريمة ارتفع حجم العقاب؛ فكانت الجنايات كالقتل غير الجُنَح كالسب والمشاجرات، وهو التقسيم الذي استقر في وجدان العلمانيين فتوهموا أن الإسلام هو الآخر مُطَّرِد الأخذ بهذا التقسيم التدريجي! وليس الحال كذلك، فالراشي والمرتشي ملعونان مرتكبان لكبيرة عظيمة، ولا حد عليهما إنما التعزير باجتهاد الإمام، بينما القاذف يُحد = أما في القانون فالقذف جنحة والرشوة جناية، وعقاب الثاني أكبر بكثير من عقاب الأول.

فلا تنتهي عقوبات الإسلام في الدنيا ولا ترتبط بها وحدها، بل تمتد بلا نهاية في الدارين، وهو ما تشكَّلت عليه أفئدة الفقهاء وعلماء الإسلام وألبابهم؛ فالزاني بشبهة

يفلت من الحد، لكنهم يؤمنون بأن علمه بتلك الشبهة أو جهله هو أمر بين الله والفاعل كليهما، وعليه لم يعنِ إسقاط الحد عليه دنيويا أنه لن يُعذَّب في الآخرة إن كان عالما بموطن الشبهة زانيا بقصد وعمد، بل يكون قد جمع عليه عقابا أبديا أكبر. فنطاق العقوبات في الإسلام يختلف عن النطاق العلماني الدنيوي في أمرين:

أولهما: المدى، فالعلمانية دنيوية العقوبات، وتجحد كل ما وراء ذلك، وعليه صُمِّمت عقوباتها كي تكون ذات تدريج واحد يؤذي من يعتبره المشرعون مخطئًا بصور متدرجة في تسلسل منطقي مناسب، بينما المدى الإسلامي له تدريج آخر، فهناك من العقوبات ما كان أخرويًّا لا دنيويًّا كالأمثلة التي ذكرناها، والمبدأ الأصلي أن عقوبات الآخرة أنكى، فهي من حيث الشدة لا يُقارَن أخفها بأقسى عذاب وُجِد في الدنيا، ومن حيث المدة إما لا نهائية أو مؤقَّتة، والمؤقَّتة منها (مثل عذاب المسلمين مرتكبي الكبائر) تفوق زمنا أطول زمن عقابي في الدنيا = وعليه لجأ المسلمون في بعض الأحيان إلى إيقاع الحد على أنفسهم في الدنيا، كمن اعترفا بالزنا في عهد النبي ليرجمهما، فبالرغم من أنها أنكى العقوبات الشرعية، إلا أن مصلحة المسلم تدفعه إلى تحملها هربا من عذاب الجحيم.

وثانيهما: الارتباط العقابي بين النفس والمجتمع والدين، والمداخلة بينهم، فالنطاق العلماني لا يهتم إلا بالمجتمع وحده، ويصُمِّم العقوبات كلها كي تحقق نكالا فادحا يساعد في الضبط الاجتماعي الرسمي = وبالتالي رفع الكفاءة الدنيوية وحدها، إذ هي المعترف بها في ذاك النطاق، أما الإسلام فيضع فلسفة لكل عقوبة تحتاج إلى تدبر لفهمها وتختلف من مسألة لأخرى.

فإذا أدركنا ذلك، علمنا أن القائلات بهوان اللوطية النسوية، وأنها لا تُجاوِز المعصية = مرتكبات لكبيرة، حتى لو سلمنا لهن أنها من الصغائر -وهي ليست كذلك- فمستحل الصغيرة، أو المُصر عليها: مرتكب لكبيرة. أي أنهن حتى لو كن يعتبرنها

من الصغائر، فالواجب عليهن التشنيع على فاعلاتها والترهيب منها ومن إتيانها، لكن الظاهر أنهن يستحللنها ويخاتلن المسلمين لا أكثر.

أخيرا، لا يعني غياب النص القاطع على آحاد الشهوات حِلها، فالشهوات لا نهاية لها، وتُجمع الفواحش كافةً بصور عامة، يُقاس عليها غيرها بالعقل والشرع، فأين، مثلا، النص القرآني الصريح على حرمة وطء ذوات المحارم في أدبارهن؟ أيعني غياب النص الصريح في حرمة هذا الفعل = إباحته؟! وعلى هذا فقِس.

رابعا: إشكالية الميل للوطية.

فإذا استوفينا أحكام اللوطي واللوطية، لزم انتقالنا إلى السؤال التالي: ماذا عمن يشعر بميل للواط؟

فأقول: أقررنا سابقا أن ما اجتمع عليه السلف والفقهاء هو عدم كونه جبليًّا، لكنهم يُجمعون كذلك على أن الطباع قد تفسد والفطر قد تنتكس، فيميل المُبتلى لمُحرَّمِ الشهوات، ويكون على المسلم حينئذ السعي في دفع ذلك البلاء الذي نزل به، سواء بالعلاج النفسي[16] أو العلاج القرآني الذاتي، فيشغل نفسه بالشرع وقضايا المسلمين = فإن لم يُفلح كل ذاك، لزمه الصبر على ما ابتُلي به من سقوط في حب تلك الفاحشة، حتى يأذن الله له ويرفع عنه ذلك الهم، بعلاج، أو بغيره، رجاء تحصيل أجر الصبر في الآخرة.

وإن تعجب فاعجب من أولئك العلمانيين، القائلين بجبليَّة اللوطية، وأن الإنسان يولد كذلك = فهم هم الرافضون، إلى الآن، إمكان كون تشهي الأطفال

---

[16] شريطة أن يكون المعالج النفسي عالما بالقضية وأصولها وفروعها، وألا يكون متبنيا لما راج في العلاج النفسي المعاصر من نظريات الجندر واللوطية، وإثبات إمكان الطبيعة اللوطية، دون دليل علمي محترم. ومثل ذلك النموذج أندر من الكبريت، لكنني أعتقد أن السنوات القادمة ستُنبت بيننا جمع من متمردي المعالجين النفسيين، الباحثين عن المنهج الشرعي في تقويم ما تعلموه، وفي الفصل القادم نقاش لتلك القضية.

(البيدوفيليا) مما يولد المرء مطبوعًا به، فإذا قيل لهم لم لا يكون كذلك، ومستندكم لا يرتفع عن هذر المروجين لتشهي الأطفال قدر أنملة؟! هاجوا وماجوا ونخروا وأتونا بدراسات جوفاء، وأيدولوجيات خرقاء! لكنني على يقين بأن كل ذلك في مستقبل قريب سيُسوَّى، وسيروج لتشهي الأطفال بين الجميع!

ولعل مثل ذلك المُبتلى بعشق اللوطي، أو المبتلاة بعشق اللوطية، لا يحسُن بهم الزواج، خاصة الرجال = منعا للجور والظلم في علاقتهم بالشريك. إذ أن الزواج مبناه العدل والسكن بين الطرفين؛ فإن تيقَّن الظلم والبغي والاضطراب = حرُم. ويتفاوت القدر بالتأكيد بين المبتلين، فهناك المُبتلى بصورة لا يتقبل فيها الجنس الآخر، وهناك المُبتلى بصورة أخف، فلا ينبذ الجنس الآخر تماما، ومثل ذلك قد يعالجه الزواج، أو يخفف عنه بلاءه في الطريق للعلاج، وقد حاروا في مثل تلك الحالات، المبتلاة باللوطية، ومع ذلك تحب الجنس الطبيعي، فقال الغربيون بعقولهم السقيمة أن ذاك (ازدواج الميول الجنسية Bisexual)! فبدلا من فقه نفي تلك الحالة تحديدا لجبليَّة اللوطية، لأن الإنسان فيها ليس لوطيا فلا ينفر من الجنس الطبيعي، وليس طبيعيا تماما فلا ينفر من اللواط، وعليه تكون حالته المركبة دليلا على وجود حالة أصلية طبيعية، وحالة طارئة، تستميل القلب بأقدار متدرجة = بدلا من ذلك قالوا إن بعض الأشخاص يوُلدون بطبيعة مزدوجة، والبعض الآخر يولد بطبيعة واحدة، لوطية أو غير لوطية!

ما ثمن الكلام والزعم بلا دليل؟ لا شيء؟! الهواء؟! إذن فلنستكثر!

خامسا: إشكالية الخِناثة والترجل.

يتناول هذا المبحث السؤال عن الخنوثة والترجُّل، والفارق بين الخنثى والخنِث أو المتخنِّث والمترجلة.

فمن الأسئلة المتداولة: أيدخل الخِناث أو المترجلات (عابرو الجنس بمصطلح العلمانيين) Transgender في حكم الخنثى الشرعي؟ أليس الشرع قد أباح للخنثى تغيير الجنس؟ ولإجابة ذلك يلزم تقسيم مبحثنا إلى مطالب ثلاثة: الأول التعريف بماهية الخُنثى وأحكامه الشرعية، والثاني التعريف بماهية الخِناث وأحكامهم، والثالث نقاش الإشكالات المتعلقة بالخِناثة والترجل.

أولا: ماهية الخُنثى وأحكامه.

يُعرِّف الشرع الإسلامي الخُنثى أنه إنسان وُلِد إما بأعضاء الجنسين، الذكر والأنثى، وإما خلا منهما جميعا، فلا أعضاء له. وهو على قسمين:

النوع الأول، وهو **الخُنثى الواضح** (غير المُشكِل): وهو وإن حاز أعضاء الجنسين، إلا أن جنسه يُحدَّد أثناء بلوغه (٩٠).

واختلفوا في طرائق تحديد الجنس، بين مُراعٍ لصفة جسدية واحدة، وهي المَبال، ويكون ذلك قبل البلوغ = فإن بال من ذكره كان ذكرا، أو من فرجه كان أنثى، أو من الاثنين معا كان مُشكِلا. وأصل المُحدد بالبول، أن أهل العلم قالوا: ميراث الخنثى من حيث يبول، وهو حُكم يروى أن أصله قاضٍ جاهلي، حار في مسألة توريث الخنثى، فنصحته جاريته بأن يورَّث من حيث يبول، وقد قالوا بأن النبي عمل بهذا الحكم، اعتمادا على حديثين، ولكن قال أهل الحديث بوضع أحدهما، وبضعف الآخر. وذكره على أي حال جارٍ في كتب الفقهاء = فقد طرَّدوا قاعدة المبال، وقالوا بأنه ما دام يورَّث من حيث يبول، فيكون الأولى ضمه إلى جنس الفرج الذي بال منه، وتلك الطريقة تُستعمل قبل البلوغ.

أما الطريقة الثانية فتُستعمل بعد البلوغ، ويراعى فيها مجموع الصفات الجسدية، فقالوا إن ظهرت عليه علامات الأنوثة، كالأثداء والحمل كان أنثى[17]، وإن ظهرت عليه علامات الذكورة، الخَلقيَّة كالاحتلام، والخُلُقيَّة - قالوا كالشجاعة - فهو ذكر.

فماذا عن العضو الزائد حينئذٍ؟ قالوا يكون خِلقة زائدة لا اعتبار لها. وبذا يُفهم حكم فقهاء عصرنا بجواز إجراء الجراحة للخنثى، من أجل إزالة ذكره أو أعضائه الأنثوية؛ فكل تلك زوائد يجوز اجتثاثها متى انتمى للجنس المخالف.

ويجتمع السابقون في أن حكمهم كان بالنظر إلى الصفات الجسدية.

ثم أن منهم من شدد ألا يؤخذ رأي الخنثى في تحديد جنسه -ولعلهم قالوا بذلك تحرزا من أن ينمي الخنثى نفسه إلى الذكورة، طمعا في ميراث- ومنهم من رأى تعلق الحكم برأي الخنثى، فإن قال إنه يميل إلى كونه ذكرا، لأنه يحب النساء، اعتبر بكلامه، وإن قال إنه يميل إلى كونه أنثى، لحبه الرجال، اعتبر بكلامه (٩١)، وقال الشافعي بإلزامه مقالته، فلا يصح أن يزعم بعد ذلك تغيُّر رأيه، احترازا من العبث!

فهذا الخُنثى الواضح، غير المُشكِل، وتلك أحكامه.

أما النوع الثاني، وهو **الخُنثى المُشكِل**: وهذا إضافة لاجتماع الأعضاء الذكرية والأنثوية فيه، لا يستطيع تحديد إلى أي الجنسين يميل، أهو ذكر أم أنثى؟ قالوا:

---

[17] وهذا ممكن التعرف عليه اليوم طبيا وبالتحاليل، ولم يعد يلزم منه صعوبة كما كان الأمر في الماضي، حيث قال الفقهاء مثلا يُعرف بحمله، وهذا غير ممكن لأن زواج الخنثى لا يتم إلا بعدما يُحدد جنسه، فكانت معضلة، لكن اختلف الحال الآن، قالوا في الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي: 5/ 128 (اليوم وبعد أن تقدم الطب، قل احتمال أن يستمر أحد خنثى مشكل، وأصبح باستطاعة الطب غالبا أن يكشف أمره. لكن لنفرض أن الخنثى كان من الإشكال بحيث أعجز الأطباء، فهذا إذا هو الخنثى المشكل).

هو مُشكِل، وله أحكام فقهية خاصة، ولا يستطيع الزواج بالطبع، إذ أنه لا يعرف من أي جنس هو، وعليه يُعامَل بالأشد فيُجعل مع النساء رجلا ومع الرجال امرأة، ولا يجوز أن يخلو به أجنبي ولا أجنبية (٨٦). وحيث أُطلق الخنثى في الفقه فالمراد به المُشكِل (٩٢)، لأن غير المُشكِل، كما رأينا، ينضوي تحت لواء أحد الجنسين في الزواج، مع تفصيلات خاصة به في أبواب الفقه المختلفة. وقد أنكر وجود المُشكِل بعض التابعين مثل الحسن البصري؛ لأن الله سبحانه لا يُضيِّق على عبده حتى لا يدري أذكر هو أم أنثى؛ فلا بد له من علامة تزيل إشكاله (٩٠). وقد قالوا بعدم جواز ختانه مطلقا، لأن الجرح لا يجوز بالشك (٨٦) ويُفيد هذا عدم جواز تدخل الأهل في تحديد جنس المولود، لمُجرد الاشتهاء، كأن يقطعوا له ذكره قبل أن يبلغ ويحدد هو، أو تحدد له علامات جسده إلى أي جنس ينتمي. ونحن نرى اليوم الغربيون يتسابقون في إثبات حبهم لأولادهم بأخذ آرائهم - قبل البلوغ - في تحديد أجناسهم! كيف والخُنثى ذاته لا يؤخذ رأيه قبل بلوغه وظهور العلامات؟! فإنَّا لله وإنا إليه راجعون في أولئك المجرمين الجناة على أولادهم، بزعم الحب!

ثانيا: التخنث والترجل، وأحكامهما.

يُعرَّف المُخنَّث بأنه ذكر شديد التأنيث في الخِلقة حتى يُشبه المرأة في اللين والكلام والنغمة والنظر والفعل (٨٨)، وهو فاسقٌ غير مقبول الشهادة (٩٣).

فهو شخص ينتمي إلى جنس واضح، لكن فيه من صفات الجنس الآخر، بغير تعمد أو بتعمد. ويُقاس عليه المُترجِّلة، فنقول: هي الخشنة في خِلقتها حتى تشبه الرجل في الخُلُق والكلام والنغمة والنظر والفعل، بغير تعمد أو بتعمد.

فإن كان الفعل بغير تعمد = يؤمر الفاعل المخنث أو المترجلة بالسلوك السوي المناسب لجنسهما الحقيقي، ويُعلّمانه، ويُخبران بحديث النبي عن لعن الله المتشبهين بالنساء من الرجال والمتشبهات بالرجال من النساء، وبأن التخنُّث والترجُّل حرام، ومن الكبائر (٩٤)، وقد يلزم التدخل العلاجي النفسي لضبط السلوك. وليس من الصعب معرفة المتعمد المتفاخر بخنوثته أو المتفاخرة بترجُّلها، من غير المتعمد.

فإن استباح تخنثه أو استباحت ترجُّلها = دخلا في استباحة محرم منصوص عليه وعلى لعن الواقع فيه؛ فيُنبَّها لكونهما خارج الملة بتلك الاستباحة، لا بنفس التخنث أو الترجل.

فإن ثبت التعمد في التخنث؛ قال السرخسي بأن أولئك يُعزَّرون ثم يُحبسون حتى التوبة من صنيعهم الخبيث (٧٨)، وقِس عليه الترجُّل.

كل هذا فيمن لم يثبت عنه لوطية، إذ أنها غير لازمة للتخنث أو الترجل، وإن تفشت في أهل تلك اللعنة؛ أما من ثبت عنه أنه يُصانِع الرجال، رغبة في إغوائهم، أو تصانع النساء رغبة في إغوائهن = فالتعزير البليغ والفضح والتشهير والحبس أو النفي، فقيادتهم مفسدة للنساء والرجال، قال الحجاوي عن القوّادة، وهي التي تفسد النساء والرجال: "أقل ما يجب عليها الضرب البليغ، وينبغي شهرة ذلك بحيث يستفيض في النساء والرجال، وإذا أُركِبت دابة، وضمت عليها ثيابها ونودي عليها: هذا جزاء من

يفعل كذا وكذا = كان من أعظم المصالح، قاله الشيخ، وقال لولي الأمر: كصاحب

الشرطة -أن يُعرِّف ضررها، إما بحبسها، أو بنقلها عن الجيران، أو غير ذلك" (٨٧).

فإن ثبت عنه اللواط، حُدَّ على مثل ما ذكرنا سلفا.

ويحرم على الرجال مجرد النظر للمخنثين، فإن حرَّم الفقهاء النظر للطفل الأمرد خشية الفتنة؛ فتحريم النظر إلى ملعون متعمد إظهار نفسه في صورة المرأة أولى، وقِس هذا على المرأة المترجلة؛ فأولئك يُجتنبون ويُرفع أمرهم إلى قضاة المسلمين، فيُنظر إلى تخنثهم أو ترجلهم = أبعمد هو أم بغير عمد؟ على نحو ما ذكرنا.

ثالثا: الخِناثة وأحكامها.

تلك وإن كانت من النوازل المعاصرة الكبرى، فلم يتحدث عنها بصورتها الفقهاء المتقدمين، إلا أنه ليس من الصعب معرفة أبرز أحكامها.

وصورتها أن يذهب مخنث إلى الأطباء، فيطلب منهم أن يُنبتوا له أثداءً ويُعيدوا تشكيل جسده لكي يكون أنثوي المظهر، في اللين والصوت وحتى جمال الوجه، كلٌّ بثمن، وقد يتعدى ذلك فيطلب إزالة ذكره، واستنبات فرج صناعي له، على ما علمنا في الفصل الأول = فهذا هو الخنِث الذي فرَّقناه عن المخنث في كونه يُجري على نفسه ما هو أكثر من التشبه الخُلُقي بالنساء، إذ يُعيد تشكيل نفسه لكي يصبح أنثى المظهر. وكذا تُزيل المرأة مظاهر أنوثتها، وتُعالج نفسها كيميائيا حتى تُنبت لنفسها اللحى ويخشن صوتها.

فأولئك جميعا: إما يستحلون ذلك، ويرونه مباحا = فحكمهم الردة كما ذكرنا.

وإما لا يستبيحونه، فيؤمرون بوقف كل ما أحدثوه في أنفسهم وتغييره، ويُبلغ عنهم القاضي المسلم كما ذكرنا، ويجتنبهم المسلمون في كل حال، ويُشهَّر بهم

ويُفضحون؛ فإن كان المرء في دولة لا حكم للإسلام فيها، اكتفى بالإنكار وهجران أولئك وهجو صنيعهم ونشر أحكامهم في المسلمين.

فهم بين مرتد ومرتدة في حال الاستباحة / وملعون وملعونة في حال غيرها! فبئس الخيار.

والقاعدة الأساسية الجامعة: أن حقيقة الشخص لا تتغير، ولا اعتبار لتبديل خلق الله؛ فهو ثابت: فليس ثمَّ (تحويل للجنس)، إذ الخنثى كما رأينا، لا يُحوِّل جنسه إنما ينسب نفسه إلى أحد الطرفين اللذين يملك فرجيهما، فإن عجز عن النسبة توقف في حال نفسه إلى أن يُريه الله علامةً، أما الخنِث والمُترجِّلة فلا اعتبار بكافة ما يُحدثانه في نفسيهما من تبديلات، فكلا منهما معزو إلى جنسه الأصلي ولن يُبدِّل ذلك.

ولعل الإشكاليات الفقهية الأبرز في تلك القضية تتمثل في القضايا الفرعية الآتية:

أولا: ما حكم الرجل الذي يأتي خنِثًا من فرجه المصنوع على صورة الأنثى؟ أيُحكم عليه بالتعزير كمُساحق، فلا يُحدُّ لأن الحد يلزم الإيلاج في الدبر؟ أم يُحكم لهذا الفرج المصنوع على صورة فرج الأنثى بأنه كالفرج الحقيقي، فيكون الفعل لواطا تاما؟ وماذا عن المفعول به في ذاك الفرج الصناعي: أيُحدُّ كملوط به، فيقاس فرجه الصناعي على دبره؟ أم يُعزَّر كمُساحق؟ هذا موطن عمل فقهي معاصر، وإن كان الأقرب لأقوال الفقهاء: أنه لا يُحدُّ، وإنما يُعزَّر تعزيرا شديدا، وإن كان حدوث هذا من الصعوبة بمكان: لأن عادة اللاطة مع الخناث وطئهم في الدبر، حتى إن صُنع لهم فرج عند الخنِث.

هذا في الفرج المصنوع حاليا، وهو عبارة عن كيس جلدي غائر في موطن القضيب الذي يُزال، لكن ماذا إن تقدَّم العلم والطب واستنبت فرجا أنثويا حقيقيا لأولئك، أنحكم على ما عندهم بأنه فرج أنثوي يُحكم على الطرفين حينئذ باللواط إن أُتي فيه، أم نظل على اعتباره كالفرج الجلدي الموجود حاليا، فيظل الحكم التعزير

بالمساحقة؟ هذا أيضا يحتاج لعمل فقهي مكثف ومنضبط ومحايد، وإن كان الأقرب لتعريفات الفقهاء: أنه إذا ثبت كون هذا الفرج حقيقي، وليس مجرد جلد ميت كالفرج الصناعي الحالي، فهو يدخل في تعريف اللوطية لا الزنا، حيث أن جوهر خلقة الطرفين لا يتغير: رجال.

ثانيا: وإن كانت الأنثى المترجلة، حالها كحاله، لكن يظهر سؤال مُشكِل آخر: فإذا قدر العلم على أكبر ما يسعون إليه لخدمة لوطيتهن، وهو صناعة فرج ذكري شبه طبيعي، من خلايا حية مستنبتة، ثم زراعته عند المترجلة، ووطأت به أنثى: ألا تكون الأنثى اللائطة والملوط بها حينئذ زناة: فيُحدَّان حد الزنا؟ هذا أيضا موطن عمل فقهي معاصر، وإن كان الأقرب لأقوال الفقهاء: أنهما يُحدَّان حينئذ، لأن صنيعهن في تلك الحالة يستوفي تعريف الزنا، فالوطأ يحدث هنا من فرج حي مشتهى في تلك الحالة، في فرج حي آخر، لا كالعضو الصناعي الذي لا يخرج عن حد اللوطية النسوية المساحقة العادية: وهو التعزير، إذ أنه ليس عضوا حيا متصلا.

فإن فعلت أنثى مترجلة بتلك الصورة في دبر أنثى مترجلة أخرى: أيكون ذلك تحت باب الزنا أم باب اللواط؟ أيُحكم حينئذٍ بالجوهر الذي لا يتغير: أنهما إناث فلا يُعتبر ما صرن عليه. أم بالذي أحدثنه في أنفسهن: صورة الرجال؟ يحتاج كل ذلك إلى عمل فقهي كذلك، وإن كان الأقرب أنهن يعاملن كإناث زانيات، لوطيات، مترجلات، فالحد عليهن حينئذ من باب الزانية الموطوءة في دبرها. وقد يُقال بل تكون كالموطوء اللوطي، فتحد حد اللواطة لا حد الزنا.

ثالثا: كيف تُحدُّ المرأة اللوطية التي خضعت لجراحة تكبير البظر، فجعله الأطباء يماثل العضو الذكري في قدرته على الإيلاج والإمتاع = أتبقى على حكم التعزير، أم يُعتبر ذلك المستنبت لديها فرجا يُقاس على فرج الرجال، فتُحد؟ ثم أتحد حد الزنا، أم تُحد حد اللواطة؟ فهي قد هيَّأت جسدها ليصبح ذكوري الشكل في أعضاء التناسل، فهل تُحد كأنها رجل، أم تُحد باعتبارها أنثى؟ وتلك المفعول بها، أتحد على

زنا، إذ يلج فيها فرج حي مشتهىً، أم تُحدُّ على لواطة، إذ يُنظر لحقيقة كون الفاعلتين امرأتين؟ ثم أتُحدُّ كلواطة الذكور، أم كلواطة الإناث؟

وهذا باب طويل جدا، ومسائله كثيرة جدا، كما يعرف كل من يعيش في الغرب حاليا، ويرى حجم التنوعات والتطورات الجارية فيه. فكل تلك الصور حادثة الآن الآن! بينما أنت تقرأ هذا الكلام، تُجرى عشرات الجراحات يوميا، لتغيير الخلقة إلى هذه الصور؛ فأين العمل الفقهي المعاصر الذي يوازي تلك الصور المتشعبة والمعقدة، والتي تحتاج إلى نقاشات فقهية مستفيضة، من علماء ذوي صفات مخصوصة؟

رابعا: ماذا يفعل المسلمون في الدول التي تتبنى الخِناثة وترعاها وتنشرها، في حال أتاهم خنِث يريد الدخول في الإسلام؟ أيُرحبون به في الإسلام، ثم يُعرِّفونه حكمها لاحقا؟ أم يتركونه على حاله، وإن رفض تحريم ما هو فيه، على اعتبار أن الأفضل نطقه الشهادة؟ أم يُعرِّفونه بحرمة ما هو فيه قبل إسلامه، وعدم جواز بقائه على ذلك الحال؟

تلك أسئلة قد تظن أن إجابتها يسيرة: إذ كيف سيدخل الإسلام وهو يستحل ما هو فيه؟ مثل هذا لن يدخل الإسلام إلا بتجهيله الحكم الشرعي لحاله، والتجهيل في حال التعمد إثم كبير ممن يدخلونه الإسلام، فإن دخله ثم استباح حاله، كان مرتدا! إذن الخنِث أو المترجلة في كل الأحوال لن يدخلوا الإسلام! وعليه يجب الإعلام بالحكم الشرعي للحالة، فإن شاء آمن وإن شاء بقي على كفره، والغرر حرام في كل حال. لكن برغم يسر الإجابة، لا تكاد تجد أحدا يقدر على تبنيها؛ فهذا باب خطير، يعلم ثقل وطأته المسلمون في الغرب: إذ يحدث أحيانا أن يتوافد عليهم خنِث أو لوطية أو مترجلة، يرغبون في دخول الإسلام، فينعقد اللسان خشية قول الحق، كيلا يهرول الملعون إلى أجهزة بلده الأمنية لإبلاغهم أن أولئك القوم، مسلمو المهجر، يرون قتلنا = فيحكم عليهم الجميع بالتطرف والإرهاب، خاصةً أن التيار الصاعد في الأجيال الجديدة من المسلمين المقيمين في بلاد الكفر، يرى وجوب

التسامح مع اللوطية وتأويل الإسلام كي يتبناها! أي أن أول من سيبلغ عنك ويقف ضدك في تلك البلاد، قد يكون المجتمع (المسلم) الذي يعيش معك، ويناغم معتقده مع الخطاب العالمي المدلل للوطية والمجرم لازدرائها! وكثيرا ما رأيت الأسئلة تحوم فوق الرؤوس حيرى: ماذا نفعل؟ لا يمكننا أن نذكر حكم اللوطية، لا لهم ولا لغيرهم! نحن مُحاصرون مرصودون! الصمت هو الملاذ!

ومن أكبر المطبعين للوطيَّة بين المسلمين في الغرب، تينان باور Tynan Power وهي امرأة كاثوليكية سابقا، مترجلة تزعم الإسلام حاليا، ملتحية وتعطي الدروس في المساجد للمسلمين في زي وصورة الشيخ المسلم التقي، وهي عضوة بالتحالف الإسلامي للتنوع الجنسي والجندري (٩٥)!

وكذلك مهدية لين Mahdia Lynn وهي أمريكية أعلنت إسلامها وأسست ما أطلقت عليه مسجد الرابعة وهو مؤسسة لتبني ونشر خطاب يدعو اللوطيين والمخنثين والمترجلات إلى الإسلام ويؤكد أن هذا الدين يُرحِّب بهم ويدعمهم (٩٦)!

هذا غير ألوف النشطاء المسلمين الأصليين مثل ليندا صرصور وغيرها ممن يعتبرون قضية اللوطية والخِناثة قضية مسلمي الغرب أجمعين!

فالوضع بالعالم غير الإسلامي تلك صورته: أهل الحق صامتون خشيةً، وأهل الباطل الزاعمون الإسلام يروجون لخطاب مرحِّب باللواط واللوطيين، بكافة أنواعهم، ويشجعون أولئك الناس على الدخول في الإسلام، ليزيدوا المسلمين اضطرابا وفرقا!

سادسا: الجنس مع غير الحي.

أتناول هنا أحد أشهر الممارسات الجنسية المعاصرة الرائجة والتي يُتوقع رواجها أكثر في المستقبل القريب، وهي متصلة باللوطية: ألا وهي الممارسة الجنسية مع طرف غير حي.

أولا: الحكم الفقهي.

كل ممارسة جنسية مع غير حي، كاستعمال آلة أو استخدام عرائس مصوَّرة على شكل بشري ذات فرج = فيها التعزير ولا حد، لأن من صفاته المجتمع عليها هو إيلاج فرج حي في فرج حي. والتعزير يكون بالصور المذكورة قبلا، وهو ضرب أو حبس أو بحسب ما ترى القيادة السياسية (الإمام) والمحكمة الشرعية (القضاء).

ثانيا: التحديات والمخاوف المستقبلية.

تتجلى التحديات الكبرى فيما هو قادم؛ فمن المُنتظر في مستقبل غير بعيد، صناعة آلة على صورة إنسان يمكنها أن تتحدث وتمارس الجنس. وقد بدأت تظهر صناعة

(روبوتات جنسية) قبل أعوام قليلة (٩٧)، حتى أُنشئ بيت للدعارة خُصِّص للروبوتات

فقط في برشلونة، وبحث صناعه عن مستثمرين لنشر فحشهم في كافة أنحاء

العالم(٩٨)؛

وسيستمر تطور ذلك الاتجاه، خاصة أن الفتوحات الكبرى في مجال الذكاء الصناعي وتطوير الروبوتات سيرفع من نشاط فلسفة ما بعد الإنسان Post Humanism المهووسة بمبادئ العلاقة بين الآلة والإنسان، وتمجيد الآلة والتقدم

وتفكيك مفاهيم الوعي والروح (٩٩)، ما يعني أن فلسفة ارتباط الآلة والإنسان،

واعتبارها نموذجا (بعد إنساني) أسمى وأرقى، ستغطي تلك الممارسات وتعطي مبررا لتشريعها، بل وللهوس بها، خاصةً أن الآلة المصنوعة ستكون أقدر على تقديم الخدمات الجنسية بما لا يُقارن به أقوى إنسان وُجِد! هذه هي كفاءة (ما بعد الإنسان) التي وُجد التنظير لها منذ ثمانينيات القرن الماضي، وتمتد جذورها إلى

نيتشة (٩٩).

فهل يُكتفى بالتعزير في حال انتشار تلك الداهية وعموم البلوى؛ فيلوط الإنسان مع روبوت لا يفترق كثيرا عن الإنسان، بل يفوقه قدرةً؟ ألن يهدد انتشار ذلك البلاء، المجتمعات كافةً بالتفكك؟!

إن الغرب وإن كان قد بدأ في تلك الصناعة، التي من المتوقع أن تتطور بصورة مخيفة بسبب إضافة الذكاء الصناعي، إلا أنه هو ذاته الذي يثير حاليا النقاش حول مدى الخطورة العقلية والطبية الناتجة من إنماء علاقة بين الإنسان وشريكه الجنسي

(الآلي)، وكذلك مدى أخلاقية مرافقة عشيق على صورة طفل مثلا (١٠٠)![18]

إن ذلك الخطر يعني ضرورة التفكير السياسي والفقهي معا في تشديد أحكام التعزير في حق من يثبت فعله في تلك الأجهزة، ووجوب المكافحة المجتمعية والسياسية لإضافة صورة الأعضاء التناسلية لتلك الأجهزة (الروبوت)، ويتطلب قبل كل ذلك

[18] هم لا يأبهون سوى بصورة تشهي الأطفال فقط حاليا، لكن عندنا إشكالات أكبر: كأن يصنع آلة على شكل محارمة، أو يلوط بها الإنسان، أو عشرات الصور المحرم فعلها مع بشر حي، ولا محالة سيهرول إليها ملايين الناس مع التطورات الضخمة والمستمرة في تصوير البشر على هيئة أناس آليين! ضع كل ذلك مع الأزمة الجنسية الكئيبة في العالم العربي بسبب قلة الزواج وصعوبته وانتشار العنوسة، تخرج لك الصورة المخيفة!

توعية الفقهاء بالأمر وتوصيفه بصورة دقيقة، إذ أن الغالب لن يتصوَّر المسألة جيدا من الأصل، وعليه لن يتمكَّن من تأسيس خطاب مُرضٍ للناس.

سابعا: الموقف من مسائل وتشريعات اللوطية.

من الضروري أن نستعرض، في ثنايا بحثنا هذا، بعض آراء العوام والإسلاميين فيما يتعلق بالمسائل المختلفة التي تناولناها، ولن نشغل بالنا كثيرا بالرأي العلماني، إذ أن الطبيعي فيه رفض الربط بين الشريعة وقضايا اللوطية من بابها، لكن كيف يكون الحال بين الإسلاميين والعوام؟ ذاك ما يحاول الاستبيان المساهمة في رسم معالم الإجابة عنه، بتوضيح المعلومات الآتية:

- لم يوافق ثلث العوام على ضرورة عقاب اللوطيين أصلا، وقد شاركهم في ذلك عُشر الإسلاميين المشاركين!
- أعلن ثلث العوام جهلهم بعقوبة اللوطية في الإسلام، بينما بلغت نسبة الجهل بها بين الإسلاميين ١٦٪، هذا مع اعتبار كوني أقمت حملة طوال العامين الماضيين للتعريف بعقوبتها في الشريعة!
- أترضى بقتل اللوطي، إن علمت أن هذا هو حكمه في الشريعة؟ أجاب ثلث العوام بالنفي، لن يرضوا بقتله حتى إن أمرت بذلك الشريعة، والغريب أن عُشر الإسلاميين تقريبا نفى هو الآخر إمكان رضاه بقتل اللوطيين شرعا!
- في معرفة الفرق بين المخنث والخُنثى، أوضح نصف العوام جهلهم بالفارق بينهما، وكذلك أعلن ثلث الإسلاميين ٣٢٪ جهلهم كذلك.

• في السؤال عن الرغبة في المشاركة بعمل مجتمعي حقوقي متعلق باللوطيين، سواءً للمكافحة أو للحماية، رفض جمهور العوام المشاركة في أي عمل سلبي أو

إيجابي متعلق باللوطية ٦٩٪، بينما كانت نسبة الرفض في الإسلاميين أقل لكنها

مُعتبرة ٤٣٪. وأعلن ربع العوام فقط رغبتهم في المشاركة بعمل للمكافحة، بينما

أجاب ٧٪ بالرغبة في المشاركة لحماية اللوطيين وحقوقهم!

إن تلك النتائج توضح حجم المؤثر اللوطي في الجماهير، وضعف المؤثر الإسلامي في تلك القضية، حتى بين الإسلاميين ذاتهم:

• فالجمهور جاهل بعقاب اللوطية في الإسلام، وجاهل بماهية الخنثى والفارق بينه وبين المخنث، وهي تفرقة ضرورية هامة جدا كون أكثرية الخارجين إلى الشاشات يدعون أنهم قد (صححوا) أوضاعهم الصحية ليكونوا إناثا، وهذا مرتبط في وعي الناس بشوهة خَلقيَّة، ولا يعرفون أن هذا هو المخنث، الذي تتداول صورته مرتبطة بالتدلل والانحلال عندهم، لا المرض والحديث عن الشقاء، ما يوهمهم بأن حالته جادة تنتمي لقضية الخنثى.

• ثم حتى لو علم العقوبة، هناك نسبة كبيرة في العوام (الثلث)، ومهمة في الإسلاميين، ترفض عقابهم أصلا، ثم أنها ترفض قتلهم حتى لو أمرت بذلك الشريعة، وإن كانت نسبة الرافضين للعقاب بين العوام أكبر من الموافقين على القتل، وهذا غريب، لولا إدراك أن هناك جزء معتبر كذلك من العوام ليس لديهم مشكلة مع تحكيم الشريعة، فهو وإن أجاب أولا برفض العقاب، إلا أنه يسلم أن لو

أمرت الشريعة الإسلامية بقتلهم فهو موافق. المدهش هو وجود تلك النسبة المرتفعة الرافضة للعقاب، أو القتل، بين الإسلاميين!

- وكذلك تزداد المحنة عندما نرى العزوف الكبير بين العوام والإسلاميين عن الرغبة في المشاركة بعمل يكافح اللوطية، وطلب الابتعاد عن ذلك الملف من بابه،

والغريب أن ٧٠٪ من العلمانيين والليبراليين رفضوا المشاركة هم أيضا في أي عمل

متعلق بتلك القضية، ووافق أقل من الربع ٢١٪ على المشاركة في عمل حقوقي

لحماية اللوطيين، وأعلن ٤٪ رغبتهم في العمل لمكافحتها، وذلك لما شرحناه قبلا أن

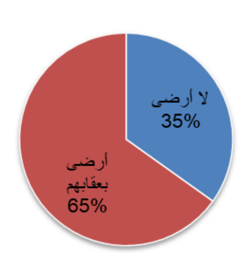
هناك قسما ضخما من العلمانيين، ذوي الشرائح العمرية الأكبر، ما زال يرى أن اللوطية جريمة.

إن كل تلك المؤشرات تبين نجاح العمل اللوطي في تحصيل درجة معتبرة من التعاطف معهم بين العوام وحتى بين الإسلاميين، وكذلك فشو الجهل بالأحكام الشرعية وكثير من المفاهيم الرئيسية المتعلقة بتلك القضية (اللواطة والخِناثة)، وهو ما يحتاج إلى عمل كثير منظم في إطار مكافحة تلك القضية، لكن ذلك صعب جدا، لنفور الجمهور عن التعامل مع تلك القضية بأي صورة؛ ولو حتى بمكافحتها في إطار عمل مشترك!

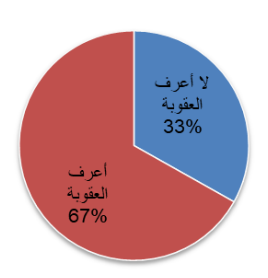
قارن ذاك النفور والعزوف عن المكافحة، بالعمل العالمي السياسي والتشريعي والحقوقي المحموم لتطبيع اللوطية وإذاعتها لتدرك حجم الخطر الحالي، والداهية القادمة، إن استمر الإسلاميون في اضطراب موقفهم بتلك القضية!

❖ أبرز مؤشرات العوام.

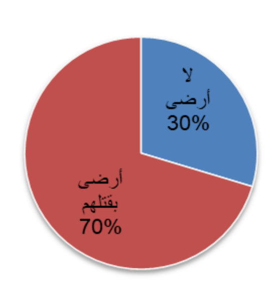
الرضى بالعقاب



معرفة عقوبة اللوطية في الإسلام



الرضى بالقتل

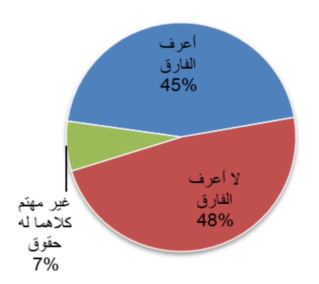


عمل حقوقي متعلق باللوطية

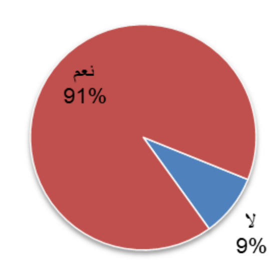
لا أريد
المشاركة
69%

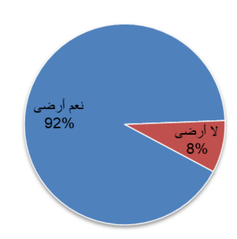
أريد
مكافحتهم
25%

أريد
حمايتهم
6%



❖ أبرز مؤشرات الإسلاميين.





ثامنا: الفقه المعاصر واللوطية.

أولا: الفقه في الجهات الرسمية.

إلى الآن (٢٠١٩)، لم تُظهر المؤسسات الدينية الرسمية في البلدان العربية تفاعلا مع الموجة العالمية لتطبيع اللوطية، ولا تكاد تجد فتوى كبرى واضحة بلا لبس في حكم اللواط وحكم مستحليه.

ففي الفتوى رقم ٤١٣٤، المنشورة على موقع دار الإفتاء المصرية، والتي تعود إلى عام ٢٠٠٥، يجيب علي جمعة -مفتي مصر حينها- على سائل: "ما حكم من ينادي بالزنا والشذوذ الجنسي؟" بالصورة الآتية: "من المقرر في الشريعة الإسلامية أنَّ الزِّنا حرامٌ وهو من الكبائر، وأنَّ اللواط والشذوذ حرامٌ وهو من الكبائر.. إذا تقرر ذلك فإن الإسلام لا يعترف بالشذوذ الجنسي، ويُنكر الزِّنَا، ويرفض كل علاقةٍ جنسيةٍ لا تقوم على نكاحٍ صحيح (١٠١).

أعد قراءة الفتوى، ستلاحظ كيف صيغت في صورة تتفادى الذكر الصريح المباشر الواضح لحكم استباحة اللواط، وتكتفي ببيان أنه محرم، تاركةً الاستنتاج للقارئ، الذي لو لم يكن من طلاب العلم العارفين بحكم استباحة المحرمات، لما استطاع معرفة الإجابة على السؤال أبدا، ولربما هيَّجه غياب نص تكفير المستبيح، في فتوى مفتي الديار المصرية الأسبق، إلى الهجوم على كل خطاب يُكفر المستحلين.

هذا وتلك الفتوى هي الوحيدة المتعلقة باللواط، والمنشورة في موقع دار الإفتاء - في

عام ٢٠١٩! أي أن أقرب منشور عن تلك القضية في الموقع الرسمي لمنصة الإفتاء

الرسمية في أكبر دولة عربية وواحدة من قلاع العالم الإسلامي الكبرى = يرجع إلى ما قبل أربعة عشر عاما، وهي بذاك الشكل الملتف الذي تراه!

ولا يوجد حرف واحد عن اللوطية المعاصرة وأحكامها! بل من المضحكات المبكيات التي فاقت بها مصر الأمم، أن موقع أمانة الفتوى فيه إجابة عن حكم السفر عبر الزمن

صدر عام ٢٠١١، وليس فيه إجابة عن الأسئلة المتعلقة باللوطية، الأيدولوجيا التي

يموج بها العالم، إلا إجابة جمعة!

أما خارج المنصات الرسمية، فقد أصدر علي جمعة نفسه فتوى صريحة فيها وعي عالٍ، تتعلق بحالات الخِناثة والترجُّل، تحرمها وتجرمها وتمنع جراحات تغيير خلق

الله المسماة تغيير الجنس (١٠٢)، وكذلك توجد على منصة إسلام ويب فتوىً قديمة

واضحة القطع في تحريم جراحات تغيير الجنس لغير الخنثى الحقيقي (١٠٣).

ثانيا: المسارات المستقبلية.

إن المؤسسات الدينية الرسمية في العالم الإسلامي والعربي منه تحديدا ستقع أمام المسارات الآتية في الزمن القادم.

المسار الأول: هيمنة الغرب، واستمرار اللوطية.

وصورته: أن يبقى الغرب مُهيمنًا على الدول العربية والإسلامية، وأن يُستمر في اتجاهه الحالي التصعيدي ضد المعاداة للوطية، سواء حكمه يساريون أو يمينيون.

وهذا أسوأ المسارات على الإطلاق، لأن الحكام المحليين والإقليميين سيضعون ملف (دعم اللوطية) رغما عنهم بين الملفات التي يمكن المناورة بها عالميا، إيجابا وسلبا، وهذا سيؤثر على المؤسسات الدينية الرئيسية التي ستكون مطالبة، في كل الأحوال، بتبني خطاب يتراوح بين الإنكار الضعيف والإباحة بحسب حجم زندقة رجالها!

سيُقابل هذا الإنكار الخائر بعواصف عالمية وداخلية حقوقية، وستضطر المؤسسات للتراجع أو الصمت مع تجاهل للمستحدثات والتطورات الدائمة، ما سيجعل المؤسسات العربية والإسلامية الدينية الرسمية فتنةً أكبر، بسبب ردود الأفعال المتوقعة من ذوي الهم الإسلامي الذين سيضطرون للصدام معهم ومع الدولة، فتضاف إلى الأعباء أعباء، وبسبب ادِّعام المؤسسات الحقوقية على خوارهم في نشر معتقداتها واختراق النظام والمجتمع بصورة أوسع!

المسار الثاني: هيمنة الغرب وانتكاس اللوطية.

وصورته: أن يبقى الغرب مُهيمنا؛ لكن يرتبك توجهه ذاك مع صعود يمين يتبنى معاداة اللوطية، فيضطرب البناء الداخلي للمجتمع الحقوقي ولا يلتفت إلا لذاته.

وفي تلك الحالة سيبقى الوضع المحلي على ما هو عليه، وستتجرأ المؤسسات الدينية الرسمية على التحريم بلا قيود، خاصةً إذ ظل الجناح اليميني الأمريكي متحالفا مع الحكام العرب. وحتى إذا زال التحالف، فسيكون الجناح الرافض للصعود اليميني في الغرب بحاجة إلى دعم الحكام العرب لمساندتهم في حسم النزاع السياسي الداخلي، وفي تلك الحالة سيضطر لتجاهل موقف المؤسسات العربية من تلك القضية.

المسار الثالث: هيمنة الغرب ومقاومة السياسيين العرب.

وصورته: أن يبقى الغرب مُهيمنا، لكن يرفض بعض الحكام العرب تلك التوجهات أو الالتفاف حولها استغلالا لوجود قضايا استراتيجية أهم ينشغل بها الغرب يُرضونه بها.

وهنا تظل المؤسسات على حالها، لا تُصعِّد بصورة خطيرة، وفي ذات الوقت لا تصمت، ويضطر الحكام حينها إلى إظهار خطورة دعم اللوطية على الاستقرار السياسي والمجتمعي الداخلي، كونه سيعطي شرعية أكبر للإسلاميين والتيارات المتطرفة، وحينها سيتفهم الغرب على الأغلب، كما تفهم حكم آل سعود بالأحكام الشرعية والرجم والقطع، وتجاهل زمنا طويلا التصعيد الرسمي، مع إبقاء السكوت على ذلك الملف الحقوقي لعبة في أيدي القوى العظمى يُفعِّلونها للضغط السياسي كل حين.

المسار الرابع: تفكك الغرب وتنازع الهيمنة مع الصين أو روسيا.

وصورته: أن تتفكك مركزية الغرب وسطوة هيمنته لصالح هيمنة صينية أو روسية.

وفي تلك الحالة قد تتنفس مؤسسات العالم العربي الصعداء في المراحل الأولى، لكون القضايا المركزية عند تلك الدول سلطوية وجيوبوليتكية في مواجهة الغرب، وسيرتضون من العالم العربي حينها بأقل نماذج التطبيع الثقافي والديني مقابل الحصول على مزاياه الاستراتيجية؛ وبالتالي قد يستخدم ملف تحرير الموقف من اللوطية في جذب الحكام العرب، كما تستخدم الصين استراتيجيتها الحالية اللا مبالية بموقف الدولة في مسائل حقوق الإنسان مقابل الشراكة الاستراتيجية وتلقي المساعدات، وهي السياسة التي جعلت الكثير من الدول تفضلها عن المساعدات والشراكات الغربية التي تربط الدعم السياسي والمادي بالموقف الحقوقي الداخلي.

من بين تلك المسارات، يظل الأول هو الأقرب، لأنه بالفعل واقعنا الحالي والممتد على الأقل لعدة سنوات قادمة، ما يعني أن المؤسسات الدينية الرسمية لن تكون معنا في مقتبل المعارك، بل ستتبنى في أغلب الأحوال موقفا متغابيا ضبابيا.

ثانيا: الفقه في الجهات غير الرسمية.

تتضمن تلك الجهات غير الرسمية كل من الهيئات والتنظيمات الإسلامية غير الحكومية، سواء المتوافقة مع الحكومات دون تمازج (مثل السلفية العلمية في مصر)، أو غير المتوافقة (تنظيمات الإخوان والحركات الإسلامية المختلفة)، وكذلك الأفراد (الأشياخ غير المنتمين لتنظيم).

إن تلك الجهات ستكون الأكثر تنوعًا في الخطاب، ولن تتوحد أو تتشابه الخطاب الرسمي ضرورةً، بل قد يرى بعض المنتمين إلى المؤسسات الرسمية فيها منفذا للتصريح ضد اللوطية إن عقم خطاب مؤسسته عمداً.

ولن يخلو موقف تلك الجبهات من اضطراب، فقد تنزع بعض الفتاوى، خاصة الفردية، إلى التفريط، وقد تنزع أخرى إلى الإفراط والغلو -والتفريط سيكون الغالب- وسيتسبب سوء فهم الأصول والتفريعات إلى هجوم ضخم معاكس من اللوطيين وجمعياتهم الحقوقية، فعلى المفتي في تلك المسائل أن يُجزِل من الاطلاع على أبعادها، وألا يتسرع، وألا يتلكأ كذلك بما يفوت عليه قضية الزمان.

وهذا الاضطراب قد ينعكس على المجتمع، وعلى الأجيال الجديدة، الفاقدة لعقل تفصيلي يسعفه في نبذ الغث والوقوف على الثمين، وثقف الفوارق بين الجميع = فستميل حينها لتصديق وتبني الخطاب الليبرالي، الذي يغذوها ليلا نهارا بكافة إعلامه ووسائله، ولن تجد مقاومةً تُذكر من المؤسسات الدينية الرسمية، وسيكون الخطاب الإسلامي غير الرسمي بالنسبة لها فوضويا ومرتبكا بما يكفي للنفور عنه!

الحركات الإسلامية تحديدا ستقع بين شقي الرحى، لأنها بلا ريب ستُطالب ببيان رأيها في تلك القضية، خاصة المرتبط منها بالنظام العالمي كالإخوان المسلمين، وستتحرج من إعلان موقف معادٍ مظاهر ضد اللوطية، يضعها في خانة عداء المنظمات الحقوقية الغربية والمؤسسات الدولية، ويميل بها أكثر نحو تصنيفها كحركة متطرفة في الغرب، وخسائرها من ذلك ستكون فادحة: إذ أن دعمها سيتناقص كحل غربي مناسب يُلجأ إليه أحيانا لسد فراغات السلطة في البلاد العربية، أو إعطاء شرعية نظام معين كالأردني والمغربي، باعتباره غير معادٍ للشريعة. وكذلك لن يؤبه بموقف معتقليها ومسألة إبادتهم والتضييق على منتسبيها في البلاد التي يعانون من اضطهاد سلطاتها كمصر، إذ أن المسؤول الأول عن الضغط الدولي للتخفيف عنهم هو مؤسسات حقوقية داعمة للوطية بلا هوادة، كمنظمة العفو الدولية؛ وإذا تعارضت القضايا لن تهتم بكل من يعادي اللوطية، هذا إضافة لما سينال أفرعهم الموجودة في الغرب من تضييق واضطهاد باعتبارها منظمة إرهابية ضد اللوطية. أما اتخاذ موقف مائع ضد اللوطية؛ فتهديد لقاعدتها الشعبية، وبنيتها الداخلية، وصورتها المجتمعية أمام منتسبيها وغير منتسبيها، أما المنتسب فأمره هين: قد يُقال له أن تلك ضرورة والحركة موقفها الحقيقي واضح لكنها لا تجرؤ على إعلانه، فإن قبل استمر، وإن عاند نُبذ، أما غير المنتسبين فلن يرتضوا هذا الموقف وسيزيد الهجوم الداخلي الإسلامي -الإسلامي عليهم. وقد تتبنى الحركات كذلك خطابا رافضا ثقافي الطبع، يبرر للغرب معاندته؛ بالانتماء للثقافة العربية والقيم المجتمعية التي ترفضه؛ لا لكونه محرما بذاته.

أما الأفراد فسيزداد موقفهم فوضويةً، وستدخل الأهواء لتلعب بكثافة في تحديد الفتوى المناسبة، فهناك من سيخشى التوجه الدولي وسيحاول إيجاد صياغة حديثة للفتاوى تحت مسمى إعادة الاجتهاد، وقد نرى فتاوى تتحدث عن إمكان وجود (خنثى نفسي) لا تكون أعضاؤه الظاهرة مُشكلة، لكن نفسيته كذلك! ولن تكون

المشكلة في هذه الفكرة بذاتها ضرورةً، إنما لما سيتتبعها من محاولات تذويب المفاهيم الإسلامية ولبرلتها بما يوافق اللوطية الحديثة.

كذلك قد تشيع محاولات التصالح مع الخطاب اللوطي بطريق ملتوٍ، إذ تُنسب اللوطية إلى الأمراض النفسية، ويُطلب الترفق باللوطيين لأنهم مرضى، وهو خطاب موجود حاليا وأبرز صفاته: تبني توجه معادٍ رفيق باللوطيين، ومعادٍ لكارهيهم، وراغب عن إيذائهم ولو بلفظ لا يرتضونه! ألم تر خطاب بعض من يزعم علاجه اللوطية؛ وهو يهاجم من يستخدم لفظي اللوطية والشذوذ، ويرفض استخدام غير مصطلح المثلية لوصفهم؟!

وهناك من الجهة الأخرى من قد يتبنى تكفير كل من وقع في اللواطة، وقد يُبتعث موقف الخوارج القديم عن تكفير صاحب الكبيرة.

كل تلك الفوضى لن تكون في مصلحة الخطاب غير الرسمي، وستصب لا محالة في خانة اللوطيين، ولن يخففها إلا الخطاب الخارجي: بمعنى أن ذيوع تلك الفوضى سيعطي فرصة للخطاب المنظم الواعي للصعود، وسيكون ذلك الخطاب المنظم غالبا من دولة لا تعاني ضغطا كبيرا ولا فوضىً ضخمة في تلك المسألة[19] وستساهم مواقع التواصل في رواج أي خطاب منظم واعٍ مستمر.

أما من جهة فقه المهجر، فسيكون أحد أبرز آلات تزويج اللوطية للإسلام، لطبيعة الضغط الموجود على المهاجرين، ونشوء أجيال حالية بالفعل تؤمن بأن الإسلام يبيح اللوطية، ومسلمو أمريكا يعلمون بوجود مؤتمرات حالية تناقش تلك القضية، ويقر أغلب المسلمين الشباب فيها بإباحة اللوطية.

---

[19] وأظنها ستصبح مملكة آل سعود، والله أعلم، إذ أن مؤسساتها الأكاديمية قوية، ولديها بحاثة أكفاء كثر، ولا تعاني في المسائل المجتمعية ذات الرقابة العلمانية الضخمة التي تعانيها المؤسسة الأزهرية المصرية –إلى الآن!

ثالثا: معوقات صناعة فقه معاصر مناسب للوطية.

مما سبق يمكن تلخيص أهم معوقات صناعة فقه معاصر ملائم في الآتي:

١. عدم ثقف القضية اللوطية وجذورها، وغموض مصطلحاتها، وجدتها المعنوية واللفظية على أوساط العلوم الشرعية.

٢. عدم فقه الصور المستحدثة من الخِناثة واللواطة والطب التجميلي والتعديلي والنفسي.

٣. الضغوط الدولية والمحلية المؤسسية التي ستُنشئ سياجا من الحذر حول أي دراسة شرعية متعلقة بتلك القضية، خشية التعقيدات الدبلوماسية والحقوقية، تصور مثلا كيف لشيخ أن يخرج ليحرم الألعاب النسائية ولو بزي ساتر، ولو في مكان مغلق، لأنها ستشمل التحاما جسديا مع خِناث ذكور! أي طاق جحيم سيفتح على نفسه!

٤. الفوضى غير الرسمية الجارية في مسائل واضحات بيِّنات، والتي ستتضاعف مرات ومرات بعد دخول قضية غامضة ودائمة التحديث مثل تلك، إلى دوائر النقاش والجدل.

٥. اختلاف موقف الجماعات الإسلامية وتضاربها، واضطرار بعضها إلى موالاة الغرب بالسكوت على أفضل الأحوال، والذي قد يلجأ مستقبلا إلى تبني خطاب وسيط يدافع عن حقوق اللوطيين في الحياة وعدم الإيذاء، ويشكك في الأحكام الشرعية العقابية ويعتبرها تراثية، ويطعن في الأحاديث التي فرَّع منها الفقهاء

مسائلهم، وفي نفس الوقت يُرضي المسلمين بإظهار رفض الخطاب اللوطي واعتباره مخالفا للقيم.

٦. حجم الضغط الكبير الذي سيقع على مسلمي المهجر بناءً على المواقف السيادية لدولهم، والذي قد يدفع بعضها إلى تخفيف الخطاب وتعليق عقاب اللوطية، إرضاءً للغرب ولمسلميه.

رابعا: التوقعات المستقبلية ومخاطر تخلف أو تبعية فقه مواجهة اللوطية.

إن الأقرب للحدوث مستقبلا هو انقسام المجتمع العلمي الشرعي إلى المواقف الآتية:

١. الغالب إلى وقت قريب، سيكون تجاهل القضية وعدم الانشغال بها عمدا خشية إحراج أو إغضاب الدولة.

٢. الخطاب المائع غير الظاهر، وسيتعمَّد التغابي في الواضحات، هربا من قيل الحق. وقد رأينا مثالين مبكرين على ذلك: الأول الغنوشي الذي سُئل عن حقوق اللوطية، فلم يذكر حكمها ولا موقفها الشرعي، بل تحدث عن حقهم في ألا يفتش أحد عنهم ولا يقتحم خصوصيتهم، وموقف سلمان العودة الذي سُئل في أوروبا عنهم فقال إن لا أحد يحكم عليهم بالكفر وأن من يكفرهم هم الخوارج فقط، بل انتفض على مواقع التواصل مهاجما من كفر اللوطي، في تجاهل فاضح للسؤال ومخاطر إجابته المائعة المرذولة بل واعتماده مهاجمة خصم من القش واتهامه بالخروج عن السُّنة! ما للسؤال وما للإجابة والانتفاضة؟!

٣. الخطاب المقاوم، وسينقسم بين مقاومة بجهالة وضحالة، اعتمادا على الفقه الأثري القديم وحده = وهذا سيضر أكثر ما ينفع، وبين مقاومة بعلم المستحدثات،

وهذا سيحتاج إلى معرفة متخصصة وإدراك عميق للآثار والحوادث، ثم ربط بين الطرفين بمهارة وإدراك مقاصد الشريعة الحقيقية لا المتلبرلة الخنيثة المعاصرة، ولن يفُز بهذا إلا الندرة.

٤. الخطاب المتلبرل، وسيعمل على تفكيك البنية الشرعية في أصل باب الزنا الفقهي كله، ثم إعادة تركيبه على أسس دين ليبرالية المؤتفكات، بتأويل الآيات بالباطل ورد الأحاديث بالبغي وإسقاط أقوال الفقهاء أرسالا، كما هي عادتهم السقيمة القبيحة، قبحهم الله وفضحهم في الدارين.

٥. الخطاب المضطرب، وهذا سيكون شائعا فيمن يقتصر على الفقه القديم، إذ سيحاول الابتعاد عن جدالات تلك القضية بالانشغال بمسائل أخرى. خطورة هذا النوع أنه سيهاجم المنشغلين بمقاومة اللوطية، باعتبارهم يضيعون الوقت فيما لا يحتاج إلى ذلك، وأن الإسلام أكبر من تضييع الوقت في هذا المجال.

خامسا: صفات العلماء المؤهلين لإنتاج فقه مواجه للوطيَّة.

ليس من الصعب بعد كل ما ذكرناه تحديد أبرز صفات العلماء المؤهلين لإنتاج فقه صحيح وسليم لمواجهة اللوطية، عن طريق استعراض أشراط وجود ذلك الفقه في أحدهم:

١. الإخلاص لله وحده: بعدم التبعية لمؤسسة حكومية أو دولية أو حزبية تراعي النظام الدولي والهيمنة الغربية ومقتضياتها ولوازمها وضغوطها.

٢. وينبني على الإخلاص ضرورة عدم التأثر بأديان العلمانية المختلفة، فلا لبرلة ولا يسار ولا غيرهما = أن يكون بناؤه الفكري والشرعي خالصا من كل تلك الأدران.

٣. وينبني عليه، وجوب إدراك بنية النظام الدولي الفكرية والفلسفية المعاصرة بصورة جيدة، وعداء صورتها والسعي في هدمها.

٤. وينبني عليه كذلك، عدم الاكتراث بالعاقبة: أن يقول الحق لا يكترث لموقفه ووضع التشكيل الاجتماعي الذي ينتمي إليه، سواء كان مؤسسة دينية أو حزبا أو تنظيما أو جماعةً.

٥. العلم المعمق بالشريعة: مقاصدها وبنيتها ومذاهب الفقهاء في تلك القضية تحديدا، وفي أبواب الحدود عامةً.

٦. العلم المعمق بالقضية اللوطية: بإدراك أغوارها الفلسفية والقانونية ومغبة التهاون معها ولوازمها وعلاقتها بالليبرالية.

٧. العلم المعمق بالمستحدثات اللوطية: الطبية والنفسية والقانونية والفلسفية في كل ما يتعلق بتلك القضية، بحيث لا تكون فتواه متخلفة عن الواقع.

٨. حيازة الملكة الفقهية: من أجل ربط الفقه القديم بالمستحدثات والنوازل المعاصرة بصورة ملائمة.

٩. الاطلاع الواسع على تبريرات مسلمي المهجر السقيمة وتأويلاتهم لكل مُحرِّم شرعي لتلك الفاحشة، والرد عليها أولا بأول.

أخيرا، لعلك بعد الاطلاع على تلك الأشراط كلها، قد أدركت لم سيندُر وجود فقه مناسب مكافح للوطية، ولم سيسود الخطاب الفوضوي؛ فمن الذي سيجمعها كلها

إلا أفرادا هنا وهناك؟ ثم كم فرد منهم سيتحمل تبعات ولوازم الخروج على النظام العالمي ووكلائه وتشكيلاته التي نحيا بداخلها؟

ولعل الله يُحدِث بعد ذلك أمرا!

ألهمها فجورها وتقواها

الفصل الرابع: اللوطية والعلوم

قد يُحيل ذوو الألباب إمكان أن يبني عشرات الملايين من البشر، ذاك الهوس بقضية عملاقة مثل اللوطية، فوق أساس علمي واهٍ، ونسيج بيولوجي مهترئ، وبهرج سيكولوجي زائف، خاصةً إن كان أولئك المؤمنون بالهتر والدجل هم أنفسهم مُفاخرو العقلانية، ومتبجحو العلموية!

إلا أن هذا الفصل غرضه أن يدهمك بالحقيقة: أن أولئك الناس قد شيدوا كل ذاك البناء، دون أساس علمي واحد مُحترم يحدث به الغَناء، ويُملأ به الكساء! ثم الأعجب أنهم صاروا يُقاتلون دونه، ويوالون عليه ويعادون فيه!

وقد آثرت عدم تقديم هذا المبحث، لا لتأخُّر رأي العلم عندي؛ بل لحجم الفوضى التي تطبع ذلك الملف تحديدا! فالمسألة في أيدٍ لا تملك إثبات جبليَّة اللوطية، لعدم وجود أدلة معتبرة، كما سنرى، ولا تملك كذلك نفيها مطلقا، لقوة سلطان اللوطية والخشية من إثارة اللوطيين المبثوثين في كافة أروقة المؤسسات السيادية العلمية وغير العلمية في الغرب، إضافة للتهمة التي راجت مؤخراً لإرهاب الجميع، وهي معادة اللوطيين، ورهاب اللوطية Homophobia!

وسأقسم هذا المبحث إلى أقسام ثلاثة:

الأول أناقش فيه علوم البيولوجيا، باعتبارها الأساس (المادي) الذي كان من الواجب رسوخه كيما ينبني عليه كل ما بعده، فهي لُباب العلوم المنشغلة باللوطية، وأوثقها اتصالا بالوضعية والإمبريقية.

والثاني أناقش فيه علم الاجتماع، ونظريات تكوُّن النوع، والخلل الذي تسببت فيه، وآثارها، مع عرض لوجهتي النظر الجوهرية والبنائية في أصل اللوطية، وأخيراً نستعرض نظرية الشذوذ Queer Theory.

والثالث أناقش فيه فيه العلوم النفسية، المُتَّهم الأول بالترويج للوطية، ودعامتها المركزية.
ثم أختم المبحث بنقاش عام.
وستلاحظ أن كافة النظريات في العلوم الثلاثة تكاد تتمحور حول سؤال واحد: أتكون اللوطية جبليَّة أم مكتسبة؟ معرفة هذا واجبة لتيسير قراءة كل ما يأتي.

أولا: البيولوجيا والبحث عن أصل اللوطية.

كان وما زال الهدف الرئيسي من النشاط البحثي في المجال العلمي البيولوجي، هو إثبات جبليَّة اللوطية في الإنسان، ورفع الإثم عن اللوطيين، بإظهارهم مجبرين لا مختارين لأفعالهم.
وفي هذا المجال، لا إثبات للجبر إلا بإثبات رسوخ ذلك الميل في أدق مُركَّب تصنيعي في جسم اللوطي، وهو الجين = وعليه تركَّز البحث في العلوم البيولوجية على محاولة إيجاد أثر جيني في الميول الجنسية اللوطية؛ فإذا حدث ذلك، ستقوى حجج التعاطف مع اللوطيين وتتماسك وتصير ذات أساس علمي لا يُجادَل(١٠٤)، إذ كيف نطالب إنسانا بأن يخالف ما خلقه الإله الحق أو الطبيعة فيه؟ تلك حجة تسبب البلبلة حتى عند المتدينين.

ولنضرب مثلا بهوارد دين، مرشح الرئاسة الأمريكي في إنتخابات ٢٠٠٤، عن الديمقراطيين، فبالرغم من أنه مسيحي متدين، وبالرغم من رفضه الزواج اللوطي

الرسمي، إلا أنه كان أحد رواد الموافقة على الاتحاد المدني Civil Union[20] في

الولايات الأمريكية، وقد صبغ دين موافقته تلك بصبغة دينية، إذ تحجج بالأدلة (المتكاثرة) على أن اللوطية مُسبَّبة بالجينات، فطرية جبليَّة، وبالتالي لا يمكن أن

يخلق الرب أُناسا لوطيين ثم يؤثِّم اللوطية ‹١٠٥›!

فانظر كيف جمع بين رفضه زواج اللوطيين رسميا، وبين رؤيته لاستحالة كون اللوطية إثما، وهو كلام مُنبئٌ بحجم الاضطراب الداخلي في نفسه بين قولة الدين وبين ما يظنه حقيقة علمية، ومحاولته التوفيق بينهما قدر جهده!

وقد سادت تلك الرؤية طوال النصف الثاني من القرن العشرين، أي قدرة إثبات (الجبر الجيني) على تقبل اللوطيين، والتسامح معهم، لذا كان الهوس رائجا في تلك المرحلة، خاصة في التسعينيات.

لكن ذلك الهوس صار أقل، لما ثبت ببحوث مختلفة؛ منها دراسة بويسون وفوجل على مجموعة من الطلاب الأمريكيين، عن ضعف فعالية نظرية العزو Attribution theory، القائلة بأن البشر يتسامحون أكثر إن علموا أن فعل المرء الغريب منسوب لأصل جيني، لا تحكم للإنسان به، ولا يكونون بذات التسامح إن نُسب الفعل لأصل سيكولوجي نفسي، وعليه يكون إثبات الجبليَّة أوفق لتقبل اللوطية = إذ ثبت أن رافضي اللوطية لم ولن يتغير رأيهم فيها حتى وإن ثبت الأصل الجيني، وأن داعميها

---

[20] الاتحاد المدني هو نوع من أنواع الزواج، يحوز فيه الطرفان حقوق المتزوجين، لكنه دون الزواج الرسمي المرتبط بالموافقة الدينية والقانونية الكاملة. وقد كان –وما زال– هو حل أكثر الدول والولايات التي لم تسمح للوطيين بالزواج الرسمي، ولم ترض بحرمانهم من هذا النوع من الزواج العرفي.

لم ولن يتأثر موقفهم بصحة أو خطأ نظرية الأصل الجيني(١٠٦)؛ لذا تركز التغيير طوال العقد الماضي في الجانب الثقافي والمعرفي والحقوقي، بدلا من الهوس بالجانب البيولوجي.

لكن كيف حاولوا إثبات الجبر الجيني بالعلوم البيولوجية؟

انقسم الأحيائيون بين عدة مسالك، كان أبرزها وأكبرها وأكثرها إثارة للجدل ثلاثة:

- **الأول: البحث المباشر عن (جين) في كروموزومات اللوطيين لا يوجد في غيرهم؛ فإذا وُجِد مثل هذا الجين، أمكن ترجيح جبليَّة اللوطية. وقد اصطلحت الأدبيات الإعلامية على توصيفه بالجين اللوطي** Gay Gene.

- **الثاني: البحث عن اختلافات فسيولوجية أو تشريحية بين اللوطيين وغيرهم، فإذا ثبت الاختلاف، أمكن ترجيح جبليَّة اللوطية. وهو بحث غير مباشر، إذ أننا وإن لم نر الجين، إلا أننا وجدنا آثاره.**

- **الثالث: البحث في مدى تكرار اللوطية بين التوائم خاصة المتماثلة، فإذا وجدنا أن التوائم المتماثلة جينيا مشاكلة في اللوطية أيضا، أمكن ترجيح جبليَّة اللوطية = وهو بحث غير مباشر كذلك.**

وسأعرض أهم وأشهر تجربة في كل مسلك، والجدل الذي ثار حولها، ثم نختم بموجز نختصر فيه الكل.

لكن توجد عدة أسس يجب عرضها ابتداءً:

الأول، أن البحث الجيني متمركز حول اللوطية الذكرية، ولا يوجد شيء مُعتبر يمكن ذكره عن اللوطية النسوية، والجميع يُقر بقلة المعرفة عن الأخيرة، وهذا طبع عام للبحوث العالمية حول اللوطية، في مجالات البيولوجيا والسوسيولوجيا

والسيكولوجيا، فهي تركز بصورة رئيسية على اللوطية الذكرية (والمفعول به على وجه التحديد) بينما تبدي اهتماما أقل في غيره.

الثاني، أن البحوث في تلك القضية متهمة بالانحياز، ومن حقائق تلك القضية تراشق التهم بين الطرفين، المُثبت للجبلية الجينية، والنافي لها، أو الصراع بين مدرستين في تفسير اللوطية، مدرسة الطبيعة Nature ومدرسة التنشئة والتربية Nurture.

الثالث، أن أجواء البحث العلمي في تلك القضية تخضع لا محالة للضغوط المعيارية المجتمعية، فلم يعد من السهل تقديم بحث عن كون اللوطية مرضا سلوكيا، بإثبات طبيعة واحدة للإنسان، وهي الميل للجنس الآخر! وللمدرسة البنائية في علم الاجتماع اهتمام بإدراك الطابع الثقافي لتلك الظاهرة وتكوين المعارف حولها، كما سنرى لاحقا.

الرابع، أن البحث طوال ربع القرن الأخير قد أصابه اليأس عموما من الإثبات الجيني لأصل اللوطية، ولا أتحدث عن القرائن، بل أتحدث عن إثباتات تجريبية بأدلة لا تُدحض، وبالتالي انتقل التركيز على المقاربات الاجتماعية والنفسية وإضفاء أهمية كبيرة عليها.

الخامس، أن غاية ما يدعيه العلماء المثبتون لجبليَّة اللوطية هو قوة القرائن، وعليها مدار عملهم، ويزعمون أن تلك القرائن المتعددة من الاستقراء قد تصلح دليلا كافيا. وهذا لا يُسلَّم في تلك القضية تحديدا، لأن الأدلة الأخرى على ندرة اللوطية في كثير من المجتمعات التاريخية = تدحض هذا الوجود الحتمي للوطية، وبالتالي نرجع نحن واللوطيون إلى مجالات علم الاجتماع والنفس ودور الثقافة في التطبيع ونشر تلك الفاحشة، وسأناقش هذا في جزء علم الاجتماع.

السادس، أن البحث عن السلوكيات الجنسية الجدلية الأخرى، جينيا، غائب، ولا يهتمون به، رغم مطالبة متشهي الأطفال (البيدوفيل) وعشاق الحيوانات، بالتعاطف معهم لأن الأمر (مركب فيهم) كما سنرى في نهاية الفصل؛ فالصحيح لو أراد اللوطيون الإنصاف أن يُجرَى البحث الجيني لكل سلوك من هؤلاء على حدة! وهي مخاطرة ضخمة، إذ أن اكتشاف سمات جينية مشتركة بين كل تلك السلوكيات وبين اللوطيين = سيجمع من يوصمون بالمرض العقلي معهم، وبالتالي إما يُعدِّل العلماء من تبريرهم تصنيف أحد الطرفين كمريض والآخر كطبيعي، وإما يرفضون التعديل فيقعون في التناقض العلمي والأخلاقي!

ولنبدأ الآن في استعراض مسالك الحجج.

أولا: حجة جين اللوطية Gay Gene.

في مطلع التسعينيات، نجحت تقنية متميزة حينها في تحديد موقع الجين المسؤول عن مرض هنتنغتون، وساد هوس ببحث أماكن ارتباط الجينات بالأمراض Gene Linkage studies، وامتد ذلك الهوس إلى البحَّاثة في السلوكيات، فتساءلوا:

أيمكن تحديد موطن جين مسؤول عن سلوك معين(١٠٧)؟

ثم في عام ١٩٩٣، نشر د. دين هامر دراسة ذاعت بين العوام قبل العلماء، وطار بها الإعلام إلى آفاق المشرقين والمغربين فتداولت الصحافة دعوى أننا اكتشفنا أخيرا جين اللوطيةGay Gene، وأن دراسة هامر هي فتح كبير للوطيين(١٠٨).

فما هي دراسة هامر؟

درس هامر عدد ١١٤ أسرة لأفراد لوطيين، فوجد أكثرهم ذوي أقارب لوطيين آخرين من جهة الأم، وعليه بحث المحتوى الجيني في هؤلاء مُقارِنا، ليلحظ تكرار جين محدد هو Xq٢٨ في اللوطيين من الأسرة؛ وبما أن الجين موجود على الكروموسوم X، المورَّث من الأم = إذن هناك موثوقية إحصائية بنسبة كبيرة أن هذا الجين هو المسؤول عن اللوطية في الذكور(١٠٩).

لتبسيط الأمر، تصوَّر أن هامر لاحظ أولا أن عدد اللوطيين من جهة أم اللوطي أكبر، فقرر أن يدرس هذا الاتجاه من الأسرة، ثم لاحظ جزءًا مميزا من جينات اللوطيين موسوما بلون أصفر لامع، وفي جينات أقارب الأم لم يجد هذا اللون الأصفر متكررا إلا في جينات اللوطيين = ألا يعني هذا أنه قد تم توريثه، خاصةً أنه موجود على الكروموزوم المورَّث من الأم؟

قوبلت دراسة دين هامر بمشاعر مختلفة في كل جهة، فهذا أول دليل (علمي) يثبت جبليَّة اللوطية، وقد جاء سريعا، في أوائل التسعينيات، كأنما أُشكِلت القضية طوال التاريخ، حتى استخدم دين هامر وفريقه البحثي تقنية (الربط الجيني) فجاء اللوطيين الفرج من الضربات الأولى!

لكن فحص العلماء للدراسة بتأنٍّ أظهر بعض المشكلات الأولية: فهامر لم يُحدِّثنا عن وجود أو غياب هذا الجين في الأقارب غير اللوطيين (١٠٧)! ألاحظت أن الجزء

الأول من الدراسة اهتم بإجراء مسح ابتدائي لمعرفة النسبة الأكبر من إحدى جهتي الأبوين، ثم بعد ذلك درس اللوطيين من جهة واحدة جينيا؟ فماذا عن غير اللوطيين؟

ثم نأتي للاعتراض الآخر: فقد طار هامر فرحا بأن ٣٣ زوجا من اللوطيين ال ٤٠ قد

تشاركا هذا الجين، لكنه لم يحدثنا عن السبعة الباقين: لم غاب (جين اللوطية) عنهم؟ الواجب أن كافة اللوطيين جُبِلوا على اللوطية بهذا الجين؟ حاول هامر تخفيف أثر ذلك بالاعتراف أن هذا الجين مسؤول عن (نموذج واحد) من اللوطيين

‹١٠٩›؛ أي أن هناك نماذج أخرى لوطية لا أثر للجين فيها!

وعلى أي حال كانت تلك معضلة سنجد كيف حاول أنصار جبليَّة اللوطية حلها بعد ذلك.

لكن لم يأبه الإعلام بالاعتراضات على التجربة، وطار بها فرحا في كل مكان، وصار (الجين اللوطي) هو حديث الساعة في كل مكان، وهو ما دفع الأوساط العلمية لمحاولة تكرار التجربة، فالشرط العلمي واضح: لابد من أن تكون التجربة قابلة للتكرار والحصول على نفس النتائج.

لم يأبه الكثيرون بادعاء (ستيلا هو) أنها كررت التجربة، فقد كانت في نفس فريق هامر، وتجربتها كانت على عدد أقل؛ بل إن ادعاء ستيلا هذا قد يُستخدم ضدهم كما سنرى!

حاول الكثيرون تكرار تلك التجربة، على ما في منهجيتها من عيوب وخطايا، مثل الاعتماد على مقياس كينزي الجدلي، واستجلابهم للعيِّنة من إعلان بصحف اللوطيين، ومشاكل دراسات التوائم عامةً؛ لكن كل ذلك تجاوزه البعض، وحاولوا

التكرار بتلافي المعايب الأولى، كقلة عدد المفحوصين، ومنهجية التجربة، وأسلوب فحص العينة.

وكانت النتائج دوما مفاجئة: تكرار التجربة لا يوجِد ما تحدث عنه هامر!

لنضرب المثل بدراستين: الأولى لفريق محايد وهي دراسة جورج رايس‹١١٠›، والثانية لفريق من اللوطيين، اشتهر بأبحاث التوائم لإثبات اللوطية؛ وهي دراسة مايكل بايلي وريتشارد بيلارد ‹١١١›، وقد نشرت الدراستان في عام واحد: ١٩٩٩.

في الأولى، كرر فريق علمي بقيادة دكتور الأعصاب الأمريكي جورج رايس Rice التجربة على شريحة أوسع وأرقام أكبر من هامر، كان من المنتظر أن تؤكِّد نتائجه ليُصبح الجين اللوطي حقيقةً، لكن المفاجأة أن رايس أعلن عدم وجود ما لاحظه دين هامر، وكتب صراحةً أنه لا يفهم لِمَ لمْ تتكرر الإحصاءات على الرغم من زيادة عدد المشاركين؛ بل إنه حتى لو جمع نتائجه فوق نتائج دين هامر، لن يجد الباحثون شيئا مما زعمه هامر ‹١١٠›!

وفي الثانية، كانت الشريحة أكبر من هامر (٣٥٠ مقابل ٧٦)، وحاول القائمون بها تلافي معايب دراسة هامر المنهجية العديدة، وهي من أكثر المحاولات الجادة في إثبات أثر ذلك الجين -تذكر ما قلته لك عن القائمين بها! لكن النتائج كانت صادمة بما يفوق دراسة رايس: فهم لم يكتفوا فقط بالحديث عن عدم وجود علاقة بين اللوطية والموضع Xq٢٨، بل اكتشفوا أيضا أن أرقام اللوطية بين الجهتين،

الأمومية والأبوية، تكاد تتماثل! ذلك يعني أن لو ثبت الأصل الجيني؛ فهو غير مرتبط ضرورةً بالكروموسوم X من الأساس (١١١)!

ما زاد العجب، أن دين هامر شارك بنفسه في أول الألفية في دراسة كبرى لخريطة الجينوم الكاملة مع موستانسكي Mustanski، وقد أكدت تلك الدراسة عدم وجود ارتباط إحصائي من الأساس بين الميول الجنسية والجينات، إلا بموضع واحد يسترعي النظر في الكروموزوم ٧، لكن حتى تلك الملحوظة ثبت وهمها في عام ٢٠١٤، ولم تتكرر (١٠٧).

ثم جاءت الضربات متوالية، لتنقل الجين اللوطي إلى ركام تاريخ (مجازفات العلوم)! فقد فشل العلماء طوال ٢١ سنة في تكرار نتائج التجربة، وانتقل الاهتمام إلى جينات أخرى متنوعة، وخمَّن موستنسكي في عام ٢٠٠٥ أن هذا الجين، لو وُجِد، فسيكون في الجينات الأوتوسومية Autosomal chromosoms لا الكروموسومات المرتبطة بجنس الوالدين، وبالتالي يمكن أن يكون مصدره الأب أو الأم بالتساوي (١١٢)! وكل تلك الدراسات تؤكد على وجود (شيء غير طبيعي) متعلق بدين هامر وفريقه! لم اكتشف دين هامر وحده هذه الاكتشافات

الضخمة؟ ثم لم نجحت إحدى عضوات فريق دراسته (وحدها) في تكرار تجربته؟! أليس هذا مطعنا على نزاهة كافة ذاك الفريق البحثي؟

لكن مع ذلك الفشل، وبالتوازي مع خفوت هذه الفرضية في حقل العلوم، تلألأت تلك (الحقيقة) في كافة أرجاء المجتمع غير العلمي، حتى وصفتها كيت أوديوردان، الأستاذة المتخصصة بالتأثيرات الإعلامية المهولة لمزاعم علمية غير ثابتة، بالفرضية الجينية التي تحولت إلى واقع اجتماعي ‹١٠٨›!

لقد مر ربع قرن من تأكيدات الإعلام والحركات الحقوقية على (الحقيقة العلمية) القاضية بوجود الجين اللوطي ونُشِّئ العوام عليها، بينما القصة في العلوم (الحقيقية) ليست أكثر من فرضية مضطربة تُرجَّح تارة وتُنفى تارات‹١١٢›.

حتى جاء آلان ساندرز في عام ٢٠١٤ وحاول بعث جين دين هامر من مرقده، فنشر دراسة يدعي فيها أنه وجد ارتباطا إحصائيا بالفعل بين المنطقة Xq٢٨ واللوطية، وهذا يدعم الدراسة المزعومة في (تخمينها) ارتباط اللواط بالجينات ‹١٠٧›! ومن جديد أذاع الإعلام القصة وطار بها الناس فرحا، وإن لم يفهموا لِمَ هذا الاحتفاء بما ثبت منذ ربع قرن؟!

لم يكن أحد يدري أن العلماء كانوا يتعاملون مع تلك القصة باستخفاف، وهامر ذاته أبدى دهشته ممن زعم أنه تحدث عن جين لوطي! فقال إنه مجرد ملاحظة تستحق الدراسة، وأن المسؤول عن اللوطية ليس مجرد موضع جيني واحد، بل

بالتأكيد عدة مواضع مركبة متفاعلة مع بعضها، إضافة للعوامل البيئية الخارجية Environmental ‹١١٣›، محاولا بذلك حل المعضلة التي ذكرنا أنه وقع فيها قبلا: لم يوجد عدد من التوائم اللوطيين لا يملكون هذا الجين من الأساس؟!
سيكرر ساندرز نفس الكلام حرفيا في لقاء معه، قائلا إن ليس معنى وجود ذلك الجين حتمية صيرورة الإنسان لوطيا، فالأمر في الجينات ليس مثلما يتخيل البعض، ليس كما في التركيب الكروموزومي XY الذي معناه أن هذا ذكر حتما، وأن XX الذي معناه أن تلك أنثى حتما! ليس الأمر كذلك، بل هناك عمل ضخم مُركَّب من مجموعة من الجينات غير المعروفة بعد، وكذلك عوامل بيئية تؤثر في الإنسان! فهذا الجين ذو أثر ضئيل مقارنة بالعوامل المركبة الأخرى في تحديد ميول المرء في اتجاه اللوطية‹١١٤›!

وقد كان كلام ساندرز وهامر محاولة للإجابة عن سؤال الحتمية الذي سيفشلون فيه بالطبع! فإن كان هذا الجين هو المسؤول عن اللوطية بالفعل، أفلا يجب أن نجده في كل اللوطيين، ولا نجده في غيرهم؟ لم غاب عن كثير من اللوطيين، وحضر في الكثير من الطبيعيين؟! كان لابد من حل تلك المعضلة عن طريق عزو اللوطية إلى عوامل عدة (قد يكون منها) هذا الجين!
لكن ظهر في الوسط العلمي الاعتراض على نتائج ساندرز التأكيدية أيضا: فساندرز لم يفسر لنا سبب فشل العلماء طوال ربع قرن في تكرار التجربة، والوصول لنفس النتائج، أو حتى الاقتراب منها، حتى جاء هو ‹١٠٧›! ليس هذا بالاعتراض البسيط كما قد تتصور! فربع قرن من التجارب ومحاولات التكرار الفاشلة والعجز

تماما عن إيجاد علاقة إحصائية بين هذا الجين واللوطية، لا يُمرُّ عليه بخفة! من صمم ونفذ التجارب علماء ثقات وكبار وبحاَّثة بل ومنهم لوطيون كما رأينا، وقد استخدموا جميعا كافة السبل التقنية لإدراك ما وصل إليه هامر أو حتى الاقتراب منه؛ لكن بلا جدوى! فكيف يُلقى هذا الجبل الهائل من التجارب الداحضة لمزاعم دين هامر بتجربة واحدة جديدة؟! لم يُجب ساندرز ولم يُفسر لنا هذا الفشل المستمر طوال عقدين من الزمان!

كما أن الهدف الذي افتُتحت به التجارب، ذاب في النهاية: فقد جاءت التجارب لإثبات معتقد الجبر، وأن اللوطي مجبول على حب نفس جنسه لا محالة = لكن النهاية أثبتت أن حتى لو وُجِد جزء جيني يدفع الإنسان للوطية، فهو ذو أثر ضئيل، والعوامل الأكثر تأثيرا قد تكون بيئية خارجية؛ وسيكون علم الإبيجينيتيك[21] هو أداة ملجأهم لتبرير تضارب النتائج!

كما أن أنصار الجبر لجأوا للمجهول لتدعيم مواطن ضعفهم: فقالوا بوجود تركيب ضخم من الجينات مسؤول بجوار ال Xq٢٨ عن اللوطية! ما هو هذا التركيب؟ لا أحد يعلم! لم يزيدوا في حديثهم عن العزو للتركيب المجهول!

أما عن اللوطية النسوية، فالدراسات الجينية فيها لا تصل لشيء واضح، وقد أكد هامر نفسه عدم وجود ملاحظة جينية مشتركة ذات أهمية بين اللوطيات، ولم يُخالف عالم مُعتبر في هذا.

بقيت ملحوظة أخيرة قد لا تهمك: أن دين هامر، زعيم وفاتح تلك الدراسات = لوطي قح!

الخلاصة:

---

[21] سنناقشه لاحقا، ونبين كيف أن احتجاجهم به قد ينقلب ضدهم ويصبح أقوى سلاح يدحض الجبرية؛ لا المهرب كما يظنون!

- لا يوجد تفسير جيني مباشر واضح للوطية الذكورية، والدراسات القليلة التي أشارت لإمكانه وسط بحر النُّفاة، راجت بسبب السطوة الإعلامية للوطيين لا بسبب قوتها العلمية.

- الدراسات المثبتة أكدت أنها وإن خمنت مساهمة الجين Xq٢٨ بنسبة في الميول

اللوطية الذكورية، إلا أنها سلمت أن مساهمته ضئيلة جوار مساهمات أخرى مجهولة، سواء جينية، أو بيئية خارجية، ما يُضعف القول بالجبر الذي روجه الإعلام والحقوقيون.

- توجد على منهجية تلك الدراسات خلافات وجدالات كبيرة، أكثرها لم يحرر لها المثبتون للوطية الجينية جوابا، كما أنهم عجزوا عن شرح سبب عجز الجمهرة العظمى من الدراسات عن تكرار نتائجهم.

- الرأي السائد في الأوساط العلمية، أن الجين اللوطي قول لا يُعتدُّ بإطلاقه، بل مجرد تخمين، وحتى المثبتون لا يقولون حاليا أن هناك جين لوطي محدد، بل مجموعة من الجنيات، يُخمَّن أن لها علاقة!

- لا توجد علاقة بين اللوطية النسوية والجينات، والدراسات التي تحاول إثباته أضعف من أن يعتد بها حتى اللاطة!

- فإذا جمعت كل ما سبق، تحقق لك أن حجة الجين اللوطي صارت تدور بين رأيين:

الأول، رأي المثبتين لوجود أصول طبيعية للوطية، وإثبات عوامل غامضة مثل الدور البيئي.

والثاني: رأي النافين للأصول الطبيعية اللوطية، المثبتين للدور التربوي.

ولم تعد توجد مدرسة الطبيعة الجبليَّة الحتمية الواثقة (جين معين) إلا عند من لا يفقه القضية!

فالطريق المباشر لإثبات جبليَّة اللوطية، مُغلقٌ بسد عظيم، يهلل اللوطيون لبعض مظاهر الشقوق فيه، آملين أن يحمل لهم المستقبل معولا يهدمونه به تماما؛ لكن كلما توغلوا فيه ازداد غموضًا، ولم يصلوا فيه إلى شيء؛ بل صاروا أكثر حذرًا في ادعاءاتهم الكبرى منذ عصر إحراج دين هامر في الأوساط العلمية، الذي امتد لربع قرن!

ثانيا: حجة الاختلافات الخَلقيَّة.

تبحث مجموعة من الدراسات الأخرى في الاختلافات المادية غير الجينية الظاهرية مثل اختلاف الغدد وحجم المخ بين اللوطيين والطبيعيين = فإذا ثبت وجود الاختلاف، أمكن الاستدلال على وجود اختلاف جيني جِبلِّي.

وأبرز أعمال تلك الفئة من الحجج، هو بحث عالم الأعصاب سَيمون ليفاي Simon Levay الذي نشره عام ١٩٩١، فنعرض له أولا، ثم نبين كيف كان الرد عليه هو وكل تلك الفئة من البحوث عموما.

قارن ليفاي تشريحيا بين أحجام الغدد النخامية[22] عند ثلاث مجموعات من الجثث: الرجال الطبيعيون، والرجال اللوطيون، والنساء. كان افتراض ليفي: أن الغدد النخامية للرجال الطبيعيين Heterosexual men ستكون أكبر من مثيلتها عند النساء واللوطيين. ومن التشريح أظهر ليفي وجود ذلك الفارق بالفعل، فالغدد

[22] الغدة النخامية، جزء من المخ له وظائف كثيرة جدا ومتنوعة، منها المتعلق بالدوافع الجنسية للمرء.

النخامية للنساء واللوطيين متقاربة الحجم، والغدد النخامية للرجال الطبيعيين أكبر(١١٥).

ذاعت تلك الدراسة حينها، وراج الادعاء بأن ليفاي أثبت وجود اختلافات واضحة، وبالتالي يمكن عزو ذلك إلى عقيدة الجبر الجيني مرة أخرى = فاللوطي مُجبر بسبب اختلاف تركيب مخه عن تركيب مخ الطبيعي(١١٦).

ظهرت على الفور الاعتراضات المتعددة، على منهجية الدراسة ذاتها، التي أظهرت تحيزا مسبقا لهذه النتيجة وضح من ترتيب الجثث بحسب هويتها الجنسية، وهو ترتيب متعمد وفيه تجاهل لوجود أشخاص طبيعيين غددهم النخامية أصغر من بعض اللوطيين الآخرين! وكذلك تشريح جثث لأشخاص ماتوا من مرض الإيدز، وهو مرض يؤثر على حجم تلك الغدة في الأساس! إضافة لزلات لسان ليفاي بعد ذلك، حينما ذكر في مقابلة أنه كان يشعر أثناء تلك التجربة أنه إن لم يُخرِج فارقا بين اللوطيين والطبيعيين، سينتهي مشواره المهني! وأن إثبات وجود فوارق جبليَّة بين اللوطي والطبيعي، مفيد لأجندة اللوطيين الحقوقية! وزد على كل هذا، أن دراسة ليفاي، مثلها مثل دراسة دين هامر، لم تظهر نفس النتائج حينما حاول الباحثون تكرارها(١١٧)!

لكن كل تلك الاعتراضات - على قوتها - تتضاءل جوار حقيقة علمية، وهي بلاستيكية الخلايا العصبية Neuroplasticity، والتي يعرفها أهل المخ والأعصاب: فالمخ لا يماثل الأجهزة المعدنية ثابتة الشكل والتركيب، بل فيه ليونة في إعادة التشكُّل بسبب العوامل الخارجية مثل الخبرة الحياتية والمعرفية، وفي كل

معلومة أو معرفة أو ممارسة جديدة تتغير أجزاء بداخل مخك، وتُستحدث وصلات كهربائية جديدة، وقد اختفت عقيدة (الجهاز مُحكَم الوصلات) من المجتمع العلمي والطبي في الثمانينيات؛ حينما أدرك العلماء أن المخ دائم التغير، وعند خلاياه قدرة

مدهشة في تغيير وظائفها التقليدية، لإعادة تنظيم وظائفها المخية ‹١١٨›.

وعليه تمركز حجاج المعارضين لاستدلال ليفاي ونظرائه حول تلك الحقيقة: هل مُخ اللوطي (خُلِق بتلك الصورة) أم أنه على هذه الصورة (بسبب) ممارسته اللوطية؟ فهل أسس ليفاي حجاجه على (حقيقة) قديمة، هُجرت علميا في سنوات إجرائه بحثه، وهي ثبات شكل المخ، وعليه لم تعُد دراسته صالحة في ظل الثوابت الجديدة؟! يصعب تصور ذلك في عالم أعصاب، لكنه محتمل.

إن الممارسات الجنسية وأشكالها تؤثر في المخ بلا ريب؛ فهي من أصول الجهاز العصبي؛ وعليه يكون الصواب، إن أردنا تصميم تجربة سليمة، أن نقارن تشريحيا بين فوارق الغدة النخامية في الأطفال غير المميزين: اللوطيين منهم والطبيعيين! ففي تلك المرحلة نضمن أن خاصية لدونة المخ وتأثره بالتجربة الجنسية متماثلة بين النوعين؛ فلما كان هذا مُحالا، إذ لا هوية ولا ميول جنسية قبل سن التمييز = استحالت التجربة، واضطر القائمون بها إلى دراسة ما لا يُعتبر اختلافه، وهو اللوطي البالغ، والطبيعي البالغ!

وغاية ما تثبته تلك التجربة، إذا سلمنا بها، رغم نقدها منهجيا من جمهور العلماء: أن ممارسة الإنسان للوطية، تؤثر في المخ سلبا؛ فتجعل حجم بعض مكوناته أصغر من مثيلتها في نفس نوعه!

إن مدرسة التنشئة والتربية Nurture لا تنتصر ها هنا فقط، إنما تُثبت أن اللوطية ذات أثر ضار على الإنسان، والدليل اكتشاف ليفاي هذا!

بل قد يزعم المتدينون المهووسون يا ليفاي أن الله سبحانه وتعالى (يمسخ) اللوطي في أصل عقله؛ فيُعيد تشكيله ضئيلا في صورة مخ جنس لا ينتمي إليه، وهو الإناث؛ فأي دليل أكبر من هذا على عقاب الله للوطيين؟! وهذا كله، إن سلمنا بوضوح الاختلاف الثابت بين أمخاخ الرجال والنساء أساسًا!

وقِس على تلك الدراسة، كافة البحوث القائمة على تلك الفكرة: قياس الاختلافات المظهرية للأمخاخ والهرمونات بين الطبيعيين واللوطيين.

بقيت ملحوظة أخيرة قد لا تهمك: أن سيمون ليفاي، زعيم وفاتح تلك الدراسات = لوطي قح!

ثالثا: حجة التوائم اللوطيين.

في خمسينيات القرن الماضي، أعلن كالمان Kallmann أن دراسته للتوائم المتماثلة

Monozygotic Twins قد أثبتت تماثل الميول الجنسية بنسبة ١٠٠٪‹١١٩›. وهي

دراسة وإن كان قد تم نقضها، بسبب منهجيتها المعوجة ‹١١٧›، إلا أنها قد ألهمت

فرعا من البحوث العلمية قام على دراسة الميول الجنسية عند التوائم، فإذا ثبت أنها متماثلة، اللوطي توأمه لوطي، والطبيعي توأمه طبيعي = أمكن ترجيح الأصل الجبلي الجيني بسند قوي، إذ أن التماثل الجيني ينتج تماثلا في الميول الجنسية.

وتلك الدراسات، على قدر اهتمام اللوطيين بها، إلا أن أنصار مدرسة التنشئة وعدم الجبليَّة يعتبرونها أقوى ما في أيديهم هم من سلاح ضد المدرسة الأخرى، كما سنرى.

وأكثر البحوث شهرةً في ذلك النوع من الدراسات، هو عمل السيكولوجيين بيلي، وبيلارد، الذي نشراه في مطلع التسعينيات، وفيه درسا ٥٦ توأما متماثلا MZ، و٥٤ توأما غير متماثل DZ، و١٤٢ أخا لتوأمين، و٥٧ أخا متبنىً لتوأمين. وخلصا فيه إلى أن نصف التوائم المتماثلة رجالا ونساءً كانوا لوطيين، وتنخفض نسبة اللوطية إلى أقل من الربع في التوائم غير المتماثلة، وتتراوح نسبة اللوطية في الأشقاء، أو الأخوة المتبنين، بين ٩ إلى ١١٪(٢٠١)!

ناتج تلك الدراسة هو ترجيح الأصل الجيني الجبلي للوطية، والدليل: هذه النسبة المرتفعة من اللوطية بين المتماثلين، وتدنيها كلما قلَّ التشابه الجيني.

ولنناقش الآن ما وجداه:

فلابد، أولا، أنك قد لاحظت اقتراب نسبة الأخوة المتبنين من نسبة الأخوة الأشقاء في وجود الميول اللوطية! بل إن نسبة اللوطية في الأخوة بالتبني أعلى ١١٪ من الأخوة الأشقاء! ألا يعني هذا ترجيح رأي مدرسة التنشئة والتربية؟

ثم لابد أنك لاحظت، ثانيا، أن تلك التجربة تُحاجج أولئك لا العكس! فوجود ٥٠٪ تقريبا من التوائم المتماثلة تُعلن أنها غير لوطية، بل طبيعية تماما، رغم التماثل الجيني الكامل = يُضعِف احتمال الأصل الجبلي الجيني، بل يخسف بأصوله كاملةً،

إذ أن فرض التماثل الكامل يُلزِم مقالة كالمان الأولى: أن الميول لابد من تماثلها التام كذلك[23]! والنصف حينها يصبح بلا معنى!

فكيف يُقال هذان توأمان متماثلان تماما جبليًّا / جينيا، وبرغم ذلك هناك احتمال ٥٠٪ فقط أن يكونا متماثلين في الميول الجنسية = ثم بعد ذلك نستنتج أن اللوطية ذات أصل جيني جبلي؟!

ألا يكون القول الأقرب للصواب حينئذٍ أن الروابط بين التوائم، خاصة المتماثلين، في التنشئة المتشابهة، والرابطة النفسية المميزة والمعروفة بينهما، هي العامل الأكبر في ارتفاع نسبة الميول الجنسية المتشابهة في التوائم؟ أيهما الأدنى لطبيعة التوائم المتجاذبة لا المتنافرة: القول بأن أحدهما آمن بأنه ما دام أخوه لوطيا فهو بالضرورة لوطي، تأثرا بالمشاكهة والتربية الواحدة، أم القول بأن نصف عدد التوائم المتماثلة نفرت من الأخ اللوطي، وزعمت أنها غير لوطية؟ أيغلب النفور أم التوافق بين التوائم المتماثلة؟

وقد عاجلت دراسة لاحقة الدراسة الأولى، بنتائج مخالفة لكلام بيلي وبيلارد؛ فقد وُجِدت نسبة تماثل تتراوح بين العُشر والربع في الميول الجنسية اللوطية، عند التوائم المتماثلين ذكورا وإناثا، لا أكثر (١١٩)!

العُشر فقط أعلن أنه لوطي تماما ولا يميل للجنس الآخر، وتلك النسبة ترتفع للربع إن أخذنا بالاعتبار الميول الجنسية الثنائية Bisexual أي أنه يميل للجنسين معا! ذاك أعلى رقم وصلت إليه الدراسة الثانية: الربع لا غير! لا تنس أننا نتحدث

---

[23] ولما كان هذا مُحالا في الوسائل العلمية الحديثة، ولما كانت مقالة كالمان قد دُحِضت علميا، فقد خُفِّضت النسبة إلى النصف؟!

عن جينات متماثلة تماما! تماثل جيني تام ومع ذلك الميول تتشابه في ٢٥٪ فقط! أما

في التوائم غير المتماثلين، فالنسبة لم تتعد ١٢٪ لا غير!

لذا، حتى مطلع الألفية، كانت تلك الحجة ضعيفة، بل وتصب، حين التحقيق، في مصلحة مدرسة التنشئة Nurture؛ لكنها بقيت في إطار الحجاج! أما ما قلبها ضد مستخدميها، أن المزيد من الدراسات والبحوث اللاحقة أظهرت مبالغة النسب

السابقة، وأظهرت أن نسبة التماثل في الميول اللوطية هي ١١٪ فقط (١٠٧)!

لهذا اعتبر بعض البحَّاثة بحوث التوائم المتماثلة هي البرهان القاهر ضد زعم

الجبليَّة اللوطية (١٠٧)! فبالله أخبرني: أي تماثل جيني ذاك الذي تتحدث عنه، وفي

كل عشرة توائم متماثلين، أحدهما لوطي، يوجد واحد فقط مماثل لأخيه في الميول اللوطية!

هذا وكافة تلك التجارب قاصرة من الناحية المنهجية العلمية!

وإلا ففكر معي: كيف يُمكن تصميم تجربة سليمة لتأكيد كون اللوطية جبليَّة عن طريق التوائم؟

ليس عندك إلا وسيلة واحدة فقط: أن يُفصل بين توأمين منذ الطفولة، ويُتابع المراقبون نشأتهما في بيئتين مختلفتين تماما؛ فإن امتلكا نفس الميول أمكن ترجيح العامل الجيني = ذاك هو المنهج العلمي الوحيد لقطع الشك باليقين، ولما كان هذا محالا تعمده، ومتابعته، ولما كانت الحالات التي تنطبق عليها تلك الأشراط نادرة

الوجود أصلا = ظل مبدأ دراسات التوائم هذا قاصرا منهجيًّا لا محالة(١٢١) ومن

الطريف أن قائل هذا الكلام هو مايكل بايلي ذاته، في ورقة حديثة صادرة عام ٢٠١٦،

وفيها صرَّح بأن دراسات التوائم المرجحة للأصل الجيني متماسكة أينعم، لكن الدراسات النافية قوية كذلك، وغاية ما يمكن أن توصف به دراسات تأكيد الأصل الجيني بالتوائم أنها معتدلة Moderate، لا أكثر، وهي بالتأكيد ليست ضخمة

ورائعة overwhelming (١٢١)! هذا كلام بايلي نفسه، وهو ممن قضوا حياتهم

بين تلك الدراسات تحديداً، وتحيزوا دوما لجبليَّة اللوطية؛ فأي شهادة بعد شهادته؟! وسيحاول بايلي دومًا عزو ضعف الاحتجاج بنصف اللوطيين لإثبات الأصل الجيني،

إلى علم الإبيجينتيك، والمؤثرات البيئية (١٢١).

بقيت ملحوظة أخيرة قد لا تهمك:

أن بايلي، أحد ضلعي الدراسة الأولى، وأحد أشهر الأسماء في تلك الدراسات، إن لم يكن أكبرها على الإطلاق، هو صاحب الكتاب الذي أثار معركة في الأوساط العملية، وهو (الرجل الذي يريد أن يكون ملكة)، إذ تحدث فيه عن اللوطيين الخِنات، وأخرج نظرية عنهم، ثم خرج أحد اللوطيين الخِناث الذين جمع بايلي شهادتهم في الكتاب، واتهمه بأنه كان يلوط به! وهي فضيحة انتهت باستقالة بايلي من منصبه

العلمي في عام ٢٠٠٤، وتشويه سمعته العلمية(١٢٢). ثم أثار ضجة في أمريكا مرة

أخرى أثناء عام ٢٠١١ عندما عرض في مسرح الجامعة امرأة عارية على الطلاب، تدخل في مهبلها عضوا صناعيا، موصولا بمنشار كهربائي! أداة سماها بايلي Fucksaw! كان ما يريده بايلي، أن تصل المرأة إلى نشوتها بقوة دوران المنشار! وقد خرج رئيس الجامعة مصدوما ليعتذر للأمة عن هذا السخف المنحرف، معلنا إحباطه وخيبة أمله في بايلي، وتحويله للتحقيق(١٢٣)!

أما الثاني، ريتشارد بيلارد، فهو لوطي، وكان قد صارح الصحفيين بأنه يدرس الأثر الجبلي للوطية، لأنه هو، وأخاه، وأخته = لوطيون جميعا! فمن أفضل منه ليبحث في جبليَّة اللوطية(١٢٤)؟

أما بعد،

فتلك كانت أهم الحجج التي دار حولها الجدل في الأوساط العلمية منذ التسعينيات، وهي كما ترون، ادعاءات ضخمة جهارًا وسط الشوارع والميادين، واضطراب وبلبلة وعزو إلى غموض في أروقة المعامل!

ما فوق الجينات Epigenetics: مستهل جدل جديد.

بقي أن نناقش ماهية العامل البيئي الذي يُعزي إليه الجميع سبب الاختلاف، واضطراب النتائج في دراسات التوائم، وفي غيرها.

فأداة العامل الخارجي الأكبر، هي الإبيجينتيك، وسأضطر لتقديم عرض سريع مبسط جدا لمفهوم (ما فوق الجينات)، قبل استعراض ذلك النقاش(١٢٥):

اعلم أن كل جين موجود في الكروموسوم، يشارك في ضبطه فاعلان: الأول هو مجموعة الميثيل، والثاني مركب الهيستون.

مجموعة الميثيل هي أكبر المسؤولين عن تفعيل الجين، أو وقفه، ومركب الهيستون مسؤول عن حجم الصفة الناتجة من الجين. والتمثيل الأشهر لعملهما: هو أن مجموعة الميثيل تشبه زر الغلق والفتح، والهيستون يشبه الكرة المحيطة بسائل، كلما ضغطت عليها خرج منها سائل أكثر.

فإذا فهمنا ما سبق، سألنا ما المميز في علم (ما فوق الجينات)؟

المميز أن العلماء، وإن سلموا بغموض أسباب إعمال الجين، أو وقفه، أو تحديد كم تمثيله للصفات؛ إلا أنهم يتحدثون عن وجود أدلة على أن العوامل الخارجية، مثل خبرات الحياة، تؤثر في الجينات نفسها في مرحلة الطفولة بصورة خاصة، ثم في باقي الحياة! هناك عوامل خارجية وبيئية قد (تُغلق) بعض الجينات، وقد (تفتحها) بدرجات متفاوتة صعودا ونزولا!

وقد كان المعتقد الأول، أن العوامل البيئية المقصودة هي المادية البحتة، كتأثير الهرمونات على الجنين، وما إلى ذلك، وقد لجأ إليها بايلي وغيره ممن شُغِلوا بدراسات التوائم ‹١٢١› ، وعلموا أن النسب لا تدعم رأي الجبليَّة. إذن ما كانوا يريدونه من العوامل البيئية التي تؤثر في أبيجنتيك الأجنة، هو أن تصب الفكرة في صالح رأيهم، بل وتُفسِّر أسباب ضعف استدلالهم = فإذا سألتهم لم لا يكون التوائم المتماثلون جميعا متماثلين في الميول الجنسية رغم التماثل الجيني؟ قالوا: لأن العوامل البيئية تدخلت أثناء الحمل، وغيرت من تفعيل الجينات في الجنينين‹١٢٦›!

إذا سألتهم لم لا يستطيع الناس تكرار تجارب جين اللوطية والحصول على نفس النتائج؟ قالوا لأن العامل البيئي يتدخل في أبيجنتيك الأشخاص أثناء الحمل، وتغيِّر من تفعيل الجينات(١٢٧)!

لن تصل إلى شيء! لاحظ أنهم يعزون العامل البيئي لما قبل الحمل، لأنهم يريدون أن يصلوا بك إلى نفس النقطة: لقد وُلِدنا لوطيين Born this way؛ على الرغم من أن العامل البيئي مستمر في الحياة؛ كتغير الهرمونات وأثرها على الأشخاص = لكن إثبات أن التغير حادث بعد الميلاد، وفي أثناء الحياة، سيدمر حجة (المولد اللوطي) تماما، بل وقد يعتبره البعض دليلا على إمكان التغير بأسلوب مضاد؛ فإذا كان التغير البيئي جرى بتأثير كيمائي، جعل الشخص يتحول للوطي؛ فلم لا نعكس هذا التأثير لنحوله إلى طبيعي؟ هذا كان موطن قلق دائم عند المتحدثين عن الأثر البيئي؛ فحذروا كثيرا من مغبة البحث عن (علاج) يعكس الأثر على مستوى الإبيجنتيك(١٢٨)!

أما ما كانوا يُضعفونه - وإن لم يجرؤوا على استبعاده تماما(١٢٧) - فهو ما جاء من أروقة البحوث الطبية، التي كانت تعج في العقد الأخير بنشاط كبير سعيا لإيجاد دليل على أن القيم والمعتقدات الاجتماعية التي يؤمن بها المرء، قد تؤثر في تفعيل جين معين عنده أو إيقافه(١٢٩). وقد حاولوا تفسير هذه الأدلة: أيكون سبب تحويل

المعتقدات والأفكار والمجتمع، إلى جزء من جينات المرء من خلال آليات الإبيجنتيك،

هو الضغط المستمر الواقع على المرء Chronic Stress ‹١٢٩›؟

إذن هذا رأي جديد: أن المحيط الاجتماعي الذي تنشأ فيه، وأسلوب الحياة

‹١٣٠›وعلاقتك بوالديك، وكافة المؤثرات الخارجية التي يعيش المرء في قلبها = كل

ذلك يؤثر في جيناتك‹١٣١›! والحق أن هذا الرأي ليس من المستحدثات في الوسط

الطبي عامةً، إذ أن الحديث عن تأثير البيئة الاجتماعية في صحة المرء، وانعكاسات الضغوط الخارجية والداخلية عليه، لم تتوقف، إنما الجديد هو معرفة أن التأثير لا يقتصر على توازنات كيمياء الجسم فقط، إنما على المستوى الجيني ذاته! هذا هو الجديد!

تأمل معي برهةً؛ فهذا قد يكون وابلا من الرصاص يضرب الاحتجاج بالجينات في الأصول!

فلم يعد العلماء ينظرون إلى التركيب الجيني في خلاياك ككتاب قدري، محتوم، فيه كل شيء منذ الولادة إلى الموت! بل ينظرون الآن إليها باعتبارها تشبه ظاهرة بلاستيكية المخ التي عرضناها قبلا! لم تعد الجينات كافةً مجرد مخطط مسبق لا يُمسُّ طوال حياة المرء Blueprint، بل هو مخطط فيه أجزاء قابلة للتغير والتعديل!

ما أثر هذا على بحث اللوطية؟

تنقل معي للتعرف إلى أين يذهب بنا هذا الحجاج:

فنحن لن نتحدث -إن صحت المكتشفات الأخيرة- عن جبر على الإطلاق، بل سنقول أن حتى لو وُجِد جين للوطية = فهو لن يُفعَّل ولن يعمل إلا بتنشئة أسرية واجتماعية فاسدة! المعتقدات المجتمعية والذاتية التي يؤمن بها المرء أو يعيش فيها = تؤثِّر في تركيبه الجيني ذاته، فلو صح وجود جين لوطي عند الإنسان؛ ألا يمكن بالمكتشفات الحديثة التي وجدها العلماء أن توقف فعاليته؛ بسبب الضغط الواقع على الإنسان مجتمعيا وذاتيا؟!

بل وأكثر من هذا: ألا يعني ذلك أن المجتمعات التي تتبنى اللوطية وترعاها، تُزيد من نسب اللوطيين فيها، بصناعة ضغط قيمي عليهم يُفعِّل جينات داخلية قد تكون مسؤولة عن تخنُّث أو ترجُّل؟

بل وأكثر: فالتعديلات التي تحدُث، تورَّث! أي أننا نتحدث عن إمكان (توطين اللوطية) في المجتمعات لعدة أجيال، لا لأن المعتقدات المجتمعية فقط فاسدة؛ بل لأن تلك المعتقدات المتوارثة؛ ورَّثت معها جينات خنوثة وفساد!

إن أثر هجرة المسلمين إلى بلاد تنتشر فيها الدياثة والخنوثة والفساد؛ سيصبح أكبر حينئذ من مجرد التغيرات الفكرية والثقافية؛ فالمعتقدات والأعراف والثقافات تزرع في جينات الأجيال الجديدة نفسها ما يُغيرها ويبدلها!

هذه بعض الأبعاد العلمية في ذلك النقاش الجديد للأبيجنتيك؛ إضافة للأبعاد الإسلامية: فقد يُذكِّر نقاش الإبيجنتيك؛ وتلك الأدلة والأفكار الجديدة فيه، بالنقاش الإسلامي حول النفس وأنواعها: الأمارة بالسوء، واللوامة، والراضية، وكيف أن الإنسان فيه مصادر الخير والشر معا، وهو يختار إن شرا وإن خيرا! وأن الشيطان قد يغير فطرتك (جبلتك) من وسواس المعتقدات والشهوات الفاسدة؛ وأنك قد تستعيدها مرة أخرى وتوقف عمل الفساد إن شعرت بالضغط العصبي اللازم الناتج عن الإحساس بالذنب وطلب التوبة بما يكفي لوقف (جينات معينة)!

وما نريد، اختصارا للنقاش والوقت، إثباته ها هنا: أن مدرسة التربية والتنشئة تنتصر في النهاية؛ بعين ما أراد به اللوطيون سد فجوات نتائجهم المبعثرة عن جبليَّة اللوطية! فالإنسان متأثر ببيئته القيمية والاجتماعية والخلقية والأسرية، والإنسان بالضغوط المعرفية والثقافية يمكن أن يتغير على المستوى التركيبي الجيني الداخلي؛ وكل هذا آتٍ من نفس أروقة البحوث العلمية التي اجتهد اللوطيون في فرض هيمنتهم عليها!

خلاصة النقاش العلمي البيولوجي

رأينا في الصفحات الماضية أن النقاش العلمي في تلك القضية معقد، وأن الأطراف التي تعمل على إثبات اللوطية علميا لها أجندات، وأكثرها مجروح العدالة: فانظر كيف أن الدراسات الكبرى التي فتحت اتجاها في كل طريق لإثبات الجبلية، كان القائمون عليها لوطيين!

ثم انظر كيف أن الطرق المباشرة مملؤة بالثغرات المنهجية والعلمية، وكيف أن تلك المدرسة اضطرت للتراجع عن الجبريَّة المطلقة بعدما اتسع الخرق على الراقع، وكيف تقدمت المدرسة التربوية البيئية إلى الأمام بلا توقف، وما زادتها حجاجات التوائم والأمخاخ إلا متانةً وصلابة وتدعيما لرأيها!

ثم انظر كيف زاد علم (فوق الجينات) من تعقيد الصورة، وأثبت ليونة الجينات، فزلزل أصول الجبريَّة المطلقة، وأظهر خطورة العوامل البيئية الأسرية والاجتماعية على أصل تركيب الإنسان ذاته، بما لم يتصوره أحد قديما!

فإذا استوعبت ذلك، سهل عليك درك كافة النقاشات القادمة في علم الاجتماع وعلم النفس؛ فالخلاف بين الجبرية والإرادة الحرة، وبين عزو السلوكيات للبنية المجتمعية، أو للتكوين الذاتي الجبلي، وبين مدرسة الطبيعة ومدرسة التنشئة، هو هو ذاته ممتد في كل ما سيأتي.

وقد بدأت بالنقاش البيولوجي؛ رغم أن العمل المكثف فيه على المستوى الجيني بدأ متأخراً عن السوسيولوجيا والسيكولوجيا؛ لا لشيء إلا لأنه الأساس لأكثر ما هو قادم، فلم أرض أن يظل القارئ متخبطاً بين النظريات الاجتماعية والسيكولوجية؛ دون أن يعرف ما هو الحق في كل البحر الآتي، فيظل متشككاً. ها قد رأيت بنفسك قول العلوم البيولوجية!

فإذا كنت تحسب أن الرأي البيولوجي فيه فوضى وتشوش وأدلجة وأجندات؛ إذن انتظر لترى المهازل فيما هو قادم من علوم إنسانية فلسفية المبادئ!

ثانيا: السوسيولوجي، استراتيجات هدم الطبيعة

انتهينا في الجزء السابق إلى تسليم البيولوجيين راية البحث عن جذور اللوطية إلى مدرسة البيئة المجتمعية والأسرية، إما تسليما كاملا، أو تسليما جزئيا لا مفر منه، من المدرسة الجبلية.

وعليه، نُخصص هذا الجزء من الفصل لنقاش نظريات تكون الجندر، واتصال ذلك باللوطية، سواء نظريا، أو عمليا، ثم نعرض الجدال النظري حول أسباب اللوطية بين البنائيين والجوهريين، وأخيرا نعرض النظرية الشهيرة، نظرية الشذوذ Queer theory التابعة للنظرية البنائية.

أولا: نظريات تكوُّن النوع.

لتكوُّن النوع[24] ثلاث نظريات في بحوث التنشئة الاجتماعية (١٣٢):

[24] انتبه أننا هنا سنتحدث عن النوع (الجندر) لا من حيث الهوية الجنسية، بل من حيث التعريف المجتمعي، كما أوضحت مسبقا.

أولها **نظرية التعلم الاجتماعي**، وفيها يُعرَّف كل نوع (ذكر أو أنثى) بأدواره منذ طفولته المبكرة عن طريق التحفيز الإيجابي أو السلبي (الثواب أو العقاب) للسلوك المناسب لهويته، فإن كان ذكرا على سبيل المثال، يتعلم دوره بإثابته إن التزم بالألعاب والسلوكيات التي تعارف المجتمع أنها خاصة بالذكور، وعقابه إن تعدى الحاجز إلى سلوكيات النوع الآخر. ولا يلزم أن يكون الثواب والعقاب مباشرا، بل يكفي أن يُلاحظ الطفل السلوك (القويم) و(المقبول اجتماعيا) لنوعه، ويسعى في تقليده، ليستنبط خطأ تجاوز دوره وعدم الالتزام به.

ومُنظرو هذا التوجه، يرون أن الاختلافات بين الجنسين راجعة أساسا لمرحلة التنميط النوعي Gender –typed behavior، وليس بالضرورة إلى سلوكيات فطرية للذكور والإناث.

يفسر لك ذلك السعي المسعور للوطيين نحو فرض عدم النمذجة، بتوجيه الآباء إلى عدم التدخل في تلك المرحلة وعدم (تنميط) سلوكيات الطفل بحسب النوع البيولوجي الظاهري، وترك الطفل يختار هو بذاته (النوع) الذي يريد الانتماء إليه! لذا تأتينا الأخبار تترى عن إزالة أقسام ألعاب الأولاد وألعاب البنات، وجعله قسما واحدا كبيرا، وكذا ترويج الملابس والألوان المحايدة جنسيا للأطفال Gender neutral ‹١٣٣›! إن كل ذلك جزء من عملية (منع) المجتمع والأسرة من (تنميط) الأطفال وتنشئتهم على هيأتهم الطبيعية! الأسرة ها هنا تتضاءل في الدور، كي تصير أسرة حارسة، كما سنشرح لاحقا!

جوبهت تلك النظرية بالدراسات التي أثبتت أن الأطفال، الذكور خاصةً، حتى إذا لم تدعم كمربٍ أنشطتهم الذكورية، بل إذا أرهبتهم عن فعلها = يصنعونها بذاتهم! هذا معناه دعم النظريات المُتحدِّثة عن (فطرة) مختلفة بين الجنسين، ومجبول

عليها الذكور والإناث. وهذا لا يوجه الغرب إلا إلى مسار من اثنين إن استمرت اللوطية في توجهها ذاك: الأول، الفشل والانهيار أمام استمرار الأنماط المختلفة سلوكيا بين الذكور والإناث، وإعادة الإنتاج الدائمة للنمطين رغم أنف كافة اللوطيين. والثاني، زيادة قمع الأنماط الفطرية الذكورية والأنثوية وتصميم مناهج للأطفال تتلاعب بمعارفهم الأولية.

ثاني النظريات، هي **النمو المعرفي**، وتزعم أن الطفل ما إن يتعرف على هويته الجنسية -وهو قادر على ذلك منذ عمر ثلاث سنوات- حتى يشرع في جمع المعرفة عن المسلك الأمثل لجنسه من المحيط الذي يعيش فيه، ثم يحاكي ذلك المسلك كي يحظى باحترام بيئته، ثم أنه يعرف بذلك أن هناك جنس مضاد Opposite sex لا ينتمي إليه. فهذه النظرية تخالف الأولى في إعطاء الأطفال أنفسهم الدور الأكبر في تكوين نوعهم وسلوكهم، إذ تجعلهم أكبر وأهم من مجرد آلات تنضبط بمحيطها دون حول ولا قوة. لكنك، لابد أن تلاحظ عدم تناقض النظريتين في أوجه: فالبيئة المحيطة ما زالت موطن تكوُّن النوع، سواء بضبط الوالدين، أو بالمعرفة الذاتية للأطفال = وعليه لا يختلف اللوطيون في ضرورة تعديل البيئة، وزرع معارف ورؤى جديدة لهويات الإنسان الجنسية ذاتها، فينشأ الطفل بين عشرات الهويات الجنسية، ولا يقتصر على واحدة فقط من هويتي الذكورة والأنوثة!

أما النظرية الثالثة فهي لا تنتمي أصالةً لعلماء الاجتماع، بل لعلماء النفس التحليليين، وهي **التوحُّد**: وتزعم أن الطفل يُكوِّن هويته النوعية أثناء طفولته المبكرة، خلال مراحل، الأولى هي الارتباط العاطفي بالأم، والثانية هي الانفصال بين الإيجو (الأنا) والآخر، ما يبدأ في تشكيل الهوية النوعية، والمرحلة الثالثة، يتوحَّد فيها الطفل مع أحد الوالدين المماثلين لجنسه. ولأن الذكر يكتسب هويته بالانفصال عن الأم، تكون هويته أكثر موضوعية وعقلانية، بينما الأنثى التي تكتسب هويتها بالتوحد مع أمها، تكون هويتها أكثر عاطفية وحساسية للمشاعر.

جابهت تلك النظرية اعتراضات تنتمي جملة إلى رفض أفكار فرويد عن التحليل النفسي، ثم لاستحالة التأكد منها تجريبيا، وأخيرا لأنها تخدم فكر التنميط، حيث الذكر موضوعي عقلاني، والأنثى عاطفية تغلبها الشاعرية، وهذا بلا ريب معادٍ للتوجهات النسوية، وللنظريتين السابقتين. لكنها، كما لابد أنك لاحظت، تنكر الأصل الجبلِّي للسلوك، أو تخفض من شأنه على أقل تقدير، فالأنثى أنثى لأنها مرت بظروف مبكرة جعلتها في تلك الصورة، لا لأنها وُلِدت أنثى ضرورةً!

وتجتمع تلك النظريات الثلاث الكبرى لتكوُّن النوع، على أن البيئة المحيطة منذ المولد هي صانعة النوع.

وعليه ظهر السؤال: لم لا نُغيِّر تلك البيئة جذريا؟ لم لا يولد الطفل لأبوين ذكرين، أو لأمين؟ لم لا يُنشَّأ على أنه بلا نوع، وأنه حر في اختيار ما يشاء؟ لم لا يُنشَّأ في مجتمع به ألف هوية جنسية، وألف نوع اجتماعي؟ لم لا يُنشَّأ معرفيا وسلوكيا على أنه سيُعاقب إن حكم على شخص بأنه رجل، لأن له جهاز تناسل الذكور، لكنه يُعرف نفسه كخنِث أنثى؟

إن علم الاجتماع هُنا لا يُستخدم فقط من أجل معرفة أصل تشكُّل الأنواع؛ بل لإعادة تشكيل بنية مؤسسات المجتمع كافةً على مفاهيم وقيم ومعايير جديدة، بوسائل الضبط الاجتماعي التي ستُناقش في الفصل القادم.

وإن كانت الجينات قد رسبت في اختبار إثبات الجبليَّة، وتفرقت أوهام اللوطيين شذر مذر، لصالح مدرسة التربية والتنشئة = إذن فلتكن المجتمعات والأسر موطن العمل المكثف من اللوطيين، لتنشئة (هويات متنوعة) بلا حدود، وتشكيل الأطفال منذ البكورة على عالم جديد، بمفاهيمهم وأفكارهم هم وحدهم لا غير!

فها قد رأيت أبرز نظريات التنشئة الاجتماعية للنوع، كلها تجتمع على مركزية الطفل، وأنه إن لم ينضبط منذ مفتتح طفولته، يوشك أن يُفلت! لذا يولي اللوطيون اهتماما واضحا بالأطفال، فأنت وجيلك ماضون إلى حيث ألقت! ستغربون عن هذا

العالم ويأفُل فكركم القديم، ولن يتبقى إلا فكر الأجيال الجديدة الحديثة، التي ستنشأ بمفهوم جديد للإنسانية ذاتها، مُخالف لكل ما استبطنته ولا تملك محو آثاره تماما مهما حاولت! أجيال ستحتفل بعيد الفخر اللوطي شهرا كاملا من كل عام! وإياك ثم إياك أن تقول: هذا مُحال! ألم تبصر كيف في أقل من نصف قرن كان يُنظر في أوله للمتبرجات باعتبارهن فاسقات عاهرات، وللممثلين والممثلات باعتبارهم أهل انحلال وسفول ودناءة، حتى كانت تتبرأ الأسر ويسيل الدم بسبب ذلك = ثم باد كل ذلك أو أوشك، وصار الشاذ المستبشع هو مُنكر التبرج، ومُحرِّم التمثيل! إن الشعوب تتغير، والأخلاق بل والأديان تتبدل، وواضعو المعايير المجتمعية يتجهون عاما تلو الآخر نحو المزيد من السيطرة على مفاتيح ضبط المجتمع والأجيال الجديدة، بما ينفي الشذوذات أولا بأول، أو يُحاصِرها على الأقل!

ثانيا: الجدال السوسيولوجي حول أسباب اللوطية: بين الجوهريين والبنائيين.

انقسم علماء الاجتماع منذ النصف الثاني للقرن الماضي بين مدرستين في رؤية جذور اللوطية (١٣٤)، الأولى المدرسة الجوهرية Essentialism والثانية المدرسة البنائية Constructionism.

أما المدرسة الجوهرية فتؤسس على مبدأين، أولهما: أن هناك جوهرا إنسانيا عند اللوطي مختلف تماما عن الجوهر الإنساني للشخص الطبيعي.

وثانيهما: أن هناك اتفاقا تاريخيا بين مختلف الثقافات على تواجد اللوطية، فهي منتشرة زمانا ومكانا (١٣٤).

ويتفق الجوهريون فيما بينهم على اعتبار اللوطية نتاج عقلية اللوطي التي تمزج بين تفضيلات إباحية (إيروتيكية) معينة، وبين التشوه النوعي Gender Nonconformity لديه‹١٣٥›.

ثم يختلف الجوهريون فيما بينهم: أيكون سبب اللوطية جبليًّا، بيولوجيًّا، أم يكون السبب بيئيا، راجع لعوامل مؤثرة في طفولة اللوطي وتربيته أدت إلى تكونه بهذه الصورة؟ أكثر الجوهريين البارزين يميلون للسبب الأول، لا الثاني ‹١٣٤›.

وقد تابع الجوهريون باهتمام البحوث العلمية التي أُجريت في كلا المجالين، البيولوجي والنفسي، لمعرفة صحة معتقدهم، وصاغوا نظريات مبكرة لتكون اللوطية، مثل اختلال التوازن الهرموني للوطي البالغ، أو لوالديه، أو العامل الأسري التربوي المسبب للوطية ‹١٣٥›. وكافة تطورات استحواذهم على النظريات ومناقشاتها يمكن إدراكها ما دمت عارفا بالنقاش البيولوجي - وقد سبق عرضه - أو النقاش السيكولوجي، وسنعرضه لاحقا.

انتُقدت المدرسة الجوهرية في أمرين، الأول في اعتمادها على بحوث تفرز تخمينات لا أكثر، سواء بيولوجيا أو سيكولوجيا، فمثلا انتقد البعض الدراسات النفسية التي تعتمد على شهادة اللوطي عن ميوله للجنس الآخر منذ الصغر: فاللوطي ما أن يُعرف نفسه كلوطي، حتى يبدأ في إعادة تفسير كافة تصرفاته وهو صغير، وتأويلها لتلائم رؤيته الجديدة التي يؤمن بها! فكيف نعتمد على شهادته عن ميوله اللوطية المبكرة، أو ميوله الأنثوية أو ميولها الذكرية منذ الطفولة؟ ‹١٣٥›

والثاني في زعمهم الضخم أن اللوطي مختلف في جوهره تماما عن غير اللوطي، وعدم الاتصال بين هذا النوع والنوع الآخر الطبيعي = فكيف يكون الإصرار على هذا وقد أثبتت عشرات الدراسات ديناميّة الميول الجنسية وعدم ثباتها، وأن العلاقة بين

اللوطي وغير اللوطي علاقة طيف متصل Continuum لا علاقة تضاد؟ (١٣٥)

أضيف أنا على ذلك أن حجة استمرارية التواجد التاريخي، واجتماع الثقافات عليها، ضعيفة في إثبات الجوهرية: فقدماء العرب في الجاهلية لم تكن لديهم تلك الممارسات، إلا ندرةً، ولا نكاد نعرف حضارة بنيت وشيدت واللوطية منتشرة فيها في قرون نشأتها؛ بل لابد أن تفد إليها أو تتفشى فيها بعد صعود وانحلال وانفلات جنسي. كما أن نسب انتشار اللوطية متفاوتة بين الأمم والثقافات، فهي كالطاعون، إن ظهرت انتشرت، وإن خبت ماتت وبهتت، فانحراف المرء للميول اللوطية مرتبط بالثقافة المجتمعية التي نشأ فيها، ألا ترى كيف كان المسلمون يُخبِّئون أبناءهم الصبيان في بعض الأزمان، خشية طمع البالغين فيهم، إذ كانت الثقافة المجتمعية حينها قد طبعت الممارسات اللوطية، وطبعت النظر للصبيان كهدف اشتهاء جنسي. ثم أنك تنظر إلى الحال الآن فتجد الناس في أريحية، يخرجون مع صبيانهم وأولادهم، ولا يشتهي المرء طفل غيره إلا إذا اعتل قلبه وفسد، حتى يشعر بدناءته ومخالفته ثقافة المجتمع والعصر؛ فانظر كيف اختلفت الثقافات فاختلف تكوُّن الميول ذاتها، لاختلاف العقلية، واختلاف هوية الأشياء التي يعتمدها الوعي الجمعي كهدف للاشتهاء الجنسي!

كذلك انتشارها بين الأمم ليس دليلا على الجبليَّة أو الجوهريَّة عامةً، ألا ينتشر داء السرقة (الكليبتومانيا) بين الثقافات والأمم؟ وكم من انحراف وخلق مرذول تتفق الأمم على وجوده بعينه فيها، ومع ذلك ليس له مسبب جبلِّي جيني؟ فحجاجهم ضعيف من هذا الوجه.

أما المدرسة البنائية، فمؤسسة على مبدأ نفي الجبليَّة تماما، وإرجاع اللوطية إلى البناء الاجتماعي؛ فهي ظاهرة ثقافية خاصة بمنظومة اجتماعية معينة بمؤسساتها بلغتها، بكل جوانبها (١٣٤).

وصورة اللوطي في الثقافة الغربية المعاصرة، ليست هي ذاتها صورته قبل القرن السابع عشر، ولا في الثقافات الأخرى، فهي مبنية على توقعات الدور الاجتماعي: ما دام يحب الرجال، فلابد أن يكون كالأنثى لا يحب سوى الرجال وحدهم! هذا المنظور الذي يتبناه الجوهريون ليس إلا نتاج ثقافة غربية وبنية اجتماعية، لا يصح تعميمه. ولا ينشغل البنائيون كثيرا بمسببات اللوطية عند البشر، فبالنسبة لهم هي مجرد تصور ذهني ناتج عن الثقافة والمعايير الاجتماعية والثقافية للإنسان؛ إنما ينشغلون بسؤال في ماهية العامل الذي يُطوِّر الظاهرة اللوطية في المجتمعات المعاصرة؟ أهو التحديث والتحضُّر والتصنيع، بما في كل ذلك من عوامل مُغيِّرة للثقافة ولتصور الإنسان عن ميوله وهويته؟ (١٣٥)

كذلك يهتمون بمتابعة مراحل (الإعلان اللوطي Coming Out): كيف يُعرِف الإنسان نفسه كلوطي ويُعلن ذلك للناس. وقد حدد دانك مراحل ستة، ولاحظ أن الذكر يُعلن نفسه لوطيا بعد سنوات ستة من أول ممارسة لوطية له، وأبرز المراحل الستة: إعادة تعريف النمذجة والتنميطات المجتمعية المتعلقة باللوطية، ثم إعادة تعريف ذاته كجزء من تلك المجموعة التي أعاد تعريفها، ثم قبول ذاته، وأخيرا: إعلان نفسه لوطيا على الملأ (١٣٥).

وقد نبَّه آخرون على خطأ تنزيل ذلك النموذج على اللوطية النسوية، التي لاحظوا عدم وجود نموذج واضح لها، إلا أنهم لاحظوا مركزية (الوقوع في الحب) كلحظة تنتقل فيها المرأة من مجرد صديقة لامرأة أخرى، إلى كونها حبيبة، فعلى عكس الذكور، الانطلاق عند جمهرة النساء يكون من المشاعر والعاطفة، لا من الرغبة الجنسية. كما أنهم لاحظوا طرقا مختلفة لنشوء اللوطية النسوية، منها مثلا تحول جزء من النسويات الراديكاليات طواعيةً إلى اللوطية، رغم أنهن كن طبيعيات الميول؛ لكن إيمانهن بأن الدخول في أي علاقة مع ذكر لن تخلو من وقوع تحت هيمنة واستغلال، دفعهن لتغيير ميولهن عمدا إلى اللوطية (١٣٥)!

تُنتقد المدرسة البنائية في تجاهلها سؤال النشأة: لم صار اللوطي لوطيا؟ التأبُّه على السائلين لم يُرضِ العديد من الباحثين. لكن مع ذلك كان مقترح ستورمز، الذي أعلنه في ١٩٨١، بأن الميول الإباحية ناتجة من التفاعلات مع محيط الأقران خلال تطور الميول الجنسية، وبالتالي إذا حدث وأظهر الصبي نضجا جنسيا مبكرا، فسيكون في محيط اجتماعي من نفس نوعه، ما سيدفعه إلى الميول اللوطية، ولعل هذا يفسر قلة عدد اللوطيات مقارنة بالذكور؛ فالنساء في ثقافتهن يُظهِرن نشاطا جنسيا في مرحلة عمرية متأخرة، وبالتالي يكُنَّ أكثر عرضةً للاختلاط حين بدء نشاطهن الجنس في العمل (١٣٥).

على أي حال كان للمدرسة الثانية أنصار أقل عددا؛ فالمدرسة الأولى أليق بالجماعات الحقوقية، وبالأيدولوجيا الليبرالية اللوطية، وبالثقافة المنتشرة منذ

نهاية القرن العشرين؛ لذا لا نجد غرابةً في هيمنتها وسيادتها، بل وبروز توجه العزو إلى الأصل الجبلي تحديدا.

ولو تدبرت لوجدت أن المدرسة الثانية إجاباتها أكثر منطقيَّةً، فاللوطية متغيرة الأشكال بين الثقافات والأمم، وكانت في كثير منها تُمارس في نفس الوقت مع الميول الطبيعية، كما قيل في المثل عن الغلمان العبيد: هم رجال مع النساء، ونساء مع الرجال! فتعريف اللوطية نفسها كان سائلا، ولم يكن صلبا كما يتحدث عنه الجوهريون. لكن من أنصار البنائية ستخرج إحدى أغرب النظريات في تاريخ

اللوطية، وهي نظرية الشذوذ (١٣٦)!

ثالثا: نظرية الشذوذ Queer theory.

من رحم البنائية الاجتماعية، راجت في التسعينيات نظرية ثورية انقلابية داعمة للوطية، شُيِّدت على أفكار ميشيل فوكو، بأيدي مجموعة من الباحثين والمفكرين الأمريكيين، وهي نظرية الشذوذ Queer theory التي أُسست على المجموعة التالية من الأفكار:

أولا: أن تحرير الإنسان لا يكون من مقعد السلطة؛ فالمُحرِّر هو الثائر الدائم على كافة أدوات تسلط المجتمع والأفراد السياسية والدينية والثقافية وغيرها؛ فكل ما كان مُهيمنا من أفكار ومعايير، هو طاغية يُناضل ضد سيادته الإنسان، مناديا بالعتق

لكافة الأقليات التي تُخالف ذلك السلطان الطاغية (١٣٧). ذلك الأساس (الفوكوي)

الأول، وهو أساس ما بعد حداثي بامتياز، يُذكرنا بحديث بول فيرأبند عن (طغيان

العلم) وضرورة مجابهته، في إطار النضال ضد كل (طغيان) لمنهج أو معيار أو مبدأ يتعامل معتنقوه معه كحقيقة مطلقة (١٣٨)!

ثانيا: أن الثورة الجنسية التي ألهبت الغرب طوال الستينيات والسبعينيات، هي (ثورة تحرير) ملهمة ضد كافة الأنظمة الاجتماعية السابقة التي طغت لقرون طوال، وكل من يريد الثورة على الطغيان بكافة صوره سيُشارك فيها (١٣٧). ذاك الأساس الفوكوي الثاني.

ثالثا: أن نظام المعيارية الطبيعية للجنس Heteronormativity، الذي يزعم أن الطبيعي هو علاقة الرجل بالأنثى، والشاذ هو كل ما عدا ذلك، ليس إلا نموذجا مثاليا للأفكار الطاغية المهيمنة، التي يجب على الإنسان الثورة عليها وهدمها (١٣٧).

رابعا: أن تموضع التهميش المجتمعي Marginal Positionality الذي تحدثت عنه النسويات، باعتباره أثر القهر الذكوري التاريخي لهن، وحبسهن دوما في هامش التاريخ والمجتمع؛ والذي بررن به ثورتهن على الرجال، لنسف سيادة المعيارية الأبوية / البطريركية = يصلح أداة ممتازة لتدعيم استراتيجية اللوطيين في هدم المعيارية الطبيعية للجنس (١٣٧)؛ فأصحاب تلك المعيارية، مثلهم مثل الأبويين، أنصار قوامة الرجال، يعتبرون أنفسهم الحق المطلق، وما دونهم الباطل، وعليه اشتغلوا على تهميش اللوطية واللوطيين وقمعهم؛ طغيانا منهم، لسيادتهم المجتمع.

تلك هي الأسس الأربعة الكبرى التي انطلق منها أصحاب تلك النظرية لإيجاد الحل لمعضلة اللوطية، فاللوطي، هو إنسان ثائر على المجتمع، إنسان مُقاوم نبيل، ضد طغيان الطبيعيين الذين يُشوهونه ويُحقِّرونه ويفرضون أفكارهم. وقد كان التاريخ الإنساني في قضية اللوطية هو صراع دائم بين اللوطيين والطبيعيين، حول سلطان فرض الأفكار والمعايير المجتمعية؛ وقد ظل الطبيعيون طغاة التاريخ والمجتمعات، المُهمِّشين القامعين للوطيين النُبلاء، والمعاقبين إياهم على تحديهم وثوريتهم. وواجب الإنسان، أن يناضل بجوار كل (شاذ) مُهمَّش مقموع من المجتمع، وأن يسعى في تمكينه، بتحسين سمعته وبيان أن (شذوذه) هذا ليس إلا جزءًا من الثورة على الطغيان المجتمعي والمعيارى، وحميَّة وشجاعة تستحق الإشادة والتعظيم لا النبذ والتحقير. وقد استخدموا مفهوم (العار Shame) علامةً على (الشواذ)؛ فكل ما يجلب (العار) مجتمعيا؛ لأنه (شاذ) = هو ثورة على الطغيان المجتمعي، وكفاح ضد الأسياد العتاة! وكذلك نبهوا على مسألتين؛ أولاهما: أن الشذوذ مصطلح أوسع من (اللوطية) فقط، وعليه فرقوا بين كلا من gay و queer؛ فالأول هو تأكيد لميول شخص للوطية، والثاني، وإن كان يُستخدم علما على اللوطية كذلك، إلا أن دلالته اللغوية في الإنجليزية أوسع بكثير؛ فتضم كل صاحب مسلك مُخالف للطبيعي السائد من معايير مجتمعية؛ فالنظرية تتحدث عن كل (شذوذ) لا عن اللوطية فقط؛ وإن كانت هي رأس الموضوعات ومركز الاهتمام!

انتبه للفارق: فالشاذ قد يكون شخصا يُحب ارتداء التنانير، أو يحب أن يُعامل كالكلاب؛ فيُطعم ويُزجر بل ويضرب كالكلب الأجرب، أو يحب أن يتشبه بالمسوخ؛

بغض النظر عن ميوله الجنسية، سواء طبيعية أو لوطية (١٣٧)!

ثانيهما: أن واجب المُنظرين ليس بيان فضائل الشذوذ فقط؛ بل اقتراح الاستراتيجيات للقضاء على معيارية الطبيعية الجنسية، وبالتالي مجابهة أعداء اللوطية المجرمين الطغاة! بل أكثر من ذلك: محاربة كل صورة (طبيعية) في المجتمع؛ لأنها تسعى في تهميش الآخرين الثائرين المساكين! ومن تلك الاستراتيجيات تخييل ووصف صورة حسنة لمجتمع (شاذ) يكون للوطيين والشواذ كافةً سلطانُ وضعِ المعارف والعلوم والهيمنة على المعيارية ‹١٣٧›، وبيان كيف أن هذا المجتمع سيكون لطيفا ورائعا، وهو الأمل المنشود لتحرير الإنسان، ونشر السعادة؛ بصناعة التنوع Diversity الذي يُثري المجتمع ‹١٣٩›، ويجعله تعدديا ليبراليا بحق.

ولم يكن غريبا أن يكون اختيار مصطلح (الشذوذ) غير اعتباطي؛ بل انتخلته اللغوية النسوية الإيطالية تيريزا دي لوريتيس Teresa de Lauretis عامدةً ‹١٣٩› ؛

ربما بتأثر من جماعة (أمة الشواذ Queer nation)‹١٤٠›الأمريكية التي تحدت الجميع باختيار مصطلح مستفز؛ من الثقافة الشعبية؛ التي كانت تصف اللوطيين وأصحاب السلوك غير الطبيعي بالشواذ (كوير) ‹١٤١›؛ فكأنما افتتحت تيريزا ذلك التحدي منذ مقالها الأول، بانتقاء لفظ يحمل دلالة تحقير مجتمعي، وجعله عنوانا للنظرية = فإن كنتم تقولون عنا شواذ، بدلالة تحقير؛ فنحن (شواذ) فعلا، وسنصنع لنا نظرية كبرى، تجعلكم تحترمون لفظ (الشذوذ) ذاته بادئ ذي بدء! سنُغيِّر المجتمع والإنسان، بدايةً بقلب الدلالة المعنوية لهذا اللفظ، من دلالة احتقار وإذلال،

إلى دلالة احترام وإجلال! من يعرف هوس البنائيين باللغة، يفهم مركزية ذلك التصرف لهم!

ألا يعني هذا وجود اختلاف واضح بين أصحاب (نظرية الشذوذ) والنظريات اللوطية الأخرى، التي كانت تُجادل دوما أن اللوطي، كالطبيعي تماما، ولا فارق بينهما؟

نعم؛ هذا حق! إن نظرية الشذوذ والحركات التحررية التي تبنتها؛ اختلفت عن الحجج السابقة؛ بل ناقضتها؛ فقال اللوطيون: نعم نحن (مختلفون) عنك؛ وواجبك احترامنا وتقديرنا وتمجيدنا ليس لأننا (مثلك)؛ بل لأننا لسنا (مثلك) ‹١٤٠›! تلك استراتيجية مختلفة تماما (لتطبيع الشذوذ) واللوطية؛ لن تُفهم حق الفهم؛ إلا بمعرفة الأجواء الما بعد حداثية، والنسبوية، التي ظهرت فيها تلك النظرية، وقد سبق حديثنا عنها!

انتقدت تلك النظرية من الكثيرين؛ رغم انتشارها وشعبيتها في الجماعات الحقوقية والإعلامية؛ وأوجه تلك الانتقادات في رأيي، هو وقوعها في تناقض فج فاضح: فمن أين تهاجم الطبيعيين؛ لأنهم فرضوا هيمنة معيارهم الأخلاقي مجتمعيا؛ ثم أنت أنت تتحدث عن (المعيار الأخلاقي لحياة الشواذ Ethics of queer life) ‹١٣٩›؟!

تتحدث النظرية عن (نضال وثورة) اللوطيين التاريخية، من أجل السيطرة على البناء المعرفي /الإبستمولوجي والمؤسسي للمجتمع الإنساني؛ وهي مُشيدة فوق فكرة الثورة الدائمة للشاذ ضد الطبيعي الفوكويَّة = فكيف يكون الحال عندما يُسيطر اللوطيون ويصبحون هم واضعو المعيارية المجتمعية؛ كما يحدث الآن؟ ألن يضطهدوا ويلاحقوا أصحاب المعيارية الطبيعية Heteronormativity ويصبح الثوريون هم الشواذ الطبيعيين! تلك عبارة صحيحة: فالطبيعي جنسيا،

الكاره للوطية = سيكون هو (الشاذ) الذي يُخالف المعيارية المجتمعية اللوطية! إي ورب الكعبة؛ ذاك ما جرى، منذ عصر لوط عليه السلام، إلى الآن: أخرجوا آل لوط من قريتكم؛ فهم أناس (شواذ) عن قيمنا المجتمعية، يتطهرون!

كذلك انتُقد بعض المنظرين الآخرين، الذين لا يتحدثون عن (معيارية بديلة)؛ بل عن لا معيارية؛ فتلك اللا معيارية والإصرار على تحرير (كل فرد) لمفهومه الخاص ومعياره الذاتي للطبيعي وغير الطبيعي = تعني تدمير الروابط الإنسانية والعلاقات والمؤسسات المجتمعية؛ لا تحسينها وزيادتها قوة (١٣٩)؛ فأين اللُّحمة في مجتمع كل إنسان فيه يُعرِّف هويته الجنسية والنوعية؛ بل والإنسانية، كما يشاء، وبالهوى الشخصي الصرف؟!

أخيرا، فالنظرية ذات أثر جلي في واقعنا المعاصر، ومجتمعه المدني، وإدراكها واجب لفهم العمل الدؤوب لتغيير المجتمعات وإعادة تكوينها على معايير جديدة؛ معادية للإنسان الطبيعي!

ثالثا: السيكولوجي، مركز الأعاصير

إن ثالثة الأثافي في العلوم المشاركة في تطبيع اللوطية، هو علم النفس، لذا نختم به فصلنا هذا، ونناقش فيه قضايا متنوعة، تترابط جميعا وتتشابك، رغم أن بعضها في أصل فلسفة علم النفس ذاته، وهو ما أجده أقرب لتوضيح الإشكالات المختلفة في التناول السيكولوجي لتلك القضية تحديدا.

وعلم النفس هو أقدم العلوم الغربية مناقشةً للقضية، وهو متصل بالبيولوجيا كما رأيت في القسم الأول من المبحث، ومتصل كذلك بالسوسيولوجيا، وبدون الأول

والثاني لن تفهم بعض نقاشات هذا القسم؛ لذا جعلته الأخير، مع أنه رائد العلوم الأكاديمية تطبيعا للوطية.

تمهيد: بعض أزمات طبيعة علم النفس.

قد نحتاج لإحاطتنا بكافة جوانب أزمة طبيعة السيكولوجي، مجلدات، ويلزم أن ينبري لتوصيفها الدقيق متخصص لا محالة، ولست كذلك، لكننا لن نحتاج للتوسع ها هنا، بل أكتفي بضرب الأمثال، لتوضيح مقصودي بالمعضلة البنيوية الحتمية لذلك العلم.

وأول ما سأضرب به المثل: البحث عن الدوافع النفسية للإنسان من منظور السيكولوجي.

فقد بحث علم النفس، في السياق الفكري الغربي، عن الدوافع الإنسانية للسلوك من داخل هذا العالم، من الإنسان ذاته، خاصة بعد انشقاقه عن الفلسفة المحضة، وانتقاله لحقل العلوم الإنسانية المحاكية للعلموية، ونبذ أي تفسير نفسي يعتمد على وجود الغيبيات، خاصة مفاهيم الإله والشيطان، وبالتالي رفض أي معيارية منبثقة من الأديان الإلهية.

وساهم في ذلك طبيعة مفهوم الدافع نفسه، فهي افتراضية غير محسوسة = ما جعل تحديد شكل وحجم الدوافع رهين الفكر الذي تُبحث وتُدرس في ظلاله!

إن الإشكالات المبدأية لتفسير الدوافع بهذين القيدين، تتبدى في الآتي:

أولا، معاداة أي عامل غيبي، أو ذي أصول دينية محضة، ومحوه من الوجود العلمي في كافة مستوياته، لا مجرد البحث: فلا يُمكن أن تقول مثلا بأن هناك دافع اسمه (وسواس إبليس) أو (المس الشيطاني) أو (إضلال إبليس لبني آدم) = إذ كل ذاك محض جهل ومزج للخرافة بمجال البحث النفسي؛ وعليه كان استبعاد المؤثِّر

الغيبي للشر، فكانت اللوطيَّة من بنات الإنسانية، وكان دافعها داخليا في جوهر البشر، وبُحِثت على هذا الأساس خلال مرحلتي تصنيفها في فلسفة علم النفس:

مرحلة أولى بُحثت باعتبارها دافعا إنسانيا محضا، يُبحث في نطاق النوازع الإجرامية والانحرافية والشذوذ = هذا في عصر كانت اللوطيَّة شذوذا، وعلاجها واجبا يستحق الدعم الرسمي والمجتمعي.

ثم مرحلة ثانية بُحثت باعتبارها دافعا إنسانيا جنسيا طبيعيا، وأحد تنوعات الميول الجنسية المشتركة في أصلها بين كل البشر = هذا في عصر صارت اللوطيَّة طبيعةً، وعلاجها جريمة تستحق العقاب الرسمي والمجتمعي!

أما القول بأن اللوطيَّة ضلال شيطاني، وأحد نتائج إفساد إبليس للبشر = فلا مجال له في (علم) النفس!

إن البحث عن الدافع، سواء الخيِّر أو الشرير، من داخل هذا العالم، وبداخل الإنسان وحده = يؤدي إلى ذلك، خاصةً مع الفلسفة الفردانية كما ذكرنا قبلا، فالإنسان عندما يسلك مسلكا معينا، مثل السلوك اللوطي، يُبحث عن الدوافع بداخله هو وحده، وهو مُصدَّقُ القول، خاصةً إن تكرر الكلام والتفسير؛ فالنفسي حينما يبحث، بطريقة إحصائية، كم الحجج المتشابهة عند اللوطيين، وتفسيراتهم لسلوكهم ذلك الطريق = يأخذ التكرار على أنه دلالة وجود (فئة) من البشر، لديها جوهر مُخالِف الجمهور. وحيث أن التكرار لا يدلُّ إلا على وجود (جزء إنساني) مماثل، وحيث أن الإنسانية تقتضي منا تقديس الفرد وتميزه = توجَّب علينا الاعتراف بوجود (جزء من البشر) لديه ميول لوطيَّة مُركبة في نفسه!

الإسلام أحد الأديان التي تتدخل وتؤكِّد على وجود تفسير أوسع من الضيق الإنسانوي، وأكبر من الاقتصار على ذلك العالم المادي والوضعي في البحث = إذ يُقدِّم عاملا خارجيا للوطيَّة هو الشيطان، وعاملا داخليًّا هو النفس الأمارة بالسوء، فالنفس

ذاتها مُركَّبة من أجزاء متصارعة، وأحد تلك الأجزاء الداخلية مرتبط بعامل خارجي وأكثر ميلا إلى التواصل معه.

ما أثر ذلك الاختلاف؟

لنبحث ظاهرة مثل تكرار حجاج الكافرين والفاسقين، فالتفسير الإسلامي لتكرار الاستناد إلى ذات الحجج لا يكتفي فقط بالجزء الإنساني المتماثل، كالمكابرة والتمسك بالموروث ولو كان ضلالا، أو الميل الاجتماعي للفكر المحافظ والنفور من كل ثورة، سواء صالحة أو باطلة، ونرى هذا في الآيات الكثيرة عن تكرار التحجج بأن (هذا ما وجدنا عليه آباءنا)، بل يضيف وجود كائن يُشرِك بين بني الإنسان من كافة الأصقاع، ويتصل مباشرةً بأفكارهم ودواخلهم، ألا وهو الشيطان، الذي ينقل بينهم الحجاج = لذا يحدث التكرار في التفسير. إن الشيطان يلعب ها هنا دور رابط خفي بين الآدميين، يلج عقولهم ليبث ذات الحجج من مدخل النفس الأمَّارة، التي قد تخترع هي ذاتها للفرد تفسيرا ودافعا ربما يفوق ما يعلمه الشيطان ويكيد به!

ما وزن كل ذلك الذي قيل في الفقرة الأخيرة عند علموية السيكولوجيين المانعة لأي غيبيات مرتبطة بإله؟ لا شيء! كل ذلك ليس إلا خرافات ودجل!

ولا تُفسَّر كافة البحوث الإسلامية التي كُدِّست في المكتبات العربية، والمازجة بين (علم) النفس، والتفسير القرآني = إلا أنها هُراء وغثاء لاهوتٍ يجب حرقه! وخرافة بقايا عصور الدجل وما قبل الوضعيَّة، ومحاولة لاستمرارية تقييد الفلسفة بعلم النفس!

لذا ينظر المسلم لمنهج البحث النفسي بأسلوب مخالف تماما للعلموي، ولا أقول مناقض، وبالتالي يُفسِّر الدوافع بفكر مختلف، وأسس مناقضة لما قام عليه أهل العلوم النفسية.

ثانيا، مثَّل استبعاد أي معيارية دينية إلهية مشكلة أخرى، إذ أن الحكم بصواب الفعل وخطئه، أصل يُبنى عليه علم النفس وتفريعاته، فعلم نفس الجريمة، كان يضع

(الشذوذ الجنسي) بين مباحثه، وكانت تُسبر الدوافع على هذا الأساس، وتُقدَّم التفسيرات والتوصيات والحلول بناءً على معيارية علمانية. ثم تغيَّر كل ذلك، لسيولة المعياريَّة العلمانية وانتشار النسبوية إلى آخر ما ذكرناه قبلا = فاستُبْعِد بحث الشذوذ الجنسي من علم نفس المجرمين، ونُقِل إلى فرع طبيعي آخر، بل اختُرِع مرض نفسي جديد، أضيف لعلم نفس الجريمة، وهو (رُهاب اللوطيَّة Homophobic) الذي قد يدفع الإنسان لإيذاء اللوطيين المساكين، واعتبر ذلك الشخص المريض بعداء اللوطية شاذا، يستحق أن توصف حالته هو في علم نفس الشواذ!

وكل معيارية دينية إلهية، موصومة بالتخلف، وعليه لا يمكن أن نعتبرها محددةً لصحة السلوك من عدمه، وبالتالي لا يمكن البتة بحث الدافع في نطاق ديني.

فالمعيارية الدينية التي تحكم على السلوك اللوطي باعتباره شذوذا، حكمت قبل ذلك حكما قبليا أن هناك (فطرة خيِّرة) تستقبح اللواط، وبناءً عليه فُسِّر (الدافع) باعتباره ينتمي لمجموعة الدوافع (المكتسبة) أولا، ثم الدوافع (المؤقتة) ثانيا، ثم (الدوافع) الإجرامية ثالثا = كل ذلك صنعه وجود معيارية دينية للتصويب والتخطئة!

أما المعيارية العلموية، فلا تحكم أولا بأن هناك (فطرة) خلقنا الله بها تستقبح اللواط، لأنه لا إله، ولا غيب، كما أن الحكم على فعل ما بأنه (فطري خيِّر) يدخلنا في مجال الفلسفة والقيم، وهو ليس مجال العلم، وبناءً عليه لا تُفسَّر الدوافع أبدا بالصورة التي يجري فيها التفسير استنادا إلى الإسلام، إذ لا دليل على أن دافع الميل للواط هو (مُكتسب) ضرورةً، أو طارئ مؤقَّت يمكن دفعه وعلاجه، أو إجرامي نتاج مرض نفسي = وارتقاء السيكولوجي لمرتبة العلم رهين الخلاص من الأحكام والعلائق القيمية والدينية في بحث الدوافع وتفسيرها.

وتزداد المسألة جلاءً باستعراض فارق البواعث بين دين الإسلام ودين العلمانية؛ فالبواعث التي يستجيب لها الدافع الإنساني نوعان، إيجابية وسلبية: الإيجابية جاذبة بالتثويب، والسلبية رادعة بالعقاب. ودافع البقاء والسلامة، يُلزِم النفس الإنسانية الاستجابة لتلك البواعث. ولا يُفارِق المسلم الملتزم غيره، غير أن دافعه للسلامة موجَّه نحو الآخرة، أي سلامته الأبدية، لأن حياته الأقصر هي الدنيا = وذاك ما يدفعه للقتال والاستشهاد؛ فهو في ذلك لا يُخالِف الدافع الإنساني الطبيعي، إنما يفتح له إيمانه آفاقا جديدة للسلامة.

وكذا الدافع الاجتماعي، يُميل الإنسان إلى مياسرة مجتمعه ومسالمته والخضوع لقوانينه، أي الاستجابة للبواعث الإيجابية والسلبية، حتى وُجِد المنافقون والمراؤون، وهم من يبطنون إيمانا عكس ما يُظهرون، محاولةً لاستجلاب رضا الناس أو مخافة عقابهم. إذن معنى البواعث بين الإسلام، والعلمانية، مختلفة جد الاختلاف، وذلك يُغيِّر تماما طبيعة البحث عن الباعث؛ فالسيكولوجي بحث علماني، لا ديني، ولا يُفسِّر البواعث الدينية إلا في إطار الأوهام والضلالات الذاتية للمرء.

إن النقاش لطبيعة علم النفس طويل ومرهِق ولا غناء عنه ولا نهاية له، لكن كان لابد من ذلك المدخل، قبل استعراض تطور مناظير القضية اللوطية في هذا الحقل، وسنرجع مرة أخرى بعد هذا الاستعراض لنقاش أوسع لإشكالية تعامل علم النفس تحديدا مع تلك القضية.

ثانيا: أحقاب تطور مناظير السيكولوجيين للوطية.

تطورت مناظير علم النفس نحو اللوطية منذ نهاية القرن التاسع عشر تطورا كبيرا، خلال مراحل ثلاث يمكن تمييزها، الأولى مرحلة علم نفس الجنس Sex Psychology التي كان آخر كبارها هافيلوك إيليس، ثم مرحلة التحليل

النفسي Psycholanalysis التي كان رائدها سيجموند فرويد، وأخيرا مرحلة ألفريد كينزي، والذي ناصر التطبيع الكامل للوطية في المجتمعات الغربية، والتي سادت أخيرا، في مقابل انزواء المدرسة الأخرى التى ترى اللوطية مرضا يُمكن علاجه. وسنتناول في ذلك الجزء مراحل التطور، ونظرية كل واحد من أولئك الأعلام عن اللوطية.

1) عصر انفصال علم النفس عن الدين، من الخِناثة النفسية لأولريخ إلى معركة الجبليَّة والتربوية.

في ستينيات القرن التاسع عشر مثلت نظرية (الجنس الثالث) التي ابتكرها أولريخ Karl Heinrich Ulrichs تحديا للمعتقدات التي سادت الحضارة الغربية إلى ذاك الوقت، والتي كانت تعتبر اللوطية فاحشة وخطيئة بحق الله، وبحق الإنسان، وعلامة على تحلل المجتمع، ولم يكن اعتبار اللوطية مرضا إلا نموذجا لعلمنة ذاك المعتقد، ومثَّل ذلك القرن الانفصال المتدرج لعلم النفس عن الدين عامةً(١٤٢).

كان كارل أولريخ، اللوطي الألماني، أول المتحدثين عن مفهوم الخِناثة والترجُّل، بصورة شبيهة للغاية بنقاشات اليوم عنها، ما يُرجِّح أنه أبو ذلك القسم من النظرية اللوطية والجندرية. فماذا كانت نظريته؟

كان أولريخ متأثرا بعلم الأجنة الذي كان يتصاعد حينها، وخاصة الحقيقة التي أثبتها عن صعوبة التفرقة بين الأعضاء الجنسية للذكر والأنثى في المراحل الأولى للجنين، ما حفزه للتفكير في نموذج يُبرر به اللوطية، التي يعيشها هو نفسه، والتي كانت مثار اشمئزاز ونفور مجتمعي حينها، ونشر نموذجه النظري في كتابه (معضلة الحب بين الرجال)، وخلاصته الآتي:

أن الإنسان في حالته الجنينية المبكرة لا يكون ذكرا ولا أنثى، ويمكن أن يتطور لاحقا إلى أي اتجاه منهما بصورة عشوائية، وأن الدوافع الجنسية منفصلة عن الأعضاء الجنسية، ولا تتطور الأعضاء إلا بقمع اتجاه من الاتجاهين؛ فإن كانت أعضاء ذكورية، تقمع الاتجاه الأنثوي للدوافع، لكن ليس دوما. فالاتجاه الذكوري أو الأنثوي العضوي الظاهر، منفصل تماما عن التكوين الذكوري والأنثوي للإنسان نفسيا (١٤٢)!

وبالتالي يُمكن لنا أن نجد احتمالات أربعة: ذكر بدوافع أنثوية، وأنثى بدوافع ذكرية، وذكر بدوافع ذكورية، وأنثى بدوافع أنثوية! وقد اعتبر أولريخ تلك الحالة ما نسميه بالخنثى نفسي: ذكر يعيش في جسد أنثى رغما عنه، أو أنثى تعيش في جسد ذكر رغما عنها؛ وبالتالي ينتشر فيهم الحزن والألم والغضب من عدم فهم المجتمع لتلك الحقيقة، ولعدم فهمهم هم أنفسهم لحقيقة كونهم جنسا ثالثا!

حازت نظرية أولريخ شعبية كبيرة حينها (١٤٢)، وأسست لرؤية جديدة (علموية)

للوطية، تدفع المجتمع إلى التعاطف مع اللوطيين، بدلا من التنكيل والإزراء بهم، الذي كان سائدا.
لم تستمر تلك النظرية منفردة في الحقل لتبرير اللوطية، قبل أن يأتي العلماء في مطلع القرن العشرين ويوارونها الثرى، بعدما كشفوا أن (جنس) الطفل يتحدد من الجينات، منذ اللحظة التي يتكون فيها الزيجوت، وأن علم الأجنة كان يدرس الظاهر فقط = أي أن أولريخ بنى نظريته كلها على افتراض خاطئ، وهو وجود حالة أولية للإنسان يكون فيها بلا جنس على الإطلاق.

كما أنك تلاحظ عيبا واضحا في نظريته بمنظور اللوطيين أنفسهم؛ فليسوا جميعا يشعرون بأنهم (إناث) في أجساد ذكور، والعكس! كما أن هذا قد يبرر نموذجا واحدا من اللوطية، نموذج اللوطي المفعول به في العلاقة، أو اللوطية المترجلة؛ لكنه لا يبرر لوطية الذكر المتسلط الفاعل، ولا لوطية المتأنثة!

ثم انقسم علماء نفس الجنس في الربع الأخير من القرن التاسع عشر بين رؤيتين لتبرير اللوطية، الأولى تراها مكتسبة Acquired غير فطرية، إنما نتاج انحراف الإنسان واستسلامه لشهواته، وعليه يمكن شفاء اللوطي من ميوله تلك، بطرق العلاج النفسي المناسبة العقلية والسلوكية، مثل التنويم المغناطيسي (١٤٣)، والانخراط في علاقات جنسية طبيعية مع نساء، وكان من أكبر المعتنقين لتلك الرؤية ألبرت فون شرنك نوتسينج Albert Von Schrenck Notzing، والذي يعتبر كبير مؤسسي العلاج التحويلي Conversion therapy في تاريخ علم النفس(١٤٤)، إذ نشر دراسات أثبت فيها قدرته على علاج ١٢ حالة من ٣٢ لوطي، وإعادة الشخص إلى الصورة الطبيعية للعلاقات الجنسية(١٤٥).

أما الرؤية الأخرى فقد جادلت بأن اللوطية فطرية Congenital، غير مكتسبة، وبالتالي لا يمكن علاجها، فهي مركوزة في قرار طبيعة اللوطي نفسه، وكان من أكبر المعتنقين لتلك الرؤية ألبرت مول Albert Moll الذي دخل صراعا كبيرا

مع شرنك نوتسينج، واتهمه في دراساته وبحوثه، وفي أساليب علاجه المؤسس على

الإيمان بالغيبيات أو الباراسيكولوجي(١٤٣).

وستظل تلك المعركة بين المدرستين، كما رأينا، قائمة في علم النفس، إلى اليوم: مدرسة الجبليَّة أو الطبيعة، ومدرسة التنشئة والتربية.

2) ما قبل فرويد، هافيلوك إيليس وعلم نفس الجنس Sex Psychology.

في نهاية القرن التاسع عشر، كان علم نفس الجنس على موعد مع رؤية جريئة في علمانيتها، أتت من فيلسوف يوتوبي معروف حينها، هو هافيلوك إيليس Havelock Ellis.

كان إيليس يؤمن بأن المجتمع سيُصلح ذاته، ويصل إلى يوتوبيا علمانية، حينما

يصل إلى درجة معينة من معرفة ذاته، خاصة المعرفة الجنسية(١٤٦)، وعليه كانت

أعماله في هذا الجانب ممتدة.

بنى إيليس رؤيته على أساسين:

أولهما: اكتشاف علماء الحيوان حينها وجود اللوطية عند الحيوانات والبهائم، وعنى ذلك لإيليس أن تلك الميول (طبيعية) وليست انحرافا خاصا بالإنسان.

ثانيهما: ما أعلنه علماء الأنثروبولوجيا حينها، بأن اللوطية وُجِدت في ثقافات أخرى دون تجريم، وليست كل الدنيا متفقة على تحريمها الغربي والنفور منها.

ومن الأساس الأول، أعلن إيليس أن اللوطية ليست إلا مظهرا طبيعيا للجنس مثل الصورة التقليدية؛ بل لا توجد صورة نمطية واحدة للجنس، فاللوطي يُخالف غيره في اختيار (موضوع) الممارسة الجنسية لا أكثر! يختار غير اللوطي الجنس المخالف،

ويختار اللوطي نفس جنسه، وكلتا الحالتين طبيعيتين تماما، والدليل انتشار الظاهرة في عالم الحيوان (١٤٦).

ومن الأساس الثاني، أوضح إيليس سبب اشمئزاز المجتمع من اللوطية = إذ لا يوجه اللوم في ذلك إلا إلى الثقافة الغربية! ومن المؤكد أن الإنسان يملك القدرة على تغيير تلك الثقافة، والوصول إلى يوم تتقبل فيه تلك الثقافة اللوطيين وتقدر ميولهم وتعترف بأنها طبيعية تماما.

وقد تفقّأ غيظا واستعلن بغضبه من قانون عام ١٨٨٥ الإنجليزي الذي كان يعاقب اللوطيين بالحبس مدة تصل إلى عامين = فلا يجب على أي قانون الوقوف حائلا أمام متعة الإنسان، باسم الحفاظ على القيم أو المبادئ المجتمعية؛ التي لم تُستقى إلا من ثقافة زمنية محدودة غير مطلقة. وحينما يصل الإنسان إلى تلك اللحظة المجيدة، لحظة تطبيع اللوطية = سيزداد معرفةً بذاته؛ وبالتالي يُبنى المجتمع المثالي.
كانت تلك الأفكار ثورية راديكالية في هذا الوقت، خاصةً أنها أتت من رجل ذي تقدير، كتب أول مرجع طبي للوطية في الغرب، وكان من أوائل الذين اكتشفوا فرويد يوم لم يكن يسمع به أحد، غير أنه انقلب عليه فيما بعد، حينما رأى أن نظرية فرويد عن اللوطية تعني أنها (مكتسبة) غير طبيعية، فهاجمه كثيرا حتى موته.
كان مناط الهجوم المضاد على إيليس أنه بنى نظريته، وادعى أن البحوث تؤيده = بناءً على الاعترافات الذاتية المكتوبة Autobiographies للوطيين من الطبقة الوسطى الإنجليزية لا غير، وهي طريقة في البحث لا يمكن الاعتماد عليها في إثبات دعواه الكبرى (١٤٦).

3) عصر فرويد والطبيعة الجنسية المزدوجة، تفسير التحليل النفسي Psychoanalysis.

برغم تأخر بروز فرويد عن إيليس، إلا أنه صعد سريعا إلى قمة علم النفس، بتشييد نظريته كلها فوق مجموعة من المسلمات والمبادئ التي تحدث عنها المهتمين بسيكولوجيا الجنس قبله، وقد كان أبرز الذين أخذ عنهم الأفكار الرئيسية للتحليل النفسي كافةً، ولتفسير اللوطية خاصة، فيلهلم فليس Wilhelm Fliess صديقه، طبيب الأنف والأذن والحنجرة، الذي عرفه بفكرة ازدواجية الميول الجنسية للإنسان في طفولته(١٤٧)، وفكرة المؤثرت الجنسية على الطفل في تكوين حياته اللاحقة(١٤٨).

فما هو تفسير فرويد للوطية؟

آمن فرويد بأن لا الميول الطبيعية ولا اللوطية = فطرية جبليَّة(١٤٩)، بل يولد الإنسان مزدوج الميول الجنسية Bisexual، يمكنه أن يميل إلى الجنسين معا بنفس القدر، لكن حينما يجتاز الطفل مرحلة عقدة أوديب[25] (التي تكون من عمر ثلاث سنوات إلى ست)، يتعرف إلى هويته كذكر، وبالتالي يميل إلى الجنس الآخر، ويعيش حياته بصورة طبيعية.

---

[25] عقدة أوديب: إحدى أهم أركان نظرية التحليل النفسي عند فرويد، وملخصها أن الطفل يشعر بالغيرة على أمه من أبيه، لأنها تكون المسؤولة عن تزويده بالنشوة منذ الرضاع، فيتمنى قتل أبيه، لكنه يعرف عجزه عن ذلك لخواره أمام قوة أبيه، ولخشيته من الخِصاء، فيظل في مرحلة من الاضطراب حتى يتعرف إلى هويته جيدا ويجتاز العقدة مع سن في حدود ست سنوات، لكنها تؤثر عليه في حياته بعد ذلك في جوانب أخرى. ولها نظير أنثوي هي عقدة إلكترا.

لكن ماذا إن لم يستطع اجتياز تلك المرحلة بسلام؟ هنا يُصبح المرء لوطيا، يحب نفس جنسه(١٥٠).

تسبب ذلك التفسير في اضطراب كبير بمدرسة التحليل النفسي بعد فرويد: أكان فرويد ينظر للوطية كمرض أم كطبيعة لا بأس بها؟ هناك اتفاق على ضبابية موقفه بين المؤيدين لاعتبار اللوطية مرضا (١٥١) والمؤيدين لاعتبارها طبيعية (١٥٠)! توجد شواهد على اعتبار فرويد اللوطية مرضا من حديثه عنها، فقد استخدم نموذجا سيكولوجيا للتسمية ينسبها إلى علم الباثولوجيا (١٥٠)؛ كما أنه قسم مراحل نمو الشخص جنسيا إلى ثلاثة في خطاباته مع فليس، الأولى الإروتيك الذاتي Autoeroticism والثانية الإروتيك اللوطي Homoeroticism والثالثة الإروتيك الطبيعي Heteroeroticism، وقد شرح عالم النفس الفرنسي جان بيرجيريه، أن ذلك يعني انتماء المرحلتين الأولى والثانية إلى مرض النرجسية؛ فاللوطية، هي إعجاب الإنسان بنوعه وذاته، ونبذه المخالف؛ وعليه لا يمكن اعتبارها صورة طبيعية، وهي الرؤية التي عرضها سابقا عالم السيكولوجيا ساندور فيرينزي Sándor Ferenczi، على فرويد في بدايات القرن الماضي، مقترحا استعمال وصف Homoeroticism بدلا من مصطلح Homosexual = لأن الأخير يعني تطبيع الممارسة اللوطية، في حين أنها ليست إلا مرضا ينتمي للنرجسية، حيث يتهيج الإنسان على مثيله، أي على ذاته! وسيدافع بيرجيريه عن التسمية التي اقترحها فيرينزي، مستعرضا تحليله النفسي لعدة حالات وقعت في اللوطية، رجالا

ونساءً؛ ثم بتحليل حياتها وماضيها، ثبت أن وقوعهم في اللوطية لم يكن (فطريا)؛ بل مسببا مكتسبا؛ تارة امرأة متزوجة عانت من إهمال زوجها عاطفيا، وارتباطها بصديقتها التي تستمع لها، ما تحول إلى علاقة لوطية بينهما، وتارة رجل نشأ في منزل فيه أم متسلطة، زرعت فيه كراهية النساء، وعدم النظر إليهن باعتبارهن موضوعا جنسيا جذابا Sexual Object؛ فكان الإمتاع عنده مرتبطا بالرجال فصار لوطيا (١٥١).

إذن يؤكد هذا التوجه على نموذج فرويد نفسه حول النرجسية وعقدة أوديب، وأن اللوطية ليست إلا (توقف نمو) أو انتكاسة، مسببة بعوامل اجتماعية خارجية غالبا، لا فطرية في الإنسان، وعليه يجب أن تُنمَّى بوضوح إلى الأمراض النفسية.

من الجهة الأخرى توجد كذلك قرائن تدعم الزاعمين نظر فرويد إلى اللوطية كصورة أخرى للجنس، ليست شاذة بالضرورة؟ توجد شواهد ضئيلة من كلامه لكن يتمسك بها أنصار اللوطية (١٥٠):

منها قوله أن الميل الجنسي نحو الجنس الآخر ليس حتميا، بل فيه جزء طبيعي، وجزء تربوي. أما الجزء الطبيعي فراجع - كما رأينا - لكون الإنسان عنده مجبول على الميل للجنسين فطريا، وأما التربوي فراجع للتنشئة التي قد تساعده في عبور عقدة أوديب أو الاضطراب فيها.

ومنها تأكيده على أن تحويل اللوطي لطبيعي لا يقل صعوبة عن تحويل الطبيعي للوطي، والسعي في ذلك السبيل لا يعد بالكثير!

ومنها هجومه على الفكرة التي روجها أولريخ عن الجنس الثالث، وشعور اللوطي بأنه روح الجنس المخالف لحقيقته البيولوجية، إذ أكد على وجود رجال يحملون

مظهرا ذكوريا واضحا لا يتصنعونه نفاقا، ومع ذلك ينخرطون في علاقات لوطية، وكذلك نسوة لا يملن لتمثيل أدوار الذكور، ولا يشعرن بأنهن لسن نسوة، ومع ذلك ينخرطن في علاقات لوطية! إن هذا تأكيد على عدم وجود (حالة مرضية) أو صورة شاذة مثل التي يوحي بها نموذج أولريخ.

ومنها كذلك، الخطاب الذي اشتهر، وكتبه فرويد إلى امرأة عانت من لوطية ابنها، وفيه وصف اللوطية بأنها ليست عارا يجب الخجل منه، ولا يمكن تصنيفها كمرض، بل هي (نوع) آخر من الوظائف الجنسية. وكذا اعترافه في تقريره المتأخر أنه حاول علاج امرأة لوطية وفشل في ذلك، مرجحا عدم جدوى علاجات تحويل الميول الجنسية (١٥٢).

لكن، كما ترى، أدلة الفريق الثاني أضعف في الجملة، ويمكن نسبتها بيسر إلى مسعى أحفاد فرويد في تبرئة أبو التحليل النفسي من تهمة عداء اللوطية Homophobia، أو احتقارها، وكذلك سعيهم في (تنظيف سمعة) مؤسسات التحليل النفسي من تلك التهمة، خاصةً أن السائد عند رجال التحليل النفسي بعد فرويد كان النظر إلى اللوطية باعتبارها انتكاسة في التطور الطبيعي للميول، وتوقفا للنمو النفسي السوي، ما يُلجئ المرء لمحاكاة الجنس الخاطئ، وهذا إن لم يُعلنه أحد في العقود الأخيرة إلا نادرا، إلا أن أثره في السيكولوجيين التحليليين كان كبيرا = فقد كانوا يستبعدون أولا بأول المرشحين لوظيفة التحليل النفسي من مؤسساتهم إن كانوا لوطيين، ويرجع هذا بلا ريب إلى نظرتهم لهم باعتبارهم أول من يحتاج إلى علاج؛ حتى حدث جدال ضخم في أول الألفية الجديدة اضطر بسببه العديد إلى التبرؤ من تهمة العداء للوطية المتأصلة في مؤسسات التحليل النفسي

الأمريكية (١٥٠). فلا يمكن نسبة كل أولئك إلى (سوء فهم فرويد) وتصحيح رأي المُبرئين له وحدهم من المعاصرين!

إذن يمكن تقسيم موقف أتباع فرويد من بعده إلى مدرستين:

الأولى تؤكد على أنها مرض مُسبب وعرض مكتسب، وهو ما يعني إمكان الشفاء، ما يفتح الباب لممارسي العلاجات التحويلية، ممن يبحثون عن (عوامل بيئية /خارجية) في طفولة الإنسان هي التي تدفعه للوطية.

والثانية تؤكد على أنها صورة طبيعية، فالإنسان يولد مزدوج الميول الجنسية، وهو الذي يختار في مرحلة لاحقة النموذج الذي يرغبه جنسيا؛ وفي كلام فرويد وغموض أفكاره، بل واستخدامه هو ذاته عبارة (معضلة اللوطية) ما يدعم مزاعم المدرستين على تناقضهما!

4) ما قبل كينزي، مدرج ديفيز، ومدرج تيرمان - ميلز.

قفز البحث الجنسي في ختام الربع الأول من القرن العشرين مسافة كبيرة؛ بمحاولة العلماء نقله إلى حقل القياسات والمعايير العلموية الصرفة، والخروج به قدر الإمكان من إطار (الفلسفة) الذي دارت فيه النظريات قبلا.

وقد كان من أبرز المحاولات لتفكيك اللوطية وفهمها، بحث ديفيز Davis الذي نشرته عام ١٩٣٠ بعد دراسة ٢٢٠٠ امرأة لوطية، سعيا لفهم حالتهن الجنسية، وقد وضعت بعد تلك الدراسة مدرجا، يفصل بين اللوطية كمشاعر، وكممارسة؛ واعتبرت أن المشاعر هي (علامة) على وجود اللوطية؛ بينما قد لا تُتاح الممارسة، كما أن اللوطية سلوك وتجربة جنسية، لا هوية خاصة.

وضعت ديفيز مدرجها لقياس شدة اللوطية، من المشاعر إلى الممارسات؛ بالصورة الآتية (١٥٣):

H.I: من لديهن مشاعر لوطية دون سلوك لوطي ظاهر.

H.II: من لديهن مشاعر لوطية + سلوك لوطي ظاهر.

I.E.R: من لديهن علاقات عاطفية عميقة مع النساء الأخريات.

H.II.c: ذوات السلوك اللوطي الظاهر من قبل البلوغ!

تبرز أهمية تلك الدراسة في تاريخ البحوث اللوطية في كونها من المُلهِمات لأكبر اسم في ذلك الحقل بالقرن الماضي: ألفريد كينزي، الذي سنعرضه بعد قليل؛ فقد تأثر بطريقة المدرج، وباللغة العلمية التوصيفية التي تجنبت إهانة اللوطيات(١٥٣).

كما أننا نلحظ ظهور التفرقة بين (المشاعر)، و(السلوكيات)؛ وهي تفرقة سيستخدمها الكثيرون فيما بعد.

ثم برزت في عام ١٩٣٦ دراسة تيرمان وميلز التي أنشآ على إثرها مدرج تيرمان-ميلز لقياس الأنوثة والذكورة Masculinity–Feminine Scale، والذي يعتمد على مجموعة من الاختبارات لتحديد (حجم) الأنوثة أو الذكورة في الحالة

المدروسة‹١٥٤›، وكان مما أكدا عليه صحة نظرية الانعكاس النوعي Gender Inversion Theory؛ والقائلة بأن اللوطي ذكر مظهريا لكنه غير منضبط وفيه سمات أنثوية نفسيا هي التي تجعله يميل للرجال، والأنثى العكس ‹١٣٧› = وبالتالي على الحالة التي تُظهر تقاربا من النوع الآخر، بامتلاكها سمات تُخالف نوعها أكثر من الطبيعي؛ أن تُعدِّل من نفسها سلوكيا كي تُلائم الجنس الذي تنتمي إليه ‹١٥٣›.

5) عصر كينزي، تشييد أسس اللوطية المعاصرة.

في أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي، كانت أمريكا والغرب على موعد مع قنبلة ثقافية هائلة، بعدما نشر ألفريد كينزي كتابه الأشهر: السلوك الجنسي في ذكر الإنسان، والذي حمل خلاصة دراساته (العلمية) على ألوف من ذكور الولايات المتحدة، والتي استنتج منها العديد من الأفكار الصادمة، ومنها رأيه في اللوطية، التي أعلن أن تفسيرها لن يكون سليما إلا بشرح السلوك الجنسي للذكور عامةً:

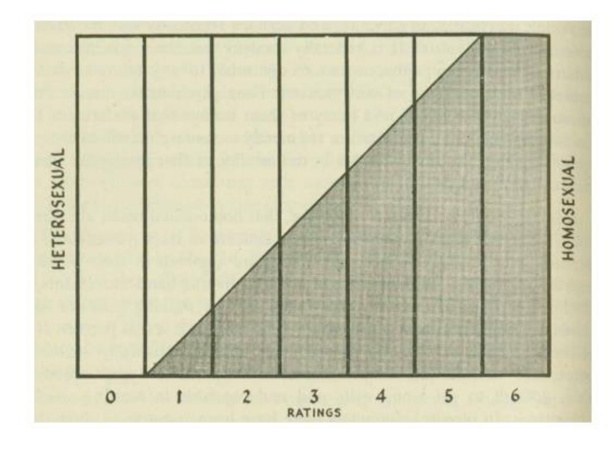
فالذكور كائنات جنسية تماما، منذ الطفولة المبكرة يمكن استثارتهم جنسيا، وهي تبقى في حالة النشاط الجنسي الفائر تلك حتى الاقتراب من الشيخوخة‹١٥٣›.

والنشاط الجنسي عند الذكور أكثر تنوعا بكثير من الصورة التقليدية التي تفترض أنهم يميلون إلى الأنثى الناضجة في سن النضوج = بل يكاد الذكر يميل لكل شيء‹١٥٣›!

وقد وجد أن نصف الذكور المدروسين تقريبا كان لديهم ميل في مرحلة عمرية غير مخصوصة إلى ذكور آخرين، أي أن نشاطهم لا يتوقف عند حد (طبيعي) كما كان يُفترض قبلا، بل يمتد إلى كل موضوع يوجد في حياتهم (١٥٣)؛ ولا أدل على ذلك من اعتراف ١٧٪ من شباب المزارع الذين التقاهم بممارستهم الجنس مع الحيوانات (١٥٥)؛

هل ذلك فطرة وجبلة أم تنشئة وبيئة؟ ذات السؤال فكَّر فيه كثيرا ولم يسترح إلى إجابة محددة؛ فقد تحدث في البداية أن العوامل البيولوجية / الجبليَّة، أقوى من قدرة الإنسان على كبح نفسه، لكنه مال بعد ذلك إلى رأي يجمع بين الجبليَّة (البيولوجية) والتربوية (البيئية) (١٥٣).

لذا صنع كينزي مدرجه الأشهر في تاريخ الدراسات الجنسية، والذي استفاد به من مدرج ديفيز قبلا، لقياس شدة الميول اللوطية (١٥٣)؛ فأتى به على الصورة الآتية:



Rating | *Description*
0 | *Exclusively heterosexual*
1 | *Predominantly heterosexual, only incidentally homosexual*
2 | *Predominantly heterosexual, but more than incidentally homosexual*
3 | *Equally heterosexual and homosexual*
4 | *Predominantly homosexual, but more than incidentally heterosexual*
5 | *Predominantly homosexual, only incidentally heterosexual*
6 | *Exclusively homosexual*
X | *No socio-sexual contacts or reactions*

مصدر الصورة: موقع مؤسسة كينزي(١٥٦).

فالإنسان له درجات في الميول، إما يكون (هومو / لوطيا) كاملا، وهذا يساوي ٦ على المدرج، أو (هيتيرو / طبيعيا) كاملا، وهذا يساوي ٠ على المدرج؛ والإنسان لا يستمر ضرورة في موقع واحد من المدرج طوال حياته.

والدرجة ١ هي إنسان طبيعي، مع حالات نادرة للميول اللوطيَّة، و٢ هي إنسان طبيعي مع حالات أكثر من نادرة للميول اللوطية، و٣ هي إنسان يميل للجنسين بنفس الدرجة، و٤ إنسان لوطي مع حالات أكثر من نادرة للميول الطبيعية، و٥ هي إنسان لوطي مع حالات نادرة للميول الطبيعية.

سبب هذا المدرج صدمة كبيرة، فالتصور حينها كان أن النموذج الإنساني إما أن يكون (طبيعيا) أو (لوطيا)؛ لكن كينزي أخبر بما يُناقض ذلك، أي وجود الكثيرين ممن تمتزج فيهم الميول اللوطية والطبيعية؛ وعليه برزت تساؤلات عن معنى كلمة (طبيعي) أصلا! فمن هو الطبيعي حينئذٍ؟!

ويُعتقَد أن كينزي كان يرد بذلك على مدرج تيرمان-ميلز السابق؛ والذي انتُقد من التوجهات المقاربة لكينزي، في كونه يبني تصوراته على (صور نمطية

(Stereoptype) للذكور والإناث، واعتبارها طبيعية، وكل ما دونها سلوكيات وأفكار شاذة تستوجب التقويم (١٥٣) = فكينزي يضرب ذلك المدرج في مقتل؛ فلا طبيعي كامل ضرورةً ولا لوطي كامل ضرورةً؛ وعلى ذلك لا يوجد شيء حقيقي اسمه الشذوذ الجنسي.

والميول الجنسية طيف واسع، متنوع، والإنسان يتغير في حياته بين ذلك الطيف؛ فهو غير ثابت؛ والثابت عنده أن الذكر نشط جنسيا بصورة دائمة، وعليه يكون مقياس الذكورة الحق هو قوة الميول الجنسية والانغماس في الجنس؛ سواء كان المفعول به ذكرا أو أنثى، طفلا أو ناضجا؛ فاللوطي المنغمس في الجنس أكثر (ذكورةً) من غير اللوطي الذي يُمارسه بدرجة أقل (١٥٣)!

ما هو أثر تلك الأفكار؟ زلزال عنيف في الولايات المتحدة؛ لأن كينزي نشر أفكاره وخلاصات بحوثه تلك في كتاب، باع ناشره خمسة آلاف نسخة، الطبعة الأولى، في وقت وجيز، ثم باع، بعد شهرين فقط: مئتي ألف نسخة! وحصل على المركز الثاني في قائمة أكثر الكتب غير الخيالية مبيعا(١٥٧)!

أجرى كينزي حتى موته دراسات على ثمانية عشر ألف شخص، منهم ثمانية آلاف قابلهم بنفسه؛ وقد جمع المعلومات من هؤلاء جميعا(١٥٨)، وعليه فنتائجه هي (نظرية علمية) لا غبار عليها، تلقفها المجتمع بدهشة كبيرة، وساهمت في حركة دعم اللوطية بالخمسينيات Homophile movement بشكل كبير(١٥٥)،

وليس هذا الدعم بالغريب؛ فمقياسه ذلك ساوى فيه بين اللوطيين والطبيعيين ‹١٥٨›، وجعل النوعين (لوطي Homo) و(مُغاير Hetero) طرفين يدور بينهما الإنسان على مدار حياته، في طيف مستمر Continuum من الميول والممارسات، وكان هذا يعني هدم سيادة المُغايَرة كمعيار للطبيعية، يُؤثِّم اللوطية باعتبارها ممارسة شاذة! فلا سيادة لأي منهما، والإنسان الطبيعي هو الممارس للجنس، بغض النظر عن المُمارَس معه!

لم تُعجب تلك الأفكار كلها اللوطيين، على احتفائهم الكبير بها مجملةً، ومساهمتها الرئيسية بعد ذلك في الثورة الجنسية؛ إذ أن كينزي برفضه الثنائية الخالصة؛ إما لوطي خالص بالجبلة وإما طبيعي خالص بالجبلة = كان يهدم الحجة التي استندوا عليها حينئذٍ في استجلاب التعاطف، حجة (لقد وُلِدنا كذلك) والتي كان عليها، كما أسلفنا، مدار البحث البيولوجي طوال العقود السابقة علينا.

لكنه في المقابل أفادهم إفادةً هائلة بهدم الصورة التي انتشرت عنهم، كأناس مرضى شواذ أغراب عن المجتمع؛ حتى ساد الاعتقاد بعد الحرب العالمية الثانية أنهم عملاء للسوفييت، وتعمدت الشرطة مضايقتهم في كل مكان ‹١٥٣› = فزعم بدراسته أن كثيرا منا نحن، الزاعمين الطبيعية، فينا لوطية، أو كانت فينا أثناء مرحلة عمرية معينة، وبالتالي علينا أن نحترم أولئك، فهم نحن ونحن هم!

كان كينزي عالما في الأحياء؛ لكنه اقتحم بما صنعه ذلك أجواء علم النفس، وناصر رؤى هافيلوك إيليس على حساب فرويد، فاللوطية نموذج (طبيعي) تماما في الممارسة الجنسية، ولا شذوذ في الأمر، ولم ينتقد إيليس إلا على صغر حجم العينات التي درسها، مقارنةً بالأرقام الهائلة التي زعمها كينزي، ومثل إيليس، كان داعما

للتحرر الجنسي، وعدوا لنظرية فرويد عن التحليل النفسي للوطية (١٤٦)، لكنه

بدراساته تلك أثبت صحة زعم فرويد أن الأطفال لديهم مشاعر جنسية، وأن الدافع

الجنسي محرك للذكور في حياتهم (١٥٣)، بل واستخدم مبادئ التحليل النفسي في

مقابلاته مع الحالات التي درسها؛ إذ آمن بأن الأصل في اعترافات الإنسان هو الكذب، وبالتالي عليه أن يبحث عن التناقضات في كلام المدروس للانقضاض عليه وفهم

الحقيقة (١٥٨).

كان الأثر الذي أحدثه كينزي في الثقافة الأمريكية، مُحفزا لغضب الكثيرين، ليس الجماعات الدينية فقط، بل الأوساط الأكاديمية المحيطة به، وعلماء النفس، فقد انتُقد في منهج جمعه المعلومات أصلا، وانتُقد في نشره تلك البيانات على العوام، باعتبارها حقائق (علمية)؛ رغم أن حتى داعميه كان فيهم من يرى أن الدراسات الإنسانية عموما، ومنها دراسة كينزي؛ تُبالِغ في النتائج، ويميل القائمون عليها بالمبالغة في التأويلات والنظريات؛ وهو ما ينطبق حرفيا على دراسة كينزي، وانتقده علماء النفس بقسوة، لأنه لا يحق له، حتى وإن جمع المعلومات، تقديم تفسير لها،

لعدم أهليته كمتخصص نفسي(١٥٩).

وكذلك اهتم البعض بنقد بريطاني الأصل أمريكي الانتماء الأكاديمي، كونه نقدا داخليا وخارجيا في آن واحد: وهو نقد مونتاجو، أستاذ التشريح الذي هاجم آراء كينزي، المنشورة كمسلمات (إنسانية) عامة، وعلمية (مطلقة) = فهي ابنة البيئة

الأمريكية في كل شيء! أما عن ال ٣٧٪ من الذكور الذين وجدهم كينزي قد ارتبطوا بممارسات أو ميول جنسية مع الذكور، فدلالة على هوس المجتمع الأمريكي بالجنس، لا على أن اللوطية هي جزء من تكوين الإنسان (١٥٩)!

كما هاجم الثقافة الأمريكية التي تعتبر أن كل ما ثبت وجوده إحصائيا، وزاد عدده = هو طبيعي! دُهش مونتاجو من تلك الفكرة الخرقاء الراسخة في الأمريكيين، وقال بأن ذلك من أعجب ما يكون! فالشاذ القبيح سيظل كذلك مطلقا، في كل زمان ومكان؛ لكن ماذا نفعل في العقلية الأمريكية العجيبة؟! شاذ اليوم إن راج وانتشر يصبح هو الطبيعي وغيره الشاذ؛ فما معنى (طبيعي) إذن(١٥٩) ؟! وهي ملحوظة عبقرية من مونتاجو، ثبتت صحتها فيما بعد، عندما قلبت الثقافة الغربية المسألة وصار اللوطي هو الطبيعي، وكاره اللوطية هو المريض!

ولا أظهر لصحة كلام مونتاجو من تفاعل كينزي مع نسب الخيانة الزوجية الكبيرة التي وجدها في دراساته؛ إذ أنه استنتج من هذا الرقم الإحصائي المرتفع (حقيقة علمية) تقضي بأن الخيانة الزوجية، أو العلاقات خارج الزواج عامةً = تقوي دعائم الزواج وترسخه (١٥٨)! يمكن بالتأكيد تفهم سبب إيجاد كينزي تلك (الحقيقة العلمية) إن عرفنا بأنه في زواجه بامرأته شارطها أن يزني ويلوط بمن يشاء، وأن تفعل مثله دون أن يلومها، إبقاءً لزواجهما سعيدا مستقرا؛ فأبقى علاقته اللوطية مع مساعده دون إشكال! إذن كلما ارتفعت أرقام وجود ظاهرة ما إحصائيا = كانت طبيعية! هذا بالتحديد هو ما فجر غيظ مونتاجو وغيره!

لكن أكثر ما هوجِم عليه كينزي، وبقي وصمةً يترفع عن تأييدها حتى أنصاره = هو إيحاؤه بتطبيع اشتهاء الجنس مع الأطفال (البيدوفيليا)! فقد (أثبت) من نقاشاته مع أفراد كانوا قد تعرضوا للاعتداء عليهم قبل البلوغ؛ أنهم لم يتأثروا (نفسيا) بهذه العلاقة مع البالغين؛ على عكس الادعاء الشائع! أضف ذلك لحديثه عن النشاط الجنسي للأطفال؛ لتعلم حجم القلق الذي سببه حديثه هذا، بلهجة (علمية محايدة) تماما، في عصر الهوس بالوضعية!

كانت أفكار كينزي سببا لاهتزاز أركان المجتمع الأمريكي التقليدي، بل كافة المجتمعات المؤسسة على القيم الطبيعية، فلا خيانة، ولا طبيعي ولوطي، ولا حتى أطفال بلا شهوة جنسية! وقد كانت نظرياته من روافد لبرلة البروتستانتية، وانتصار الفردانية العلمانية، خاصةً رفضه القاطع لتدخل الحكومات في حياة الناس الجنسية، والمطالبة بخصخصة الميول والتوجهات وكل الشؤون الجنسية الخاصة بالأفراد، وإنهاء الوصاية الحكومية التي تتحجج بالحفاظ على القيم والمعايير وما إلى ذلك (١٥٥).

وقد أسهمت أفكار كينزي في الكثير بأمريكا والعالم كله فيما بعد:

في الحركة النسوية، التي قامت على فكرة كان كينزي قد بدأ يتقبلها، وهي التفرقة بين النوع/الجندر، وبين الهوية الجنسية، وقد أكد أن النساء على الأقل تتشكل هويتهن الجنسية بتأثير المجتمع، وقامت دراسات النوع/الجندر على دعامات من أفكاره ورؤاه (١٦٠) وكذلك في المطالبة بالمساواة في الحرية الجنسية مع الرجال، بعدما أثبت كينزي أنهن شبقات ولديهن شغف كبير بالجنس، وفي هذا مخالفة لتصورات المجتمع الأمريكي المحافظ.

وفي تقبل اللوطيين لأنفسهم، فبعدما كانوا يشعرون بالعار والشذوذ، صاروا يؤمنون

أنهم طبيعيون تماما وصورة أخرى من السلوك الإنساني الجنسي الطبيعي‹١٦٠›.

بل إن فكرة (مبادلة الزوجات) التي تنتشر على مهل الآن في الغرب، وفيها يقوم الزوج بتبادل زوجته لليلة أو أكثر مع زوجة شخص آخر، لم أجد لها نسبا أوضح من أفكار كينزي.

والخلاصة: أن كينزي يُعتبر مؤسس أغلب أفكار الأمريكيين عن الجنس على

المستويين البحثي الأكاديمي والشعبي ‹١٥٨›، والتي صارت بالعولمة وسيادتها

كقطب أوحد وبإعلامها، أفكارا عالمية عامة، ومنذ انتهاؤه من دراسته وكل شيء يتسارع في أمريكا والعالم كله من أجل تطبيع اللوطية والإباحية كما سنرى.

وتبقت كلمة أخيرة قبل أن نترك كينزي:

ما الذي كشفه كينزي فعلا؟!

كشف أن الرجال والنساء لديهم نشاط جنسي مرتفع، بل ومنذ قبل البلوغ؟

كشف أن الرجل قد يحتاج إلى خيانة زوجته لإرضاء الشهوات الجنسية المتفجرة،

التي وجدها في أحد الحالات تصل إلى ٣٣ وصول جنسي Orgasm في الأسبوع

الواحد ‹١٥٣›؟!

كشف أن نصف النساء تقريبا قد يشعرن بميول جنسية للنساء وإن كنَّ طبيعيات؟

كشف أن الإنسان ليس عنده الحتمية الجنسية، سواء طبيعية أو لوطية، وأن طيف ممارساته وتخيلاته وشهواته واسع جدا، وأن الرجل الطبيعي قد يتهيج من رجل، والمرأة الطبيعية قد تتهيج من امرأة؟

بل أضف إلى ذلك: كشف، دون قصد، كيف أن المجتمع الأمريكي، كلما ارتفع سقف الإباحية فيه، وارتفع النشاط الجنسي وتزايد شذوذه وغرابته = كلما ازداد شبقا وانغماسا في الجنس والشهوات؛ بلا نهاية منظورة؟

ما الغريب في كل ما سبق؟ نعم قد يكون غريبا عن المسيحية ومعتقداتها اليوتوبية المحتقرة للجنس؛ لكنه أغريب هو عن الإسلام؟

لقد أُسست النظرية الجنسية الإسلامية كافة على أسس، أكدتها دراسات كينزي ولم تنفها:

الحذر البالغ من الوقوع في الشهوات، وعدم الأمن: فأنت أينعم طبيعي لا يلوط؛ لكنك لن تأمن نفسك مع شاب جميل الصورة يتخنث في فِعاله؛ وأنتِ طبيعية تماما، لكنكِ لن تأمني نفسكِ مع امرأة جميلة تتعرى أمامك! هذا لن يعني أنك أنت وهي من اللوطيين = إنما الشهوات الجنسية محركة دائمة لا تهمد، متى استثرتها، أو أثارها منبه خارجي = أُثيرت. ولو في حيوان؟ نعم، ولو في حيوان، أو طفل. الشهوات سائلة لا حد لها، لدافع الشيطان ودافع النفس.

لذا يحرم النظر للمخنثين، ويُعاقبون من السلطة والمجتمع ويُنكَّل بهم، ويحرم نظر الرجل إلى محارمه إن لم يأمن الشهوة، ويحرم نظره إلى مواطن التحريم من الرجال الأجانب عنه، ويحرم عليه النظر إليهم إن استثاره الرجال، وتحدث الفقهاء عن ذلك بيسر وسلاسة دون وصم واستنكار شديد؛ فاللوطية عندهم شهوة يمكن أن يقع فيها أي شخص، وهي ليست هوية؛ وقد كان كينزي نفسه يتحدث عنها كسلوك لا كهوية.

ويحرم على المرأة التعري الفاضح أمام النساء أنفسهن، ويحرُم عليها كل ما حرم على الرجال، إن وجدت في نفسها استنفارا من الشيطان أو نفسها الأمارة بالسوء، للوقوع في اللوطية مع بنات جنسها، فيكُنَّ محرمات النظر عليها كالرجال، وتسعى في وقف الخلطة بهن، خاصة المترجلات أو الجميلات.

ماذا وجد كينزي أيضا؟ أن الرجال شهواتهم متفاوتة تفاوتا جنونيا؟ وأن الرجل يظل في نشاطه الجنسي حياته كلها إلا سنوات قليلة؟ وهم بالجملة أعلى بصورة ملحوظة في النشاط من الإناث؟

لذا أباح الإسلام للرجل التعدد وملك اليمين، وفي نفس الوقت أمره بصيانة بصره وأفعاله عن النساء الأجنبيات = فالرجل، بحسب كينزي، نشط جنسيا في العموم نحو كل شيء تقريبا! قد ينشط مع محارم، وإناث، ومخنثين، وحيوانات، ورجال مثله، بل وأطفال! الرجل أخطر بكثير من الأنثى في النشاط الجنسي! لذا تعطيه الشريعة سبلا لتفريغ شهواته، وتقيد حريته بصورة واضحة مع الأجنبيات؛ فلا يسلم عليهن حتى، بل وحتى محارمه، كأمهاته وبناته، يحفظ بصره عن مواطن عفتهن.

ماذا وجد كينزي أيضا؟ أن الجنس مُحرك دائم لا يهمد في المجتمع خاصة عند الرجال؟ أين الغرابة في ذلك؟ إن النظرية الإسلامية الجنسية بقيودها الكثيرة، التي يُلام المسلمون عليها؛ تُخفِّض طوال الوقت من مسببات (التوتر) المجتمعي تلك، فالجنس متاح منذ البلوغ، بالزواج المبكر، والرجل له سبل كثيرة لتحصيل الجنس، والمرأة لها الطلاق ممن لا ترتاح معه، عاطفيا أو جنسيا، والخُلطة بين الجنسين ممنوعة إلا لضرورة وبأشراط قوية، والخُلطة بين الجنس الواحد محوطة بالمحاذير، فلا يتعرى الرجال أمام بعضهم البعض ولا تتعرى النساء أمام بعضهن البعض، بل لكل فرد قيود خاصة تزيد وتتراخي، فمن وجد في نفسه دفعا من الشيطان للواط زاد في قيوده على نفسه فوق الآخرين، وكذا المرأة!

الحل الذي قدمه كينزي كان (الانفتاح) والإباحية، وإنهاء (النفاق) المجتمعي = فهل انتهى التوتر وجاءت (حضارة البهجة) بالفعل؟ أم وقع الغربيون وأوقعوا العالم معهم في دوامة من التناقضات الأخلاقية والسفاهات العلموية وقمع الأناس الطبيعيين باسم التحرير؟ هل أثبتت دراسة كينزي فائدة الإباحية، أم أثبتت خطورتها ولا نهائية مظاهرها وأفعالها؟

ماذا وجد أيضا؟ أن الأطفال لهم شهوات جنسية؟ بلى وربي، ليس هذا بجديد، إذ أمرنا نبينا بالتفرقة في المضاجع بين الأطفال الأشقاء، من الجنس الواحد أو الجنسين!

ماذا وجد كينزي حقا، كان غريبا على ما يقوله المسلمون منذ جاء الإسلام، أو صادما للنظرية الإسلامية الجنسية، التي تُحذِّر من سيولة الشهوات وتنوعها؟

لكن انظر للفارق بين الحل الحضاري الكينزي، الديوث اللوطي، الأمور بالمنكر النهو عن المعروف، وبين الحل الإسلامي، الذي يحفظ ويصون، ويبني ولا يهدم! شتان شتان!

6) حملة فرانك كاميني، واضطراب السيكولوجيين.

(اللوطية خير Gay is good)! ذاك كان الشعار الذي صاغه فرانك كاميني، الناشط اليهودي اللوطي البارز في الستينيات، والذي قاد حملات ضخمة لتطبيع اللوطية، ومواجهة السلطات الدينية والعلمية والسياسية من أجل قبول اللوطيين

واعتبارهم أكفاء، ليسوا مذنبين أو مجرمين أو مرضى عقليين(١٦١)!

يوصف كاميني بأنه أبو الحركات اللوطية الحقوقية(١٦٢) فقد استغل خلفيته العلمية في اقتحام علم النفس، وقراءة بحوثه، ثم إشعال حرب كبرى على الرأي السائد حينها، وهو أن اللوطية مرض عقلي، وطالب مؤسسات علم النفس الأمريكية، وفي مقدمتها أكبر مؤسسة نفسية في العالم(١٦٣): الجمعية الأمريكية لعلم النفس APA، بإزالة اللوطية من قائمة الأمراض، في دليلها العلاجي الذي تصدره DSM، ويمثل أحد أكبر مصادر القانون العام للأطباء النفسيين.

بدأت حملة كاميني ضد الجمعية، وعلماء النفس، في عام ١٩٦٢، وكانت الأجواء حينها غارقة في بحر من الحركات الحقوقية للأقليات، حقوق السود، وحقوق النساء، وحقوق اللوطيين، وكل هذا منظوم في الإطار الفكري والثقافي والحقوقي العام حينها: الثورة الجنسية. وقد كانت الحركات متداخلة، فكاميني يُعلن صراحةً أنه استوحى شعاره، من شعار حملات السود الحقوقية: الأسود جميل Black is beautiful (١٦١)، كما أن علاقة النسوية باللوطية وثيقة كما ناقشنا مسبقا، وفي المقابل كانت الدولة الأمريكية تتراجع أمام هذا الطوفان الثوري الجارف، حتى وصلت الحركة اللوطية إلى لحظة ميلاد نجاحها في حادث حانة ستونوول Stonewall، التي اقتحم فيها البوليس الأمريكي في ٢٨ يونيو عام ١٩٦٩ إحدى أشهر حانات اللوطيين بمدينة نيويورك، واعتقل العاملين، والقائمين عليها،

بتهمة بيع الكحول خارج القانون، وكذلك بسبب ارتداء بعض الموجودين ملابس غير لائقة بجنسهم(١٦٤) . أحد أسباب الاقتحام كان علاقة تلك الحانات بالمافيا الأمريكية، خاصة أن العائلات ذات الأصول الإيطالية الجنوية كانت تستثمر أموالها في بارات اللوطية بنيويورك، ومنها حانة ستونوول(١٦٥)؛ فهو تصرف مفهوم في إطار الحرب الحكومية ضد المافيا، والذي كان متأججا في الستينيات، خاصةً بعد جلسات استماع فالاتشي في الكونجرس، وهو العضو السابق في المافيا الإيطاليا الجنوية: الكوزا نوسترا، والتي فضح فيها كيفية عمل المافيا وشرح للأمريكيين مفاهيم مثل الأب الروحي Godfather وغيرها من مصطلحات وأساليب وطقوس المافيا(١٦٦).

لكن الذي حدث بعد الاقتحام كان مفاجأة للشرطة، ففي أثناء خروجها، لم يتفرق اللوطيون كما هو معتاد، بل تجمعوا، وتناوشوا معهم، وقذفوهم بالزجاجات، واصطدموا بشراسة ليست ذات مثال سابق، ما اضطر الشرطة إلى التحصُّن وطلب التعزيز الأمني، بينما اشتعلت النيران في الحانة! كانت الأجواء كلها صادمة للطرفين، اللوطيين والشرطة، خاصةً أن الأمر استمر لأيام، حتى فرَّقت اللوطيين جموع البوليس. لكن هذه الحادثة كانت فتحا لهم، فقد أدرك اللوطيون ارتباك كعبة الغرب في مواجهتهم إن اجتمعوا معا، وبالتالي قرروا تصعيد وتيرة الانضمام للحركات اللوطية الأمريكية، وارتباطها معا(١٦٤) ، واستغلال أجواء الارتباك

الأمريكي الحكومي أمام خطاب (حقوق الأقليات) مثل السود، باستخدام نفس حجاجهم المؤثر.

يعتبر اللوطيون موقعة حانة ستونوول أهم حدث تاريخي لهم، لذا قرروا جعل شهر يونيو، الذي وقعت فيه، عيدا سنويا لهم(١٦٧)، وسموه شهر الفخر باللوطية Pride Month، وقد شاهدنا كيف كان عامنا هذا، ٢٠١٩، نموذجا لنجاحهم في تعميم هذا العيد وعولمته، خاصةً أن جنون الاحتفالات واتسعاها لا يرجع فقط لنجاحهم المذهل خلال السنوات السابقة في جعل اللوطية محور الخطاب الحقوقي؛ بل لكون هذا العام يوافق الذكري الخمسين لحادث الستونوول، ما شجع مئات المؤسسات الصناعية والتجارية الغربية في الاستثمار بتلك الحركة، والمشاركة الفعالة، سعيا للأرباح(١٦٨).

استغل كاميني تلك الحادثة تحديدا، والتي شهدت جدلا مجتمعيا كبيرا، في حشد القوى ضد مؤسسات علم النفس، معتبرا إياها واحدة من أكبر أسباب نظر المجتمع للوطيين كمجرمين ومختلين عقليا، وهو الخطاب الذي بدأه قبل ستونوول بسبع سنوات.

ووقعت الجمعية الأمريكية لعلم النفس تحت ضغط سياسي وحقوقي متزايد، فرضخت في النهاية، وقررت إجراء تصويت بين علماء النفس: أتستمر اللوطية في المراجع مرضا، أم تُلغى؟ ودُعي كاميني إلى حضور ذاك التصويت، ووسط جدال بين العلماء أصحاب البحوث المؤكدة على اللوطية كمرض، وبين أصحاب البحوث المؤكدة على كونها طبيعية، وأبرزها بحوث كينزي، وبحوث إيفلين هوكر التي

أثبتت عدم وجود فوارق في القدرات العقلية بين اللوطيين وغير اللوطيين = ثم نجح كاميني في فرض رأيه، وانتصر بإقرار إزالة اللوطية من مراجع علم النفس كمرض، وهو ما سيتأخر عقدين قبل أن يصبح عالميا لا أمريكيا فقط، عندما أعلنت

منظمة الصحة العالمية في عام ١٩٩٣، إزالة اللوطية من قائمة الأمراض ‹١٥٢›!

7) الانقسام الكبير، وانقلاب السيادة.

كانت تلك الحادثة تاريخية في عالم العلاج النفسي، فقد انخفضت نسب المعالجين النفسيين من اللوطية بصورة سريعة، وانخفض كذلك تعداد البحوث العلمية على المسألة، وسارعت المؤسسات النفسية الأمريكية متتابعة في التبرؤ من (الجريمة الأخلاقية) التي حدثت في الدليل التشخيصي والإحصائي للأمراض العقلية DSM

الأول والثاني ‹١٥٢›، قبل أن تُعدَّل النسخة الثانية بعد تصويت عام ١٩٧٣ وقد أزيلت

اللوطية من قائمة الأمراض وضُمَّت إلى قائمة جديدة هي اضطرابات الميول

الجنسية، والتي يشعر فيها الشخص بضيق من ميوله اللوطية فيطلب العلاج ‹١٦٩›

ودعت المعالجين للمساهمة في إزالة السمعة السيئة للوطيين كمرضى من المجتمع

‹١٧٠›. وفي النسخة الثالثة لم يتبق باسم اللوطية إلا نوعا واحدا، هو لوطية رفض

الإيجو Ego Dystonic Homosexuality، وهي أن يشعر المريض بتوتر

وضغط نفسي نتاج لوطيته ورفضها والخوف من مخالفته قيم المجتمع(١٦٩)، ثم

أزيل حتى هذا النوع في الدليل العلاجي الرابع (١٧١).

وصار جمهور المعالجين والأطباء النفسيين مطالبين بالعلاج التأكيدي اللوطي، بدلا من العلاج التحويلي = والعلاج التأكيدي Gay Affirmative وظيفته تعريف الشخص ما إذا كان لوطيا أم لا، وإزالة التوتر الذاتي والشعور بالذنب من عنده بعد اكتشاف تلك الحقيقة!

لقد انقسم المجتمع العلمي النفسي منذ التصويت إلى مدرستين واضحتين: الأولى ما زالت ترى اللوطية مرضا، يستحق العلاج، والثانية، التي سادت مع الوقت، رأت علاج اللوطية جريمة أخلاقية، غير إنسانية؛ فالمريض هو المجتمع الذي ضغط

نفسيا على اللوطيين واضطهدهم وأشعرهم دوما بأنهم غير طبيعيين (١٥٢)!

وقد كان من الغريب، أن العلماء الذين كانت لهم السيادة قبل سنوات قليلة، أي مناصري علاج اللوطية، صاروا بين ليلة وضحاها موضع هجوم واتهام بانعدام الرحمة وعدم العلمية، فقط لفوز الرأي الآخر بالأغلبية في التصويت!

اللوطية مرض عقلي لابد من علاجه.. كليك كلاك.. اللوطية ليست مرضا.. ومعالجة اللوطية جريمة!

حيوا معي (العلم)!

ومع مرور الزمن، صار مقدمو هذا العلاج محاصرين، وأصبحوا مضطهدين من جمهور هذا المجال، فقد تصاعدت الضغوط من جماهير علماء النفس على نظرائهم الطبيعيين ومناصري العلاج التحويلي، حتى وصل الحال إلى تشريع قوانين تُجرِّم

ذلك العلاج من الأساس، وتعتبره جريمة أخلاقية بحق اللوطيين، فالواجب على المعالج النفسي أن يساعد اللوطي المضطرب الشاعر بضيق نفسي من لوطيته، وكونه شاذا، أن يثبته ويدعمه في لوطيته، ويخبره أنه طبيعي ويثبته على ما هو فيه = لا أن يحاول (علاجه) فيستثمر اضطرابه ذلك في فرض معتقدات المعالج التي ترى اللوطية شذوذا (١٧٠)!

لكن مع ذلك ظل علماء النفس المضطهدون يقاومون، خاصة المرتبط منهم بأجندة مسيحية، في محاولة لتطوير نظرية حديثة لهذا العلاج؛ فقد لوحِظ أن أكثر المعالجين أصحاب عقيدة علاجية مسيحية ينطلقون منها، ومنهم نسبة معتبرة ترى لزوم دمج العلاج بالصلوات(١٧٢).

وكان سند أولئك المعالجين في استمرارهم ليس مجرد المعتقد وحده، بل نسب الشفاء العالية لمرضاهم(١٧٢). وفي الجهة الأخرى كان الجمهور يكذبهم في تلك النسب، أو يتهمهم بأن دراساتهم حققت نجاحا لأن اللوطي الذي يأتيهم لديه مشكلة نفسية أصلا (١٥٢)!

وكما لاحظت: أهذا علم؟ أقرار بهذا الحجم يُتخذ بالتصويت؟ ثم أين مفهوم حماية (الأقليات) في العملية الديمقراطية تلك؟! لقد صارت الأغلبية أقلية في طرفة عين؛ فهل احترمهم المتغلبون الجدد؟ هل احترموا علمهم الذي ظل هو سائد السيكولوجيا طوال نصف قرن؟! موقف كله هزلي عجيب! لا الحقائق العلمية تؤخذ بالتصويت، ولا فوز الأغلبية يعني اضطهاد الأغلبية! لكننا هنا نقرأ الغرب: مهزلة الإنسانية!

7) العلاجات التحويلية.

بعدما حدث الانقسام الكبير، وانشغل جمهرة علماء النفس في اللحوق بالحركة الحقوقية اللوطية سواءً بالبحث عن كيفية (دعم) اللوطية (علميا!)، ومساعدة اللوطي على قبول ذاته والفخر بميوله وهويته، أو كيفية مجابهة المجتمع والأهالي لجعلهم أكثر قبولا للوطية، وتغيير معتقدات الجميع بما يخدم الأجندة الحقوقية

اللوطية ‹١٥٢›، أصر البعض على الرؤية (القديمة!) للوطية باعتبارها مرضا يجب

علاجه، وقد جُمِعوا كافةً تحت عنوان كبير، وهو أنصار العلاج النفسي التحويلي Conversion therapy أو علاج أعادة توجيه الميول Reorientation therapy أو العلاج الإصلاحي Reparative therapy.

وقد تمايز العلاج النفسي التحويلي، بأشكال وصور مختلفة، يمكن تصنيف أكثرها تحت مدارس ثلاثة:

الأولى مدرسة العلاج السلوكي، والثانية مدرسة العلاج الروحاني والديني المسيحي، والثالثة مدرسة العلاج النفسي التحليلي.

أما العلاج السلوكي، فقد كان بارزا ومنتشرا في عصر مجد السلوكية، منتصف القرن العشرين حتى مطلع الربع الأخير منه، وقد حدَّ من استعماله الضغوط الكبيرة التي مورست على المعالجين من الجمعيات النفسية الرسمية، بل إنك تجد أكثر الصياغات العاطفية في مدوَّنات وبحوث اللوطيين، التي تُظهر حجم (العذاب) الذي مورس على اللوطيين من السيكولوجيين سابقا، تعتمد على تضخيم ممارسات

العلاجات السلوكية تحديدا، مثل صعق اللوطيين ‹١٥٢›، لربط الاستجابة النفسية

للصور اللوطية؛ بالألم = وبالتالي صناعة حاجز نفسي بداخل المرء يخشى السلوك اللوطي، ويرتبط عنده بالتوجّع.

لكن العلاجات السلوكية لم تكن دومًا بهذه الشناعة التي يصفونها؛ ففي دراسة فريمان ومايرزفريمان ومايرز(١٧٣) التي نُشرت عام ١٩٧٥، شارك تسعة رجال لديهم ميول وممارسات لوطية، رغم أن ستة منهم متزوجون بنساء، لكنهم أعلنوا عجزهم عن إيقاف تلك الميول والمشاعر. صُممت الدراسة بحيث يمتنعون جميعا عن الجنس مع الرجال لمدة أسابيع ستة، ويتوقفون عن كل مشاهدة لأي مادة إباحية متعلقة باللواط، ويجتنبون زيارة أماكن الشُّبه التي يُتوقَّع أن يوجد فيها ذكور لوطيين، مع تمرين أنفسهم على اعتياد تفحص أجساد النساء في الأماكن العامة.

كلما خرجوا من المنزل عليهم التأمل في الجوانب المغرية والمثيرة جنسيا في أجساد النساء، وكلما مكثوا فيه عليهم اعتياد الاستمناء على خيالات وتصورات متعلقة بأجساد تلك النساء.

ثم بعد تلك الأسابيع يبدؤون المرحلة الثانية من العلاج، وفيها تستمر نفس الإرشادات مع إضافة جلستين إسبوعيا لمدة أسابيع عشرة، في كل جلسة يُعرض عليهم مواد مرئية فيها مشهد جنسي يتضمن ذكرا وأنثى، وعلى المُشارك أن يستمني وهو يتصور نفسه مكان الذكر في ذلك المشهد - ثم تظهر فجأة صورة شاب جميل الصورة؛ لكن ما إن تظهر حتى يشعر بألم خفيف، لاتصال أصبعين من يده بتيار كهربي ضعيف جدا. وفي أثناء ذلك يُقاس مدى انتصاب القضيب كمعيار لمعرفة شدة تهيج المُشارك. وبعد الانتهاء، على المشارك الاستمرار في التعليمات الرئيسية الأولى: تفحص أجساد النساء بشهوانية والاستمناء في المنزل والامتناع تماما عن أي شبهة التقاء بلوطيين.

بعد انتهاء المرحلة العلاجية الثانية، تبدأ المرحلة الثالثة والأخيرة، وفيها تتوقف كافة التعليمات، ويُتابَع مدى التزام المشاركين بالحياة الطبيعية، وغياب التصورات اللوطية.

الذي حدث أن التسعة توقفوا لمدة عام بعد الدراسة عن أي ممارسة لوطية، وانخرطوا في علاقات نسائية طبيعية، وقد اعتادوا اشتهاء النساء بالفعل، وكانت قياسات الاستجابة (الانتصاب) ممتازة، غير أن اثنين منهم فقط عادوا لممارسة اللواط بعد

عام ونصف، بسبب إغراءات من لوطيين ‹١٧٣›.

كان العلاج السلوكي فعَّالًا كما ترى، لكن الحملات الإعلامية الحقوقية روجت في كل مكان أن اللوطيين يُصعقون ويعذبون في أروقة المعالجين النفسيين (السلوكيين)، ثم، لاحقًا، بدأ التعميم: معالجو اللوطية (يصعقون) اللوطيين! لم يعد السلوكيون فقط هم المتهمون! ولعدم علم الناس بالفوارق بين مدارس العلاج النفسي، نجحت الحملات في التأثير بالجميع!

ولتلك العلاجات السلوكية بعد ذو أهمية بالغة في زماننا، ألا وهو خطورة المواقع الإباحية في صناعة وترويج اللوطية، إذ أن أكبرها وأكثرها بدأ في صناعة تصنيف خاص للمقاطع اللوطية، والترويج لها بين الشباب والبنات، الذين قد يدفعهم الملل من تكرار مقاطع الجنس الطبيعي إلى اعتياد مشاهدة الجنس اللوطي، وبالتالي التدريب السلوكي على اللوطية باعتياد الشاب التهيج على الرجال، والنساء التهيج على النساء، وهي كارثة فادحة!

المدرسة الثانية تمثلت في العلاجات الروحية والدينية، وهي تعتمد على لقاءات جماعية بقساوسة، والتذكير بحجم الخطيئة، وبرفض الله سبحانه لها، والصلوات الجماعية. ودائما ما يشكك المعالجون النفسيون المناصرون للوطية في مُخرجات وادعاءات تلك المدرسة، لاعتبارات أخلاقية أو منهجية، فهم يصمون المعالجين

المعتمدين على الدين بعدم الاحترافية، وبالسعي في تجنيد المرضى في شبكة أيدولوجية أو التبشير بمعتقد معين[26] ويتهمون المتدينين بالكذب، فهم علانيةً يؤكدون على نسب الشفاء العالية، وسرًا يؤمنون أن الحل الوحيد للوطيين هو التبتل والعزوبة Celibacy، كما يتهمونهم أيضا بالانتقائية في إعلان الناجحين

في الشفاء، بل وبتورط بعض المعالجين أنفسهم في ممارسات لوطية (١٧٠)!

وتعتبر دراسة الزوجين باتيسون(١٧٤) إحدى أشهر النماذج في تاريخ تلك المدرسة،

فقد فُحِصت إحدى عشر حالة لرجال لوطيين، خضعوا للعلاج الديني في الكنيسة، وأعلنوا في النهاية شفاءهم من الميول اللوطية. وقد لاحظ باتيسون أن المُشارِكين كانت لديهم أزمة نفسية، بسبب تدينهم الشديد، ووجود تلك الميول منذ سن يقع بين الحادية عشر والخامسة عشر، كما لاحظ كذلك أنهم لم ينجحوا جميعا في التخلص من التخيلات Fantasies أو الأحلام اللوطية؛ بل ظل بعضهم تراوده تلك الأمور باستمرار، ولم تنتهِ حتى بعد الزواج، لكنه نبه أن ذلك لم يعد مؤثرًا في حياتهم كما كان الأمر قبل خضوعهم للعلاج الديني الروحاني؛ فقد كانوا تعساء في زيجاتهم، يشعرون باضطراب في علاقتهم بالنساء، لاضطراب هويتهم الذكورية نفسها، لكن بعد المعالجة الدينية، التي أججها حماسهم الذاتي للتخلص من تلك المشاكل، قيست تطوُّرات حالتهم بمقياس كينزي، فوُجد أن أكثرهم اختار

---

[26] كأنما هم بدعمهم للوطية لا يدعمون أيدولوجيا!

الدرجة ٠ (طبيعي تماما)، بينما اختارت أقلية الدرجتين ١ و ٢ (طبيعي بصورة

أساسية، مع ميول وممارسات لوطية أحيانا)، وصاروا أسعد مع زوجاتهم (١٧٤).

شُيِّدت على تلك العلاجات جمعيات مسيحية من كافة المذاهب، وإن كان تفاوت حجم العمل المقاوم تابع لتفاوت نظريات المذاهب المسيحية ذاتها، فالمذهب الإنجيلي مثلا، بإصراره على رفض تأويل نصوص الكتاب المقدس، أكثر انشغالا بالعلاج، وأقل تسامحاً مع اللوطيين من المذاهب الأكثر توسعًا في تأويل نصوص تعذيب قوم لوط، وصرفها عن معناها، كما أنه من المذاهب المسيحية القليلة، التي أنشأ الأصوليون فيها حركة مقاومة صريحة تنتهج نهجا عنيفا ضد اللواط وأهله، وهذا مخالف للمذاهب الأخرى، التي وإن أعلنت أن اللواط خطيئة، إلا أن معالجتها له

يغلب عليها الخطاب التبشيري(١٤١).

كما أن طبيعة المسيحية الأولى، الممجدة للعزوبة واعتبارها صورة إنسانية راقية لا يصل إليها إلا نخبة البشر، القساوسة والراهبات، تؤثر في طبيعة الحل النهائي للوطية: فلتكن مثل النُخب! فلتكن مترهبنا! ولعل هذا - والله أعلم - قد يُسهِم في تفسير سبب تصاعد فضائح اللوطية الذكرية والنسوية في أوساط الرهبنة حاليا = فطوال نصف القرن الماضي، ارتبط في الوعي المسيحي أن على اللوطي أو اللوطية، كحل نهائي إن فشل العلاج، أن يكونوا كالرهبان -فلم لا يكونوا رهبانًا بحق؟!

أخيرا، المدرسة الثالثة تتمثل في العلاج النفسي التحليلي، وهو ينسج على منوال نظرية فرويد عن عدم تجاوز اللوطي لعقدة أوديب بصورة سليمة، ما يُفقِده القدرة على محاكاة الوالد الذي ينتمي لنفس جنسه.

وقد برز من المدرستين الأخيرتين نموذج في منتصف الثمانينيات، سيُقدَّر له أن ينتشر بصورة ضخمة بعد ذلك، وهو نموذج مسيحي – فرويدي، ستبتدعه اللاهوتية الإنجليزي إليزابيث موبرلي Moberly، ثم سيبدي انبهاره به المعالج النفسي جوزيف نيكولوسي Nicolosi في الولايات المتحدة الأمريكية بمطلع التسعينيات، فينشره في كتابه، مُضفيا عليه صبغة وشرعية علمية سيكولوجية، ومضيفا إليه بعض المسائل.

8) النموذج الفرويدي - المسيحي: نظرية موبرلي - نيكولوسي عن الانفصال الدفاعي.

في عام ١٩٨٣ نشرت اللاهوتية الإنجيلية، والمعالجة النفسية الإنجليزية إليزابيث

موبرلي كتابها (اللوطية: خلق مسيحي جديد Homosexuality: a new Christian ethic)، الذي عرضت فيه نظرية العلاج الإصلاحي Reparative Therapy أو الانفصال الدفاعي Defensive Detachment، وفي مطلع التسعينيات سينشر جوزيف نيكولوسي، المعالج النفسي الأمريكي كتابه الأشهر (العلاج الإصلاحي للوطية الذكرية Reparative therapy of male homosexuality)، وفيه عرض لتلك النظرية، مع بعض التقنيات العلاجية الجديدة، والإضافات البسيطة للنموذج النظري المقدم من موبرلي.

والصحيح أن النظرية لموبرلي، لا لنيكولوسي، ما أغضبها وأثارها وظلت تُهيِّج الدنيا والمؤسسات ضده، لا لعدم العزو إليها؛ فنيكولوسي يُصرِّح بمدح نظريتها في فصل سياسات التشخيص من كتابه، ويؤكد أنها قدمت أفضل نموذج نظري تفسيري

لمصدر اللوطية الذكرية رآه في حياته = بل لأنه تحدث في باقي الكتاب كأنما ينطلق ليبني فوق نظريتها! موبرلي كانت تصرخ: نيكولوسي لم يبنِ شيئًا؛ بل سرق نظريتي وعلاجي كله! لكنها أصيبت بخيبات أمل متلاحقة، بعدما رفضت الجمعية النفسية الأمريكية APA الاهتمام بطلبها نسبة العلاج إليها، وكذلك وقوف أكبر مؤسسة مسيحية عالمية لعلاج اللوطية (الخروج العالمية Exodus International) والتي تستقر في أمريكا، بجوار ابن أمريكا، نيكولوسي، ولم تنصفها سوى مؤسسة هامة وحيدة؛ لكنها ليست أكبر من ال APA علميا، ولا أكبر من (الخروج العالمية) دينيا(١٧٥)!

لذا تجد في الأدبيات العلمية عزو لنيكولوسي بصورة أكثر في موضوع العلاج الإصلاحي = قد يكون السبب وراء ذلك انتساب نيكولوسي الواضح للمؤسسة النفسية الأمريكية، مقابل غموض انتساب موبرلي اللاهوتية للعلاج النفسي من الأصل! أو النزعة شبه العلمانية العلموية في كتابه، مقابل النزعة المسيحية الصريحة عند موبرلي! أو ذيوع اسم نيكولوسي في أمريكا حتى موته في ٢٠١٧، باعتباره الممارس الأكبر لهذا العلاج وتلك النظرية، وإنشاؤه مؤسسة كبرى مهتمة بتقديم هذا العلاج هي نارث NARTH ونشره العديد من البحوث حوله، مقابل انصراف موبرلي مع الوقت عن هذا الحقل واهتمامها ببحوث السرطان العلاجية! وقد يكون السبب – ببساطة – هو محاباة ابن المهنة، وابن البلد، على حساب الغريب! لكن التاريخ حافظ لمن ساعد نفسه فدوَّن رأيه وإن لم ينصفه عصره، وفاضح للسرَّاق والناهبين وإن غلبوا أزمانهم وحازوا الرياسة والسلطان!

ما يهمنا في هذا كله معرفة انتساب النظرية لموبرلي؛ لكن إسهامات نيكولوسي ضرورية كذلك لفهم النموذج الذي سيذيع كأشهر علاج تحويلي في العالم، لذا سأطلق على النظرية اسميهما معًا: نظرية موبرلي نيكولوسي، وسأستعرضها في صورتها الختامية الأشهر، كما قدمها نيكولوسي في دراساته وكتبه، وهي تتلخص في الآتي(١٧٦) (١٧٧):

١) يولد الإنسان طبيعيا فلا ميول جبلية لوطية، وإن كان نيكولوسي لا يُنكِر إمكان وجود أثر للجينات في صناعة الميول اللوطية؛ لكنه يرى هذا بلا معنىً، وإلا فعلينا مسامحة مدمني الكحوليات، والدفاع عنهم ورفض علاجهم؛ للبحوث التي خمنت وجود أثر جيني / جبلِّي يدفع الإنسان لإدمانها!
إذن تتكون الميول اللوطية بالأثر البيئي التربوي Environmental، ولا وجود أو لا أهمية للجبليَّة فيها.

٢) في سن الطفولة، قبل الرابعة، بناءً على نظرية فرويد السالف عرضها، يمر الطفل بمرحلة عقدة أوديب، التي يُفترض به أن يعبرها بالتماهي مع نوع الوالد الذي هو من نفس جنسه؛ لكن ذا الميول اللوطية يفشل في عبور تلك المرحلة، لا لمشكلة عنده، بل لقسوة الوالد الذي يفترض أن يتماهى مع نوعه ويحاكيه، وتنائيه عنه، فينشأ رد فعل عند الطفل يكره هذا الأب، ويرفض الامتثال للتشكل النوعي المناسب لجنسه؛ فيما أطلقت عليه موبرلي الانفصال الدفاعي، ولا يقف النموذج عند عقدة أوديب فقط، بل تُضاف كذلك العلاقات الدافئة مع الأب، والدعم النفسي للصغير، فالبحوث الحديثة أظهرت أن العلاقة أوسع من مجرد مرحلة عقدة أوديب؛ وإن لم تنفِها أو تقلل من أهميتها.

٣) ينشأ الطفل ملتصقاً بأمه، عاجزًا عن الخلطة بأقرانه الذكور؛ وتقع الأمات في خطأ كبير، بتشجيع الجوانب اللطيفة في ابنها، فيما يوصف بالطفل الصغير الجيد Good little Boy، ولا تنتبه لغياب الصفات الذكورية، المتعبة في تربية الذكور؛ كالعدوانية Aggressiveness التي هي من صفات الذكور الأصيلة فيهم باتفاق العلماء النفسيين (١٧٨)، ولا تنتبه لعزلته عن اللعب مع أقرانه الذكور بداية من سن الخامسة حتى الثانية عشر، فيما يصفه نيكولوسي بطفل نافذة المطبخ Window Kitchen Boy، الذي يُطلُّ منها خجولا يرى الذكور يمرحون ويلعبون ولا يُشارك. هم بالنسبة له جنس غريب؛ فهويته النوعية لم تتشكل بصورة سليمة، لقد صار كالأنثى في جسد ذكر. ويؤكد نيكولوسي مستندا إلى عدة دراسات أن أكثر الحالات أظهرت التصاقا كبيرا بالأم في مرحلة الطفولة، مع إعجاب الأم بهذا الالتصاق وتشجيعها له.

٤) بداية من المراهقة، يصبح هذا الطفل مثليًّا[27] يميل إلى الذكور؛ فهو يبحث فيهم عن هويته الذكرية المفقودة بسبب التنشئة العائلية غير السليمة، وقسوة الأب. إن المثلية هنا ليست إلا بحثا عن (الذكورة) الذاتية المفقودة، في أجساد الذكور الآخرين.

---

[27] سأضطر في ذلك الجزء، لغرض توضيحي بحت، إلى استعمال مصطلح المثلي Homosexual، والتفرقة بينه وبين مصطلح المرح / اللوطي Gay = لأن نيكولوسي يفرق بينهما، ويضع لكل منهما تعريفا مختلفا، مُجبرٌ أخاك إذن لا بطل!
والمثلي عند نيكولوسي هو الشخص الذي يملك ميلا أو سلوكا لوطيا، لكنه لا يرتاح إليه، لمصادمته القيم التي يؤمن بها، ولا يرغب في الدخول بأجواء نمط الحياة اللوطي Gay life style الذي يشجعه العالم كله على الانضمام إليه.
بينما اللوطي هو المرتاح إلى ميوله وسلوكه، الراغب فيها، الرافض لأي تدخل في تعديلها، فهذا لا يُخاطبه نيكولوسي، بل ينصحه، إن شعر بأزمة، أن يخضع للعلاج اللوطي التأكيدي Gay Affirmation therapy، إنما يُخاطب المثلي ها هنا وحده.

٥) ويُصاب العديد من أولئك المثليين بفوبيا داخلية من اللوطية Internalized Homophobia تُعذبهم نفسيا بسبب عجزهم عن فهم سبب مثليتهم.

٦) لذا يقع المثليون في أزمة بالعصر الحديث، فإن كان الإعلام الغربي كله يُمجِّد ميولهم ويريد منهم أن يفاخروا بها؛ إلا أن تلك الميول مخالفة لقيمهم ومبادئهم الرافضة للواط؛ وهم يكرهونها ولا يريدون أن يكون لوطيين = فهم مثليون لا لوطيين Non gay Homosexuals، ومن الخزي والعار ترك أولئك بلا مساعدة من العلاج النفسي؛ امتثالا للأيدولوجيات التي ترى اللوطية لا إشكال فيها، والمشجعة عليها، والمستولية غلبةً وقهرًا في غفلة من الزمان على المؤسسات النفسية الكبرى، دون أساس علمي حقيقي لذاك الاستيلاء.

٧) إذن الإنصاف يقتضي مساعدة المثليين الكارهين للوطية، الراغبين في التخلص من مثليتهم، على تجاوز الجرح النفسي الذي تسببت فيه الأسرة قديما في مرحلة الطفولة.

٨) قدمت موبرلي، ثم نيكولوسي فيما بعد، نموذجا للعلاج، يمزج التحليل النفسي Psycholanalysis، بالتحليل النفسي الديناميكي Psychodynamic، بعلاج المجموعة Group therapy، بالعلاج المعرفي Cognitive therapy = ويوظف كافة مزايا تلك النماذج العلاجية، إضافة لتعزيز القيم الدينية والأخلاقية المسيحية، في إنهاء الميول اللوطية تماما.

٩) أما التحليل النفسي، فيوظّف في التعرف على النموذج التفسيري عن الأصول العائلية المُنشئة للمثلية، فيستمع المعالج لحكايا المريض عن طفولته منذ الوعي الأول، ويتعرف على أشكال العلاقات البينية مع كافة أفراد الأسرة، لتحديد السبب في فشل المريض تجاوز مرحلة تشكل نوعه بصورة صحيحة: أهو الأب، أم الأم، أم سبب آخر؟ لا يحصر نيكولوسي الأسباب في الأب وحده، فهو وإن أعلن أن نظرية (الأب القاسي) هي الأكثر تمثيلا لجمهرة الحالات التي طالعها، والمتفقة مع أغلب البحوث المتوفرة؛ إلا أنه يؤكد على وجود حالات أقل لا تُطابق ضرورةً هذا النموذج، وتكون وظيفة المعالج في الجلسات الأولى التعرف على مدى اتفاق الحالة مع نموذجه النظري العلاجي. بدون العلاج النفسي التحليلي Psychoanalysis لن يجد المعالج النموذج النظري التفسيري الذي يربط كل تلك الحكايا مع بعضها البعض.

١٠) أما التحليل النفسي الديناميكي، فيوفر للمُعالج أداة تواصل مستمر مع المثلي، فلا يكون مستمعا فقط طوال الوقت، بل لابد أن يصنع علاقة عاطفية مع المريض، وتؤكد موبرلي ومن ورائها نيكولوسي على وجوب تماثل نوع الجنس بين المريض والمعالج. الهدف من ذلك أن يجد المريض في المعالج العلاقة التي فُقدِت من الوالد في الصِغر؛ فإن فقد الحنان والعطف من الأب، ما جعله يتخذ موقفا نفسيا دفاعيا عدائيا من الرجال، يعطل تكوينه الذكوري = فالواجب حينها على المعالج أن يُعوِّض تلك العلاقة، بأن يكون لطيفا حنونا، متفهما، بديلا للأب القاسي، وأن يهوِّن من العبء النفسي على المثلي، بتأكيد أنه ليس مخطئًا، وأن الذنب ليس منه في انحراف ميوله، فهو إنسان مجروح لكنه سيتعافى. والعلاج الديناميكي عامةً يقوم على النظرة

الحنون المحبة المتقبلة بلا شروط للمريض ‹٤٩›، لذا هو أصلح نموذج لبناء تلك العلاقة.

تحذر موبرلي من خطورة المعالج البارد القاسي، الذي يصنع ذلك بزعم الحياد المطلوب لتقديم علاج نفسي صحيح = فهو يدعو، بصورته الباردة المتعالية تلك، إلى خوف المريض منه وتباعده عنه، لأنه يُذكِّره بالأب القاسي البارد المنتقِد. والصحيح هو بناء علاقة بين المعالج والمريض تتصف بالحميمية intimate والتبادل Mutual والثقة، ومع ذلك غير جنسية Nonerotic. وقد فشل المعالجون كثيرا في علاج المثلية، لغياب تلك الصفات تحديدا، وتمسكهم بمقتضيات نموذج الحياد العلمي البارد للمعالجين.

إذن وظيفة ذلك الأسلوب العلاجي باختصار: إصلاح العلاقة التي نشأت منها المثلية في الطفولة، علاقة الانفصال الدفاعي بين المثلي والوالد المماثل لنوعه.

١١) كذلك يُستخدم علاج المجموعة، لحل مشكلة الصبي الخجول من الذكور، وإنهاء عقدة الانفصال الدفاعي نهائيا، فهي التي تمنعه من بناء علاقات سليمة وندية مع الذكور، وبالتالي تمنعه من الحصول على الهوية النوعية الذكرية؛ فالهوية النوعية خاصة الذكرية ذات طبيعة تبادلية، فالصبي يحصل عليها من الأقران، وهم يحصلون عليها منه؛ لكن أزمة الطفل الخجول تستمر مع المثلي طوال حياته، فلا يقدر على إنشاء علاقة صداقة أو زمالة طبيعية مع الرجال، فهم بالنسبة له (هدف جنسي) لا غير، وبالتالي يظل حاجز الانفصال الدفاعي قائما، طالما لم يتدخل المُعالج لتفكيكه وإنهاء هذا الإشكال، ويلاحظ نيكولوسي أن هذا من

المشتركات بينه وبين العلاج اللوطي التأكيدي GAT! وهذا مدهش! فهو، الرافض للوطية، وأعداؤه، المؤيدين لها، يتفقون على وجود تلك الأزمة عند اللوطيين!
إذن علاج المجموعة وظيفته الأولى اعتياد المثلي خلطة الذكور، واتخاذهم أصدقاءً دون خيالات جنسية، ودون أن يحكم عليه أحد منهم بالتحقير والازدراء في نفس الوقت، وبالتالي مشاركة الهوية الذكورية بينهم وبناؤها بصورة تدريجية.
يصنف نيكولوسي أنواع الأشخاص في تلك المجموعات بالاعتيادي Ordinary، والغامض Mysterious، والثاني أكثر إرهاقا في العمل عليه، فهو منتفخ بذاته، يقدرها جدا، لا يرغب في المشاركة مع غيره، وبالتالي يحتاج إلى عمل كثير.
كذلك يؤكد أن بعض الجلسات كانت تتحول إلى شبه معركة، فتظهر فيها بصورة واضحة أعراض الانفصال الدفاعي عند جميع المشاركين، الذين لم يألفوا أجواء خلطة نفس الجنس، فيتوتر الجميع ويدخلون فيما يشبه الشجار! مع ذلك، فعلاج المجموعة لا غنىً عنه للقضاء تماما على المرحلة الثانية من العقدة، وبدونه سيظل المريض في حالة خشية وخوف من هويته الخفية.

١٢) أما العلاج المعرفي Cognitive therapy فوظيفته تغيير فكرة المثلي الغاضبة عن ذاته التائهة، وخشيته من عجزه عن العلاج، ومن حكم الآخرين عليه بالذم = فيعمل المُعالج منذ البداية على زراعة فكرة مفادها أنك ذو هوية مُغايرة خفيةLatent Heterosxuality، وأن عليك الإيمان بذلك، إنما الذنب ذنب غيرك، ظروف البيئة التي نشأت فيها، والتعافي مقدور عليه، لكنه سيحتاج منك إلى مجهود والاستمرار في مراحل العلاج والمشاركة بفعالية. فهو يطلب من المثلي بناء

دافع ذاتي قوي للخضوع للعلاج والمساهمة فيه، وبناء شخصية قوية تستطيع تحمل ضغوط الإطالة [28].

يحذر نيكولوسي من مشاكل عديدة تواجهه أثناء تقديم العلاج الإصلاحي، منها المريض المتذاكي، الذي قرأ كثيرا قبل أن يأتيه، وكوَّن موقفا ضد هذا العلاج، وكذلك المريض الذي أتى بضغط من العائلة، الزوجة أو الزوج أو الوالدين، فهؤلاء لا يأتون إلا إرضاءً للآخرين، ولا يريدون التغيير بحق، وهي أمور تظهر في الجلسات الابتدائية، إن لم يكن في الجلسة الأولى نفسها! وكل ذلك مُنبئ بالفشل! نعم توجد نسبة فشل معتبرة، وترجع إلى موقف المريض نفسه من الاستمرارية! وما على المُعالج إلا إظهار الحب والحنان والعطف والتفهم بلا قيد ولا شرط!

نجح نيكولوسي في فرض نفسه واسمه بهذه النظرية والأسلوب العلاجي في الأدبيات العلمية الأمريكية، التي وإن رفضته وحاربت أساليبه إلا أنها تعاملت معه باعتباره الاسم الأكبر والأكثر مصداقيةً من الناحية العلمية مقارنةً بغيره من المعالجين.

لكن العقد الأخير، شهد عصر تجبُّر اللوطية: ففي عام ٢٠١٣ أعلنت مؤسسة (الخروج العالمية) إنهاء عملها، باعتذار للوطيين في أنحاء العالم عن (الجريمة) التي ارتكبتها زمنا في حق مجتمع اللوطيين، بتقديم العلاج لهم‹١٧٩›!

وفي عام ٢٠١٤ خرجت دعاوى توحيد القوى من أجل تجريم العلاج التحويلي بصورة قانونية في كافة أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية، كان منها حملة (ولدنا

---

[28] في أكثر الأدبيات النفسية العلاجية تجد الحديث عن استمرار العلاج من عام واحد إلى ستة.

كاملين: الحملة من أجل إنهاء العلاج التحويلي Born Perfect)(١٨٠)؛ ثم في

العام التالي دعا الرئيس الأمريكي أوباما في بيان رسمي إلى منع العلاج التحويلي بصورة نهائية، وإيقافه تماما، فلا هو علمي، ولا هو أخلاقي، بعدما انتحر أحد الخِناث، قائلا في رسالة تركها قبل موته أن المتدينين حاولوا إرغامي على العودة إلى

حياتي كصبي(١٨١).

وفي عامنا الحالي مُنعت كتب نيكولوسي من التداول على موقع أمازون لشراء الكتب وحُذِفت، بعدما نجحت هجمات الجمعيات الحقوقية اللوطية في إزالتها باعتباره

معادٍ للوطيين(١٨٢).

وبهذه الأحداث، ووفاة نيكولوسي مع ضعف خلفائه، تشجعت الحركات اللوطية في المسير نحو المزيد من تضييق الخناق على المعالجين النفسيين التحويليين، باستصدار تشريعات قانونية (تُجرِّم) رسميا هذا النوع من العلاج في الولايات المتحدة كافةً، وتُلزم الجميع بعدم مساعدة أي لوطي يرغب في معالجة ذاته نفسيا إلا بنوع واحد فقط، وهو العلاج التأكيدي: أن يشجعوه على تقبل لوطيته والسعادة والفخر بها، وقد حققت الحركات اللوطية نجاحات ضخمة في استصدار تلك التشريعات، بل وصارت المساهمة في إصدارها جزءًا أساسيا في الأجندة السياسية للمرشحين للمناصب المتنوعة، كما فعلت إلهان عمر، قبحها الله وأخزاها، في حملتها السياسية

قبل وبعد نجاحها في الكونجرس(١٨٣).

تمثل تلك الأحداث، والتدهور السريع، الأفول الرسمي للمقاومة السيكولوجية العلمية، والانتصار الختامي لفرانك كاميني في أروقة الأكاديميا الغربية؛ لذا لم يكن من الغريب أن تنتقل المقاومة إلى الشوارع، إلى الحركات الشعبوية اليمينية،

فبدايةً من عام ٢٠١٢ أعلنت العديد من التنظيمات والحركات الأوروبية أنها

ستقاوم أيدولوجيا الجندر Gender Ideology أو الجندرية Genderism أو

النظرية الجندرية Gender theory في إطار حرب منظمة ضد اللوطية

وحركات المساواة الحقوقية معهم(١٨٤).

ويكاد ينحصر المجهود البحثي السيكولوجي حاليا في دراسات من نوعية أثر اختيار الخنِث أو المترجلة للاسم الجديد على راحتهم النفسية وتقليل ميولهم الانتحارية

(١٨٥) وما إلى ذلك من خطل!

9) استخدام نموذج موبرلي – نيكولوسي في مصر والعالم العربي.

لنظرية موبرلي نيكولوسي أهمية كبيرة في مصر، فأشهر المعالجين المصريين للوطية، الدكتور أوسم وصفي، يستخدم أسلوبه العلاجي النظري والعملي، مع بعض الإضافات الخارجية، المتعلقة بالمعتقدات الدينية المسيحية، والتي هي تطوير للخطوات التي استخدمها بيل ويلسون في معالجة مدمني الخمر، مثل الصلاة للمسيح، والدعاء، والإيمان بأن الرب يحب الشخص رغم لوطيته التي لا ذنب له فيها = فالروحانية (**لها فائدة خاصة في التعلق من المثلية، فمن خلال العلاقة بالله (كإله**

محب) كما تقول التقاليد الاثنا عشر، يمكن أن يستمد المثلي الإحساس بالقبول من الله مما يمده بالأمل في التغيير) (١٨٦).

فالإله محب مساند، والمثليون (**مغفور لهم أحرار من الدينونة**) (١٨٦)، وعليهم فقط الاستمرار مع العلاج وستظهر الهوية الصحيحة في الوقت المناسب.

وما وصلني من المتعالجين عند النفسيين المسلمين حاليا، يبين أنهم ينقسمون إلى أنواع ثلاثة:

النوع الأول: يُعالج بناءً على نظرية موبرلي نيكولوسي، مع إخلاص عجيب لها ولمبادئها، ربما يفوق إيمان وإخلاص موبرلي نفسها بها! وبعض هؤلاء ممن تدربوا على أيدي أوسم أو استعانوا بكتاباته.

ويُلاحظ في ذلك النوع ضيقهم من مصطلحات مثل اللوطية والشذوذ، وشدتهم في مقاومة الخطاب العدواني ضد اللوطيين!

وإذا كنت قد استوعبت نموذج موبرلي نيكولوسي، فلابد أن قد فهمت الآن سبب انغماسهم في ذلك؛ إذ أن المعالج لابد أن يُظهِر نفسه في صورة الأب الحنون المتفهم المحب والمدافع الأول عن ابنه ضد كل ما يؤذيه ولو لفظيا!

وإن كان هذا ممكنا في الجلسات العلاجية الخاصة؛ ففي زمن مواقع التواصل = لن يعني هذا سوى وجوب استخدام المعالج خطابا علنيا يُعلِن الحماية العامة لكافة اللوطيين، وبالتالي الهجوم على خصومهم أو المحقرين منهم؛ ما سيودي بالمُعالِج إلى صناعة أجواء تطبيع للوطيين بين المسلمين، حتى إن لم يكن راغبا في تلك النتيجة النهائية! لاحظ أن ذاك النوع من المُعالجين يُطبِّع تواجد (اللوطيين) لا اللوطية ذاتها؛ فهو يلزم تحريم الشرع إياها، لكنه يفرق بين السلوك والميول، فيدفعك لتقبل

معارفك ذوي الميول اللوطية - والذين لن تعرف بالطبع مدى انغماسهم فيها - ودعمهم نفسيا.

تذكر نموذج موبرلي- نيكولوسي؟ إن المعالج يحاول تهيئة محيط ذي الميول اللوطية وتشكيلهم في صورة (مجموعة) علاج! يسعى في تحويل المجتمع الإسلامي إلى عيادة كبيرة لعلاج اللوطية: هو المُعالِج فيها، الذي يقود أوركسترا العلاج، بالتفسير والدعم النفسي والمعنوي، وباقي المسلمين مجموعة تُحيط بذي الميول اللوطية وتتقبله وتتجنب كل حرف يؤذيه!

يُلاحظ كذلك في بعض أولئك تأثرهم بمفردات ليبرالية محضة، فتتردد على ألسنتهم عبارات مثل: (لا تحكموا على الناس)، أو يروجون للتقسيم الجندري (النوع والمختلف عن الجنس)!

ولعل أخطر ما في معالجة أولئك للقضية، هو تقديم كلامهم باعتباره (علميا) يجب أن يحترمه الجميع، ولا يجادله غير متخصص، في محاولة لاحتكار الأعلمية والمرجعية العليا بين المسلمين!

وتلك وأيم الله نكتة العصر! فها قد مررت بالقضية من كافة جوانبها، خاصة السيكولوجي = فأي علم في ذلك؟! أي دقة أو حياد أو موضوعية في النظرية الجندرية؟

والمدهش أن السيادة في المجتمع العلمي النفسي عالميا واضحة منذ عقود: اللوطية ليست مرضا، والعلاج التحويلي والإصلاحي هو علم زائف Pseudoscience؛

‹١٨٧›وأكبر المؤسسات النفسية في العالم تعتبر هذه العلاجات غير علمية ولا أخلاقية! وهذا يثير المزيد من الأسئلة حول مدى أخلاقية مزاعم علمية الطرح الموبرلي - النيكولوسي!

أنحن مجبرون في كل مرة على الإنصات لادعاء العلموية والأعلمية، ودعوى التحاكم إلى المؤسسات والإجماعات والأدبيات العلمية الغربية، في الترويج لشيء يكون، بمعايير المُحتكِم نفسه، التي يتطاول بها على المعارضين = علما زائفا وخداعا غير أخلاقي!

أتذكرون حديثنا عن الدكتور عمرو شريف في كتابي الداروينية المتأسلمة، ذاك الطبيب الذي يفني عمره في الترويج لدجل التطور الموجه، ثم حين أنكرنا قوله أنف وتكبر وهاج وماج وقال أنا علمي أتحدث بالعلوم وأتحاكم لإجماعات العلماء، وهم يقولون التطور حقيقة أيها المتطرفون الجهَّال! هذا والرجل يعلم يقينًا أنه مدلِّس غير صادق، يقول نصف الحقيقة ويخفي نصفها عمدا؛ فأولئك الذين يقولون إن التطور حقيقة، هم ذاتهم من يصمون أمثاله من أنصار التطور الإلهي الموجه، بالخلقويين الخرافيين الأدعياء وأنصار العلم الزائف! وأمثال عمرو شريف يُقبَّحون في الأكاديميا الغربية، ولا يُنظر إليهم باحترام!

وهذا من ذاك!

هذا كله إضافةً لما علمته من بعض الإخوة الذين ذهبوا لبعض أولئك المعالجين لاضطراب نفسهم؛ إذ أن منهم من عُرض عليه أن (يتقبل مثليته) كحل نهائي لأنه لن يستطيع أن يتغير! ومنهم من أخذه الفضول فقرأ وطالع المعالجة المصرية لنموذج موبرلي نيكولوسي؛ فساءت علاقته بأهله وأبيه وأخوته لأنه شعر أنهم السبب فيما ابتُلي به! وغير هذا من تداعيات غير بسيطة. فليت ذاك الصنف من المعالجين يراجع رؤيته تلك.

النوع الثاني من المعالجين: يحاول تكوين رؤية إسلامية شرعية عن الموضوع، مقدما بعض النصائح للمريض، كالتوقف عن الاندماج في الشهوات والابتعاد عن الإباحية. وطريقتهم غير فعالة كثيرا؛ لأن الآتي إليهم يتوقع أنه سيسمع (علمًا) فإذ به يسمع وعظا لا يُريح سؤاله الداخلي: لماذا أميل للرجال؟

وهؤلاء المعالجون معذورون، إذ توقفت الأدبيات الخاصة بمجاله منذ زمن عن شرح اللوطية والبحث في مسبباتها، فهو لا يجد في مراجعه العلمية الكثير من الإفادة، اللهم بعض ما لا يقبله شريعةً كعلاج تأكيد اللوطية وتقبل اللوطي لنفسه والفخر بهويته وميوله؛ فيضطر إلى خطاب شرعي وعظي فيه بعض الاضطراب ما لم يكن متمرسًا خبيرا بالمسألة، وهذا أندر من العنقاء حاليا، وأحسب هذا الكتاب بإذن الله مع ازدياد الوعي المعاصر عامةً بتلك القضية سيطوِّر هذا النموذج من المعالجين!

النوع الثالث: وهو الأوسع انتشارًا، وهو المعالج الأجهل من الدواب في تلك القضية وأبعادها وأغوارها؛ وإن قرأ مئات الصفحات الحديثة عنها؛ فلا يردد إلا ما سمعه وحفظه وتعلمه في الجامعة والمراجع الجديدة عن اللوطية، ومنهم من يؤكِّد للمريض أنه ولد هكذا، بل يقدم له بعضهم العلاج اللوطي التأكيدي GAT! وعيب هذا النوع أنه أشرس في دفاعه عن الدين العلموي الذي يؤمن به، فهذا هو ما وجد عليه آباءه في الكلية: أن اللوطية ليست مرضًا نفسيا، اللوطية ليست شذوذا أو انحرافا Paraphilia؛ واللوطي شخص طبيعي ولد بتلك الصورة وليس عليك كمعالج إيذاءه بتدخلك من أجل فرض معتقداتك ورؤاك الشخصية عن كونها محرمةً وفاحشة سيئة خبيثة! هذا هو (العلم) الذي لا يعرف سواه، ولا يقبل أولئك مناقشة طبيعة ادعاء (العلموية) والوضعية في السيكولوجي، وحجم خرافة تلك الدعوى، وكيف أنه من أكثر العلوم تأثرًا بالأيدولوجيا الغربية العلمانية الليبرالية!

فماذا لو علم هؤلاء أن أكثر نظرياته أتت من علماء حيوان أو حتى حقوقيين ولاهوتيين كما رأينا؟!

والمبتلى بالميول اللوطية يضطرب لا ريب في الواقع المصري، فلا توجد طريقة مؤكدة لعلاجه في مكاتب المعالجين النفسيين، وقد يتسبب الجهل بطبيعة العلاج

السيكولوجي، والجدل حول فعاليته من الأساس - وهو جدل قائم بين كبار السيكولوجيين أنفسهم (٤٩)- في المزيد من تعقد المسألة، خاصةً إذا عرف حجم تضارب وصراع المعالجين النفسيين حول تفسير وعلاج حالته! فأي إحباط وخوف وذعر سينتاب ذلك المسكين! العلماء أنفسهم لا يعرفون ماذا يفعلون بي! لا يعرفون ما عندي ولا من أنا!

تلك كانت أبرز مراحل تطور النظريات والرؤى السيكولوجية، مع وجود العشرات من الرؤى الأخرى، والأفكار والنظريات، والمعتقدات والممارسات، لكنني انتخبت وانتخلت ما يصلح لحجم هذا المبحث، ولإيجازه.

ثالثا: مناقشة خاصة بالعلاج النفسي للوطية.

بعدما استعرضنا تطورات النظر للوطية في تاريخ علم النفس، تبقى الآن أن نسأل القارئ: أعرفت الآن لم بدأت بنقاش قصير لأزمة طبيعة علم النفس، وكارثية تلك الأزمة؟

هل اللوطية مرض عقلي؟ ذاك سؤال محوري، دار عليه الصراع في أروقة هذا العلم طوال القرن الماضي كما رأيت، ولأن طبيعة علم النفس لا تعترف بالغيبيات، وتتجه باستمرار لصناعة منظومة قيمية ليبرالية علمانية نسبوية، كما ذكرنا في الفصل الأول = تزحزحت اللوطية باستمرار من نطاق المحرمات الدينية، إلى المحظورات الاجتماعية، ثم إلى المباحات، وأخيرا: المندوبات!

والحق الذي يؤمن به المسلمون، أن اللوطية ليست مرضا عقليا، وبالتالي فعلاجها بأدوات علم النفس المادية البحتة = محدود الإمكانات، إن لم يكن محالا؛ لذا، كما رأينا، كان رواد المعالجة بها يمزجون علم النفس بالجانب الديني والروحاني، فقد

انتبهوا لصعوبة استعمال الأدوات التحليلية البحتة وحدها، وعزو كافة الإشكالات لظروف عائلية.

أيصلح الخطاب الشرعي لمعالجتها؟ بعد تفهم لطبيعة المشكلة، وخبرة كافية، لا يوجد أفضل من الخطاب الشرعي الإسلامي لمعالجة الأمر.

وأقول الإسلامي تحديدا، لأن الخطاب الديني المسيحي الوعظي تبشيري الطابع، يُحدِّث اللوطي عن (حب الله الكبير له) وما إلى ذلك، ويغيب عنه الوجه الثاني اللازم للخطاب الشرعي الإلهي: الجانب التهديدي بالعذاب الأليم في الآخرة، والضنك النفسي في الدنيا.

أيصح استخدام الخطاب التهديدي والوعيد؟

في دراسة نشرت عام ٢٠٠٩، جمع ماريسون أسينسيو وزملاؤه آراء ٣٦ لوطيا عن

سرطان البروستاتا، وعلاجاته، وإخبارهم سواء بمخاطره، أو بمخاطر علاجه ‹١٨٨›.

للبروستاتا تحديدا أهمية خاصة في الثقافة اللوطية، فهم يعتبرونها المصدر الرئيس لنشوة اللوطي (المفعول به)، حتى أن جزءًا منهم اعتبر لوطيته جيدة لعلاج

البروستاتا، فتدليكها داخليا بقضيب الفاعل شيء جيد‹١٨٨›!

لكن ماذا عندما علموا أن علاج سرطان البروستاتا سيدمرها بالإشعاع، وسيقضي بصورة شبه كاملة على ممارساتهم الجنسية اللوطية؟ نصف المشاركين قالوا: فلتذهب اللوطية إلى الجحيم حينئذ! النجاء النجاء! حياتي! أحدهم قال: الجنس

شيء زائد Extra، وليس هو ما سيُبقيني حيًّا!‹١٨٨›

كبار السن تحديدا اختار أغلبهم العلاج مهما كان الثمن، لا يُهم استمرار اللواط، وقال بعضهم أنهم صاروا مع تقدم العمر يُقدِّرون الحياة بصورة أكبر، ويستكشفون

الجانب الروحاني منها كلما زادت أعمارهم(١٨٨).

لقد استحضرت هذه الدراسة للتأكيد على أهمية الرابط الإسلامي بالجانب الروحاني للقضية، وأهمية مفهوم (النجاة في الآخرة) ووجوب رسوخه في نفس كل مسلم عامةً، وفي جانب كل مبتلىً بحب شهوة محرمة كاللوطية.

انظر إلى الدراسة: النصف اختاروا النجاة مبدأيا ولو احترقت مؤخراتهم وانتهى أمل اللواط بهم، هذا والكلام نظري؛ فماذا لو أن النصف الآخر المعاند الذي قال لن أتعالج وسأحفظ لوطيتي وُضِع في موقف يقين بأنه سيُصاب بسرطان البروستاتا؟ لا ريب أنهم سيفرون خوفًا وهلعًا من الموت!

إذن ماذا لو آمنوا أنهم ملاقون ربهم، وأن عذاب الحريق في انتظارهم؟ لاحظ أن حب النجاة، والاستعداد للاستغناء عن اللواط = آتٍ ممن زاد لديهم الجانب الروحاني / الإيماني، وزادت لديهم الخشية من الموت القريب.

لم تكن تلك الدراسة موجهة لخدمة قضية دينية، وهذا ما زاد من نفاستها عندي: فقد أكدت أن الحل الإسلامي، المازج بين خطاب الرحمة والمغفرة، وخطاب التهديد والوعيد، هو الأمثل في معالجة المسألة.

لكن أي معالجة؟

إن النظرة الإسلامية تتحدث عن أن للمرض القلبي بسبب الشهوات مصدرين رئيسيين، الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، فهو يُحيل للغيب وللذات أولا، لا للظروف الاجتماعية والأسرية وحدها كما يقترح نموذج موبرلي-نيكولوسي مثلا، ويؤكد أن لا أحد محصن من الشهوات؛ فقد ينشأ الإنسان في بيت نبي ويفسد ويكون مجرما غويا، وقد ينشأ في بيت بغي ويُحسن السيرة.

والإنسان مأمور بمكافحة شهواته، شهوة الكبر وشهوة الزنا، ومنها شهوة اللواط.

فمصدر اللوطية Etiology محسوم في الإسلام، لكنه لم يُحسم أبدًا في الغرب لبحثهم في مصدر من هذا العالم، لطبيعة علم النفس التي تحدثنا عنها ابتداءً.

وعلاج الإسلام له شقين: علاج للشهوانية الداخلية، غير الظاهرة في السلوك، وذاك يكون بالخطاب الوعظي الإيماني، وبتزكية النفوس وتطهيرها واللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، الرحيم بعباده، والذي يعلم ابتلاءاتهم.

وعلاج الشهوانية الداخلية قد ينجح فيه الإنسان، وقد لا ينجح، والله عالم بالسرائر: فإن فشل الإنسان كرر التوبة ومحاولة الإصلاح إلى الموت، ولا يُكلِّف الله نفسها إلا وسعها، فقد تتمكن الشهوة من النفس وتغلب عليها، ولا يكون بمقدور الإنسان محوها، لكن المُطالب به هو زجرها، والإيمان بإثمها، والالتجاء إلى الله دوما للتغلب عليها، ولعل الزواج يساعده في ذلك، وإن كان لا يضمن أبدًا اختفاء تلك الشهوات، والإسلام لا يتحدث عن وجوب محوها وإلا العذاب، بل يتحدث عن وجوب دفعها وزجرها. وذاك ضروري لأن البعض يعتقد أن الإسلام توعده إن لم يقدر على المحو الكامل أن يُعذَّب، وهذا خطل! من منا يخلو من شهوات مُبتلىً بحبها، يقاومها ويدفعها إلى حين يموت؟

أما إن رضي بها وسعد، واستسلم لها؛ فالله العالم بالسرائر مُحاسِب إياه لا على الابتلاء؛ بل على الاستسلام والإياس وعدم التوبة والفرح بالشهوات المُحرَّمة الشيطانية.

والشق الثاني هو علاج الظواهر، علاج السلوك وذاك لا هوادة فيه ولا مياسرة، إذ يحرص الإسلام على سد كل ذريعة تُشجِّع ذاك المسلك، فالمتخنث يُنفى ويُهان ويُضرب حتى ينضبط ويعود إلى أفعال الرجال، والمترجلة كذا، أما الوقوع في اللوطية فالموت الموت! فضح وعار ثم قتل!

فمصدر الابتلاء يكون إما نفسيا داخليا، وإما خارجيا من الشيطان، والسبب قد يكون تربية معوجة، تفسد السلوك، كتسلط الأم على المنزل، لكن لا حتم في هذا الأخير، والبحث عنه قد يُفيد، وقد لا يصل لشيء.

فبهذين الشقين، علاج الباطن الفردي، وعلاج الظاهر الفردي والجماعي، ينضبط حال المجتمع ويصلُح، وتضمحل اللوطية وتخبو، وبدون أحدهما تنتعش وتزيد إما في الباطن، وإما في الظاهر!

ومن باب سد الذرائع: التربية القويمة للجنسين، على صفات وأخلاق لائقة بكل طرف، وعدم المزج بينهما فيها، وكذلك استحسان تربية الذكر على العزة والأنفة والخشونة الجسدية والنفسية، وباقي الأخلاق الحميدة؛ فقد كشفت الدراسات عن تأثير الصفات الجسدية والخُلُقيَّة على كون اللوطي الذكر فاعلا أو مفعولا به، فالفاعل اللوطي يشعر دائما بالقوة والسيطرة، والمفعول به يشعر بالضعف والوقوع في براثن المُهيمن عليه، ويحب ذلك! كما أن القوة الجسدية، والصفات الذكورية المحضة مثل الغلظة، تُرجِّح دوما أن يكون صاحبها فاعلا لا مفعولا به، أما الصفات الأنثوية مثل الرقة والضعف البنيوي لجسم للوطي، تُرجِّح دوما أن يكون صاحبها مفعولا به (١٨٩).

وربما تكون علة القتل للفاعلين أن الطرفين يرتبطان بأكثر المواقف الحميمية في سلوكيات البشر، فلا الفاعل يعود كما كان إلا بمجاهدة نفس شاقة، إذ أنه يتغير بعدما يفعل في الذكر ويعتاد رؤية رجل في هذا الوضع الشاذ، ولا المفعول به السالب في تلك العلاقة يعود كما كان إلا بمجاهدة نفس أشق، إذ تجعله تلك الممارسة أكثر قربا لمحاكاة الأنثى، في حب ذكورة الفاعل وقوته والشعور بالأمان معه، وهو ما يعني تغيُّر السمات الكبرى للهوية الذاتية الذكورية، وصعوبة استرجاعها،

بمجرد تكرار تلك الممارسة، وربما من مرة واحدة فقط، يشعر فيها المفعول به بتلك المشاعر؛ فتسبب له اضطرابا كبيرا!

أما النساء فمن المتفق عليه بين الدراسات أنهن أكثر سيولة في الميول الجنسية، وقد أظهرت دراسات أجريت على الطبيعيات منهن تهيجهن على الإباحية الطبيعية واللوطية النسوية معا! فالجنس عند النساء معقد التركيب بصورة واضحة، ولا يشابه التركيب الجنسي للذكور، فالأخير أبسط: تهيج دائم، وفي مسارات واضحة. في النساء هناك اختلاف كبير، قد يحدث التهيج والنشاط الجنسي وقد يتحولن إلى خاملات تماما! قد يتهيجن على النساء لكن هذا لن يعني عدم تهيجهن على الرجال، والعكس! وُصِفت تلك الظاهرة لدى النساء بالبلاستيكية الإباحية Erotic Plasticity ‹٤٩›؛

كما أن هناك فارقا في نظم العلاقة اللوطية، فالذكور أقل اهتماما بالعاطفة، ونادرا ما يرتبط ذكران في علاقة لوطية ممتدة، بينما النساء تغلب على علاقاتهن العاطفة كما ذكرنا قبلا؛ لذا ترتبط الإناث اللوطيات ببعضهن بصورة أكبر، كما وجدت الإحصاءات أن ثلثي الزيجات اللوطية في ولاية ماساشوسيتس الأمريكية كانت لنساء، وهي نتائج شبه متكررة ‹١٧٨›؛ فاللوطية النسوية هي بصورة ما نوع من الشذوذ في الصداقة المتينة.

نعود إلى موضوعنا: أيعني هذا النقد لعلم النفس التخلي عن كافة ما يقول؟

أبدًا! علم النفس بحر واسع، فيه خير كثير، ألا ترى كم الاعتماد على نتائج بحوثه في هذا الفصل وغيره؟ لكن فيه شر كثير أيضا، ومن جملة شروره هذه القضية تحديدا؛ فأكثر ما يتعلق بها شر محض!

المطلوب فقط من المعالجين أن يفقهوا ذلك الشر، وأن يعلموا مصدره وأسبابه.
أن يُدركوا سيولة الطب النفسي، ووقوعه في أيدي زمرة من الشياطين يحكمون عالمنا، وتغيُّر قوانينه على الدوام لملاءمة الأجندة الحقوقية العلمانية.
وسأضرب مثلا بقضية متصلة باللوطية، لإثبات مقصودي، وهي قضية الخِناثة والترجُّل.

فإن قارنت بين النسخة الثالثة من الدليل التشخيصي والإحصائي DSM٣

والنسخة الخامسة الحالية DSM٥ ستجد عجبا!

في النسخة الثالثة، تلك التي برروا إزالة اللوطية منها بسبب تقدم العلوم، وإثبات العلم أنها ليست مرضا، وضعوا هم أنفسهم الخِناثة والترجُّل تحت قائمة الأمراض العقلية والنفسية.
فالاضطرابات العقلية الجنسية Psychosexual Disorders كانت تنقسم إلى أربع مجموعات: اضطراب الهوية النوعية Gender Identity Disorder والبارافيليا Paraphilia (الميول المنحرفة والشاذة، كتشهي الأطفال والمازوخية وغيرها)، ومجموعتين أخريتين واحدة متعلقة باضطرابات العجز الجنسي النفسية، والأخرى جامعة لما لا يصنف من شذوذ، والأخيرة لعلاج اضطراب الإيجو

اللوطي، الذي تحدثنا عنه قبلاً (١٦٩).

وكانت من علامات هذا المرض العقلي التماهي مع الجنس المخالف في دوره الاجتماعي، وارتداء ملابسه. كما نبهوا أن من السمات المتصلة: أن شخصية هذا

الخنث أو المترجلة مضطربة، عندها قلق مرضي واكتئاب anxiety and depression. ‹١٦٩›

وقد نبه الدليل أن علاجها على المدى الطويل غير معروف للأطباء النفسيين، كما أنها حالة دائمة في الأغلب، وتبدأ من الرابعة في العمر تقريبا (ثلاثة أرباع الحالات كانت كذلك)، وهي في الذكور أكثر منها في الإناث بصورة ملحوظة، ولها اتصال باللوطية حيث غالبا ما يكون الخنث لوطيا في الكبر، والمترجلة لوطية.

والإناث يقدرن على المرور من هذا الاضطراب بصورة أكبر لرضوخهن بصورة أفضل للضغوط الاجتماعية عليهن في عملية الضبط والتنشئة النفسية والجنسية وتوقعات الدور الاجتماعي.

كما سنرى كلاما عن ندرة هذه الحالات، واستخداما لنظرية المحاكاة الفرويدية التي مررنا بها.

فالإطار العام لنقاش تلك القضية، يُنميها بوضوح للأمراض العقلية، التي لا يعني العجز عن إيجاد علاج نفسي لها، عدم إدخالها في ذاك التصنيف.

إذن نحن الآن أمام نسخة تدعي العلموية، وتدعي أنها حذفت اللوطية من قائمة الشذوذ والانحرافات، لأن (العلم) يقول ذلك. وهي هي تُصنِّف الخِناث والمترجلات كمرضى عقليين.

لكن في النسخة الأخيرة من الدليل، نجد أن هذا التصنيف الكلي قد حُذِف من أصوله، فلم تعُد الخِناثة مصنفة في باب الأمراض الجنسية العقلية، بل استقلت بعنوان جديد مُنبئ بطبيعة التغيير: الانزعاج من النوع Gender Dysphoria.

ما هو الانزعاج؟ هو حالة يشعر فيها المرء بإكتئاب وحزن، وفي بعض الحالات: الاختلاف عن العالم المحيط(١٩٠).

والانزعاج من النوع هو الكرب المسبب من عدم التلازم بين نوع الشخص الذي اختاره، ونوعه الذي التصق به وهو طفل(١٩٠).

انتبه: إننا هنا لم نعد نتحدث عن اضطراب جنسي عقلي، بل نتحدث عن اكتئاب يصيب المرء بسبب (حالة طبيعية لكن نادرة) حدثت له، وبسبب الضغوط المجتمعية المحيطة بها. إن المعالج النفسي لم يعُد مطالبا بالتعامل مع (هذا المريض)، بل بطمأنة (هذا المسكين) أنه طبيعي لا بأس به كيلا يفترسه الإحباط!

فصل الانزعاج من النوع كله يُشبه نشرة تبشيرية من جمعية لوطية! الكثير جدا من النقاش الفلسفي والقليل جدا من الطب والعلاج!

انظر مثلا كيف يبدأ الفصل بشرح أسباب التخلي عن مصطلح الجنس Sex، وتبني مصطلح النوع الاجتماعي Gender، يقولون: لأن مصطلح الجنس يربط بين الهوية البيولوجية والتفضيلات الجنسية(١٩٠)! أنت ذكر بيولوجيا؛ فلابد أن تحب ذكورتك وتميل جنسيا للنساء = وهذا مفهوم مهجور!

وبالتالي صار مصطلح الجنس Sex قديم كما نعلم، لا يصلح لعالم التنوع الرائع الذي نعيشة!

ثم انظر كيف يتحدثون عن مخالفتهم الصريحة بهذا المصطلح للبنائيين - تذكَّر حديثنا عن البنائية الاجتماعية في القسم الماضي- ولو لم يعرف القارئ أبعاد الأمر،

فسيمر على كل ذلك دون فهم ما يجري! الفصل كله هو دعاية للنظرية الجوهرية، وإن لم يستطع إثبات الجبليَّة لضعف الأدلة بصورة لا تقوم حتى لمدَّعٍ!

ما هو النوع؟ انظر لتعريفهم الحديث: هو الدور الحياتي العام، والمعترف به قانونا على الأغلب، كصبي أو بنت، رجل أو امرأة، وفيه تُرى العوامل البيولوجية كمساهم لا أكثر بجوار عوامل اجتماعية ونفسية في تطوير هذا النوع(١٩٠).

إن هذا التعريف، يُملِّك الخنِث أو المترجلة زمام الأمر: النوع هو تعبيرك أنت، الفريد، عن الدور الاجتماعي الذي تريد أن تمثله في ثقافتك(١٩٠)!

الهوية النوعية إذن هي خيار الشخص نفسه، ليست مرضا أو اضطرابا عقليا، والشخص يولد وقد تحدد نوعه أوليا Natal Gender Assignment فإن قرر بعد التجربة النفسية والاجتماعية، أن يضبط دوره الاجتماعي كي يكون لائقا بنوعه المبدأي، فهذا هو النموذجي Typical، وإن قرر عدم الاستمرار فيه؛ فهذا هو غير النموذجي Atypical. وغير النموذجي له الحرية كاملة، أيخضع لعملية إعادة تعيين الجندر، فيتحول من عابر النوع (ترانسجندر): وهو الذي يُعرِّف نفسه داخل نوع مخالف لنوع ولادته = إلى عابر الجنس (ترانسيكشوال) وهو الذي يُغيِّر نفسه رسميا إلى الجنس الآخر، ويخضع أكثرهم لعلاج هرموني أو عمليات إزالة أو إضافة الأعضاء التي تحدثنا عنها قبلا(١٩٠).

ويستمر طابع النشرة التبشيرية طوال الفصل: فهم ذوو ميول انتحارية بسبب البيئة المعادية التي تعمل على تشويههم وممارسة العنصرية ضدهم، أما البيئة المرحبة

فتساعدهم على التحرر والتعافي من الاكتئاب والقلق غالبا. وهم منتشرون بين الحضارات والدول(١٩٠).

وأخطر ما في هذا الفصل، الحديث الذي لا ينقطع عن ظهور علامات هذا الأمر عند الأطفال في حدود الثالثة من أعمارهم! وهو مُستند الكثير من الحركات الحقوقية والدعاية الإعلامية التي تُغذي الأهالي أن طفلكم لو أظهر إصرارا على الانتساب للنوع المخالف، فليس أمامكم سوى دعمه وإحاطته بالحب والحنان وتشجيعه على الدور المُختار! إن أي طفل يعبث الآن، يمكن أن يكون ضحية باقي حياته لتلك الدعاية والمفاهيم والقيم المجتمعية! فسيُنشَّأ باعتباره منتميا للنوع الآخر، وسيُغذى انحرافه البسيط، بل سيُحقن ويخضع للجراحات من أجل سفاهات صنعها وهو دون سن التمييز!

ذاك للأسف هو بعض ما يوجد في مراجع وأدلة الطب النفسي في تلك القضية؛ ولعلك بعد هذا الاستعراض قد أدركت سبب اضطراب المعالجين النفسيين محليا وعالميا في ذلك الأمر! إن علم النفس بطبيعته الحاضرة، الغربية، ابن الأديان العلمانية والأيدولوجيات، ابن الفصل الأول كله، جزء من المعتقد الليبرالي ودين المؤتفكات!

التناقض المحتوم: نقاش عام للفصل

الآن وقد وصلنا للختام، تبقى أن نبين هشاشة ذاك الحجاج العلمي كله، بكافة صوره: البيولوجية والسوسيولوجية والسيكولوجية! ولا أهون من ذلك على من يُتابع ملتزمي لوازم كافة ما سبق من مُستحلي تشهي الأطفال (البيدوفيليا)!
لنلعب معاً لعبة طريفة: سنطبق كافة المعايير السابقة التي وصل بها العلماء لرفض تصنيف اللوطية كانحراف وشذوذ (بارافيليا)، على قضية البيدوفيليا! ولنر إلى أين يؤدي بنا هذا السبيل.

أولا: النقاش البيولوجي عن تشهي الأطفال.

منذ منتصف الثمانينيات، والحديث عن كون تشهي الأطفال جبليًّا متواجد بالساحة العلمية. فقد وُجِد في إحدى الدراسات أن نسبة ظهور قريب جيني متشهٍ للأطفال للمشتهي المدروس، يصل إلى ١٠٪(١٩١).

وفي دراسة لاحقة بمنتصف التسعينيات، استخدمت أسلوبا مشابها لأسلوب دراسة دين هامر عن اللوطية، وجد الدارسون علاقة بين جينات Gts وبين المصابين بهوس تشهي الأطفال، وقد وصلت نسبة وجود أقارب مصابين بهذا الهوس إلى ١٨.٥٪(١٩١)!

وبين ٢٠١١ و٢٠١٤، ظهرت أربع دراسات من إيطاليا وفنلندا وكوريا وكندا ترجِّح أن هوس التشهي، ذو أصل جيني، وقد أجريت الدراسة الفنلندية على عدد ضخم من

التوائم بنوعيهم (٤٠٠٠ من التوائم والأشقاء الذكور)، وأظهرت نسبة ١٤.٦٪ من

التماثل في هوس التشهي عند التوائم(١٩١)!

فدراسات إيجاد الأصل الجبلي لهوس تشهي الأطفال لا تنفيه حتى الآن، ونتائجها مشابهة لنتائج الأصل اللوطي الجبلي = وعليه إن كانت أدلة الجبلة اللوطية كافية = فأدلة الجبلة المشتهية للأطفال كافية!

ثانيا: النقاش السوسيولوجي عن تشهي الأطفال.

بحسب مدرسة الجوهرية، الغالبة كما رأينا على منظور السوسيولوجيين والسيكولوجيين: فتشهي الأطفال مثل اللوطية تماما في سماته الرئيسية، بل هو أكثر انتشارا في الحضارات والثقافات منها، خاصةً أن التعريف الموسع للتشهي يُدخل من يستثيره الأقل في السن من العاشرة في إطار المهووسين بتشهي الأطفال. وهو ذو أدلة تُخمِّن الجبليِّة، وتقوم على نفس نوعية الدراسات التي خمنت جبلية اللوطية.

أما بحسب المدرسة البنائية، فهو أظهر من اللوطية في كونه مرتبطا ببناء اجتماعي وثقافي معين، فالثقافات والحضارات المختلفة لم تكن تعتبر تشهي من هم دون العاشرة جريمة لا تغتفر، أو شذوذا وانحرافا وبارافيليا يجب علاجها في أروقة مستشفيات الأمراض العقلية! الحضارة الغربية الحديثة وحدها هي من تعاملت بذلك التشدد في توصيف ذلك بالمرض! وعليه فتحريمها وتجريمها مرتبط بالبناء الثقافي الغربي، ولا يجوز تعميمه بأي صورة!

وعليه، فبحسب المدرستين كلتيهما، إن ارتأينا وجوب تطبيع اللوطية للأدلة التي أوردوها؛ فهي ذاتها ظاهرة بصورة أقوى في هوس تشهي الأطفال = فهو طبيعي لا إشكال فيه!

ثالثا: النقاش السيكولوجي عن تشهي الأطفال.

الاسم الأبرز في هذا المجال هو مايكل سيتو Michael Seto الكندي، والمتخصص في علم النفس الشرعي، وعلم الجنس. وهو صاحب عشرات المقالات والدراسات في مجال الاعتداء الجنسي عامةً، وتشهي الأطفال خاصةً.

لسيتو نظرية تتعلق بهذه القضية (١٩٣) (١٩٢)، وهي تعتمد على إعادة تعريف

الميول الجنسية للإنسان؛ فهو يرى أنها لا تدور حول النوع فقط: ميول نحو الجنس المغاير، وميول لوطية، وميول مزدوجة = بل تدور حول السن كذلك، ويتبنى مصطلح Chronophilia أي التفضيل الجنسي العمري: وفيه يميل الإنسان للارتباط عاطفيا وجنسيا بشريحة عمرية معينة.
يرى سيتو أن هناك أدلة كثيرة تدعم اعتبار تشهي الأطفال ميولا جنسية مثلها مثل غيرها كالميول اللوطية، فالدراسات تؤكد أنها مزمنة، يصعب تغييرها، وهناك عدد معتبر من أصحاب تلك الميول أخبر بأنه بدأ ملاحظتها قبل البلوغ. وانتشارها في

الدراسات يرجح أنها بين ١٪ - ٥٪ من السكان. لاحظ أن انتشار اللوطية في الذكور

معدلها ٣ -٤ ٪، وفي النساء معدلها ٢٪ (٤٩).

كما ينبه سيتو على أن مصطلح (تشهي الأطفال) واسع الدلالة في الثقافة الغربية، بينما الصحيح تقسيم المراحل العمرية للتشهي بالصورة الآتية:

متشهي الأطفال الرضع والأصغر من خمس سنوات، النبيوفيليا Nepiophilia وذاك نادر.

متشهي الأطفال غير البالغين الأصغر من عشر سنوات، البيدوفيليا Pedophilia.

متشهي الأطفال الذين في أول البلوغ من سن أحد عشر عاما إلى سن أربعة عشر، الهيبفيليا Hebephilia وذاك شائع، والحضارة الغربية وحدها هي التي تضم هذا السن إلى البيدوفيليا.

متشهي الأطفال الذين في سن المراهقة بين الخامسة عشر والسابعة عشر، الإيفيبوفيليا Ephebophilia وهذا أيضا كسابقه.

متشهي الأنثى الناضجة، وذاك النموذج الرئيسي للإنسان العادي، التيليوفيليا Teleiophilia.

متشهي أنثى منتصف العمر، الميزوفيليا Mesophilia وهو شائع في الثقافة الإباحية على مواقع الإنترنت باسم الميلف MILF وهي الأحرف الأولى اختصارا لعبارة معناها: أمهات أريد أن أجامعهن. ويُبحث عن ذلك العنوان في مواقع المقاطع الإباحية بمعدل ١.٣٪.

وأخيرا متشهي الأنثى العجوز، الجيرونتوفيليا Gerontophilia وذاك يشتهي من أعمارهن فوق الخمسين والستين، وعدد الباحثين عن ذلك الوصف في المواقع الإباحية حوالي النصف بالمئة.

ما الذي يجذب الإنسان لشريحة عمرية معينة؟

يجادل سيتو أن الإنسان ينجذب للسمات الجسدية أولا، فكل شريحة لها صفات مختلفة عن الأخرى، وهذه أذواق مختلفة المشارب، لكن هناك عوامل أخرى: ففي دراسات متعددة أجريت على متشهي الأطفال، وجد العلماء أنهم ينجذبون عاطفيا للأطفال، فلا يثيرهم مجرد الاشتهاء الجنسي وحده. فالتشهي سيكولوجي، إذ أن البعض يحب الروح المرحة الطفولية البريئة للأطفال.

يجب الاهتمام كذلك بالسياق الحضاري والثقافي المختلف، فالطفل المعاصر بسبب التغذية الجيدة تظهر له سمات البلوغ الجسدي قبل السن الذي كان يظهر فيه قبل قرن مثلا. والتسامح مع البيدوفيليا مختلف بين السياقات الغربية ذاتها، فقد كانت هناك مجموعات ألمانية وأوروبية تصرح بتشهي أفرادها الأطفال، وكانت الحضارة الغربية متسامحة معها في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي.

كما أن هناك فارقا واضحا في انتشار التشهي بين النوعين: فالذكور أصحاب النصيب الوافر في تشهي الأطفال، لطبع عام فيهم وهو تشهي الأصغر سنا. بينما النساء طبعهن العام الميل للارتباط بشريك أكبر سنا، واللواتي لديهن ميول نحو تشهي الأطفال ندرة.

إن سيتو يتحدث عن تركيب سيكولوجي مختلف لمتشهي الأطفال؛ ويعتبرها ميولا جنسية في إطار جديد لم يعتد العلماء النظر إليه، وهو الإطار العمري /الكرونوفيليا، وعلاجها أمر صعب جدا. إذن ما الذي سيفيد إن اعترفنا بتلك الميول؟ سيكون علينا وقتها تقديم علاج نفسي مختلف لمتشهي الأطفال؛ فبدلا من أن نحاول تغيير ميوله، وهذا يكاد يكون محالا؛ سنحاول تعليمه (مهارات التحكم) في ميوله تلك.

ثم يناقش سيتو التبعات القانونية والحقوقية الضخمة التي ستلي ذلك: فعلى الرغم من رفض سيتو لإباحة تشهي الأطفال، وتأكيده أن المجتمع لن يطبعه في الوقت الحاضر، وأن القانون لن يقبله لأنه علاقة بين طرفين غير متكافئين في الإمكانات العقلية والاستقلالية في اتخاذ القرارات = إلا أن اعترافنا بأن سيكولوجية أولئك

مختلفة عنا فطريا، سينتج عنه احترامهم ورفض تشويههم بالخطابات المعادية مجتمعيا. أولئك أناس لهم ميول لا ذنب لهم فيها، وعلينا احترامهم واحترام معاناتهم من عدم إمكان تنفيذها وتحرير أنفسهم! يقول سيتو بأنه وإن رفض تشهي الأطفال إلا أنه ليس من شأنه إطلاقا رفض الحركات التي تدافع عنه! كما أن نقاش ذاك التشهي مفيد للمجتمع؛ فهو مثلا ينظر إلى تلك العلاقات باعتبارها استغلالا للأطفال = أيعني ذلك أنه سيتسامح معها إن ثبت أن لا استغلال أو إجرام فيها؟!

إلى هنا ينتهي نقاش سيتو.. بالوصول إلى ذات المعضلات القانونية والحقوقية التي جابهتها الحركة اللوطية في منتصف القرن الماضي: تلك ميولنا لا ذنب لنا فيها، و نحن قلة مظلومة مضطهدة، وعلى المجتمع أن يحترم ميولنا وإن رفضها، وعلى الخطاب الحقوقي تضمين خطاب خاص بنا يدعو لتجريم تشويهنا والتحريض ضدنا!

هاكم الأدلة البيولوجية، والسوسيولوجية، والسيكولوجية = على أن تلك الميول مستقرة في النفوس، بالجبلة أو بالتربية، ويصعب تغييرها. وبنفس منطق الاستدلالات اللوطية التي رأيناها على مدار الفصل. لكنهم في اللوطية يدعون الإنسان إلى أخذ راحته ويدمرون كل حرف يقيده. وفي تشهي الأطفال يدعون لتعليمه (التحكم) في مشاعره وميوله، وتشويهه وتجريمه وعقابه إن عالن بها وفاخر!

وأنا أكتب هذا وأعلم أننا ربما في الدليل التشخيصي والإحصائي الثامن DSM ٨،

سنجد أساطين العلاج النفسي في العالم قد حذفوا البيدوفيليا من فصل البارافيليا تماما! ولعلهم يحذفون المازوخية والسادية وما إلى ذلك من ممارسات جنسية شاذة تشيع يوما تلو الآخر! وحينها سيبدو استدلالي بهذا القسم كله غير مفهوم! فلعل

قارئ المستقبل يحتاج أن أذكره بالآتي: نحن في عصر ما زال يحرم ويُجرِّم تشهي الأطفال!



عاليها سافلها

الفصل الخامس: خلقُ إنسانِ الإنسان

أما وقد اجتمع لديك قدر كافٍ من المعارف عن قضيتنا، وثقفت اللوطية يمنةً ويسرةً، وخبرت نقاشاتها أعلاها وأسفلها؛ فليس باقٍ لنا إلا رؤية كيف يُطبَّق ذاك كله في حاضرنا الأتعس.

وقد تشعر أن هذا الفصل الأخير، واسع كبحر بلا ساحل، متشعب القضايا والأفكار أشعثها؛ غير أني أرجو منه أن يكون في نهايته واحة ريحان، يلجأ إليها المسلم لفهم الواقع المعاصر على خير وجه.

وعلة كتابة هذا الفصل الأولى، كانت صعود نبرة التشجيع على الهجرة إلى الغرب في الأعوام الأخيرة، والصمت - عمدا في كثير من الأحيان - عن حال تلك المجتمعات، وقد بُحَّت أصواتنا في الحديث المرة تلو الأخرى عن الفارق بين المجتمع المسلم - على كل ما فيه حاليا من علمنة - والمجتمع الغربي المعاصر؛ فكلما تحدثنا قيل لنا: ألا ترون مجتمعاتنا؟ أليست اللوطية موجودة فيها؟ أليس ديننا منهارا مدمرا؟ إن البقاء في المجتمع الغربي الأكثر تنظيما ونظافةً وحفظًا لكرامتي وتوفيرا لحياة أعلى رفاهيةً هو أفضل ما أقدمه لنفسي ولأولادي.

ولا يعلم المسكين القائل إنه يُحدد بالضبط أسباب تحذيرنا من الذهاب إلى الغرب! إن التحذير قائم لا لمجرد انتشار اللوطية في الغرب - وإن كانت كافية - بل لأنه (مُنظم وجميل ويوفر متع الحياة الدنيا بسهولة)! إن تنظيم الغرب للوطية في مجتمعه، ونظره بشهوانية إلى أولادك وأحفادك غير آبهٍ بك، وحرصه على تدليلهم والإزراء بمجتمعاتهم الأصلية = هو عين الكارثة!

نعم الغرب منظم جدا، لديه خطط طويلة الأمد لتغريب أولادك للأبد، بعصا القوانين والتعليم وجزرة الثقافة والحياة الكريمة مُقارنةً بواقع المسلمين! وأنت سعيد بهذا!!

دولة الغرب عند التحقيق هي مظهر آخر للشمولية، لكن لليبرالية نمطها الشمولي كما للشيوعية نمطها الشمولي! وهذا الفصل كله شرح لمعنى أن تكون الدولة الغربية مناصرة للوطية، وكيف أن هذا من البلايا التي لا يمكن دفعها! إذا كنا ندفعها بصعوبة ونحن في مجتمعاتنا المسلمة؛ فكيف ندفعها ونحن في قلب العاصفة؟ وخير لي أن أعيش في دولة عاجزة لا نظام فيها، فاشلة لا تنجح في أي مخطط تربوي طويل الأمد، على أن أعيش في أنجح الدول الغربية في التخطيط التربوي، إذ أن الثانية إذا أرادت صنعت، وإذا محت أفلحت، وإذا رقَّشت ثبت الرسم في المُرقَّش، وانعقد عليه فؤاده إلى الممات! أما الأولى فأقل ما يَزينُها أنها لا تُنازعك سلطان غرس الدين، وسقايته الدائمة بالعناية والمتابعة والرعاية، فلا خطة لها، ولا نظم فيها، وهذا في مثل هذا، خير جزيل! وبعض الشر أهون من بعض!

وقد ظهر في الاستبيان، في إجابة سؤال ما إذا كان تبني الغرب للوطية وحقوقها يؤثر في قرارك بالهجرة إليه، انتشار الانحطاط النفسي في الإسلاميين والعوام في تلك القضية، فقد أجاب ٤٣٪ من الإسلاميين فقط بأنه سيؤثر، وأجاب بالشك (ربما) ٢٧٪، بينما حسم ٣٠٪ قرارهم (لا) لن يؤثر! سيهاجرون إليه رغم نشره اللوطية! بينما كانت نسب العوام أفدح: فقد أجاب بنعم سيؤثر ٢٠٪ فقط، وقال ٢٢٪ أنه (ربما) يؤثر، بينما أكد ٥٨٪ أنه لن يؤثر في قرارهم! سيهاجرون!

وهذه النسب ملائمة جدا لما نراه من هجوم شامل كلما تحدث أينا عن مخاطر الهجرة إلى الغرب بسبب تلك القضية؛ فالجميع لديه مجموعة من القوالب التي

تؤكد عند فحصها أن أكثر أولئك لديهم خلل نفسي، أو أزمة، تجعلهم يجادلون دفاعا عن الغرب، بإدخاله في مقارنات دائمة مع واقعهم! وكما قلت: ما يُقدمونه من حجاج يثبت كلامنا ولا ينفيه! هو منظم لذا هو كارثة.. هو جميل براق لذا هو داهية.. نحن مفككون ودولنا فاشلة لذا فرص نجاح الأسر في تشكيل أولادها بثقافة مخالفة للسائد أكبر وأنجح!

أما كلام المهاجرين، فوالله ما زادنا إلا إيمانا بحجم البلية! يدافعون عن الغرب وقيمه ويؤكدون أنهم سعداء وأن أولادهم باقون، حتى وصل - وأيم الله - حال البعض منهم، إلى الدفاع عن حق الغربيين في خطف أولاد المسلمين في السويد، حينما تحدثت عن ذلك على مواقع التواصل!

وأنا لا أوجه كلامي لأولئك المهاجرين، الذين يقولون في كل مرة (أنتم تبالغون وتعممون.. نحن هنا أنجح في إنشاء أولادنا على الإسلام منكم)؛ فهم ميؤوس منهم، لن يستفيق أحدهم إلا وابنه مركوب في غرفة نومه، أو إبلاغ ابنته إياه أنها قررت تغيير اسمها إلى (عبد المتجلي)!

ولا أوجه كلامي للمهاجر القسري، المطارد من طواغيت بلادنا، ولا للمسافر للدراسة المؤقتة لأعوام قليلة، وإن كانوا على خطر = بل كلامي للمهاجر الإرادي بغرض الاستقرار لسنوات طويلة كافية لتنشئة أولاده في هذا المجتمع.

وكذلك أوجه كلامي لكافة المسلمين، كي يتبينوا أي غيهب هوى فيه عالمنا كله، محليا وإقليميا وعالميا، وإن كانت الأعماق مختلفة! فالسقوط في بئر تطلع فيه السماء، ليس كالسقوط في هاوية بلا قرار، لا تبصر فيها يدك!

وكي يعلموا كذلك أن رسول الله حينما تبرأ من المقيم بين ظهراني المشركين، لم يكن يتكلم عن حادث تاريخي كما يجادل المغفلون؛ بل عن قاعدة إنسانية عامة، لم يتجسد مصداقها في زمان كزماننا هذا!

وسأستعمل في القسم الأول من هذا الفصل مقاربة الضبط الاجتماعي لنظم وجمع أكثر دقائق تلك الفسيفساء الهائلة المكوِّنة لواقعنا، فأبدأ بتوضيح ماهيته أولا، ثم تتلوه قضايانا أرسالا متتابعات. ثم في القسم الثاني أتحدث عن الاضطراب المجتمعي الناتج من قضية اللوطية، وأثره علينا هنا في عالمنا الإسلامي.

وما أوده من استخدام مقاربة الضبط تحديدا في أكثر هذا الفصل، الاستدلال على رأي لي في حكمة الله من شكل عذابه لقوم لوط، والله وحده أعلم بصحته: وهو أن هؤلاء الناس لما قلبوا النظم الكوني، وصار منتكسو الفطر هم أصحاب المعيار القيمي المجتمعي للتصويب والتخطئة، وأصحاب الفطر السليمة هم الشواذ؛ حتى عُدت الطهارة مستحقة للطرد = عوقبوا بجنس ما فعلوا؛ فقلب الله عليهم مدائنهم، وصار عاليها، نظير معيار القوم المجرمين، هو سافلها! فكاد الله بهم عقابا ماديا مكافئا لما صنعوه بأيديهم مجتمعيا!

فاللهم نجنا، وسلمنا، واحفظ المسلمين من سيادة القوم المجرمين.

القسم الأول: الضبط الاجتماعي

مفهوم الضبط الاجتماعي.

يُعرَّف الضبط الاجتماعي بأنه كافة العمليات الاجتماعية، المخططة أو غير المخططة، التي تُحدد أنماط السلوك المقبول في ثقافة معيَّنة، والذي قد يكون مُجسَّدا في معايير أو مؤسسات أو حتى مجرد عمليات اجتماعيَّة عامة مثل التقليد والتنافس والمدافعة (١٩٤).

ويعرفه ستانلي كوهِن بأنه الطرق المنظمة التي يستجيب بها المجتمع للأشخاص والسلوكيَّات الانحرافية(١٩٥)، بينما يُعرِّفه فيريول بأنه كل ما يُقنِّن قدرا من الممارسات والأفعال التي ينبغي علينا الالتزام بها في ظروف معيَّنة (١٩٦).

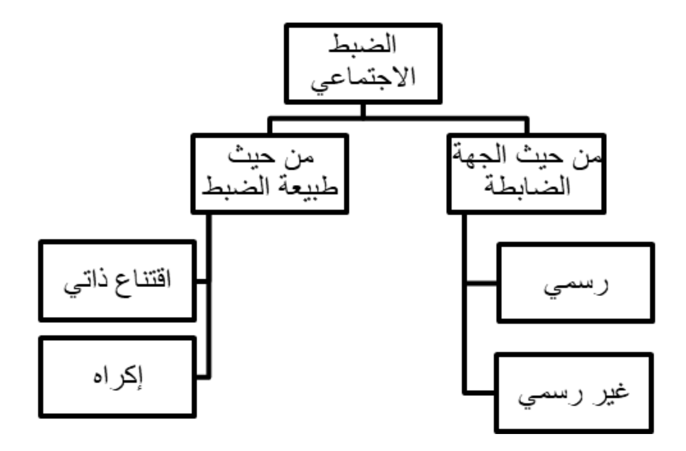
فالضبط الاجتماعي هو مجموع القيم والمعايير المجتمعية سواء الدينية أو الثقافية أو الأيدولوجيَّة التي تُكوِّن سلوكيات وتصرفات مجتمع معيّن، وتضبطه حاكمةً، والتي تُعرِّف المنحرف أو المجرم بأنه الإنسان الذي يخرق ذاك الضبط بانتهاك تلك القيم والمعايير.

ويتعلق بالضبط مفهوم التنشئة الاجتماعيَّة، وهي الأداة العمليّة التي تضبط الأفراد أثناء مراحل النمو جاعلةً إياهم أعضاءً في المجتمع أو الجماعة ذوي دور اجتماعي يتوقّع منه سلوكيات متعارف عليها، وذلك بتعليمهم أنماط التصرف والتفكير السائدة في محيطهم ودمجها بشخصيتهم (١٩٦)، لذلك يهتم الاجتماعي في بحثه

عن التنشئة الاجتماعيَّة بتتبع تأثير كل من العائلة والمدرسة والمؤسسات الدينية والرسمية كافةً في تكوين الشخصيّة المجتمعية وسلوكياتها ‹٩٩›.

وينقسم الضبط الاجتماعي إلى نوعين **من حيث الجهة الضابطة**: رسمي وغير رسمي، ولكل منهما وسيلتان: إيجابية وسلبية. الإيجابيَّة الرسمية تكون بالحوافز والمكافآت والمناصب الرسمية، وغير الرسمية تكون بالحصول على التقدير والثناء المجتمعي. أما الوسيلة السلبية الرسمية فتكون بقوانين العقوبات والحرمان من المناصب، وغير الرسمية بالسخرية والنبذ المجتمعي.
كما ينقسم كذلك من حيث طبيعة الضبط إلى قسمين: ضبط إيجابي وسلبي، الإيجابي ينبع من الفرد ذاته، بلا إكراه، وذاك لا يكون إلا عن إيمان بعقيدة أو طمعا في مصلحة، أما السلبي فلا يكون إلا بالإكراه والخوف من العقاب (١٩٧).

ولتيسير التعريفات السابقة، سنصوِّر الأمر في الشكل التالي:



ونهدف في فصلنا هذا إلى بيان كيف ضبط العالم الليبرالي مجتمعاته على تطبيع اللوطيَّة، وكيف نشَّأ عليها أجياله المعاصرة.

أولا: الضبط الاجتماعي الرسمي.

من حيث قوة التأثير، يمكن تقسيم الجهات الرسمية الضابطة في المجتمع الغربي إلى: المؤسسة السياسية، والمؤسسة التشريعية، والمؤسسة التعليمية. وسنتناول أدوارهم بالترتيب.

1) الضبط السياسي.

أ: السياسة الداخلية.

تمارس المؤسسة السياسية ضبطا إيجابيًّا بالربط بين مفهوم التعددية السياسية، وصورتها المجتمعية، ومدى قبول الآخر، والليبرالية كمظلة جامعة = وبين تبني القضية اللوطية.

في الولايات المتحدة مثلا، يُفاخر أوباما بأنه موطِّد اللوطيَّة سياسيا وتشريعيا، ودائما ما يمدح الحزب الديمقراطي نفسه بعلو كعبه في دعم اللوطيين مقارنة بالجمهوريين، ولا تكاد تجد تصريحا علنيا من سياسي أمريكي مشهور وطموح يستطيع تناول تلك القضية من منظور مفرط في المعاداة!

وقد كان أوباما ممن أذاعوا قديما رفضهم الزواج بين اللوطيين لمخالفته المسيحية، ثم بدَّل وتراجع منذ كتابته مذكراته التي نشرها قبل رئاسته الأولى ليؤكد أنه ما إن علم بغضب امرأة لوطية ومعاناتها نفسيا من موقفه السالف؛ حتى قرر

مراجعة معتقده كيما يلائم المجتمع التعددي ‹١٩٨›؛ وقد مرت الأيام وصار الملعون

مشغولا باللوطية أثناء رئاسته، وأصبح القائد السياسي الأكبر في تاريخ تشريعها إلى اليوم!

بل إن الحزب الجمهوري نفسه، ملتقى اليمينيين والحركات المحافظة، تنتشر فيه موجة لتبني حقوق اللوطيين يوما تلو الآخر؛ مثلما حدث مؤخرا من توقيع كريس سنونو، الحاكم الجمهوري لنيوهامبشير، على قانون يقضي بتجريم استنكار اللوطيين وتشويههم(١٩٩). ويسير الجمهوريون في مسار متعرج نحو الالتقاء مع الديمقراطيين في السماح باللوطيَّة(٢٠٠) وإن كان المزاج الرافض سارٍ فيه، ولعله الأغلب، خاصةً مع الحالة الترامبيَّة المعاصرة؛ لكن حتى ترامب الذي يعتبره اللوطيون عدوًا، نشر على صفحته في منتصف ٢٠١٩ يهنئ اللوطيين بعيدهم، شهر الفخر Pride month؛ ويطمئنهم بسعيه في شن حمله عالمية لمنع اضطهادهم! وموقفه مشابه لموقف الجمهوريين في الاضطراب: فهو يُعلن حبوره بهم، ودعمهم، لكنه يعرقل بعض تشريعات تمكينهم(٢٠١). وسواءً كان يصنع ذلك إيمانا أو مناورةً، فموقفه كافٍ لبيان حجم التمكن اللوطي من العقلية السياسية والمجتمعية الغربية حاليا.

أما في بريطانيا، فإن الأحزاب الرئيسية تمتلك مجموعات رسمية تابعة للوطيين، مثل مجموعة لوطيين+ محافظين LGBT Conservative التي تمثل جماعة

اللوطيين في حزب المحافظين، والتي لم ترحم نائبا سياسيا شذ عن القاعدة وعارض

اعتبار خِناث اللوطيين نساءً (٢٠٢) = فأهانته وأقذعت بما لم تعتذر عنه، إذ وجب إيداع

رسالة الإرهاب كاملة: أننا نراقبكم يا رجال الحزب، إننا بداخلكم وأول المُقوِّمين إن جرؤتم على مسِّ حقوق اللاطة!

فإن كان هذا حال المحافظين، فليس من الغريب إذن أن نجد نفس الحال مع حزب الديمقراطيين الليبراليين LGBT Liberal Democrats الذي يعلن أن هدفه

نشر الثقافة اللوطية ودعمها داخل الحزب وخارجه (٢٠٣). وكذلك الأمر في حزب

العمال (٢٠٤).

إن المنظومة السياسية الغربية حاليا تميل لدعم وتعزيز صعود مناصري حقوق اللوطيين، ممارسةً للضبط الإيجابي بتلك الصورة، كما تجابه السياسيين الرافضين للوطيَّة كليّةً أو حتى بعض صورها (مثل رفض حقوق الخِناث) وترهبهم وتشن عليهم حملات تحذير وتخويف تارةً للمجتمع وتارةً لمارقي الحزب نفسه /إضافة لوصول اللوطيين إلى مناصب كبرى ونافذة بداخل المؤسسات الرسمية،

مثل غويدو فيسترفيله وزير الخارجية الألماني السابق في حكومة ميركل(٢٠٥)الذي

أعلن زواجه من رجل آخر أثناء وزارته (٢٠٦)، ومثل الأيسلندية جوانا سيجور التي

كانت أول امرأة لوطية تتولى منصب رئاسة الوزراء في العالم(٢٠٧) والتي تلاها بعد

ذلك رئيس وزراء لكسمبورج الحالي اللوطي زافييه بيتل(٢٠٨).

إن الضبط الاجتماعي السياسي يجتهد لا لمجرد تحييد أكثر الاتجاهات اشمئزازا من اللوطية فحسب، بل لجلب دعمها! ودونك مارين لو بن السياسية الفرنسية اليمينية المتطرفة، وتيريزا ماي رئيسة الوزراء الإنجليزية السابقة: فكم جاءتا بأقوال وأفعال ترفض اللوطيَّة وتعارض تشريعها؛ ثم كيف صار الحال مؤخرا؟
أما لو بن، فهي التي كانت تستعلن استهداف القضاء على نقاشات الزواج اللوطي من

فرنسا(٢٠٩) ، وأما ماي؛ فهي التي رفضت تشريع زواج اللوطيين وحقوقهم في

بريطانيا قبلا ، ومع ذلك، فإنهما ازدادتا انضباطا في النهاية = إذ تحالفت مارين لو بن مع سباستيان شينو، الناشط الفرنسي في مجال حقوق اللوطيين وأحد المؤسسين لحزب GayLib اللوطي السياسي الفرنسي، ووقفت بجواره في رسالة واضحة عن تحالفها معهم لا مجرد اعترافها بهم، بينما قالت الثانية مؤخرا، وبعد تاريخها الكبير

في معاداة اللوطية: أنا حليفة أي شخص يعرف نفسه بأنه لوطي LGBT (٢١٠).

وبالرغم من استمرار رفض لو بن لزواج اللوطيين وبررت ذلك بمبررات سخيفة تحاول ترضيتهم وترضية أنصارها؛ إلا أنها لم تتوقف عن مغازلتهم في انتخاباتها

الرئاسية الأخيرة، قائلة إنها ستحميهم مع حزبها من عنف الإسلاميين(٢١١).

ولا يقتصر ضبط المجتمع السياسي على أوروبا وحدها، بل يتمدد بمحاولات مستمرة لضبط العالم كافةً ترهيبا وترغيبا، كما سنعرض في القسم التالي؛ ومثاله ما صنع أعضاء منظمة الأمن والتعاون الأوروبي، وعلى رأسهم إنجلترا وفرنسا وألمانيا إضافة لأمريكا وكندا من إعلانهم مؤخرا ما أطلقوا عليه (ميكانيزم فيينا): وهو جمع من الاعتراضات والمساءلات قُدِّمت إلى روسيا عن انتهاكات حقوق اللوطيين في جمهورية الشيشان التي يُشرِفُ عليها العميل الروسي قاديروف،

والمعروف بعدائه للوطية (٢١٢).

ب: السياسة العالمية.

في منتصف عام ٢٠١٧ جذبت أنظار العالم والصحافة، صورة تجمع زوجات زعماء

الناتو اللواتي اجتمعن معا في لقاء خاص ببروكسل على هامش اجتماع قادة الحلف الغربيين، إضافةً إلى (أمينة إردوغان) زوجة الرئيس التركي.
كان بين (الزوجات) رجل، دُعي عمدا، كنموذج (لعالم جديد) بمعايير جديدة، هو

جوثير ديستيناي (زوج) رئيس وزراء لوكسمبورج زافييه بيتل اللوطي (٢١٣).

لم تُفهَم الصورة للوهلة الأولى عند الكثيرين في العالم الإسلامي تحديدا، ولكن عندما شُرِح الأمر دُهش المسلمون: إذ كيف قبلت زوجة زعيم مسلم مُحجّبة هذا الموقف وأخذت الصور التذكارية مع لوطي؟
تينك الدهشة أثارت العديد من التساؤلات التي تداعت على الأذهان وتزاحمت، لتظهر مشكلة جديدة للعالم الإسلامي، من الجهة السياسية الدولية والقانونية،

كانت تلك الصورة مجرد بداية لها: مشكلة اللوطية من الجهة السياسية والقانونية والتشريعية والدولية.

وسبب تلك الصدمة، أننا إلى الوقت الحالي لا نكاد نجد استكشافا للأبعاد السياسية الحالية والمتوقعة لانتصار اللوطية وانتقالها لرأس قضايا حقوق الإنسان في العالم الغربي، وتداعيات ذلك على العالم الإسلامي من جهة القوانين الدولية، والمنظمات العالمية والإقليمية. وهي تداعيات لن يُسمح بتفاديها أو القفز عليها، إلا بأثمان فائقة، وفي حالات محدودة.

فعلى سبيل المثال، قدمت أنا نفسي بحثا عن اللوطية كمشكلة سياسية إلى أستاذة مادة المشكلات السياسية بمطلع ٢٠١٨، وبعد الامتحانات ذهبت إليها وسألتها عن رأيها فيه، فقالت باستهتار: لم أقرؤه؛ ما علاقة اللوطية بالسياسة الدولية؟! فسألتها مصدوما: ألم تطلعي عليه ولو من باب الفضول العلمي؟ قالت بحزم: لا! لم أفتحه أصلا! لا علاقة لهذا بالسياسة الدولية! ورفضت إعطائي درجته رغم أني شرحت لها الأمر وحجم التبعات المنتظرة، ما جعلها ترتبك قليلا عندما أدركت أنني لم أعبث! لكنها حزمت أمرها وكررت بنفس التعصب: لا! هذا غير متعلق بالسياسة الدولية! فآثرت عدم الجدل وابتسمت هازئا ومضيت إلى سبيلي، وخُفِّضت رتبتي عندها من امتياز إلى جيد جدا برفضها اعتماد هذا البحث، لكن على أي حال لم يكن يجب أن أنتظر غير هذا!

ولم يمض أكثر من عام واحد، قبل أن تشهد مصر، في إحدى المؤتمرات الدولية المعقودة بها في شرم الشيخ، مفاخرة زافييه بيتل باللوطية في كلمته، وتحديه للحضور بأنه سيناقشها في ثنايا حقوق الإنسان، ولمز المسلمين والعرب متحديا، وقد صُدِم السياسيون المصريون والعرب الحاضرون، لكنهم خرسوا (٢١٤)، وقد تجلى

اضطرابهم وصدمتهم وعجزهم عن الرد على ما جرى، لأنهم لا يفقهون ما علاقة قضية اللوطية بالسياسة الدولية؟! إن العلاقات الدولية عند هؤلاء، كما عند السالف ذكرها، ليست إلا المذكرات التي تلقوها في كتب عشرة دُرِست بالكلية، لا أكثر؛ فإن تحدث أحد عن أبعاد أخرى مستحدثة؛ كان نصيبه الزجر!

وأحد أهم أسباب ذلك الدمج بين اللوطية والسياسة الدولية، هو تسللها إلى مناقشات القانون الدولي بالعقد الأخير، في مراحل نستعرضها، لكن بعد التعريف أولا بماهية هذا القانون.

أولا: القانون الدولي.

يُعرَّف القانون الدولي باتجاهين كبيرين: مُوسَّع ومُضيَّق، نأخذ منه الموسع الذي يعتبره مجموعة القوانين الحاكمة للعلاقات القانونية بين الأمم، وكذلك سلوك الأمم والمنظمات الدولية (٢١٥).

وأهم صفة من صفات القانون الدولي هي (عالميته)، بمعنى أنه لا يجوز ادعاء حصره على إقليم معين أو دولة محددة، كحيلة تهرب منه؛ بل يجب الالتزام به في أي مكان ومن كافة الشخوص القانونية الدولية، سواء الدول أو المنظمات الحكومية أو غير الحكومية.

وهناك عدة نظريات لاكتساب القانون الدولي قوة إلزامه، جاءت تبعا لمذهبين قانونيين: المذهب الإرادي الذي يزعم أن قوة إلزام القانون لم تأت إلا نتيجة رضى الدول واجتماعها على الالتزام بأحكامه، والمذهب الموضوعي الذي يزعم أن القانون الدولي يُلتزم به لا لإرادة الدول المُعرّضة للتغير والانقلاب، بل لوجوب التزام أي جماعة بقانون نظامي يحكمها ويضبطها، والجماعة الدولية ليست استثناءً.

وقد حددت محكمة العدل الدولية مصادر القانون الدولي الثلاثة الرئيسية، وهي: الاتفاقات والمعاهدات الدولية العامة والخاصة، والأعراف الدولية العامة والخاصة المعتبرة المتواترة، ومبادئ القانون العامة التي أقرتها الأمم المتمدينة (والتي هي - بطبيعة الحال- الأمم الغربية).

ثم مصدر رابع احتياطي لقواعد القانون: وهو أحكام المحاكم ومذاهب كبار المؤلفين في القانون العام لمختلف الأمم (٢١٥).

وسأركز هنا على المصدر الأول، وهو أقوى المصادر في الإلزام الدولي، لأن نصوصه تكون واضحة وحاصلة على شبه إجماع في أكثر الحالات.

ثانيا: النصوص الكبرى.

قبل استعراض نصوص أهم المعاهدات والاتفاقات الدولية والإقليمية التي تدعم اللوطية وتواريخها، نُعرِّف المعاهدات الدولية بأنها اتفاق رضائي مكتوب بين اثنين أو أكثر من أشخاص القانون الدولي، يحوي قواعد سلوك، يقصد الأطراف الالتزام بها وفقا لقواعد القانون الدولي، ولا يلزم أن يحصر المعاهدة اسم واحد أو مجموعة من صفات محددة، فقد تكون صورة اتفاقية أو بروتوكول أو تبادل خطابات أو مذكرات (٢١٥).

ويرجع تاريخ أول المناقشات الدولية الرسمية المتعلقة بالمسألة اللوطية، إلى عام ١٩٩٥، أثناء مؤتمر بكين للاجتماع العالمي المتعلق بالنساء World Conference on Women، حيث كان خطاب Beverley Palesa Ditsie أهم أحداث ذلك المؤتمر في مسار تاريخ تلك القضية، وديتسي هي لوطية جنوب أفريقية شهيرة دعت

الأمم المتحدة في خطابها إلى تشريع قوانين دولية تؤكد على التنوع الجنسي، وعدم حصر الهوية الجنسية في نوعين.

كان هذا حدثا فريدا غير مسبوق في تاريخ الأمم المتحدة؛ حتى إن لم يتم صياغة مطالبها في الوثائق الرسمية النهائية للمؤتمر.

وفي عام ٢٠٠٣ ظهرت (المُعالجة البرازيلية Brazilian resolution) وهي وثيقة قُدِّمت من دولة البرازيل إلى مجلس الشؤون الاقتصادية والاجتماعية بالأمم المتحدة، تقترح مجموعة من النصوص المتعلقة بالتوجهات الجنسية على مستوى العالم، وقد حظيت بدعم حوالي ٢٠ دولة، على رأسهم عمالقة العالم الغربي وأوروبا: ألمانيا وإنجلترا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا مع دول أخرى مثل البرتغال والسويد والنمسا واليونان والبرازيل وأيرلندا وكندا والتشيك. في حين عارضها الفاتيكان ومنظمة التعاون الإسلامي ومجموعة أخرى من الدول(٢١٦).

وقد حوت تلك الوثيقة ما يلزم استعراض بعضه، باعتباره من أوائل النصوص الدولية في الأمم المتحدة المتعلقة بالمشكلة اللوطية، وهي نصوص تؤكد على الآتي:

١. القلق الكبير الظاهر من حوادث الاعتداء على حقوق الإنسان ضد الأشخاص، بناء على توجهاتهم الجنسية.

٢. التأكيد على أن حقوق الإنسان والحريات الأساسية، هي حقوق طبيعية لكافة المخلوقات البشرية، وأن الطبيعة العالمية لتلك الحقوق والحريات غير قابلة

للجدل والنقاش. والتمتع بتلك الحقوق والحريات لا يمكن أن يعرقله أي عائق على أساس التوجهات الجنسية.

٣. دعوة كافة الدول لتعزيز وحماية حقوق الإنسان لكل الأشخاص بغض النظر عن توجهاتهم الجنسية.

٤. مطالبة المفوض الأعلى لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة بالتنبه لاختراقات

حقوق الإنسان بناءً على التوجهات الجنسية(٢١٦).

كانت تلك أهم نقاط الوثيقة التي ستُناقش باستفاضة في الأمم المتحدة بعد ذلك في الاجتماع العام، وستكون بنودها من أسس المناقشات الحقوقية المتعلقة بالمشكلة اللوطية فيما بعد.

ونلاحظ الآتي في تلك المعالجة البرازيلية:

أولا: أنها تؤكد على فكرة الاعتراف (بالتنوع الجنسي) الذي قالت به بيفرلي باليسا

في مؤتمر بكين ٩٥، والذي كان محور الحركة اللوطية منذ زمن؛ فالدول التي

تعتمد أن الإنسان إما أن يكون ذكرا أو أنثى فقط، والزواج ليس له إلا صورة واحدة حصرية بين النوعين، تنكر -بمفهوم المخالفة- التنوع الجنسي بكل صوره وتنكر اللوطية الجندرية تماما = والحل البرازيلي يطلب ضرورة الاعتراف بهذا التنوع باحترام (التوجهات الجنسية) للأفراد.

فتوجه الفرد في تعريف هويته جنسيا إما يكون ذكرا أو أنثى أو خنثا أو مترجلة، وقد يكون توجه ممارسته الجنسية إما طبيعية أو لوطية.

والجانب الأول من (التوجهات الجنسية) سيظهر بصورة واضحة في عام ٢٠٠٦ وسيُحتفى به، مما يرجِّح أن المقصود بالتوجهات الجنسية Sexual Orientation في تلك الوثيقة هو الجانب الثاني فقط المتعلق بالممارسة لا بالهوية الذاتية للفرد.

ثانيا: ضم حق اللوطية إلى الحقوق الطبيعية العالمية الكونية التي تكتسب بالولادة، وعليه يلزم الاعتراف باللوطية في قائمة حقوق الإنسان الرئيسية الكبرى التي صدرت في الإعلان الحقوقي الأول للأمم المتحدة = وبالتالي يكون أي اعتداء على اللوطية كنظرية أو اللوطيين كأفراد هو اعتداء يماثل تماما الاعتداء على الأعراق والأجناس المختلفة أو الاعتداء على حق الإنسان في الحياة، يدخل في نطاق الجريمة العالمية التي لا يجوز الجدل فيها.

ثالثا: وبناءً على ذلك يأتي التصرف المطلوب من الأمم المتحدة، وهو مطالبة كافة دول العالم باحترام اللوطية والاعتراف بها، ومطالبة أجهزة الأمم المتحدة بملاحقة الدول والمنظمات والمؤسسات التي تنكر ذلك الحق وتعتدي عليه وعلى اللوطيين وإدانة تصرفاتها ودعوتها لتعديل تشريعاتها وقوانينها كي تحترم حق اللوطية الإنساني.

كانت هذه الوثيقة بمثابة الضربة الأولى، ولم تمض أكثر من ثلاثة سنوات قبل أن تقوم النرويج بتقديم وثيقة أخرى مشابهة إلى الأمم المتحدة نيابةً عن ٥٤ دولة منهم الولايات المتحدة والمكسيك والبوسنة والهرسك وألبانيا وصربيا وبولندا وأوروجواي وسويسرا وكوريا الجنوبية وشيلي والدنمرك وقبرص والعديد من

الدول الأخرى، وقد حوت تلك الوثيقة (العالمية) التي سميت بالتصريح المشترك، الآتي:

١. حصل مجلس حقوق الإنسان على أدلة دامغة بخروقات حقوقية مبنية على التوجهات الجنسية والهوية الجندرية، أدلة تحتوي على تهديدات لحق الحياة أو حق عدم التعرض للعنف أو التعذيب.

٢. بناء عليه نطالب بلفت انتباه هيئة المعاهدات والمجتمع المدني إلى ضرورة اتخاذ الإجراءات الخاصة = تكاتفا من أجل وقف الخروقات الحقوقية المبنية على الهوية الجندرية والتوجهات الجنسية، متخذين في ذلك كافة الصلاحيات المتعلقة بالموضوع ‹٢١٧›.

وانتهت الوثيقة بمطالبة رئيس مجلس حقوق الإنسان بنقل المناقشات والتشريعات إلى مستوى آخر أعلى من مجرد الاقتراحات والوثائق.

وأول ما نلاحظه ها هنا، أن عدد الدول قد ارتفع في خلال السنوات الثلاث إلى ما يزيد عن الضعف، كما أن تنوع الدول واتساع مساحة تأييد اللوطية خرج عن النطاق الأوروبي (الأغلبية الضخمة في وثيقة المعالجة البرازيلية) إلى النطاق الآسيوي الشرقي والأمريكي الجنوبي وحتى الإسلامي الأوروبي (ألبانيا والبوسنة) مع غياب قارة وحيدة هي أفريقيا.

كما نلاحظ تنوع أسماء الدول وعدم اقتصارها على الأسماء العملاقة، فهناك تيمور الشرقية ومولدوفا ومالطا وجواتيمالا وجمهورية مونتنيجرو ومقدونيا وليتوانيا؛ وبالتأكيد يأتي دخول الولايات المتحدة ليعطي القضية الرسمية منذ ذلك الوقت زخما أكبر.

أما الملاحظة الثانية: فهي تصاعد لهجة الخطاب المنددة بأي رفض للوطية والمطالبة بتجريم تشويه اللوطيين أو التعرض لهم؛ وإن كان تصاعدا أقل في الحدة من وثيقة الأرجنتين القادمة.

والملاحظة الثالثة: أن الهوية النوعية (الهوية الجندرية) للأفراد ذُكِرت صراحةً منفردةً، باعتبارها حقا من حقوق الإنسان الطبيعية، والتي يلزم ألا يعترض عليه أحد أو يسعى في تشويهه، ولعلها المرة الأولى التي يتم فيها ذكر التمييز أو تشويه الصورة Discrimination باعتباره من الأفعال التي يجب الإغلاظ في مواجهتها، وهو -بناء على الأساس الذي تقرر في الوثيقة البرازيلية السابقة- أن اللوطية حق من الحقوق الإنسانية الرئيسية الكبرى التي لا يجب أن تخضع لأي نقاش أو جدال.

خرج -بعد عامين فقط- التصريح المشترك الآخر الذي قدمته الأرجنتين في الأمم المتحدة عام ٢٠٠٨ نيابة عن ٦٦ دولة، نلاحظ في أسمائهم انضمام دول إفريقية للمرة الأولى هي: الرأس الأخضر وجمهورية أفريقيا الوسطى والجابون وغينيا بيساو موريشيوس. كما ارتفع تمثيل أمريكا الجنوبية وشرق آسيا بصورة كبيرة، وانضمت اليابان وإسرائيل إلى القائمة (٢١٨). في حين استمر غياب روسيا والعالم الإسلامي / ما عدا ألبانيا والبوسنة.

وقد ضمن هذا التصريح الحقوقي عدة بنود أخرى فوق البنود السابقة، أبرزها:

- إعادة التأكيد على مبدأ عدم التمييز (عدم التشويه)، الذي يُلزم الاعتراف بأن حقوق الإنسان مستحقة للجميع بصورة متساوية بغض النظر عن التفضيلات الجنسية أو الهوية النوعية، وإعادة التأكيد على القلق العميق من انتهاك هذا المبدأ.

- والتأكيد كذلك على انزعاج الدول الموقعة على هذا البيان من أفعال العنف أو المضايقات أو التشويه أو الاستبعاد أو الوصم أو التحيز الموجهة ضد الأشخاص ذوي التفضيلات الجنسية أو الهويات النوعية المخالفة؛ فهذه الانتهاكات تُقلل من كرامة وتماسك الأشخاص الذين يتعرضون لها.

وفيما يلي بعض البنود الأخرى:

- نُنكر انتهاكات حقوق الإنسان المبنية على التوجهات الجنسية أو الهوية الجندرية أينما حدثت، خاصة استخدام عقوبات الإعدام خارج المنظومات القضائية أو الإعدام التعسفي أو بإجراءات موجزة، واستخدام التعذيب أو كافة المعالجات القاسية غير الإنسانية أو المهينة، والاعتقال التعسفي أو الاحتجاز، أو أي صورة من صور الحرمان من الحقوق الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية أو الصحية.

- ونحث الدول على أخذ كافة التدابير الضرورية، وبشكل خاص التشريعية والإدارية، كيلا تكون التوجهات الجنسية أو الهوية الجندرية موضع عقوبات جنائية، تحت أي ظرف، خاصة الإعدام أو الاعتقال أو الاحتجاز.

- ونحث الدول على ضمان التحقيق في أي انتهاك مبني على أساس التوجهات الجنسية أو الهوية الجندرية، ومحاسبة الجناة وتحويلهم للقضاء.

- ونحث الدول على ضمان الحماية اللازمة للمدافعين عن حقوق الإنسان وإزالة أي عقبات تمنعهم من ممارسة عملهم في حماية التوجهات الجنسية والهويات الجندرية.

تلك كانت أبرز بنود الوثيقة، ولابد من أنك لاحظت الآتي:

أولا: تصاعد عنف الخطاب عن كل ما سبق، والانتقال من كلمات وشعارت عامة إلى مطالب دقيقة في تمكين اللوطيين واللوطية.

ثانيا: بدأ الحديث صراحةً عن وجوب إحداث التعديلات التشريعية والإدارية في الدول وعدم قبول مخالفتها.

ثالثا: المطالبة الفجة بإخراج أي شيء متعلق باللوطية وتنوعاتها من التشريعات الجنائية، ووضع كل من يعادي تلك التوجهات بأي صورة - ولو كلامية فقط - تحت طائلة القانون، أي إحداث انقلاب تشريعي تام من النقيض إلى النقيض.
رابعا: التأكيد على دور جديد يلزم على نشطاء حقوق الإنسان قبوله والعمل من أجله، وهو الدفاع عن حقوق اللوطية واللوطيين والعمل من أجل تمكينهم ومواجهة الحكومات والمنظمات والأفراد دفاعا عنهم.
وقد صاحب تلك الوثيقة انشقاقا كبيرا في الجمعية العامة للأمم المتحدة، حيث رفضتها جامعة الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامي وانتهى النقاش العاصف بتجاهل الجمعية العامة للمؤيدين والمعارضين كليهما، وعدم المضي قدما.

لكن الجهود لن تتوقف، وستتوج في عام ٢٠١١ بوثيقة المعالجة الجنوب أفريقية التي

دعمتها الولايات المتحدة الأمريكية، وقد جاءت كلمة الأمين العام بان كي مون للجمعية العامة للأمم المتحدة قاطعة في بداية النقاشات الرسمية: "إننا نرى نموذجا للعنف والتشويه يوجه إلى أشخاص بغير سبب إلا كونهم لوطيين أو لوطيات أو لوطيين ثنائيين أو خِناث ومترجلات. إن تلك مأساة كبرى لأولئك المتأثرين

ووصمة لضميرنا الجمعي كما أنه خرق للقانون الدولي، ويجب عليكم الرد"(٢١٩).

وقد كتبت المفوضة العليا لحقوق الإنسان حينها نافي بيلاي Navi Pillay تقريرا

تهاجم فيه الدول التي تعاقب على اللوطية، وقد كان عددها ٧٦ دولة من الدول

الأعضاء بالأمم المتحدة البالغ عددهم ١٩٢ دولة. وركزت على إيران وأربع دول

أخرى تعاقب بالقتل على اللوطية (عقوبة الشريعة الإسلامية) باعتبارها النماذج الأكثر تطرفا وفجاجة، وأكدت في التقرير أنه إن تصادمت الثقافة والتقاليد مع حقوق الإنسان، فلابد أن تكون الحقوق هي المُختارة!

لقد حُسِمت القضية منذ عام ٢٠٠٩، حينما نجح أوباما في الانتخابات الأمريكية، إذ سارع خلال سنوات قليلة في إجراءات تعزيز حقوق اللوطية بالولايات المتحدة، كما وعد أنصاره أثناء الانتخابات الأولى(٢٢٠): بدايةً من التعديل التشريعي الذي أحدثه

بضم إهانة اللوطيين إلى القانون الجنائي (جرائم الكراهية) عام ٢٠٠٩ وبمجرد انتخابه الأول، وانتهاء بدفع المحكمة العليا للولايات المتحدة إلى القضاء بصحة زواج اللوطيين في عام ٢٠١٣(٢٢١). لقد كان الاعتراف بالحقوق اللوطية وتجريم المساس بها وعولمة ذلك أحد أهم محاور برنامج عمل أوباما ومن أنجح ما قام به حتى فاخر بجهوده تلك قبيل رحيله من البيت الأبيض نهائيا.

وقد أنارت تلك التقريرات النائرة بالأمم المتحدة بين الدول الإسلامية والإفريقية من جهة، وباقي العالم من جهة أخرى. وهي تصرفات كانت متوقعة لمن عرف نوايا إدارة أوباما، وربما لم تكن جنوب أفريقيا ونافي بيلاي إلا بوق بشكل ما!

لقد ثار مندوب الباكستان نيابة عن منظمة التعاون الإسلامي وهاجم اللوطية، وخرج مع كافة المعارضين من ساحة النقاش عندما انتبهوا إلى الإصرار على أخذ قرار رسمي دولي بتبني اللوطية ودعمها مع تجريم كل ما يمسها، ووصف ما

يحدث بأنه فرض لقيم جديدة، واتهمت مصر نافي بيلاي بأنها تحضُّ على اللوطية بأفعالها (٢٢٢).

وقد حصلت الوثيقة على دعم ٢٣ صوت مقابل ١٩(٢٢٣)، وأصبحت ببنودها الطويلة الكثيرة، التي لا يصعب التنبوء بها بعدما استعرضنا أسلافها، جزءا لا يتجزأ من حقوق الإنسان، بل القضية الحقوقية الأولى طوال العقد الثاني من هذا القرن، وجزءا لا يتجزأ -بالتالي- من القانون الدولي، خاصةً بعد توالي المعاهدات والاتفاقات والقرارات الأممية العالمية التي تزيد من العقوبات على الدول التي تعادي اللوطية، مما تسبب في انخفاض عدد الدول التي تعارضه أو تعاقب عليه رويدا.
ولا أدل على ريادتها للقضايا الحقوقية المعاصرة، من تعيين الأمم المتحدة في عام ٢٠١٦ لمراقب دائم - كلب حراسة Watchdog بتعبير مراسلة الواشنطن بوست (٢٢٤) - وظيفته التحقيق في أي انتهاك لحقوق اللوطيين وإبلاغ الأمم المتحدة لاتخاذ اللازم والتعامل مع حكومات الدول لتعديل تشريعاتها.

وقد حصل اقتراح إيجاد هذا (الكلب!) على دعم ٢٣ دولة في مجلس حقوق الإنسان بالأمم المتحدة، وقادت روسيا معارضة الاقتراح مع بعض الدول الأفريقية ودول التعاون الإسلامي ما عدا ألبانيا - التي رأينا اسمها هي والبوسنة منذ وقت مبكر في

قائمة الداعمين للوطية. ومن الطريف أن جنوب أفريقيا نفسها لم تصوت لصالح

هذا الاقتراح وامتنعت عنه، برغم أنها كانت (صانعة) ثورة ٢٠١١ لصالح اللوطية!

وبسبب هذا التاريخ من محاولات دول التعاون الإسلامي مقاومة تشريعات اللوطية؛ قوبلت كلمة الأمير الأردني زيد بن رعد الحسين بحفاوة، حينما تحدث عن وجوب التزام كافة دول العالم بحقوق اللوطيين، منتقدا كافة الممارسات العدائية بحقهم، وفي المقابل غضب مندوب آل سعود، قائلا بأن اللوطية ضد الشريعة، وأنهم يرفضونها

وعلى زيد بن رعد والمفوضية احترام رغبتهم في أن يعيشوا كما يريدون(٢٢٥)،

ولعلهم لم يأتوا بهذا الكائن في منصبه كمفوض الأمم المتحدة لحقوق الإنسان منذ

٢٠١٤ حتى ٢٠١٨، إلا لصناعة صدام بيني إسلامي-إسلامي يُحرِّك موقف دول

التعاون الصامدة في وجه هذا الإقرار إلى الآن. وقد استعرضنا الاحتمالات المستقبلية في فصل سابق.

بذا نكون قد استعرضنا النصوص القانونية الرئيسية التي يمكن الاستناد إليها حين النزاع.

ولنسأل: ماذا لو ثار نزاع فعلي بين العالم الغربي أو دولة محددة داعمة للوطية وبين دولة أخرى تنفذ أحكام الشريعة في اللوطيين على سبيل المثال والمتدرجة حسب السلوكيات إلى درجة الإعدام؛ ما موقف القانون الدولي في مثل ذلك النزاع؟

الحقيقة أن القانون الدولي سيستند إلى آلاف النصوص وعشرات المعاهدات والأحكام القضائية في (الأمم المتدينة) كلها تصب في اتجاه إدانة الدولة التي تطبق ما يمس اللوطية!

يجب أن ننظر هنا بمنظور المجتمع الغربي للوطيين: فهم عنده أقلية اجتماعية مضطهدة يُمارَس عليها إرهاب وقمع دائم مؤطر قانونا، وبالتالي يدخل أي مساس باللوطية في نطاق السلوكيات العنصرية، ويعتبر أي إعدام للوطيين بمثابة إبادة منظمة! لأقرب الصورة إليك أكثر: أنت نفسك حينما تسمع الأمم المتحدة تدعو الصين لوقف اضطهاد مسلمي الإيغور، تؤيد وتمدح هذه الدعوى، بل تنتقد عقوباتها الرخوة، وتأمل لو وصلت لقصف الصين أو ما هو أشد، لإيقاف هذا الاضطهاد ضد مسلميها = ضع مكان (مسلمي الإيغور) اللوطيين؛ وضع مكان الاضطهاد الإبادة، لتدرك جيدا مشاعر المجتمع الغربي وسبب دعمه المتطرف لتلك القضية!
إن كل التهم الموجودة في الفقرة السابقة أكثر من كافية لتحرك المجتمع الدولي وتجييشه، ولتأسيس قانوني قوي قد يصلح لخرق مبدأ عدم التدخل الذي يعد أحد أهم قواعد القوانين الدولية (٢٢٦).

وكل ذلك نوقش بالفعل في أطر العمل الدولي الحقوقي، فيما وصف بأنه منظور جديد للعلاقات الدولية، حيث يُطالب الحقوقيون المؤسسات الغربية بتفعيل عقوبات ضد الدول التي تضطهد اللوطيين، كما حدث ضد الدول الإسلامية وأوغندا وغيرهم من الدول المتهمة بمعاندة الأجندة الحقوقية الغربية في هذا الموضوع؛ فالليبرالية لم تعد وحدها المطلوب الإذعان إليها؛ بل المطلوب هو الإيمان بليبرالية الشذوذ Queer Liberalism، وفيها تكون قضية اللوطية هي العنوان الجامع لكل قضايا الحقوق الأخرى(٢٢٧)!

2) الضبط التشريعي والقضائي.

لا يتكامل الضبط السياسي إلا بالضبط الرسمي التشريعي والقضائي، وهو ذو مستويين: الأول دولي، ناقشناه في القسم السابق، والثاني محلي أو إقليمي، يختلف من مكان لآخر = غير أن التوجه العالمي حاليا يميل إلى تشريع القوانين التي تمكِّن اللوطيين من الارتباط أو الزواج أو على الأقل التواجد المجتمعي الحر، وهذا هو ضبط إيجابي.

ويتمثل الضبط السلبي في تشريع عقوبات تؤذي معادي اللوطية وكاره اللوطيين تحت عنوان رفض التشويه العنصري أو الجنسي.

لنضرب باليابان مثلا، فاللوطية غير مُجرَّمة عندها، وتأثيمها لم يكُن إلا (بدعة أوروبية) غريبة على اليابانيين، الذين عرفوا اللواط بين جموع مقاتلي الساموراي وبين قطعان الكهنة البوذيين، ووجِد لقرون طويلة دون نكير مجتمعي واسع، مع الحفاظ على كون الأسرة الطبيعية هي الأساس ‹٢٢٨›.

وقد قيل إن أودا نبونجا، القائد الحربي الياباني الشهير، والذي عاش بالقرن السادس عشر، كان على علاقة لوطية برجل آخر ضُرِب بها مثل الوفاء في المجتمع الياباني، الذي لم يعرف تحريم اللوطيَّة، لا دينا ولا عرفا، قبل ورود التشريعات الأوروبية في القرنين الأخيرين ‹٢٢٩›. ولم يتبق للوطيين في العصر الحاضر من حقوق إلا التشريع الرسمي لزواجهم مدنيا، بالرغم من أن (وثائق الشراكة اللوطية) التي تقدمها اليابان للوطيين تماثل الزواج في أكثر الحقوق‹٢٣٠›، إلا أنهم يسعون إلى

ما هو أكثر من ذلك كالمعتاد، وإن هي إلا بضع سنوات نحسات ويصبح الزواج الكامل حقا من حقوق اللوطيين هناك.

فإن ذهبنا إلى الهند، وجدنا زُمرَ المحتفلين تجوب البلاد منذ أشهر، سعادةً بانتصار

اللوطيين، الذين قضت المحكمة الهندية العليا لهم بأن فعلهم ليس جريمة ‹٢٣١›،

وهي الخطوة التي ستتلوها بعد ذلك سلسلة معروفة ومعتادة من الأحكام القضائية والتشريعية التي تضبط المجتمع بوسائلها الإيجابية: تعزيز الشراكة اللوطية والزواج بينهم / والسلبية: تشريع عقوبات رادعة ضد كل من يهاجم اللوطيين أو يضطهدهم!

أما في العالم العربي، فتعتبر تونس أقرب الدول لتشريعات قانونية تبيح اللوطية، وقد تزعمت بشرى بلحاج -رئيسة لجنة الحريات الفردية المكلفة من قبل الرئيس التونسي الهالك السبسي- حملة حقوقية لإلغاء تجريم اللوطية، موصيةً بذلك في المذكرات التي قدمتها لجنتها إلى الرئاسة، رافضة أي دعوة للاستفتاء على تلك

التشريعات المنتظرة قائلة: لا يمكن وضع حقوق الإنسان محل استفتاء(٢٣٢)!

كذلك تسهم المؤسسات التشريعية بتبني اللوطيين للأطفال وتنشئتهم، وقد أوضحت دراسة أمريكية تبني أربعة وتسعين ألف زوج لوطي أمريكي لأطفال صغار

‹٢٣٣› = وهو ما يُضفي صيغة (الأسرة) على الروابط اللوطية، ويُخرِّج أجيالا

جديدة نُشِّأت على أيدي القوم المجرمين، فتكون العلاقة معهم أكبر من مجرد تقبُّل! ستكون القضية مُعتَقَد مختوم في القلوب، بحب الوالدين والولاء لهما!

وقد بدأت آثار فلسفة التشريع تلك تظهر في القضايا، ففي نهاية عام ٢٠١٩، حُكِم في أمريكا على أدولفو مارتينيز، الذي حرق علما للوطيين وجده مرفوعا على الكنيسة، بالسجن ١٥ عاما، بتهمة جريمة كراهية وإتلاف ممتلكات الغير(٢٣٤)!

وفي نفس الوقت، أيدت إحدى المحاكم الإنجليزية قرارا بالفصل التعسفي للباحثة مايا فورستر من عملها، بعدما ذكرت على صفحتها بمواقع التواصل الاجتماعي أن الخِناث ليسوا نساءً حقيقيين، فطُرِدت، ولجأت للقضاء مستندةً إلى القانون الإنجليزي الليبرالي الذي يرفض فصل الموظفين بسبب معتقداتهم، وأثناء الحكم برفض دعواها، قال القاضي أنها مؤيدة للطغيان، ولا تستحق احترام المجتمع الديمقراطي (٢٣٦)(٢٣٥)!

لتحيا الحرية الليبرالية، ولتعلو القيم الديمقراطية!

3) الضبط التعليمي ورقابة الأسر.

المدرسة للأطفال والمراهقين هي المؤسسة الرئيسية للتنشئة الاجتماعية الأولية، بعد الأسرة، في المجتمعات المعاصرة (٢٣٧)؛ بل تفوق أحيانا دور الأسرة ذاتها بوسائل مختلفة.

وتعتبر المؤسسة التعليمية جزءا من عملية أكبر وهي ضبط التنشئة الاجتماعية الرسمية للأطفال، وفيها ينسق التعليم مع المؤسسات الرقابية الاجتماعية المكلفة بالإشراف على الأسر والتحكم فيها.

ومطمع السلطات الحديثة هو (الطفل) الذي لا ينفك التركيز الحكومي الأكبر يتمحور حوله بالقرون الأخيرة، ومظهر ذلك: فرض الرقابة المستمرة عليه وعلى أسرته، لتشكيله خلال نموه بما يجعله (مواطنا صالحا)، وذلك بالتدخل الدؤوب في

شؤون الأسرة لتعديل أي (خطأ) في عملية التنشئة ‹٢٣٨›، والخطأ - بالطبع - هو

كل ما تُحدِّد الحكومة أنه خطأ! مثل اضطهاد اللوطيين أو استقباح فعالهم!
إن الأسرة لم تعد (ذات خصوصية) تمكنها من تنشئة طفلها على قيمها وعقائدها وحدها، وبالأسلوب الذي تختار، بل (فُتحت) لتصبح موضع عمل القوى الاجتماعية! وقد دُشِّن ذلك عبر سلسلة (قضائية وإعلامية) استمرت طوال السبعينيات والثمانينيات، تفضح حالات استغلال الأطفال وضربهم، في البداية، ثم الاعتداء الجنسي عليهم من الأهالي بعد ذلك. وصُنِعت مأساة مكينة لتلك الحالات مع تحويل محاكماتها إلى قضايا رأي عام = ما أدى في النهاية إلى مطالبات مجتمعية

بتشريعات تزيد الرقابة الرسمية المجتمعية على الأسر وغزو خصوصيتها ‹٢٣٨›!

وهي (الحالة) التي سيتعرض لها مارتن إينيس كنموذج لتشكيل الإعلام وعي الشعب وتحديد قضاياه السياسية ذات الأولوية؛ فقد لاحظ أن كلا من بريطانيا والولايات المتحدة تعاملتا مع قضايا تشهي الأطفال (البيدوفيليا) بمبالغة ضخَّمت الحقائق والأحداث، وركزت النقاش الإعلامي الكثيف بما ينقل القضية من مجرد حالات قليلة وأرقام صغيرة إحصائيًّا، إلى حالة رهبة وذعر مجتمعي = وكان الناتج في كلتا البلدين زيادة تشريعات فرض الرقابة الصارمة على الأطفال باسم حمايتهم من الاستغلال الأسري!

ويتعجب إينيس من قدرة ذاك الإعلام على تحويل قضية ضئيلة الأرقام، والجاد من جرائمها حقير لمام = إلى قضية رأي عام وذعر وطني تُرجِم إلى مطالب التوسع في صلاحيات الدولة وأدواتها في إحكام الضبط الاجتماعي والتدخل في عمل الأسر وتربيتها لأولها (٢٣٧)!

إن الضبط التعليمي أكبر من مجرد نقل معرفة المدرسين إلى الطلاب وحشد حزم المعلومات في عقول النشء داخل المدارس؛ بل هو عملية ضخمة تُنقل بها (ثقافة) النظام كاملة إلى الصغار والمراهقين، وفي سبيل ذلك تُزال أي عقبات محتملة أمام عملية (النقل) تلك، حتى لو كانت الأسرة ذاتها! إن الطفل الذاهب إلى المدرسة ينقل معه قيم أسرته، وعلى المدرسة توفير بيئة تعليمية متوازنة بين الطلاب، بالتقارب الثقافي العام بين بعضهم البعض، وكذا بين القيم المدرسية التي هي تمثيل للمعيار الاجتماعي، والقيم المنزلية والأسرية الخاصة بكل طالب (٢٣٩).

وقد نظَّر كلا من بيير بورديو وجان كلود باسيرون لعملية التعليم الحديث تلك، في نظريتهم عن (الفعل التعليمي)، وهو ما يعرفونه بأنه عنف رمزي يُستعمل بالقدر الذي تفرض به القوة الحاكمة ثقافتها المهيمنة، مجادلين بأن العملية التعليمية ليست إلا نقلا غير مباشر للمعتقدات والاهتمامات الخاصة بالجماعة أو الطبقة الحاكمة والمهيمنة، وإعادة النظام الاجتماعي إنتاج نفسه والمحافظة على التركيبة السلطوية والاجتماعية التي تهيمن فيها الجماعة الحاكمة بأداة (الفعل التعليمي) = توريثا للأجيال الجديدة معتقدات الجماعة المهيمنة (٢٤٠).

فالعمليۃ التعليميۃ القوميَّۃ الحديثۃ في الغرب ليست مجرد أداة إنتاج المتخصصين العلماء والفنيين الأكفاء، بل أداة إنتاج (مواطنين صالحين) يعتنقون (دين الدولۃ) التي ينتمون إليها ويستبطنون ثقافۃ الجماعۃ المهيمنۃ = ولذلك دُعِّمت تلك العمليۃ بمؤسسات اجتماعيۃ تراقب الأسر والثقافات الفرعيۃ والمضادة وتضغطها بالإرهاب الدائم، خشيۃً من تدخل الوالدين وإفساد خطۃ التنشئۃ التعليميۃ التي وضعها النظام.

وعليه كان للضبط الرسمي التعليمي مجالان: مدرسي، واجتماعي موسَّع.

أولا: الضبط المدرسي.

تبدأ حكومۃ المجال التعليمي بصناعۃ بيئۃ مدرسيۃ تسهم في تعزيز اللوطيَّۃ، وذلك بضبط إيجابي (+) يريح اللوطيين ويدللهم وينشر أفكارهم في المناهج التعليميۃ، وضبط سلبي (-) يعاقب المُعلِّمين والطلاب الذين يرفضونهم أو يزدرونهم.

ففي بريطانيا، حظرت أربعون مدرسۃ ارتداء التنانير القصيرة للفتيات، وأجبرت الجنسين على ارتداء زي موحد والاتزار بسروال طويل = بحجۃ أن ارتداء التنانير فيه تمييز جندري بين الذكر والأنثى، وفيه مضايقۃ للخِناث الذين يريدون تصنيف

أنفسهم كفتيات(٢٤١) وهو ما يجبرهم بالتالي على ارتداء تنانير قصيرة تجسد

عضوهم الذكري!

والمأساة والمهزلۃ في آن، أن بعض الخِناث عارضوا القرار لأنهم يريدون ارتداء التنانير

كالفتيات، وزعموا أن القرار يحدُّ من حريتهم لا العكس!(٢٤٢)

ورعاية وتدليلا للخِناث، زُفَّت للعالم الإسلامي في ٢٠١٨ بشرى افتتاح أول مدرسة للخناث اللوطيين في باكستان، وهي مؤسسة باسم (حراس الجندر) بدأت بثلاثين طالبا في مدينة لاهور(٢٤٣)!

كما أنشئت في كندا، منذ التسعينيات، حركة تطلب تطبيع المفاهيم والقيم اللوطيَّة في المؤسسة التعليمية، بتقديم صورة إيجابية عن اللوطيين في المناهج، وكذلك حمايتهم في المدارس، وجابهت (مرض) كراهية اللوطية (الهوموفوبيا)، وكانت البداية بحملات توعية الناس لوجوب التوقف عن إبداء ضيقهم من أفعال اللوطيين، مثل القبلات المتبادلة علنا بينهم، أو حتى الزواج اللوطي (٢٤٤). وهي حركة تحقق فتوحات متتالية منذ بداية الألفية في مجال صناعة بيئة تعليمية مناسبة للوطيين تمنع التضييق عليهم بأي صورة(٢٤٥)؛ ففي عام ٢٠٠٢ قضت المحكمة الكندية العليا بأحقية اللوطيين طلابا وأزواجا في عدم تعرضهم لأي مناكفة، وفي تضمين المناهج الدراسية صورة إيجابية عن حياتهم جنبا إلى جنب مع الأزواج الطبيعيين، وفي عام ٢٠١٥، قالت نيكي مورجان سكرتيرة وزارة التعليم الإنجليزية: إنني أريد أن يعلم كل شاب وصغير من اللوطيين أنني بجانبه، وأن الحكومة ستصنع كل ما في وسعها للتأكد من قضائهم وقتا سعيدا في المدرسة، يسمح لهم فيه بأن يكونوا أنفسهم (٢٤٦).

وفي أمريكا لم ينقطع الكثير من المرشحين والنواب البرلمانيين عن المطالبة برفع مستوى تطبيع اللوطيَّة في المدارس والمناهج؛ فعلى سبيل المثال، قدَّم ممثلو مقاطعة فيرفاكس الأمريكية، مناشدة لمجلس مدارس المقاطعة من أجل إضافة مناهج

تعليمية عائلية تؤكد على وجود نمط الشباب اللوطيين (٢٤٧).

لكن، أيقتصر اللوطيون على مطالبهم بتدريس اللوطية في المناهج؟

لا! فقد طالبت جماعة حقوقية لوطية بتدريس تاريخ اللوطيين في المدارس (٢٤٨)،

وهو ما حدث بالفعل في ولاية كاليفورنيا التي قررت تبني مدارسها مقررات

تاريخية تظهر المساهمات التاريخية للوطيين بصورة إيجابية(٢٤٩)! تصوَّر أن

يُدرَّس لأطفال وناشئة المسلمين في العالم العربي تاريخ أبي نواس، لا باعتباره شاعراً؛ بل باعتباره لوطيا! أن يُمدح للوطيته أولا، ولعبقريته الشعرية كلوطي ثانيا!

إن كل ذلك الضبط المدرسي الإيجابي والسلبي، ترغيبا في الاحتفاء باللوطية وترهيبا من عدائها، لم يكف اللوطيين المتذمرين والذين يفِحُّون نقمةً من (الإجراءات غير المُرضِية) وطلبهم الأبدي مزيدَ توسعٍ في قمع أي مصدر تشويه لهم! ما نتاج كل ذلك؟ تصوَّر معي أجيالا تتهيَّب مسَّ اللوطية أو حتى مجاورة المسيء إليها، أي انقلاب للمعادلة الاجتماعية يحدث: حين يصير العام الصحي هو تقديس الطلاب للوطية، والشاذ المريض هو غير المؤيِّد!

ثانيا: الضبط الاجتماعي الموسَّع.

وهذا قسيم المدرسة في التنشئة التعليمية الرسمية، وعماده المؤسسات الاجتماعية الحكومية التي تراقب مدى تأثير الأسر على أبنائها في تنشئتهم على الثقافة

المجتمعية = إن كانت مندمجة فبها ونعمت، وإن كانت مضادة وجب التدخل والتعديل متدرج القسوة!

وعملها الإيجابي يكون بتقديم أنشطة اجتماعية غير مدرسيَّة تساعد في تطبيع اللوطيَّة عند النشء، ومثاله ما صنعته مكتبة نيويورك من استضافة خناث لوطيين، يسمونهم Drag Queen، ليقصوا على الأطفال مجموعة من الحكايات المسلية المضحكة، كي يتعود الأطفال عليهم وعلى مظهرهم (٢٥٠)؛ أي الطرق أقرب لقلب ابنك من القاصِّ الذي يرويه أجمل وألطف الحكايات؟! ولا أدري أي شيطان نفث في صدورهم تلك الحيلة لسحر قلوب الأطفال وعقولهم!

أما عملها السلبي العقابي؛ فيتمثل في تنفيذ عقوبات متدرجة على الأهل المقاومين للثقافة المجتمعية. وتتصاعد العقوبات من مجرد تهديد رسمي وتغريم مالي، إلى خطف الأطفال من أهاليهم وتسليمهم لأسر أخرى!

والأمثال على ذلك كثيرة؛

ففي سويسرا غُرِّم مسلم بوسنوي مبلغا ماليا كبيرا لرفضه حضور نجلته دروس السباحة المختلطة، والتي ينكشف فيها جسدها وتختلط بتلك الصورة مع الذكور، وكان الادعاء يطالب بسجن المسلم لا مجرد تغريمه، وقد تحجج قرار المحكمة بأن الأب "ينتهك واجب العناية والتعليم بحق بناته" (٢٥١). وقد قضت المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، بعد أشهر من الواقعة الأولى، بإلزامية السباحة المدرسية لبنات المسلمين وعدم إعفائهم منها، ردا على شكوى من عائلة تركية سويسرية (٢٥٢).

ولا يقتصر الأمر على السباحة، بل إن مجرد رفض تبادل المصافحة بين الجنسين

يكون كفيلا بإشعال الرأي العام واستعمال السلطات الرسمية للمحاكم والعقوبات، كامتناع فرنسا عن منح الجنسية لمغربي رفض مصافحة النساء، ورفضت زوجته خلع نقابها أمام الرجال (٢٥٣)، وكهياج هولندا ضد لاعب مسلم رفض مصافحة صحفية (٢٥٤) وكذا ألمانيا مع أب مسلم رفض مصافحة معلمة بناته (٢٥٥)، وكذا سويسرا مع طالبين مسلمين رفضا مصافحة النساء، مجبرة إياهم على فعل ذلك، مع اتخاذ السلطات إجراءات أشد قسوة في حق عائلة سورية رفض ذكورها الشباب المصافحة في المدرسة، برفضها تجنيس الأسرتين أبدا، لا مجرد التغريم (٢٥٦) وهذا مثيل ما جرى حينما رُفِض تجنيس أسرة شمال أفريقية امتنعت عن المصافحة أثناء لقاء التجنيس، بحجة أنها فشلت في الاندماج بالمجتمع السويسري (٢٥٧)!

ولا يقتصر الضبط المجتمعي الرسمي العقابي على مجرد الغرامات ضد المسلمين وإجبارهم قبل أولادهم على المبادئ والقيم الليبرالية المنحلة، بل يتجاوز ذلك إلى خطف الأطفال من أهاليهم وإعادة تسليمهم لأسر أوروبية.

فقد انتُزِع أربعة أطفال أردنيين من أسرتهم ووُزِّعوا على أسر سويدية، بحجة أنهم تعرضوا لمعاملة غير لائقة، وهو حكم أصدرته موظفة شؤون اجتماعية لاحظت

بعض الغلطة من الأم أثناء انتظار أولادها لحافلة المدرسة (٢٥٨)! وقد خُطِف ثلاثة

أطفال سوريين من أسرتهم بحجة مشابهة (٢٥٩)!

نعم يا أخي، تم انتزاع صبيان وبنات مسلمين من أهاليهم وتوزيعهم على أسر صليبية أو ملحدة أو لوطية كي تُنشِئهم، لأن موظفة مجرمة فاسدة المعتقد قررت ذلك، لغلطة الأم في تعاملها مع أولادها! تلك هي جنة السويد وأوروبا التي يُغامر المسلمون بالموت هم وأولادهم كي يعيشوا فيها يوماً!

ألم تسمع عن جمال عقيل، ومحاولاته الدؤوب الحصول على أبنائه الأربعة لمدة سنوات عشر بلا طائل؟ لقد عوقب الرجل على ديونه بسحب أربعة من أطفاله الثمانية وتنشئتهم عند أسر أخرى، تارةً بحجة ديونه وتارةً بحجة تعنيفهم للأطفال، وهو ما أثبت جمال عبر المحاكم عدم صحته، ومع ذلك فشل في استرجاع

أولاده (٢٦٠)!

ومثله حالات متفرقة في ألمانيا لانتزاع الأطفال أو توجيه إنذار للأهل (٢٦١).

بل لا يقتصر الأمر على سحب الأطفال لمجرد التحجج بالتعنيف أو العقاب البدني من أي نوع؛ فقد ثارت إحدى الطوائف المسيحية في النرويج لاختطاف خمسة أطفال - بينهم رضيع في الشهر الثالث - من أسرهم بالحجة المعتادة (تعنيف الأبناء) = وقد أكد الوالدان أن تلك حجة كاذبة، وأنهما خُطفا حقا من أجل (التعاليم الدينية) التي يُنشِّئون أولادهم عليها! بل وصل الأمر في حالة أخرى مع زوجين هنديين إلى درجة تضرر العلاقات بين البلدين، حينما أكد الوالدان الهنديان أن خطف أطفالهم

لم يكن إلا بسبب تعليم أولادهم الأكل باليدين ومشاركتهم ذات السرير وهي سلوكيات مستهجنة في أوروبا(٢٦٢)! وقد بلغ عدد حالات الضبط العقابي بالاختطاف في تلك البلد بعام ٢٠١٤ وحده ألف وستمئة وخمسة وستين طفلا، ثلثهم من غير أهل البلد(٢٦٣)!

وتتضاعف معاناة المسلمين عن الأسر الأخرى؛ ففي السويد عانى ستة وسبعون طفلا فلسطينيا من الخطف الرسمي، وتنشئتهم في أسر أخرى، وقد بلغ عدد الفتيات اللواتي فقدن عذريتهن دون زواج عشرون مسلمة، أثناء إقامتهن مع العائلات السويدية(٢٦٤)!

إن المؤسسة الاجتماعية الرقابية على الأطفال تلعب في الدولة الغربية المعاصرة دورا هائلا في ضبط العادات والتقاليد والعقائد؛ ولا يتغافل إلا أنوك سفيه عن الدور الذي ستلعبه تلك المؤسسات في مراقبة عملية تطبيع اللوطية في عقول الأطفال من خلال المدارس = فهي تتدخل لرقابة الأسر وتعرف جيدا موقف المسلمين منها، ما يعني أن الأضواء ستُسلَّط عليهم أكثر من غيرهم، اختبارا للثقافة التي يُنشئون عليها أولادهم. انظر مثلا كيف وصل العناد في إنجلترا بإحدى مدارس برمينجهام المزدحمة بأطفال المسلمين إلى حد فرض مديرها اللوطي مناهج تشجيع وتحفيز اللوطية في الأطفال، ودخوله في معركة مع الأهالي، الذين لم يجدوا مبررا لرفضهم سوى التحجج بأن الأطفال صغار، وأنهم لا يكرهون اللوطية ولا يرفضونها!

وقد تظاهروا وامتنعوا عن الدراسة؛ وأوقفت السلطات تعليمهم المحتوى اللوطي مؤقتا، قبل أن يُصدر القضاء البريطاني حكما بمنع المظاهرات التي نظمها الأهالي،

مخبرا إياهم أن واجبهم الالتزام باحترام كافة التوجهات الجنسية(٢٦٥)!

فكِّر معي: تلك المؤسسات التي تُعاقب رافض المصافحة بالحرمان من الجنسية والغرامات، وتخطف الأولاد من أهاليهم للنوم على سرير واحد = كيف ستصنع حينما يبلغها تنشئة المسلم أولاده على وجوب قطع رأس اللوطي أو حرقه؟!

ثانيا: الضبط الاجتماعي غير الرسمي.

الضبط الاجتماعي غير الرسمي هو الذي يُمارس تلقائيا من المجتمع نفسه، ولا علاقة سلطوية مباشرة به، وهو أنكى أثرا من الرسمي، لأنه أعلق بالأقارب والمجتمعات الضيقة المحيطة بالمرء.

وقد ناقشنا قبلا كيف كان القول بأن هذا الضبط غير متعلِّق بالدولة، ليس إلا ادعاءً بالغ السذاجة؛ فالدولة الغربية تفرض دينها الذي تعتنقه، علمانيا أو غير علماني، على المجال المجتمعي بأسره، وتتدخل بمراقبة لصيقة للأهالي لتغيير معتقداتهم أو معتقدات أبنائهم ترغيبا وترهيبا، حتى تصل في الدول الإسكندنافية لخطف الأطفال بناءً على أوهى الأسباب وأدنى الشكوك!

وعليه يمكن فهم الدور الذي تمارسه العائلة، ومؤسسات الدين الحقيقي في الدولة، وكذلك مؤسسات الأديان العلمانية، المؤسسات الحقوقية.

فالكل يلعب دورا إيجابيا في الضبط، باحتضان اللوطي ورعايته والسعي على راحته، ودورا سلبيا يتمثل في التشنيع على أعداء اللواط، واحتقارهم ونبذهم باعتبارهم أهل سوء وشر وعداء للإنسان.

1) العائلة، الأسرة الحارسة.

تُحفِّز العائلات في الغرب على دعم اللوطيين والخِناث منذ الصغر، ويُمكن التمثيل ببعض صور الدعم في الآتي (١٣٢):

١) دعم وتشجيع الآباء لأطفالهم -من سن الخامسة- إن مالوا إلى ارتداء زي الجنس الآخر.

٢) من يلجأ منهم لمستشفيات الأطفال المتقدمة، يُنصحون بدعم الأسر أطفالها بأن يكونوا أنفسهم؛ لتعزيز مفهوم الأمن واحترام الذات لديهم[29].

٣) مع وصول الأطفال لسن المراهقة، يختار بعض الآباء حقنهم ومنعهم طبيا من البلوغ = حتى يكتسبوا وقتا لفهم هويتهم الحقيقية!

وأمثلة ما سبق عديدة، منها حالات لأسر ساندت أطفالها في انحرافاتهم العبثية كارتداء التنانير والملابس الحريرية الداخلية الخاصة بالأم = فهذا كله، لم يعد عبث أطفال، وإنما علامات ودلالات هامة على أن الطفل من الخِناث، وكذا الحال مع الطفلة الأنثى المترجلة، كما رأينا في الفصل الماضي. فقد انتهى الزمن الذي

---

[29] وهذا ما أنبه له دائما في حديثي عن (مناهج التربية الحديثة) القائمة على تسويد الطفل على الأهل، فالمقولات الكبرى التي يرددها بعض الجهال من القابضين على الملف التربوي لا جَرَم تُلزِم أصحابها بتلك اللوازم التي وصل إليها الغرب، ولو نبذوها وقعوا في التناقض! فالحل ليس (أسلمة) تلك المناهج وزخرفة مقولاتها الكبرى بآيات وأحاديث، إنما الاستفادة منها في بناء منهج إسلامي خاص لا علاقة له بها ولا يُسلِّم لمقولاتها ومسلماتها الرئيسية.

تصنف فيه تلك الأفعال كخلل عقلي، وحل الزمن الذي تعتبر فيه (عدم راحة مع نوع الميلاد) يجب دعم صاحبه ليختار ما يشاء! وهذا الدعم يحصل على تقدير مؤسسي وحقوقي كبير، وإن كان هناك خلاف بين المتخصصين النفسيين تحديدا حول أمرين:

الأول: أخلاقية حقن الأطفال والمراهقين بما يمنع بلوغهم من هرمونات، وحجة المجيزين أن البلوغ، في بعض الحالات يكون مُدمِّرا: فالفتاة التي تعتبر نفسها صبيًّا وتتصرف عمرها باعتبارها كذلك، يمكن أن تنتحر إن جاءتها الدورة الشهرية.

الثاني: الزعم بأن الأطفال يكونون أسعد بكثير عندما يساندهم الأهل في تخنثهم أو تشبههم بالجنس الذي يريدونه. يقول د. كينيث زوكر أنه يخالف ذلك ويرفض مبدأ (حق الاختيار) مع الطفل، مؤكِّدا أن ثمانين بالمئة من الأطفال يتغير سلوكهم بتقدم العمر، وأنه شخصيا قد عالج خمسمئة طفل عانوا من انحراف النوع قبل سن المراهقة على مدار ثلاثين عاما، وأصبحوا أشخاصا أسوياء بعد ذلك فكيف يزعمون أن القرار الصحيح هو جعل الطفل حاكما لهويته، يعبث فيها كما يشاء؟ وقد نقلت تقارير عدة حالات كثيرة لخناث ومترجلات يريدون استعادة (جنسهم الأصلي) مرة أخرى، ويظهرون الندم على سيرهم في مسار (التغيير المظهري) الذي دمرهم إلى الموت!

لكن في كل الأحوال، يُنبئ التوجه الغربي الحالي المؤسسي وغير المؤسسي، أن كل مبدأ يساعد اللوطية، وكل حل يؤيدونه = سيسود، وينتهي ما عداه أو يخنس. هذا مع مناهج التربية الحديثة والتأليه المنهجي للطفل، لا يعني إلا مزيد انتشارٍ للعائلات الداعمة لكل علامة تخنث أو ترجُّل في سلوك أطفالها، فبدلا من التدخلات المتصاعدة، والعقاب إن لزم لضبط الطفل على جادة الفطرة = لا يكون هم الأسرة إلا (دعم) الطفل، و(تعزيز) قيم الاختيار الحر لديه، و(مساندته) أمام المجتمع الذي ينظر إليه بتشكك أو ضيق!

إن الليبرالية بدأت بعنوان (الدولة الحارسة)، طِلبةً منها لتقزيم دور الحاكمين وإعطاء أكبر حرية للأفراد؛ فلا تكون فوق المحكوم سلطة تملي عليه ما يفعل، إنما سلطة تحرس أمنه لا أكثر - والآن تعيد هذا الحديث القديم، الذي انكمش بتطور الليبرالية، في صورة (الأسرة الحارسة) التي لا تملك سلطة على الطفل ولا تملي عليه فعله، إنما تحرس أمنه وترعاه لا أكثر! لا توجيه ولا تدخل إلا في أضيق الحدود!

إن مفهوم الأسرة الحارسة هو الآخر ألعوبة عقلية من ألاعيب الليبرالية، فكما أن الدولة لم تكن يومًا حارسة، بل كانت دوما ذات دين يُنشَّأ عليه الجموع والأفراد. كذا الأسرة، هي الأخرى في سعيها لتصويب الطفل وتربيته على (الحرية) المزعومة صارت مطالبة بقمع توجهه الطبيعي، سواء بدين الدولة الذي يعتنقونه، أو بالتصرفات (السليمة) التي تصبها مناهج التربية الحديثة في آذانهم صبًّا!

أأنتفض كالملسوع وأهرول هنا وهناك لأن صبيي الذي لم يتم الخامسة يلعب بدمية، أو يرتدي حجاب والدته عابثا؟ أأشجعه على التخنث وأحدثه كفتاة وأتمادى فأعطيه حقن إنبات الثدي ووقف النمو وانتظار مواعدته للرجال؟ أي جنون! أي نتن وسفول؟ لكن هذا ما يحدث، والحالات متواترة الظهور في الإعلام الغربي! لقد لَوِث الغربيون واشتملهم شيطان اللوطية!

والحقيقة أن الأهل لن يصيروا أبدا أسرة حارسة بمفهوم مرادف للمفهوم الليبرالي الكلاسيكي عن الدولة، بل سيكونوا حراس فرض (دين الدولة) على طفلهم، بما حُمِّلوا به من أفكار وعقائد!

2) المؤسسة الدينية (مؤسسات الدين الحقيقي للدولة).

النموذج الثاني للمؤسسة غير الرسمية في الغرب هي الكنيسة، وهي تنقسم إلى توجهين: الأول مُمثَّلٌ حتى الآن بالكنيستين، الرومانية الكاثوليكية والأرثوذكسية، والثاني مُمثَّلٌ في التيار العام بالكنائس البروتستانتية.

أما التوجه الأول، فيعتبر اللوطية خطيئة إلى الآن اتباعا للتوراة، وإن كانت الكنيسة الكاثوليكية تحت ضغط باقي المؤسسات الأخرى المكوِّنة للصفوات قد بدلت خطابها

الإعلامي في أكثر الدول الأوروبية مثل ألمانيا والنمسا: ففي بداية عام ٢٠١٨ صرح

الأسقف الكاثوليكي الألماني Franz Josef Bode وتبعه الكاردينال

Reinhard Marx بوعود مباركة زواج اللوطيين، وقد نقلت صحيفة Spiegel الإلكترونية من تصريحاتهما ما يساهم في توضيح الموقف الداخلي للكنيسة الكاثوليكية، إذ وُصف الزواج اللوطي بأنه واقع سياسي الآن Ist sie nun politische Realität وبالتالي على رجال الكنيسة أن يتعاملوا معه وإن خولِف

التصور الكنسي الكاثوليكي بهذا النوع من الزواج(٢٦٦)!

ولعل الفضائح الجنسية اللوطية المتتالية التي لا ينفك الإعلام الغربي في إذاعتها هذه الأيام، تأتي في إطار التردد الظاهر على الكنيسة الكاثوليكية، التي برغم أنها صارت تعترف باللوطية، ما زالت أكبر المؤسسات في أوروبا الغربية ترددا في التأييد غير المشروط لدين المؤتفكات.

إن الوحل الذي تورطت فيه الكنيسة الكاثوليكية في الغرب، آتٍ من عدم امتلاكها وحدها سلطة تشكيل المعايير المجتمعية، وعدم قدرتها على الصمود طويلا عندما تعمل باقي المؤسسات ضد معاييرها ومبادئها = لذا يتحدث بوده وورينهارت عن (الواقع) الأقوى من صمودهم، وعن الاضطراب الضخم عند أتباعهم الذين لم يعد يوجد مناقضٌ لما يؤمنون به إلا عند المؤسسة الدينية. إن المصير محتوم، وهو الالتحاق بالتوجه المسيحي العام الذي يقوده البروتستانت: الخضوع للجندرية والاعتراف باللوطية والتخلي عن الرؤية المعيارية الدينية؛ إلا إذا وقع حدث حدث تاريخي يبدل القواعد.

ومن جهة أخرى، لا تواجه الكنائس الأرثوذكسية المشرقية نفس التحديات التي تواجهها الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية الواقعة في قلب العاصفة، لذا يبدو الأمر محسوما عندها لصالح الرؤية الكنسية التقليدية حتى الآن، يساعدها في ذلك أن حجم سلطان مؤسسات النخب مختلف عن مثيله في الغرب، كما أن السلطوية والتأثير المجتمعي الإسلامي لم يزل ذو أثر ملحوظ على تلك الكنيسة ومجتمعها، ولعل القساوسة الأرثوذكسيون المشارقة يرتعدون من اللحظة التي ستنقلب فيها معايير المسلمين سلطويا ومجتمعيا لتقبُّل اللوطية تبعا للغرب ما سيضغط بعنف عليهم أمام أتباعهم الذين هم جزء من هذا المجتمع شاؤوا أم أبوا! وأكثر الكنائس الأرثوذكسية تعنيفا للوطية ومجابهة لها هي الروسية، التي يبدو أنها تحظى بدعم بوتين في موقفها ذاك، لكن مع حرصه البين على عدم تحويله تصرفاتها المعادية للوطية إلى سياسة خارجية أو داخلية فعلية ممثلة للدولة.

ويحسُن بنا استعراض صورة موسعة لأديان العالم الكبرى في ضوء تلك القضية؛ لرسم صورة مقارنة بين مؤسسات الدين الرسمي أولا، ولتوقع كيفية تعاملها مع حملة التطبيع العالمي للوطية ثانيا، وهي كالآتي:

الدين الأول، الإسلام: موقفه هو التحريم الكامل، والتفاوت في شدة العقاب مع إيجابه، وناقشنا ذلك كله في فصل سابق، وناقشنا موقف مؤسساته وتوقعات ردود أفعالها.

الدين الثاني، المسيحية: إذا اعتبرنا مجلس الكنائس العالمي ممثلا لانعكاس الخلافات المسيحية المسيحية في تلك القضية، ولرأي الأرثوذوكس الشرقيين مقابل البروتستانت الإصلاحيين الغربيين (المكونين الرئيسيين للمجلس)؛ فأظهر ما نجده هو الخلاف الحاد بين الفريقين في تناول هذا الأمر، فبينما كان مجموع الكنائس الغربية يطلب فتح هذا الموضوع في الاجتماع العالمي الرئيسي للمجلس (الذي يعقد كل سبع سنوات)، كانت الكتلة الأرثوذكسية الشرقية رافضة لفتح نقاش هذا الموضوع بأي صورة؛ بل وصل الأمر لتخفيض العديد من الكنائس الأرثوذكسية نشاطها وتواجدها في المجلس لهذا السبب (١٤١)!

في البروتستانتية بشكل عام، كان الرأي التقليدي المستقر هو اعتبار اللوطية تحدٍّ للنظم الطبيعي للكون الذي خلقه الله سبحانه وتعالى، والاستدلال على حرمتها مُشترك في نصوص العهدين القديم والجديد؛ لكن هذا الرأي قابل إعصارا من معارضات الحركات الحديثة الرافضة لهذا التحريم؛ وطالبت بإبطاله للآتي: أن محور قصة سدوم وعمورة[30] ليس اللواط؛ إنما العنف الجنسي والاغتصاب! كما أن التفسيرات التي أرجعت العقاب الإلهي للوطية يمكن فهمها في سياقها التاريخي وحده، فهي تراث قديم يجب إبطاله! كذا هناك سبب هام يوضح هذا الخطأ في

---

[30] هذه هي الأسماء المزعومة لقرى المؤتفكات في العهد القديم، والتي نُقلت للتراث الإسلامي من الإسرائيليات، ولعل الأئمة لم يستخدموا أوصافا للوطية مستمدة منها، كما صنع أهل الكتاب في توصيفهم للوطية بالسدومية = لعدم ثبوت هذه الأسماء، على عكس اسم اللوطية الذي نُقل عن النبي والسلف كافةً.

الفهم؛ فتحريم اللواط مرتبط بشريعة العهد القديم المقدسة، وقد أبطلها العهد الجديد - كتحريم الخنزير - فكيف نتمسك بشريعة أبطلها المسيح/الإله؟! إضافة لمحاولات التفكيك اللغوي الدلالي واللفظي لكلمة (لواط) المذكورة في ترجمات الكتاب المقدس، وإعادة شرحها باعتبارها تدل على نوع محدد من اللواط هو الذي قصده بولس بالتحريم في رسائله بالعهد الجديد؛ ألا وهو تحريم الدعارة اللوطية

والتكسب بها، وليس اللواط مطلقا! (١٤١)

ومن المضحكات المبكيات، أن (مساخيط) الحقوقيين في العالم الإسلامي ينقلون من أسيادهم وأربابهم النقولات، بلا أدنى تدبر حتى للقرآن الذي ينتقدونه بخطابهم المسروق! فالسياق القرآني واضح الدلالة والألفاظ (أتأتون الرجال شهوةً من دون النساء)، وليس مما يمكن استخدام نفس الاعتراضات المسيحية - المسيحية معه! لكن تذكروا دوما: نحن نتعامل مع عقول بقر لا بشر!

والسياق العام للبروتستانت هو الخلاف في القضية طوال النصف قرن الأخير، مع انتشار واضح إما لإباحة اللوطية مطلقا تبعا للمنظومة القيمية الغربية، أو الاستمرار في رفضها من الأقلية بحسب تعاملها مع النصوص المقدسة؛ فكلما قُيِّد التأويل - كما عند الإنجيليين - قل التسامح مع التخريف الحديث، وبين تلك الأقلية مجموعة أصغر تتبنى خطابا مطلق العداء.

أما الكاثوليكية؛ فكما ذكرنا، هي من أكثر المؤسسات تأخرًا في الاعتراف بحقوق اللوطيين؛ لكن سوابق اعتذاراتها وتراجعها عن مواقف تاريخية كبرى مرتبطة بالتقاليد والأسس المُشيَّد فوقها الدين المسيحي، تدلك على ما هو آتٍ! وسبب تشدد النقاش الكاثوليكي، أن الزواج عندهم هدفه الرئيسي هو الإنجاب؛ مع الالتفات قليلا إلى جانب الوحدة بين المتزوجين، والراحة الجنسية؛ وهذا على عكس المذهب البروتستانتي مثلا؛ الذي يعتبر الوحدة والراحة أضخم من مسألة الإنجاب؛ وعليه

كان حرج الكاثوليكية متمثلا في أن السماح للعلاقات اللوطية والزواج اللوطي، يعني التخلي عن المبدأ الجوهري للزواج في دينهم (١٤١).

وأخيرًا، تظل الأرثوذكسية الشرقية هي الرافض الأشد للوطية بين المذاهب المسيحية الكبرى؛ فهي بكافة أفرعها (الأرثوذكسية اليونانية، أو الروسية، أو المصرية، أو البلغارية) تدين اللواط، وتتمسك بأن الشكل الوحيد للعلاقة هو زواج رجل واحد، بأنثى واحدة، وما غير ذلك سخف إنساني. والزواج بتلك الصورة الطبيعية، وبهدف إنجاب الأطفال = مؤسسة أنشأها الله، بينما الزواج اللوطي مؤسسة أنشأها الإنسان في وجه الله، وعلى الأرثوذكس مجابهة تلك المعيارية الثقافية المنتكسة ومحاربتها، مع تنبيه اللوطيين أن بمقدورهم إيجاد الحب من مجتمع الكنيسة الذي سيحتضنهم ويرعاهم في جسده الواحد (١٤١).

وفارق صورة النقاشات بين المذاهب الثلاثة الكبرى، يرجع إلى طبيعة كل منها؛ فالبروتستانتية تُناقش كثيرا مسألة قبول اللوطيين كقساوسة؛ بينما لا تأبه الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية بهذا؛ على اعتبار أن العزوبة هي إطار سلك الترهبن؛ فلا يُهم إن كان القس لوطيا أم غير لوطي (١٤١).

ومن أبرز نماذج المقاومة المسيحية التقليدية للعواصف اللوطية، وزارات اللوطيين السابقين Ex Gay Ministries، وهي مجموعة سائلة من المؤسسات التي لا يلزم أن تتبع الكنائس صراحةً، ولكن عمادها العاملون في المؤسسات الرسمية المسيحية، وقد بدأت منذ السبعينيات بهيمنة إنجيلية واضحة، وقد اعتمدت على مزج نظريات

التحليل النفسي عن اللوطية التي انتشرت في الخمسينيات والستينيات، خاصة نظرية العلاقة مع الشيء Object – Relation Theory مع النظرية المسيحية، فشُيِّدت على المبادئ التالية: أن اللوطية خطيئة، وأن النظام الطبيعي للإنسانية هو زواج الرجل بالمرأة، فكل منهما يكمل الآخر سيكولوجيا، وأن اللوطية سببها اضطراب في الهوية النوعية لدى اللوطي، كما شرحنا في الفصل السابق، وبالتالي يُمكن معالجة اللوطيين بكشف الأسباب التي تسببت في هذا العارض الطارئ المسمى باللوطية، وتعريف اللوطي بها، ثم إعادته لهويته الأصلية الطبيعية التي كانت (مخفية) بداخله. والصورة السليمة للإنسان لن تتحقق إلا بزواج كل إنسان بالجنس المقابل له، لأن في هذا استعادة للصورة الإلهية الأولى للخلق. وتنضوي تلك الوزارات، تحت مظلة منظمة الخروج العالمية Exodus

International. ‹١٤١› لهذا كان إغلاق تلك المنظمة واعتذار القائمين عليها –

مع استمرار الكثير من الوزارات في العمل منفصلة بالتأكيد- هو إعلان هزيمة للنموذج السيكولوجي الثيولوجي المسيحي بصورة رسمية، وقد تحدثنا عن ذلك.

الدين الثالث، البوذية:

البوذية ‹١٤١› من أكثر الأديان تسامحا مع اللوطية، وقد جرؤ أتباعها بالغرب على

عقد زيجات لوطية في وقت لم توجد فيه مؤسسة دينية في العالم تفكر في مثل هذا النقاش من الأصل.

والبوذية في الأصل العقدي تحتقر الجنس بكافة صوره، والنموذج الأسمى عندها هو الراهب الأعزب، وكتاب إرشاد الرهبان (الفينايا Vinaya) لا يُدين اللوطية وحدها؛

إنما يدين كافة صور الممارسات الجنسية الأخرى، وعقاب تلك الممارسات هي الطرد من سلك الرهبنة، فالرغبات الجنسية، مثلها مثل الحقد والكراهية، هي مشاعر يجب القضاء عليها للوصول إلى حالة النيرفانا، التي هي الهدف الأسمى للإنسان.

وقد تأثرت البوذية المبكرة بمسألتين، شكلتا تصورها فيما بعد:

الأولى هي طرد بوذا لمجموعة من الرهبان ذاع بين الناس أنهم يلوطون ببعضهم البعض؛ إذ كان يرغب في عدم إساءة سمعة الكهنة، المفترض أنهم أسمى نموذج يحاول الوصول إلى النيرفانا؛ فهذا طرد بسبب استغراقهم في الجنس أكثر منه طرد بعلة اللواط.

الثانية هي تأثر البوذية بما كان شائعا في الثقافة الشعبية الهندية حين نشأتها، وهو تطبيع نموذج الجنس الثالث، الذي يضم الخنثى والمتخنث والمترجلة وكافة الفئات التي لا تلتزم الأدوار الملائمة لجنسها تقليديا.

وقد ساد نموذج رفض اللواط عرفا لزمن؛ لكن في إطار كراهة المتع الحسيّة بشكل عام، حتى أنه قد يُعتبر أقل خطورة من الجنس العادي، باعتباره لا يؤدي إلى الإنجاب والتعلق بالدنيا.

أما على مستوى التطور العقدي؛ فاللوطية مرتبطة بنموذج الجنس الثالث، وقد نُظر إلى اللوطي أو اللوطية في إطار عقيدة تناسخ الأرواح: فقيل إنهم إما كانوا جنسا ثالثا في صورة سابقة من حياتهم، وإما كانوا في أجساد للجنس المخالف.

وعلى مستوى الممارسات كان البوذيون من أكثر الناس لوطيةً؛ إذ مورس بين الرهبان الكبار والصغار في الصين واليابان، التي شهدت نموذجا آخر وهو كبار رجال الساموراي وصغارهم، ونُظِر إلى هذه العلاقات اللوطية دوما كتوطيد للعلاقة بين الطرفين: المُعلِّم والمُتعلِّم، وهذه الممارسات شائعة في التبت ومنغوليا إلى الآن بين الرهبان، بينما في تايلاند على سبيل المثال هناك تسامح كبير مع اللوطيين، باعتبارهم (جنسا ثالثا) معترفا به في الثقافة الشعبية والدينية.

ولعل المحرك الأول لانتشار اللوطية في العالم الصيني الياباني هي البوذية تحديدا، خاصةً أن طبيعتها سائلة، ولا كتاب تشريعي مقدس موحد لها، ولا سلطة دينية معرفية جامعة فيها = وعليه أمكن رفض اللوطية أو تقبلها والترحيب بها؛ بحسب السياق الثقافي والتاريخي لكل مجتمع!

وقد صدمت تلك الحقائق العالم الغربي أيما صدمة عندما احتل تلك المناطق؛ وأرسل البعثات التنصيرية!

الدين الرابع، الهندوسية:

على عكس البوذية التي خرجت من الهند، ولم تعد، وصارت ذات صبغة عالمية، تعتبر

الهندوسية (١٤١) دينا قوميا محليا، وينظر لها القوميون بأطيافهم كثقافة أصيلة

يجب التمسك بها في مواجهة الأديان الوافدة غير الهندية، كالإسلام والمسيحية تحديدا.

وللهندوس نظرتان متناقضتان تماما للوطية، ولكل أدلته التاريخية والواقعية:

الفريق الأول يراها صنيعة أوروبية لم يعرفها المجتمع الهندوسي، وبالتالي يبغضها ويحرض ضد أصحابها، ويعتمد على نصوص مقدسة قديمة مثل أحد الكتب الهندية القانونية التي ظهرت بين القرن الأول للرابع الميلادي، والتي تُحرِّم اللواط (الجنس الأيوني Ayoni Sex) مع كل ممارسة غير مهبلية كالجنس الفموي والاستمناء، مع ملاحظة أن عقوبة اللواط أخف كثيرا من عقوبة الاغتصاب أو الدعارة مثلا. ويتمثل هذا الفريق في الحركات المتطرفة Ultraconservative الهندية.

والفريق الثاني يراها ثقافة هندوسية أوقفها الأوروبيون، وأدلته أن المجتمع الهندي القديم كان يعرف (الجنس الثالث) كما رأينا، ويوجد لهذا الجنس تكييف عقدي

هندوسي، فهي كالبوذية من أديان التناسخ، وبالتالي يكون سبب هذا الاضطراب هو وجود روح الشخص في جنس مخالف أثناء رحلة حياته السابقة. كما أن الآلهة في القصص الهندوسية الدينية لهم ممارسات لوطية وإباحية، وكتاب الكاماسوترا المقدس فيه وصف لممارسات لوطية دون ذم أو تحقير.

وصدمة الغربيين الغزاة من استباحة الهنود للواط معروفة.

لكن مع قوة أدلة الفريق الثاني، يبقى معتقد الأقلية في الهند، ويُرجع الباحثون ذلك إلى العمل الأوروبي المكثف على زراعة العداء للوطية في الهنود في عصر الإمبريالية؛ فقد صار المجتمع الهندي كارها لها معاديا، بعدما كان متسامحا في العصور الغابرة.

وكالبوذية، لكن على نطاق محلي: لا توجد للهندوسية قيادة عليا موحدة، ولا كتاب تشريعي موحد؛ بل ولا إله موحد! لذا لا توجد جذور عقدية أو تشريعية صارمة ضد اللواط.

بقي أن نؤكد على أحد الملحوظات المتعلقة بمدى تقبل المجتمعات لتطبيع اللوطية؛ فكلما زاد التدين المجتمعي متانةً؛ كلما صعُب تقبله للثقافة اللوطية العالمية المعاصرة (٢٦٧)، فكما لاحظت، لا يوجد دين في أصوله يقبلها بصدر رحب كنموذج رئيسي للحياة؛ بل يوجد (تسامح) في بعض الأديان مع هذا النموذج الشاذ، وهو غير مُطلق تاريخيا حتى في البوذية، لذا وجود درجة عالية من التمسك الديني في أي مجتمع، يعني بالضرورة تزايد النفور والضيق والعداء من اللواط وأهله.

لكن كذلك يلزم فهم أن الأديان تتفاوت في الاستجابة لتلك الحملة، بقدر تأصل النصوص التشريعية في جذورها التراثية، فالأمر لا يتعلق فقط بمدى تمسك المتدينين بالموروث؛ بل بطبيعة الموروث ذاته، لذا شهدت الهند في العقود الأخيرة ببعض قراها زواجا لوطيا ذا مراسم دينية وحفاوة من الأهل، في الوقت الذي يسود فيه مزاج

عام معادٍ للوطنية، فالعداء أو الترحيب راجع لطبيعة الديانة السائلة نفسها، وعدم وجود سلطات دينية جامعة لا تاريخيا ولا تنظيميا، ولا تشريعات واضحة النسب والدلالة والمصدر؛ فمن اشتهى تحريمه حرمه، ومن اشتهى إباحته أباحه!

3) المؤسسات الحقوقية (مؤسسات الدين العلماني للدولة).

لا تتبع المؤسسات الحقوقية الضبط الاجتماعي الرسمي بصورة مباشرة؛ فهي من أدوات الضبط الوسيط بين المجتمع والسلطة، وإن كانت في قضايا الليبرالية تتبع غالبا الدين العلماني للدولة، إذ تعمل على توعية المجتمع بقضايا الحقوق والتحرر، والضغط على السلطات من أجل تبني قوانين أكثر ملاءمةً من الحالية، ومراعاةً لحقوق الإنسان. إنها شبيهة إلى حد ما بالدور الذي لعبه علماء الشريعة في أكثر الدول الإسلامية قديما، كالعباسية والمملوكية: دور الطبقة الوسيطة بين العوام والسلطة، والتي تتولى نصح السلطة وتوجيهها وزجرها إن خالفت الشريعة، وتثقيف العوام ووعظهم وتربيتهم على أخلاق دين الدولة حينها، الإسلام.

والمؤسسات الحقوقية لها دور كجماعة ضغط، وكشكل من أشكال مراكز الفكر Think tank في أحيان أخرى، فهي تؤثر في الحملات الانتخابية، وتبحث دومًا عن أبرز المرشحين مساندةً لقضاياها من أجل دعمهم، وتحشد اللوطيين مثلا من أجل دعم مرشح بعينه يُمنّيهم بما يحلمون به من سلطان، ومن جهة أخرى تقدم الدراسات والبحوث والتقارير عن أوضاع اللوطيين وكيفية تعديلها وتمكينهم.

وأنا ها هنا لن أستقصي دور المؤسسات الحقوقية المتنوعة في الغرب، وأذيالها في الشرق، بل سأناقش قضايا متفرقة تعطيك صورة عن دورها.

سأتحدث عن مفهومي التمييز الإيجابي، والتصوايب السياسي، والتوسع في قائمة أصحاب الحقوق، والأزمة المشرقية والإسلامية نتاج هذا التوسع، وعرض لبعض

تصريحات الحقوقيين المصريين بشأن اللوطية، وأخيرا نشاط الحقوقيين المسلمين في الغرب حول اللوطية.

أ: مفهوما التمييز الإيجابي Positive Discrimination والتصويب السياسي Political Correctness.

في زمننا الحالي، تُشكِّل فكرتان مركزيتان صورة التعامل الحقوقي مع قضية اللوطية، الأولى هي التمييز الإيجابي، والثانية هي التصويب السياسي.

أما الأولى، التمييز الإيجابي، والتي يرادفها مصطلح (الفعل الإيجابي affirmative action) هو الآخر، فيستخدم للدلالة على مجموعة من السياسات والتدابير التي تتخذ لصالح مجموعة معينة، عانت من إعاقة مجتمعية سابقة تمنعها من التنافس بصورة جدية حقيقية في الحياة ‹٥›. بعبارة أبسط، هو انحياز من السلطة أو الحركات الحقوقية أو المؤسسات المختلفة إلى فئة معينة، عانت من اضطهاد سابق، جعل بروزها غير ميسور. المثال الأشهر الذي يُضرب في تلك الحالة هو ما إذا قامت إحدى الجامعات الأمريكية مثلا بقبول الطلاب السود إن حصلوا على درجات أقل من المعدل المطلوب من الطلاب البيض، كأن يُتاح للطالب الأسود دخولها بحصوله على ٦٠٪ فقط، بينما الطالب الأبيض لن يدخلها بأقل من ٨٠٪ = هذا هو التمييز الإيجابي. وهو رغم سيادته حاليا إلا أنه موطن نقاش وجدال حتى في الوسط الحقوقي نفسه، فإن تمييز فئة ما وتذليل كل المصاعب والعراقيل لها وحدها، يعني وجوبًا ظلم فئة أخرى، برفع المعايير والشرائط المطلوبة منها عن

المُميَّز! فكيف يُعالَج الظلم بظلم؟ ثم هناك ما هو أكثر؛ فذاك التمييز يراه البعض إهانة وتحقيرا، لا تكريمًا وتقديرًا: إذ ما معنى أن تجعل معيار تفوق الأسود أدنى من معيار تفوق الأبيض؟ ألا يعني ذلك أن الإمكانات العقلية للأسود أقل؟ ما معنى أن تصر على جعل النساء صواحب أنصبة في البرلمانات يحصلن عليها بالتعيين؟ ألا يعني ذلك التشكيك بإمكانات المرأة على النجاح وحدها في منافسة الرجال خلال الانتخابات الحرة؟

من جهة أخرى يكون الرد بأن هذا لا يعني التشكيك أو التحقير، إنما هو تعويض للفئة عن الأضرار التاريخية التي تعرضت لها، مثل النساء والسود، وكذلك مراعاة الواقع لا المثاليات الجوفاء؛ فالواقع أن تلك الفئات ما زالت مضطهدة وتحتاج إلى مساندة أكثر من غيرها، تحتاج إلى التمييز الإيجابي!

كيف يُطبق ذلك على اللوطيين؟

بأمرين، أولهما: إشعال حرب حقيقية على أعداء اللوطية في كل مكان على وجه الأرض، وإعداد ما يشبه قوائم الاغتيال لأسماء المنظمات والمؤسسات والدول والأفراد الذين يكرهون اللوطية، وملاحقتهم من المؤسسات الحقوقية في الذروة والغارب، حتى تنتشر الرهبة المجتمعية والمؤسسية من إيذاء أي لوطي.

وثانيهما: انتقال القضية اللوطية إلى مركز العمل الحقوقي، بعدما ظل الغالب عليها طوال العقود الماضية هو القضية النسوية؛ فلم يعد يمر يوم دون أن تجد صراخًا حقوقيا عن قضية لوطي هنا أو هناك!

إن التمركز حول اللوطية وجعلها البؤرة هو (التمييز الإيجابي) الذي تمارسه المنظمات الحقوقية حاليا لصالح اللاطة، فهم يستحقون الدعم في الانتخابات سواء بصورة مباشرة ترشيحا للوطيين، أو بصورة غير مباشرة باختيار أكثر المرشحين تأييدا للوطية.

المفهوم الثاني هو التصويب السياسي Political correctness ‹PC› والذي

يعني مجموعة من السلوكيات الليبرالية تجاه التعليم والمجتمع، والمصطلحات المتعلقة بهما -فأن تكون ملازما للتصويب السياسي يعني أن تكون حساسا للعنصرية اللا واعية والتحيزات الجنسية Sexism، كأن تحرص على استخدام تعبير مثل

(مختلف القدرات Differently abled) بدلا من (عاجز Disabled) ‹٢٦٨›.

وقيل في تعريفه كذلك أنه محاولتك التحدث والكتابة بطريقة تتجنب إيذاء أي مجموعة اعتدنا الإشارة إليها ومعاملتها بطريقة غير لائقة في الماضي، مثل المعاقين

أو الجماعات الإثنية أو النساء ‹٢٦٩›.

وقد انتُقِدَت تلك الفكرة كونها تنصب شرطة للأفكار Thought Policing،

فأين الحرية المزعومة؟

واستولت تلك الأيدولوجيا هي الأخرى على ألباب الحقوقيين المعاصرين في قضية اللوطية، رأس قضاياهم حاليا: فكل حرف يؤذي مشاعر اللوطية يُلاحق ويُهاجم، حتى صاروا بالفعل شرطةً للأفكار، يهاجمون عناصر الساسة والمجتمع معا إن لم تلتزم التصويب السياسي[31].

---

[31] ناقشت في مبحث اللغة حجم التغيير الضخم في الألفاظ والتعبيرات كي تلائم (المجتمع الجديد) الذي يصنعونه، مجتمع لا ذكورة فيه ولا أنوثة، إنما (سيولة جندرية) كاملة.

إن شرطة الأفكار الحقوقية باعتناقها لمعتقد التصويب لم تعد تهاجم الإزراء الصريح باللوطية فقط، بل مدت موطن عملها إلى مجال التأويل، لأن التصويب مشغول بالألفاظ التي تحمل دلالة (لا واعية) بالنبذ والاستعلاء! فكل ما يحمل في اللاوعي معنىً يضايق اللوطيين، يُفضح ويُشهَّر به ويُنكَّل بمستخدميه، بتطرف وغلو علماني مخيف.

وقد استطاعت المراكز الحقوقية، التي هي مركز العالم الوسيط بين الساسة والمجتمع، تحقيق نجاحات كبيرة في نشر هاتين الفكرتين، خاصة بعد تغلغلهما في باقي المؤسسات الوسيطة، الإعلام والسينما؛ فلم يعد يمر شهر دون صدور فيلم أو مقال كبير يتحدث عن الجديد في عالم التصويب السياسي لحقوق اللوطيين، وما يجب عليك قوله وما يمتنع عليك ولو مجرد التفكير به!

ب: أزمة التوسع في قوائم أصحاب الحقوق.

تلك هي ثاني أكبر مظاهر الحركات الحقوقية المعاصرة، التوسع الضخم في مستحقي الدعم والمناصرة، تحت عنوان واحد لا يتغير: دعم الإنسانية! فباسم دعم الإنسانية هاجوا وماجوا حتى ألغت أوروبا عقوبة الإعدام واستبدلتها بالسجن مدى الحياة، دون اعتبار أن هذا قد يكون للكثيرين أنكى من قطع الرقاب! المهم مناصرة حق الإنسان في عدم التعرض لعقاب بدني وحشي مؤلم مثل الإعدام وإن ذبح ألف ألف طفل، واغتصب ألفي ألف امرأة!

لقد اتسعت في العقود الثلاثة الأخيرة قائمة أهل الحقوق، وضرورة مساواتهم بغيرهم، مع الهوس الغربي الدائم بالتطور ونبذ كل قديم = فقاتِلُ الملايين له حق الحياة مثل الناسك المتعبد، والمرأة العاهرة لها حق احترام وظيفتها كامرأة عاملة مثل معلمة الأطفال، واللوطي له حق الزواج ومساندة المجتمع لصنيعه مثل أي

إنسان طبيعي، أما المريض مستحق النبذ بل والعقاب، هو من يرفض توحيد ذلك المعيار باسم الإنسانية!

إن نقاش إشكال تلك الأطروحات الحقوقية قد يطول بنا فوق اللازم، لكن أبرزها نراه الآن من مطالبات متشهي الأطفال الاعتراف بهم، وبأن ميولهم تلك طبيعية لا إشكال فيها، وقد كانت محاضرة تيديكس فورتسبورج الشهيرة التي عُقِدت في عام ٢٠١٨ نموذجا لما يؤدي إليه ذاك المنهاج الحقوقي، فقد تحدثت المقدمة عن البالغين من متشهي الأطفال الصغار الذين قد يبلغ عمرهم السنوات الست فقط = باعتبارهم طبيعيين وأصحاب ميول جنسية طبيعية بداخلهم، ويجب على المجتمع تفهمهم واحتواؤهم بدلا من اضطهادهم وتعذيبهم! تقول المقدمة: (لدى طالب الحقوق ذو التسعة عشر عاما، جوناس، سر، لا يمكنه إذاعته حتى على مسمع أعز أصدقائه أو والديه! إنه خائف من الغضب والرفض! يعلم جوناس أن عليه كبت ميوله الجنسية طوال حياته، ويعلم أيضا أنه عاجز عن الدخول في علاقة حب محتوية، لأن جوناس: متشهي أطفال، لا يميل إلا للبنات اللواتي تبلغ أعمارهن بين السادسة والثانية عشر فقط!)(٢٧٠)!

إن ذاك الخطاب العاطفي الذي بُدِأت به المحاضرة هو هو الخطاب الذي استخدم قبلا لتطبيع اللوطية! فقط ضع مكان (جوناس: بيدوفيل) (جوناس يحب الرجال، لا يميل إلا للذكور فقط) أو (جوناس يؤمن أنه أنثى، لا يحب جسده كذكر)! استدرار التعاطف، وعرض القضية في صورة الحتمية، وأن اللوطي مجبر على فعله، معذب من المجتمع، مع التنبيه لاستخدام صورة مبكية عن الوحدة والعذاب لشخص يخشى التصريح بميوله حتى لأهله وأعز أصدقائه - فكيف بالمجتمع؟ - أضف لذلك

نبرة المتحدثة المكسورة شبه الباكية، لتدرك أن تطبيع البيدوفيل لم يعدُ في جريانه على مسار أسلافه اللوطيين! لعب عاطفي وصناعة صورة إنسانوية تجذب الشفقة؛ وبالتالي كسب التأييد الحقوقي إن آجلا أو عاجلًا!

ولم يكن الهياج الغربي الذي حدث على تلك المحاضرة إلا نموذجا للازدواجية! فلم الثورة والاحتجاج على خطاب ومسلك استدلالي قُدِّم بحذافيره من اللوطي قبلا؛ فنال الشفاعة والدعم؟! أعندما استخدم بواسطة أمر مستقبح مجتمعيا إلى الآن، صارت مشكلة؟ كأن المشكلة في الزمن، لا في المبدأ! ألسنا تقدميين؟

توسُّع الخطاب الإنسانوي الحقوقي، والإصرار أن كافة القضايا ليست إلا قضية واحدة: هي العنصرية = مهلكة!

فحديثك ضد السود، وحديثك ضد النسوية، وحديثك ضد اللوطية، كلها أحاديث عنصرية، مُجرَّمة! كلها بذات السوء، أحاديث ضد الإنسانية ذاتها!

هكذا صار الخطاب الحقوقي يتشكك فيك دوما إن أصررت على المساواة بين الأعراق، والمساواة بين الأجناس، ثم غاب عنك خطاب المساواة بين التوجهات والميول الجنسية! لابد أن تُختبر ليُعلم أنك محب (لحقوق الإنسان) لا كذب!

وأثر ذاك التوسع على الخطاب الحقوقي العربي الإسلامي تحديدا كان وقوع رواده في مزيد تناقض، مثل الغنوشي الذي قال إجابات لم ترض اللوطيين ولا المسلمين معًا، فتهرب من الإجابة على حقوقهم بأن قال: ليس لنا شأن بما يجري في البيوت! وهو - علم الله - كذاب أشر في إطلاقه، بل يعاقب الإسلام اللوطي وإن كان في غور كهف يصرح بطلبته لنفسه وإن لم يفعل! لكن خطاب الغنوشي كان نموذجا استُخدم بعد ذلك من بعض الإسلاميين الحقوقيين، الذين لجأ أكثرهم لتجاهل القضية كلها في أكثر الأوقات!

والرهان أنه لن يبقى منهم إلا النذر اليسير ممن يرفض اللوطية خلال السنوات القادمة، خاصةً إن ظلت علاقاتهم مستمرة مع المؤسسات الحقوقية الدولية الغربية، طِلبةً لمساندتهم في قضايا القمع السياسي ببلدانهم.

أما عن الخطاب الحقوقي العلماني، فيكفينا لفهم بعضه قراءة التقرير المصوَّر الذي قام به موقع مدى مصر الإلكتروني مع الحقوقيين المصريين جاسر عبد الرازق وداليا عبد الحميد (٢٧١)، ويمكن تشكيل صورة عامة عن نظام عملهم ووسائلهم وأهدافهم من خلال ملاحظة النقاط التالية:

- قول داليا أن تفاعل الناس مع مبادرة الدفاع عن مجموعة من اللوطيين الذين قُبِض عليهم في عام ٢٠١٤ قد جاءت بنتائج مفاجئة لهم، إذ أن الحقوقيين وجدوا الناس أكثر استعدادا لإدانة القبض على اللوطيين من ذي قبل، وقول جاسر أن هذا نبههم إلى ضرورة تطوير الخطاب: "رأينا أننا إذا أصدرنا موقفاً واضحًا إلى العلن، سنتلقى الهجمة المتوقعة، لكن أيضًا سنحظى بتأييد أكبر بكثير من ذي قبل". وكانوا قد قرروا التنسيق لإصدار بيان توقع عليه منظمات إقليمية تدين ملاحقة اللوطيين، فقد قرروا وقتها أن الوقت المناسب لمزيد من الجرأة هو الآن، فأعلنوا صراحةً، وللمرة الأولى، وجوب عدم تجريم العلاقات الجنسية بالتراضي بين البالغين. وقد كانوا في ذات الوقت ينسقون مع النشطاء الحقوقيين، ويبثون رسائلهم عبر الشبكات الاجتماعية، وقد أدركوا أثناء عملهم أن التغيير لا يكمن داخل حدود منظمتهم وحدها، "**وقد تجسدت واحدة من علامات التغيير، والتي كان من شأنها أن دفعت «المبادرة المصرية» لتطوير لغتها، في الطريقة التي اشتبك بها مناصرو**

المنظمة الحقوقية معها على الشبكات الاجتماعية. في قضية «حمّام رمسيس»، جاء عدد متزايد من التعليقات تشدد على أن تدخل الدولة كان خاطئًا، رغم أن المثلية الجنسية تمثل قضيةً إشكالية بالنسبة لهم". تلاحظ داليا كذلك أن واقعة رفع علم

اللوطيين في القاهرة عام ٢٠١٧، والتي قُبِض على فاعليها، حثت بعض السياسيين

وكثير من النشطاء والحقوقيين على التفكير فيما يجب فعله، وتجاوب أحد الأحزاب بإخراج بيان يدين اعتقال اللوطيين، لأول مرة في مصر، وجرى نقاش في أحزاب أخرى عما يجب فعله، في بادرة تشير إلى قرب إعلانهم مستقبلا الجهر بالدفاع عن اللوطية.

- أوضح الحوار كذلك أن مواقع التواصل الاجتماعي موطن عمل نشط للحقوقيين العلمانيين العرب في تطبيع اللوطية، ورصدهم الدائم لها، فيتابعون تطور قبول الشباب للوطية عليها باستمرار = تصف داليا المواقف المستخلصة من المناقشات الإلكترونية الدائرة في أوساط النشطاء بأنها «أكثر تقدمية» /أي أكثر قبولا للوطية عما سبق! كذلك يشير الحقوقيان إلى "**التحوّل الأوسع في الاتصالات كمفتاح أساسي لتطور الوعي الاجتماعي.. فلا يمكن التقليل من شأن الانفتاح الذي سمح به هذا التحوّل؛ جيل شاب قادر على الوصول إلى منتجات ثقافية مختلفة وتطوير معارف أكبر بما يحدث حول العالم**".

- لكن داليا ترجع الفضل في بلورة (المواقف التقدمية) حول الحقوق الجنسية لا إلى الإنترنت ومواقع التواصل وحدها، بل إلى العمل المنظم الخاص بحقوق اللوطيين (الجندر)، والتي تولى نشرها عدد من المنظمات والهيئات مثل «المبادرة» على سبيل المثال، "**ومركز «نظرة» للدراسات النسوية الذي تأسس قبل الثورة، وتولي العمل على الجنسانية كقضية للمنظمات النسوية**". كذلك: "**كل من مركزي «هشام**

مبارك» و«النديم»، مارسا دورًا خاصًا في الحفاظ على تقدم الحركة الحقوقية للأمام. تهتم المنظمتان بالنسوية، مما يمكنهما من اللعب «في المساحة المتقاطعة بين القضايا النسوية والجنسانية وحقوق الإنسان". فحتى المؤسسات الحقوقية غير المتفرغة للوطية والتي شغلها الأول ملفات مثل التعذيب الأمني، تولي اهتماما متزايدًا بتطبيع اللوطية بين الناس، إضافة للتلاحم بين قضايا النسوية واللوطية عند النشطاء العاملين.

- ويتضح طوال الحوار السعي الدائم لربط قضية حقوق اللوطيين، بباقي القضايا الحقوقية المصرية، وجعلها متساوية جميعا في شبكة لا يمكن فصل أجزاءها، كما ذكرنا قبلا، انظر مثلا إلى قول عبد الرازق: "**نحن نعتبر أن الأزمة الأعمق هي أزمة الحريات المدنية، وزيادة قضايا التجديف ضد الأقباط والشيعة، فضلًا عن الحملة على «مجتمع الميم»، مما يعبر عن اتجاه حقيقي للدولة** ! إن الكل واحد، فالعامل بمجال حقوق الإنسان عليه أن يعمل - من وجهة نظر أسياد هؤلاء، التي يبشروننا بها - في خدمة حقوق الأقباط والشيعة واللوطيين (الأقليات المجتمعية)؛ وكل قمع مجتمعي أو سلطوي لتلك الفئات هو شغله الشاغل! كما يتضح طوال الحوار أيضًا، إضفاء الطابع النضالي والحربي على عملهم في تطبيع اللوطية، حتى من جانب الصحفية التي أدارت اللقاء، والتي اختارت عنوانا مثل (المضي بالنضال قدما) كأحد العناوين الفرعية للحوار! هم يؤمنون بأنهم رواد المعركة مع المجتمع القديم، وحاملو مشعل التنوير وسط ظلام الجهل والأفكار البالية، معركتهم ليست فقط قبول اللوطية بل تطبيعها وقبولها تماما.

- ويظهر هذا في حديث داليا عن النقاشات الأخيرة التي دارت في تنظيمها الحقوقي، والذي كان حول (الانتقال من التركيز على الحق في الخصوصية إلى قضية التراضي كمبدأ)!

لنوضح الفارق: مبدأ الخصوصية هو ما استعمله الغنوشي في خطاباته حول اللوطية، ويقتضي أن اللوطي له حق الخصوصية وعدم التدخل في حياته /بينما مبدأ التراضي أكثر جرأةً، ويقتضي أن كل طرفين يرتضيان إقامة علاقة جنسية بينهما ليس للمجتمع الحق في التعليق عليهما أو رفضهما. قد يدقُّ الفرق عليك، لكن بعض التركيز سينبهك لشسع المسافة بين المفهومين، ولِمَ تطور المراكز الحقوقية خطابها من الخصوصية إلى التراضي: فالمبدأ الأول قد تقوله وأنت غير مقتنع بتلك الممارسة، وقد كان يتبناه أكثر الحقوقيين المشارقة قبلا، يقولون نحن نرفض اللواط، لكننا مع الخصوصية، وليس لنا الحق في اقتحام خصوصية اللاطة؛ لكن المبدأ الثاني لن تقوله إلا وأنت مقتنع أن كل العلاقات الجنسية مباحة وليس لك الحق في مجرد رفضها، بل عليك قبولها ما دامت بالتراضي، فإن اشمأزت نفسك فهذا لخطأ عندك عليك علاجه!

إن الخطاب الحقوقي العلماني المشرقي يجابه ضغطا أكبر من نظيره الغربي، فاتساع الفئات المستهدفة بالتغطية والتبرير، والنمو المتسارع للأيدولوجيات المنافية للفطرة الإنسانية، يجعل الحمل أثقل عليه في المجتمعات المسلمة من نظيرتها الغربية التائهة، فما زال في المسلمين أثرة من دينهم، حتى على المستوى السلطوي، وكثيرا ما تعمل حكومات الدول الإسلامية على اتخاذ مناهضة المنظمات الحقوقية وأفكار اللوطية مطيّةً لرفع الشعبية وإضفاء طبع (أنصار الله وأعداء الغرب) أمام شعوبها، وكل هذا يعطل عمل الحقوقيين؛ لكنهم على أي حال يراهنون دومًا على التغيير البطيء، وعلى الانتصارات المتدرجة، والانتكاسات المتوقعة، وعلى ارتباط الشباب بأفكار العولمة وهوسهم بالمحتوى العلماني الغربي، ما ييسر على العمل

الحقوقي العمل معهم، ويجعل لهم الأولوية في الخطاب بدلا من كبار السن، وقد مر الناشطان العلمانيان على نقطة الشباب والأجيال القديمة تلك، وأظهرا إيمانًا بقدرة الأجيال الجديدة على تفهم اللوطية أكثر من كبار السن. ولا تنس المسارات المتوقعة التي ناقشناها في مبحث الشريعة، والتي كان أكثرها قربا للواقع يصب في صالحهم، إذ أن السلطات العربية والإسلامية ستضطر حينها إلى مصالحتهم وإطلاق أيديهم في إذاعة اللوطية بالمجتمع.

ج: الخطاب الحقوقي لمسلمي الغرب.

في عام ٢٠١٧، اختارت مجلة التايمز ليندا صرصور، الحقوقية المسلمة الفلسطينية-

الأمريكية المحجبة، إحدى أكثر الشخصيات المؤثرة في هذا العام(٢٧٢).

فهي ذات نشاط نسوي دؤوب، وعمل لا يتوقف في سبيل دمج (المجتمع المسلم) بالمجتمع الأمريكي، حتى عرفت نفسها على تويتر بالكلمات الآتية (أنا أسوأ كوابيس كل كارهي الإسلام)!
تعتبر ليندا نفسها مناضلة كبيرة لتحسين صورة المسلمين في الغرب، وقدوة لكل مسلم هناك، فهي ملتزمة بحجابها لا ترتدي الملابس الفاضحة، معتزة بالإسلام ترد على كل من يهاجمه، نشطة جدا في المجال الحقوقي والاجتماعي.
تمثِّل ليندا نموذجا كابوسيا لكارهي الإسلام: لأنها من أنشط مناصري اللوطية! حتى علق على تصرفاتها الكاتب دانيال حقيقاتجو قائلا: لا يمكن أن تكتب ليندا

جملتين فقط، دون أن تذكر الهوموفوبيا والترانسفوبيا (عداء اللوطية والخِناثة)

‹٢٧٣›!

فلماذا تصنع ليندا ذلك؟

في عام ١٩٧٨ وضع الفنان اللوطي جيلبرت باكر في سان فرانسيسكو علما، فيه ألوان

الطيف، قال عنه أنه رمز قوي يمثل أمة اللوطيين، وظهور ثورتهم وتمردهم وتضامنهم، وفي أعوام قليلة تبنى اللوطيون هذا العلم بدلا من الرمز القديم (المثلث الوردي)، والذي كان يشير إلى الحقبة النازية، حين كان اللوطيون يُميَّزون في

المعتقلات بوضعه على ملابسهم‹٢٧٤›، وقد لوحِظ تشابه التعامل الحضاري الغربي

مع اليهود واللوطيين، والذي يتمثل بوضوح في الاضطهاد النازي، ومن تلك النقطة صعد في التسعينيات من القرن الماضي تحالف قوي بين المجتمع اليهودي، والمجتمع اللوطي، أُسس على وجوب التضامن بينهما لاشتراكهما في المعاناة التاريخية من

الغرب، وتحميلهما أسباب اندحار الحضارة المسيحية ‹١٤١›.

من هنا أتى الخطاب المسلمين الحقوقي في الغرب، فهم يحاولون مماثلة حالتهم بالحالة اليهودية، والانضمام لتلك الجمعية الحقوقية المتحالفة منذ الربع الأخير من القرن الماضي: اللوطيون واليهود والسود!

وتمثل ليندا ذاك الخطاب الحقوقي؛ والذي ازداد انتشارا مع صعود اليمينين العنصري والمسيحي، وهو خطاب يدَّعم على أن الخوف من الإسلام Islamophobia هو ذاته الخوف من اللوطية، والخوف من الأجانب. وأن العداء

للمسلمين هو ذاته العداء للسامية /اليهودية، والعداء للملونين والسود = إنه خطاب الكراهية المعادي للإنسانية، ولا حل لمجابهته إلا بتوحد كامل لكافة الأقليات المضطهدة في الغرب: المسلمون واليهود والسود واللوطيون؛ لوقف نمو اليمين ونشر خطاب التسامح والحب! يمكن التمثيل على ذلك بتفاخر ليندا على تويتر، أن صلاة

العيد التي نظمها المسلمون في نيويورك عام ٢٠١٣، وافقت مظاهرات الفخر اللوطي

Gay Parade، فكانت الصلاة مع المظاهرة بين اللوطيين، وتباهت ليندا قائلة لأهل (الكراهية): أكيد أنكم غيورون! إن صلاة العيد لمسلمي نيويورك كانت نموذجا للتعايش والحب، أمام نموذج العنف والغضب والكراهية الذي يمثله الإرهابيون المسلمون واليمينيون الغربيون.

أما المسلم الرافض للوطية، فعليه أن يتساءل: لماذا يقبلك الغربي المحمل بخطاب الإسلاموفوبيا، إذا كنت أنت نفسك محملا بخطاب الهوموفوبيا (كراهية اللوطية)؟ على المسلم الغربي أن يحب اللوطيين قبل أن يطالب الغربيين بحبه، وعلى المسلم الغربي المناصر للواط مجابهة كل شريعة وكل مسلم يرفض اللوطية. إن ليندا تقف يوميا ضد الفقهاء والعلماء والمسلمين المروجين لكراهية اللواط وعداء اللوطيين، وتوالي إخوانها اللوطيين الإنسانيين في معركتهم ضد تلك الوحشية، وخطاب الكراهية.

وقد وصل الحال بهذا النموذج المتودد للوطية، أن يُفاخِر بكون المسلمين عرفوا اللوطية في عصرهم الذهبي، يوم كانت أوروبا تحرمها في عصورها المظلمة، كما صنع ماجد نواز، في مقال له زعم فيه أن القرآن لا يحرم اللوطية، وأن النبي كان يقبلها، وأن تحريمها لم يأت إلا من الاستعمار الغربي: "**الكولونيالية علمت المسلمين**

أن توجهاتهم الجنسية مشينة، لقد صار المسلمون الآن أكثر تعصبا وربما أكثر نفاقا من الفيكتوريين"(٢٧٥)!

إضافة إلى أكاذيب ماجد نواز، يستند المخبول إلى الفوضى التي جرت في الدولة العباسية، عندما انحل المجتمع ووُجِدَ اللواط في دار الخلافة، كدليل على أنه مباح لا شيء فيه، والأخطر من ذلك، التفاخر بأن أوروبا كانت مظلمة للوطيين كلها يوما، إلا منارة الأندلس!

إن هذا الخطاب فوق كذبه وتدليسه، إلا أنه بمباهاته أن المسلمين أهل إباحة اللواط، وأن القرآن والنبي يقبلانه، وأن أوروبا المسيحية كانت قارة التزمت = يغذي الدعاية المسيحية بتهمة جديدة للإسلام، حتى أني لن أستغرب يومًا إن تم حرق المسلمين لأنهم هم من علموا أوروبا اللواط! من المعترض؟ إن كتابا مسلمين كماجد نواز هم أنفسهم القائلون بذلك!

يعلن ماجد نواز في مقاله أنه ومؤسسته Quilliam يعقدون لقاءات تعريف أوروبا بتاريخ المسلمين الثري مع اللوطية، وعدم جواز الوقوف صمتًا أمام حادث إعدام تنظيم الدولة لشابين لوطيين، فعلى أوروبا أن تعرف كون هذه الشرائع التي تعاقب اللوطية، والتي نفذتها داعش، ليست إلا نتاج بدعة غربية وتأويل سيء للقرآن!

لم يهتم نواز بذلك؟ يعلن الرجل دوافعه التي هي ذاتها خلاصة كلام ليندا صرصرور: تدعيم مفاهيم الحب والمساواة، ونصرة الإنسانية = مقابل نبذ التعصب والكراهية والهمجية، التي يمثلها المتطرفون الكارهون للإسلام أو اليهودية أو اللوطية!

هذا الخطاب السائد، لا ينشره أمثال ليندا وماجد فقط، بل هناك أئمة وأشياخ أوروبيون يضمنونه خطابهم عن ضرورة الحب والتسامح، في خطاب يؤسلم المحتوى

الحقوقي المعاصر، ويجهر بدعمه لحقوق اللوطيين أحيانًا، بينما يتهرب الكثيرون من التصريح بأي موقف، ما يجعلهم تحت الأنظار والشك من المنظمات التي تعلم أن موقفهم حرج.

أما عن المسلمين العاملين في مجال السياسة بالغرب، فلا يملكون إلا التماهي التام، بل التعصب الكامل لذاك الخطاب الحقوقي، لأنه الحل لجمع الأصوات أمام اليمين الصاعد. ولنضرب بعض الأمثلة على ذلك:

١. كانت ولم تزل عضوة الكونجرس الأمريكي إلهان عمر، المسلمة الصومالية المحجبة التي هلل لها المسلمون فرحًا يوم فازت بمقعد في الكونجرس الأمريكي، هي إحدى أنشط عضوات الكونجرس في ملف دعم اللوطية، ومنذ ترشحها وهي من كبار أنصار اللوطيين والخِناث والمترجلات في ولايتها، ولها على موقعها صفحة كاملة بعنوان (قاتلوا من أجل حقوق اللوطيين) تعلن خلالها أنها ستثور بلا هوادة ضد كل من يرفض اللوطية والخِناثة، وستسعى في إصدار التشريعات لقمع كل من يخالف اللوطية‹٢٧٦›، ولم تمر أشهر قليلة على دخولها الكونجرس، حتى أعلنت في مظاهرة للوطيين بولايتها، وعلى تويتر، أنها نجحت في تمرير مشروع قانون يُجرِّم علاج اللوطيين Conversion Therapy لأنه تعذيب غير إنساني ‹٢٧٧›، وفي نفس الإطار يأتي كيث إليسون، أول عضو مسلم في تاريخ الكونجرس، والمشهور بأنه من كبار المدافعين عن حقوق اللوطية في ولايته‹٢٧٨›، وكذلك

رشيدة طاليب، عضوة الكونجرس الفلسطينية الأصول، والتي نشرت تهنئة للوطيين بشهر الفخر في منتصف ٢٠١٩.

٢. وقد افتتح عمدة لندن في عام ٢٠١٨، المسلم صادق خان، مهرجان (الفخر اللوطي) في لندن، والذي جمع تظاهرة ضخمة ضمت قرابة الثلاثين ألف لوطي، وخمسمئة مجموعة نشاط لوطي(٢٧٩).

٣. كذلك وافق كافة الأعضاء المسلمين الستة في البرلمان الألماني على قانون زواج اللوطيين، والذي لم تدعمه رئيسة الحكومة الألمانية نفسها أنجيلا ميركل، والتي قالت: على الزواج أن يكون بين رجل وامرأة فقط = لكن الأعضاء المسلمين نجحوا مع الأغلبية في إقرار هذا القانون، وفشلت ميركل، وجاءت تصريحاتهم -أكثرهم من أصول تركية- عن انتصار الحب والتنوع وما إلى ذلك من ديباجات(٢٨٠).

فالخلاصة: أن الخطاب الحقوقي الإسلامي في الغرب، السياسي والمجتمعي، لم يعد لديه خيار في السنوات الأخيرة، مع صعود اليمين العنصري أو المسيحي، إلا المزيد من التماهي مع الخطاب الحقوقي الغربي في قضية اللوطية، بل والتعصب لها إلى درجة التطرف = ذاك أن قضية (القبول المجتمعي) للمسلمين في الغرب مرهونة بقبول المسلمين لأكثر أفكار الليبرالية تحررا وفجورا، جلبا لنصرة الأحزاب الليبرالية واصطفافها مع المسلمين في معركتها الدائرة مع اليمينيين، وهو ما جعل المسلمين

هناك بين شقي الرحى؛ فإما قبول باللوطية، أو اصطفاف كافة مؤسسات وأحزاب الغرب يمنة ويسرة ضد وجودك!

4) المؤسسة الإعلامية.

كان المصريون والعرب في عام ٢٠١٨ على موعد مع وثبة فاحشة ومفاجئة في تغيير

صورة اللوطي الخنِث إعلاميا، حينما قدم صناع الفيلم المصري (طلق صناعي) شخصية لوطي خَنِث، يسعى للهجرة إلى أمريكا مرتديا ملابس النساء.

ما يدهمك ليس تقديم الشخصية ذاتها، إنما المعالجة التي أظهروها ومساحة الدور: فقد أظهروا الخنِث في صورة المُضطَّهَد المسكين، الذي يحمل عظيم الشجاعة والنبل؛ ومع ذلك يعاديه مجتمعه ويزدريه = فيحاول إنقاذ كافة الرهائن المحتجزين بداخل السفارة الأمريكية حينما يجبُن غلاظ الرجال وأشاوسهم.

وفي مشهد حرص صانعوه على أن يزخر بلوحات موسيقية وعاطفية مؤثرة، تلقى الخنث الضربة تلو الأخرى على جسده الضعيف، فسقط أرضا، ثم تحامل حتى قام متحديا شجاعا، ليتلقى المزيد ويطيح به المجرم، وينهض المرة تلو المرة حتى يعجز ويبكي قهرا = ليثبت للمشاهد أن الربط بين (الشجاعة) و(الرجولة) هو محض وهم، وأن هؤلاء الخِناث أُناسٌ فيهم مرؤة وحب تضحية بالذات تنقص كافة من حولهم من مدعي الرجولة!

لقد كان حجم الدور صغيرا لكنه ظل ثابتا مستمرا طوال الفيلم، وكان أوسع في مساحة التأثير أضعاف ما توفر لأي دور قبله في السينما العربية والمصرية.

لقد صدمني هذا الفيلم وأدهشني؛ فقد كتبت قبلها بيوم واحد فقط في مسودة هذا الكتاب أن لوطية عصر ما بعد التطبيع لم تظهر بعد في الإعلام العربي بصورة دقيقة واضحة، وأن تصور كيفية بدء ذلك ليس طيِّع التخيُّل!

لكن ما هو عصر ما بعد التطبيع اللوطي؟

سأستعرض فيما هو قادم تغلغل اللوطية في الإعلام بدايةً من هذا القرن، مقسما عصور الإعلام اللوطي إلى أقسام متمايزة تيسِّر الشرح وتبيِّن كيفية التدرج الانتقالي صعودا؛ فالمؤسسة الإعلامية أداةٌ فائقة الكفاءة في تشكيل وعي الجماهير، ودفعها لتطبيع أكثر الفواحش فجورا، وإثبات ذلك يطول، وله مصنفات استقصت وسائله وكيفيته(٢٨١)وقد عرجت عليه في كتاب وطن الراشدين، وسأقتصر هنا على بيان جزء واحد من عمل تلك المؤسسة المقبوض عليها بأيدٍ آثمة لعصب المجرمين والفاسقين في كافة الأصقاع والبلدان.

أ: موجز تاريخ اللوطية في الإعلام الغربي والعربي.

كان أول فيلم يُظهر اللوطيين في التاريخ ألمانيا، عنوانه مختلفون عن الآخرين Anders als die Andern، وقد ظهر في عام ألف وتسعمئة وتسعة عشر (٢٨٢)إلا أن ريادة الأمريكيين لهذا الفن بعد ذلك سيوجب علينا التركيز على تطورهم، فمنذ بداية عصر السينما إلى نهاية القرن العشرين مر التعامل الفني مع اللوطية في أمريكا، مملكة السينما بعدة مراحل صعودا وهبوطا.

فكانت المرحلة الأولى: ما قبل الأربعينيات، وفيها ظهرت لقطات نادرة لشخصيات لوطية نسوية أو ذكورية، وكان بناء الشخصية غير منظم أقرب للعبث يميل

لإظهار اللوطي في هيئة السيسي sissy المتخنث المتثني في حركاته وأفعاله «٢٨١»،

لكن مع ذلك ظهرت مشاهد لوطية بصورة إيجابية، وترافق هذا مع حركات النسوية والحريات التي بدأت العمل في هذا الزمن، وكان مفتتح المشاهد اللوطية

الإيجابية في فيلم الأجنحة (١٩٢٧)، ثم فيلم موروكو (١٩٣٠)، وقد انتهت هذه

المرحلة في الولايات المتحدة عام ١٩٣٤ بالتوقف عن إظهار اللوطيين بسبب الغضب

المجتمعي المسيحي البروتستانتي والكاثوليكي الذي فرض قانونا عاما في هوليوود يمنع إظهار مثل تلك الصور المُحرَّمة للجنس في السينما بقانون الإنتاج أو ما سمي

بقانون هَيس «٢٨٣». أما في الإعلام والسينما العربية فلم تكن اللوطية حاضرة في

تلك المرحلة المبكرة.

وكانت المرحلة الثانية في عصر ما قبل الثورة الجنسية؛ وفيها ظهرت الشخصيات اللوطية في السينما على استحياء وغلب على بناء الشخصية اللوطية صورة المريض نفسيا الذي يستدر تعاطف المشاهد لحالته التي لا ذنب له فيها، كان همُّ صناع السينما منذ ذاك الوقت هو تحويل اللوطية في السينما من الهزلية الكاريكاتورية، إلى الجدية والاحترام، حتى إن رفضت عليك أن تتسامح مع ذلك الإنسان المسكين

المُعذَّب«٢٨٤».

وقد أمرت المحكمة الأمريكية العليا في عام ١٩٥٢ بتحرير الإعلام والفن من القيود السابقة وتقديم لمحات بالأفلام عن الشخصية اللوطية؛ لكن بشرطين، الأول عدم إظهاره في صورة كوميدية مرحة مريحة للمشاهد (التطبيع بالكوميديا)، والثاني ضرورة دفع المنحرف جنسيا ثمن انحرافه = فظهرت الشخصية اللوطية ثانيةً لكن بصورة مريضة أو شريرة، لا كالتمثيل الأول في العشرينيات‹٢٨٥›.

في الإعلام المصري ظل الحال على ما هو عليه من غياب للوطية، إلا إشارة في فيلم الطريق المسدود (١٩٥٨) للوطية نسوية، ويُعد ذلك أول تقديم للوطية في السينما العربية، لكنها لم تكن صريحة، ولم تُناقش بعمق، ولم يُطلب التعاطف معها بل النفور (٢٨٦).

وكانت المرحلة الثالثة في قلب عصر الثورة الجنسية؛ فمنذ نهاية الستينيات وتأثرا بمهرجانات الفخر اللوطية Gay Parade التي كانت جزءا من الثورة الجنسية، تغير موقف هوليوود بتقديم أفلام نادرة تظهر اللوطيين مجتمعا مرحا، مُغازَلةً من صناع السينما للجمهور اللوطي بدايةً، ثم مواكبةً للثورة الجنسية الممتدة طوال السبعينيات فيما بعد ‹٢٨٧›، ومن أبرز الملحوظات أن المسلسلات وبرامج التلفاز كانت هي رائدة تطبيع اللوطية في ذلك الزمن المبكر، وإن تقولبت في صورة ساخرة ‹٢٨١›. أما في السينما العربية فقد بدأت لمحات لظهور الشخصية اللوطية في أفلام

قدمها مجموعة من الممثلين والممثلات كسناء يونس وسعاد نصر وغيرهن؛ وقد غلب على تلك المرحلة إظهار اللوطيات في صورة مثيرة للتعاطف، أو إظهار معاناتهن، مثل فيلم جنون الشباب (٢٨٨). وستكون سخافةً منا إن فصلنا ذاك التوجه في السبعينيات العربية، عن التوجه العالمي الأول، خاصةً مع هوس السينما المصرية بمحاكاة هوليوود!

وقد كانت المرحلة الرابعة في الثمانينيات، عصر ما بعد الثورة الجنسية؛ التي ترافق فيها عاملين في إعادة كبت المادة الجنسية اللوطية، أولهما: عامل ربط مرض الإيدز باللوطية‹٢٨٩› وهي النكسة الكبرى التي مرت باللوطيين وجعلت بعضهم يعتبر هذه الحقبة أحلك أزمانهم بسبب اكتشاف الإيدز؛ إذ ساد وصمهم بناقلي أشنع الأمراض القاتلة، وبأنهم يعاقبون من الرب، فعوملوا بعداء من الجميع في الغرب، بعدما كانوا يحققون فتوحا كبرى في السبعينيات.

وثانيهما: ظهور الثورة المضادة ضد الثورة الجنسية والتي طالبت بالعودة إلى القيم العائلية وهاجمت الزنا، وإن لم تنجح إلا في تحديد سقف لجنون السبعينيات الجنسي ‹٣٢›، ولا تنس أن ذلك كله كان في نسق عادت فيه الكنيسة إلى الواجهة في ظل ريادة اليمين الجديد وإدارة ريجان.

ومن أبرز الأمثلة على قوة تلك الأجواء، أن فيلم Deathtrap تلقى ضربة موجعة ماديا بسبب وجود قبلة لوطية فيه، ما أثار غضبا كنسيا كان من أسباب هذه الخسارة التأديبية. أما انتشار مرض الإيدز فقد عمل بصورة أكبر طوال الثمانينيات في تقديم خطاب كاره ومعادٍ للواط واللوطية.

أما في السينما المصرية فقد ظهرت الشخصية اللوطية عموما بصور ماجنة سخيفة، وكان الوحيد الذي قدمها بصورة مدرة للتعاطف هو يوسف شاهين في أفلامه، التي ركز فيها على لوطية الذكور تحديدا لا لوطية النسوة.

وقد كانت المرحلة الخامسة هي بداية رواج التطبيع، وقد بدأت منذ التسعينيات، وفيها عادت مسيرة السبعينيات المُنتنة في استكمال طريقها، وارتفعت الوتيرة رويدا رويدا حتى وصلت في النهاية إلى مسلسل (الأصدقاء) و(إلين) حيث قُدِّم اللواط بصورة تطبيعية صريحة، وقد كان بين مؤلفي مسلسل الأصدقاء لوطي هو ديفيد كرين، وكان المنتج لوطيا كذلك وعشيقا للأول (٢٩٠).

وقد بدء ظهور عدة قواعد لصناع السينما الأمريكية في تلك المرحلة، نلحظ أنها ستفعل الأفاعيل بعد ذلك في مسيرة تطبيع اللوطية:

أولها، أن القبلات اللوطية بين الذكور في السينما والتلفاز رهان خاسر، فما حدث في السينمات أثناء عرض فيلم Deathtrap المذكور قبلا، من صفير وهياج ومقاطعة، كان درسا ثقيلا له أثره في تاريخ صناعة السينما اللوطية، فالخسائر التي قُدِّرت بعشرة ملايين دولار أكبر من أن يتجاهلها صناع السينما(٢٩١) ولن يرجع المنتجون للمغامرة إلا مع فيلم جبل بروبيك؛ لكن بشكل عام سيظل الإطار العام هو عدم المغامرة بإظهار سلوكيات اللوطية الذكرية الصريحة.

ثانيها، أن اللوطية النسوية في السينما هي أكبر رهان ناجح اكتشفه المنتجون، فالجمهور الرئيسي للأفلام هو الذكور الطبيعيين، وهم يتهيجون بمشاهد اللوطية النسوية ويرحبون بها، ولا يظهرون إلا كل أريحية وتسامح مع تلك المشاهد(٢٩٢)،

والنساء لم يبدين اعتراضا على ذلك؛ فلم لا نغرق المحتوى الإعلامي بقبلات ومشاهد اللوطية النسوية؟ ذلك أحد أبرز مواطن المفارقة الساخرة في القضية كلها؛ إذ يظهر كيف أن المحتوى اللوطي النسوي، الذي ناضلت من أجله كثير من النسويات، عُمم من رجال الصناعة الإعلامية لإمتاع رجال آخرين!

ولو تدبرت قليلا لرأيت حجم المفارقة الساخرة!

فما حدث قبلا في قضايا التعري والتحرير الجنسي للنساء، يحدث حاليا في إذاعة صور علاقاتهن اللوطية!

كل ذلك ترفيه لرجال مقدم من رجال آخرين، والوسيلة هي النساء! قوادة عالمية رفيعة!

ولا تُظهر تلك الأفعال للنسوية إلا في صورتها الحقيقية: أكبر مؤامرة ذكورية لخداع النساء في تاريخ البشر! إن النسويات بحق هنَّ ألعوبة الرجال؛ بل وكلما زادت أصنافهن تطرفا، وأقصد النسوية الراديكالية اللوطية = كلما زاد استمتاع فساق الذكور بهن!

ثالثها، أن الإضحاك والكوميديا سلاح عبقري في تطبيع اللوطية عن طريق تحدي هيمنة النموذج الجنسي الطبيعي Heteronormativity والسخرية منه لصالح اللوطيين؛ لكنه سلاح يجب استخدامه بوعي وحذر وإلا ارتد عليك؛ فيجب ألا تكون السخرية خادمة لتنميط الطبيعيين للوطيين، باعتبارهم كائنات شاذة ومنحرفة؛ بل يجب أن يظهر اللوطي بصورة جيدة حتى إن كانت السخرية موجهة له هو ذاته، وتلك لعبة خطرة تحتاج إلى مهارة ووعي (٢٨١).

رابعا، أن أفضل عرض لحياة اللوطيين التطبيعي يتمحور حول قضية (الخروج Coming Out) وبالتالي يجب أن يظهر في إطار المعاناة والمأساة الداخلية للشخص

والنظرة الاجتماعية المحتقرة ثم التحدي والتحرر والاعتراف، ثم التقبل من الآخرين (٢٨١).

تلك المبادئ الأربعة الكبرى كانت من أهم الدروس التي تعلمها صانع السينما الهوليوودي في تلك المرحلة.

أما في السينما المصرية فلم يتغير الحال عما سبق؛ لكن بدايةً من الألفية بدأ المحتوى اللوطي يكون زاعقا في إعلانه، وخاصةً مع ظهور فيلم عمارة يعقوبيان الذي شهد نقاشا تبريريا للواط، ويعتبر علامة تاريخية في السينما المصرية بالنسبة للمراقبين اللوطيين؛ فبينما ركز النقاش المحلي حوله على جانب كشف الفيلم للفساد السياسي، ركز النقاش العالمي على جانب تقديمه لشخصية اللوطي بصورة طبيعية، وتصوير معاناته وتبريراته دون تحقير، ورُشِّح للمهرجانات العالمية على هذا الأساس، وقد وعي كاتب الفيلم علاء الأسواني هذا الاختلاف بين الرؤية العالمية لفيلمه وبين الرؤية المحلية؛ فقال في أحد اللقاءات الصحفية العالمية: كان أحد دوافع تقديمي للوطي في روايتي هو إظهاره إنسانا، لا كنموذج مطابق للتصورات المجتمعية القبلية النمطية (ستيريوتايب)، اللوطي ليس شخصا شريرا، وليس محرم الحديث عنه! وقد استوعب وحيد حامد، كاتب سيناريو الفيلم نفس ما فقهه الأسواني؛ فقال في لقاء آخر: إن هدفنا من الفيلم هو التنبيه على وجوب استيعاب الآخرين كما هم (٢٩٣).

ثم كانت المرحلة الأخيرة هي عصر ما بعد التطبيع، والذي تميز بأجواء مختلفة أكثر جرأة ووقاحةً؛ فتحت عنوان (ما بعد إلين AfterEllen) افتتحت النسوية

اللوطية (ساره وارن) في عام ٢٠٠٢ موقعا على الإنترنت خصصته لرصد وعرض

كافة المشاهد السينمائية والتلفزيونية والإعلامية للنساء اللوطيات، ومن هذه المشاهد انتخلت عيونها ودبجت المطولات في نقد أو دعم هذا المشهد أو ذاك، وفي نفس الوقت أطلقت موقعا آخر بعنوان (ما بعد إلتون AfterElton) كي يكون المعادل اللوطي الذكوري للموقع الآخر.

كانت ساره في هذا العنوان تُعرِّف بأهمية إلين ديجنيريس وإلتون جون في (تطبيع) اللوطية، حتى اعتبرت الزمن مقسما بين عصر ما قبل إلين وإلتون، وعصر ما بعد إلين وإلتون!

إلين ديجنيريس هي ممثلة كوميدية شقراء زرقاء قدمت في نهاية التسعينيات

مسلسلات تليفزيونية كوميدية فاجأت أثناءها في عام ١٩٩٧ المجتمع الغربي

بإظهار نفسها كلوطية تغازل النساء وتعشقهن وتخوض معهن مغامرات الحب!
كان هذا التحوُّل في مسار المسلسل مسبوقا بإعلان إلين لوطيتها في الإعلام قبل فترة قصيرة، وكانت الحلقة التي أعلنت فيها لوطيتها من أكبر حلقات المسلسل شعبيةً،

إذ شاهدها ٤٤ مليون مشاهد، وهو عدد أكبر بثلاثة أضعاف عن معدل المشاهدة

الطبيعي للحلقات(٢٩٤)! لم تكن تلك الخلطة مألوفة لنجم شعبي قبل إلين، ومر

هذا بصورة ما على المجتمع المشغول بمشاهدة السكتشات المضحكة المتتالية!
لم تكن إلين إذن تصنع لنفسها مجدا في الكوميديا فقط، بل في مجال الحقوق اللوطية كذلك، ولا أقدر على فتح قلوب المجتمعات من الإضحاك، وقد كانت إلين

ذات مهارة كوميدية حقيقية يندر أن تتوفر في النساء، وتذكرنا إلى حد كبير بلوطية كوميدية صاعدة حاليا هي كيت مكينون (٢٩٥).

انتهى عصر هذا المسلسل بعد أن مهدت الطريق لتطبيع نجومية اللوطيين على الأقل، وقد تكون أحد عوامل صبغة المدرسة الإعلامية الأمريكية باللوطية النسوية بتأكيد القواعد الكبرى التي ذكرناها قبلا؛ فما بعد إلين كان بالفعل مغايرا لما قبلها، وقدمت إلين دور صوت السمكة الزرقاء خفيفة الظل في فيلم Finding Nemo ثم اتجهت فيما بعد إلى العمل الإعلامي وصارت تقدم أحد أهم البرامج الحوارية الخفيفة التي تستضيف النجوم وتعمل بانتظام ودون إلحاح ممل على بث مواد إعلامية تدعم اللوطيين في برنامجها، وقد وصلت بالشهرة إلى الحد الذي شغل المجتمع الأمريكي بحفل (زواجها!) على بورشيا دي روسي إحدى جميلات السينما الأمريكية الصاعدات حينها(٢٩٦)، وهي لا تتورع عن التغزل في مفاتن النساء والكل يضحك!

أما الموقع اللوطي الذكوري فكان على اسم إلتون جون(٢٩٧)، الممثل الإنجليزي الذي أعلن لوطيته صراحةً في نهاية الثمانينيات بعد زيجتين طبيعيتين فاشلتين، وهو حاصل على لقب (سير) أحد أرفع الألقاب الإنجليزية ويحوز تقديرا كبيرا في المجتمع الإنجليزي والعالمي، حتى إن الرئيس الروسي بوتين حاول استرضاءه في عام ٢٠١٤ بعدما أبدى إلتون غضبه من بعض مظاهر التمييز ضد اللوطيين في روسيا!

بوتين أكد أن إلتون معشوق الملايين في روسيا بغض النظر عن ميوله الجنسية

ودعاه فيما بعد إلى لقاء يناقشان فيه ما يطلبه إلتون، وهي حقوق اللوطيين (٢٩٨)!

بل إن بوتين رفض طلبا مقدما من مجموعة آباء روس بعدم استضافة حفل لإلتون

رمز الدعاية اللوطية العالمية(٢٩٩)! يلعب بوتين دوما على الطرفين في تلك القضية،

يغازل الكنيسة، لكنه لا يُظهر نفسه للغرب بصورة المتطرف في نبذ اللوطية!
لقد كان إلتون جون هو المعادل الإنجليزي لإيلين ديجنيريس، وإن كان قد سبقها بأكثر من عقد كامل، وإنجلترا وأوروبا عامةً على معرفة باللوطية الصريحة الصادمة في الأفلام منذ زمن كانت أمريكا تبدو فيه كالريفي المتدين! لكن الآلة الإعلامية الأمريكية الجبارة لم تخدم القضية حقا إلا عندما تأمركت، فنقلت منذ التسعينيات الخطاب اللوطي من أوروبا والظل الأمريكي إلى الضوء الفني والسينمائي والإعلامي العالمي!
ما بعد إلين كان عصر التطبيع الأمريكي الذي افتتحته إلين، وكذا كان ما بعد إلتون! عصر انفجار وقاحة اللوطية الذكورية (Queer as Folk) واللوطية

النسوية (LWord)(٣٠٠)!

فمع بداية الألفية، أصدرت شبكة شوتايم Showtime الأمريكية مسلسلا بإنتاج أمريكي- كندي عنوانه (شعب الشواذ Queer as folk) عُرض بداية من عام ألفين إلى عام ألفين وخمسة.

كان المسلسل رياديا صادما، فمنذ الدقائق الأولى عُرضت مشاهد لبطل المسلسل وهو يلوط بالرجال، وكان هذا هو عماد المسلسل الذي تستمر الحلقة الواحدة فيه ما يقارب الساعة إلا ربع!

مشاهد تتضمن مناقشة المواضيع الآتية بكثافة وجرأة وبين رجال عرايا يلوطون بلا نهاية: إعلان اللوطية Coming out، والعلاج من اللوطية (العلاج التحويلي)، وحق اللوطيين في التبني، ودعارة الأطفال والمراهقين، وتشويه اللوطي في أماكن عمله، ولوطية الكهنة الكاثوليك وغيرها (٣٠١). وقد كان للمسلسل نسخة بريطانية بممثلين إنجليز تولوا المهمة في المجتمع البريطاني بلكنتهم واختلافاتهم الثقافية عن الأمريكيين.

خلال خمس سنوات عُرِضت ثلاث وثمانون حلقة بما يعادل خمس آلاف دقيقة، وحققت النسخة الأمريكية رواجا وتأثيرا وصل إلى مجتمع كوريا الجنوبية فكانت من أهم أدوات تطبيع اللوطية في آسيا فضلا عن العالم الأنجلو ساكسوني(٣٠٢).

وقد نجحت شبكة الشوتايم بهذا المسلسل في تطبيع أشنع مشاهد الممارسات الجنسية اللوطية ونقلها من نطاق الأفلام الإباحية إلى نطاق المسلسلات التليفزيونية الشعبية، بداخل القالب الدرامي الأمريكي الاعتيادي الحاثُّ على استدرار تعاطفك مع (الأبطال!) بالتركيز على الجانب (الإنساني) فيهم(٣٠٣)؛ وإن كانت الإباحية الطاغية للمسلسل سطَّحت الشخصيات ولم تظهرها في لباس الاضطهاد الملائم.

في نفس الاتجاه، أنتجت شبكة الشوتايم بداية من ألفين وأربعة إلى عام ألفين وتسعة ما يمكن أن يوصف بأنه النسخة اللوطية النسوية من مسلسل QAF بعنوان

The L word؛ وهو مسلسل كوِّن من نفس العناصر تقريبا، لكن حققت الخلطة النسوية نجاحا مذهلا طبعت الدراما الأمريكية طوال عقد كامل بهذا الخليط: قبلات متبادلة بين نسوة جميلات وممارسات جنسية شهوانية بينهن.
فهذان نموذجان لما مثَّله العقد الأول من هذا القرن من حقبة للتطبيع المكثَّف، أنتجت اهتماما بما حققته الصورة اللوطية النسوية من نجاح لم تحققه الصورة الخشنة للوطية الذكورية في QaF، فانتشرت في الذكور حمى مشاهدة النساء اللوطيات مع بعضهن البعض، واستغلت هوليوود تلك النزعة الذكورية تجاريا كما أسلفنا فزادت من مشاهد القبلات النسوية اللوطية عاما تلو الآخر، وهي النزعة التي أبرزها أحد أشهر المواقع الإباحية على الإنترنت، الذي أكد في عام ٢٠١٦ أن الغالبية الساحقة من رواده في الولايات المتحدة الأمريكية كانوا يبحثون عن كلمة Lesbian (مقاطع اللوطية النسوية)، وقد اشتغل بعض الباحثين على كشف أسباب ظاهرة هوس الرجال بمشاهدة اللوطية النسائية، في الوقت الذي تظل النساء الغربيات أميل لمشاهدة المقاطع الجنسية الطبيعية (٣٠٤)، حتى دفعت تلك النزعة البروفيسور القبرصي مينيلاوس أبُستُلو الأستاذ في جامعة نيقوسيا إلى التجرؤ على القول بأن النساء اللوطيات أوفق لرؤية التطور الدارويني؛ فهن أكثر إثارة للرجال من النساء العاديات! وقد فحص إجابات أكثر من ألف وخمسمئة رجل سألهم ما إذا كانوا يفضلون أن يروا عشيقاتهم أو زوجاتهم تمارس الجنس مع امرأة أخرى = ليُفاجأ بأن ثلث غير المتزوجين يوافقون، بالإضافة إلى حوالي ١٥٪ من المتزوجين!

استنتج أبُستُلو من ذلك أن هذه السمات الداخلية عند الأنثى اللوطية (سمة الميل الجنسي للإناث) لم تظهر فيها إلا نتاج تطور يدفعها لمزيد من التكاثر - والتكاثر هو الهدف الرئيس للكائن الحي عند التطوريين - وبالتالي ليست اللوطية النسوية في

حقيقتها إلا عاملا محفزا للرجال كي يتزوجوا تلك النساء (٣٠٥)!

لكن ما يهمنا من هذا كله هو توضيح تحوُّل اللوطية النسوية إلى أكثر من مجرد ظاهرة إعلامية، لقد تحولت إلى اللاعب الرئيسي في استراتيجية التطبيع الإعلامي، ما جذب أنظار الباحثين لتفسيره وأنظار صُنَّاع السينما لاستغلاله، ولم تكن تلك مفاجأة حديثة، فمنذ منتصف التسعينيات لاحظ صناع السينما أن أفلام اللوطية

النسوية تفوق في المبيعات والانتشار أفلام اللوطية الذكورية(٣٠٦)، وعقدت في

منتديات الإنترنت نقاشات متعددة بين اللوطيين أنفسهم حول سبب التفضيل

الهوليوودي الدائم للوطية النسوية(٣٠٧)، وأثبتت الأرباح دوما صواب الرهان على

اللوطية النسوية!

اعتُبر هذان المسلسلان رواد تطبيع مشاهدة اللوطية عند الجمهور الطبيعي (غير اللوطي)، فقد تحولت شرائح ضخمة من الأناس الذين يعرفون أنفسهم طبيعيين

غير لوطيين، إلى معتادي مشاهدة اللواط، وكان هذا فتحا كبيرا لأولئك(٣٠٨)!

أخيراً؛ فإن اللوطية في عصر ما بعد التطبيع، التي قد يؤرَّخ انطلاقها منذ عام ألفين وخمسة حين ظهور فيلم اللوطية الريادي جبل بروبيك، والذي تناول قصة حب بين رجلين لوطيين، وقبل الرجال بعضهم فيه بل مارسوا الجنس ولم تنتفض الصالات

غضبا(٣٠٩)؛ بل انهال النقاد عليه بالثناء وغمروه وأصحابه بالجوائز[32]، تميزت تلك اللوطية بالآتي:

أولا، انغماس ممثلي الصف الأول في تقديم أدوار لوطية: مثل كيت بلانشيت وروني مارا وجوليان مور وأنيت بنينج وأماندا سيفيلد وكاثرين هيجيل وداكوتا فانينج ودانيل رادكليف وجيمس فرانكو وليوناردو ديكابريو والعديد من فناني الصف الأول في هوليوود. كما تجرأ بعض من أخفى لوطيته لسنوات على الإعلان والتفاخر مثل إلين بيج وجودي فوستر وكريستن ستيوارت ومات بومر ونيل باتريك هاريس وغيرهم. هذه مسألة هامة، لأن تقديم فناني الصف الثالث أو الرابع ممن لا يعلقون في الأذهان أدوار اللوطية شيء، وتقديم (نجوم) الصف الأول تلك الأدوار بما لهم من قدرات وأرصدة نجاح شيء آخر! لقد قرر صناع السينما في هوليوود استخدام قوة سلطان (الكاريزما) بأشد ما يكون من أجل نشر هذه الفاحشة ودعمها!

ثانيا، ازدياد المحتوى الإنساني وتعمُّق الشخصيات وعدم الاعتماد على القبلات والأفعال الإباحية، فلم تعد القصص سطحية بل عمَّقت المحتوى بكافة الإمكانات الدرامية القصصية والفنية لحشد التعاطف مع الشخصيات اللوطية ومساندتها في (معاناتها) ضد المجتمع التقليدي القاسي الذي يحكم عليهم بالنفي والعزلة، ويعاديهم حينما (يخرجون) بالكشف عن لوطيتهم! وهو المبدأ الذي اكتشف منذ نهاية القرن الماضي كما ذكرنا.

---

[32] أحد الممثلين اللذين مثلا دور اللوطي هو هيث ليدجر الذي حصل على دور الجوكر في فيلم باتمان وذاع نجاحه في الآفاق؛ ويكاد عشاقه في العالم العربي يقدسونه بوضع صوره طوال الوقت والتحدث عن إمكاناته التمثيلية الفذة، هذا والملعون هو هو الذي اشتهر في العالم الغربي بدوره كلوطي! من يصنع الرموز بغباء؟ من المتآمر على المسلمين؟

ثالثا، تقديم صورة الخِناث بشكل أكبر كممثلين: والمثال الأوضح على ذلك هو الخنِث مايكل هندلي الذي أجرى جراحة تجميل إضافة للمعالجة الهرمونية كي يصبح خنِثا محاكيا النساء الجميلات ومغيرا اسمه إلى ميشيل هندلي. إن مايكل هندلي حينما أخذ تلك الخطوات لم يكن أكثر من مدون على اليوتيوب، ولم يمر وقت طويل بعد تغير هيئته حتى تم التواصل معه لبطولة فيلم كي يفتح إليه الطريق للسينما والمسلسلات(٣١٠)! نعم قُدِّم الخنِث قبلا عدة مرات، وفي أفلام أقوى وأنجح وأكبر -لكن (استدعاء) هذا الخنِث هو الجديد، إنه استدعاء لممثل سيؤدي بصورة دائمة وليس ممثلا يلعب دورا واحدا طارئا!

ولم يعد الاستدعاء على مستوى الأعمال فقط، بل اخترق المجتمع الهوليوودي، وبدأت تظهر متابعة لقصص حب نجوم صف أول مثل كينو ريفز، مع الخنِث اللوطي جيمي كلايتون، والأول ممثل غير لوطي، وعلاقته بالآخر كانت مفاجأة، ولم يعتبرها أحد نموذجا للوطية ريفز، حيث أن التفرقة بين كلايتون وباقي النساء مظهريا شديد الصعوبة(٣١١)!

رابعا، تقديم صورة الخنِث الطفل أو المترجلة الطفلة، وتلك إحدى أخطر المناطق الجديدة كل الجدة على هذه النوعية من الأفلام والمسلسلات، وتتمثل في تقديم معاناة الطفل الذي يريد أن يحول جنسه، وقد ظهر ذلك في أفلام شاركت فيها نخبة من ممثلات هوليوود مثل إيلا فانينج وناومي واتس وسوزان ساراندن، تحكي عن أسرة من اللوطيات النساء الجدة وعشيقتها والأم، ثم الحفيدة صغيرة السن والتي ترفض أن تكون (لوطية امرأة) بل تريد تحويل جنسها لتصبح مترجلة! إن الفيلم يُمكن اعتباره في تصنيف (ما بعد اللوطية النسوية) ويناقش فلسفة جندرية

بحتة: إنها امرأة قد تلوط بالنساء لكنها تريد أن تتحول جنسيا لأن (جسدها) لا يريحها كأنثى بغض النظر أعشقت النساء أم لا(٣١٢)! وقد صدر في ٢٠١٧ فيلم يحكي عن طفل لم يحدد بعد ما إذا كان يريد أن يكون امرأة أم رجلا، فيأخذ مُثبِّطات لهرمون الذكورة ويرتدي ملابس نسائية ويترقق ويتخنث طوال الفيلم مقتربا من القرار(٣١٣)، وفي ٢٠١٨ ظهر فيلم يحكي عن مراحل تقبل أم لكون ابنها متخنثا يريد ارتداء زي البنات ويُعامل كأنثى، هذا والطفل عمره لا يزيد عن ست سنوات(٣١٤)!

خامسا، دخول إحدى أكبر شبكات عرض أفلام على الإنترنت في مجال إنتاج الأفلام والمسلسلات، وهي نتفليكس NETFLIX، بخطط مخيفة وغير مسبوقة؛ فهي تنتج العديد من الأفلام والمسلسلات التي تدعم اللوطية ومفاهيمها طوال الوقت وبلا أدنى تحفظ أو عرض لرأي مخالف، وتعرض المسلسلات اللوطية القديمة وتروج لها دعائيا في مواقع التواصل، وهي لا تكتفي بذلك فقط، بل تعرض محتوىً يمجد الشيطان في العديد من المسلسلات ويصوره كإله يُعبد، مع استغراق في الجنس بكافة أنواعه، بل وحتى قضية أكل لحوم البشر نوقشت في مسلسلاتها، وقد لوحظ هبوط عدد المشتركين الأمريكيين فيها هذا العام رغم الإنتاج المتنوع والكثير، وأرجع البعض السبب لكافة المخازي المذكورة(٣١٥)!

سادسا، التوسع الدائم في حجم ومدى ظهور الأفلام اللوطية، مثل اقتحامها للمهرجانات الكبرى وحصولها على الأوسكار، أرفع الجوائز السينمائية العالمية، وظهور هذا كتيار رائج عاما تلو الآخر!

وتعبر حالة فيلم ضوء القمر حاصد أوسكار أحسن فيلم لعام ٢٠١٧ عن بداية شيوع

هذا التوجه(٣١٦)، فالقصة عن شاب لوطي أسود! تلك الخلطة لن يفهم ضرورتها

إلا من يتابع الصراع الفكري والسياسي الغربي حاليا؛ فمع صعود ترامب واليمين المسيحي والوطني، بعدائهم لكل ما يخالف المعيار الذي يقدسونه (المسيحي الأبيض الغربي) والذين يحاكمون كافة البشر والأمم إليه، ساد التشدد الليبرالي في تصدير اللوطية عنوانا للتسامح وقبول التنوع الذي يقف ضده ترامب وأنصاره! هكذا تحولت هوليوود، مباءة الفُسَّاق والفُحش، إلى رائدة النضال الليبرالي اليساري الحقوقي في مواجهة المجرمين العنصريين الذين يريدون استعباد وإبادة كل من خالفهم ظاهريا، فصار البشر بين سحيج ونهيق!

ولا غرو لم يجد مُهطِعُ المسلمين ذليل الإقامة بين ظهراني الكفار إلا أولئك يهِفُّ إليهم لنجدته!

وصدق الشاعر: لولا أمير هلكت يشكُر.. ويشكُر هلكى على كلِّ حال!

ومن العجب أن كافة ذلك الإنتاج السينمائي والجوائز الكثيرة لا يرضي اللوطيين أبدًا! ففي دراسة نشرتها مؤسسة GLAAD (منظمة أمريكية كبرى، غير حكومية، تخصصها مراقبة الإساءات ضد اللوطيين) قالت إن وجود اللوطيين في الأفلام هو

١٨٪ فقط، وهذا غير كافٍ على الإطلاق (٣١٦)! تصور أن ما لا يصل تعداده إلى ٣٪

من السكان يُمثَّل فيما يقارب ربع الأفلام الأمريكية ومع ذلك لا يرضى اللوطيون أبدًا بهذا! لابد أن يكونوا هم الأبطال الكبار، ولابد أن تدور كل الأفلام حولهم، ولابد أن تنثال الجوائز على رؤوسهم!

هكذا ترضخ كبرى شركات الإنتاج الأمريكية الرائدة في سوق السينما مثل مارفيل وتعلن أنها ستظهر شخصية لوطية نسوية واضحة من ضمن الأبطال الخارقين في أفلامها القادمة(٣١٧)!

سابعا، اقتحام اللوطية لأفلام الأطفال، وقد بدأت ذلك الطريق شركة Laika الأمريكية تلميحا في فيلم Coraline بتقديم امرأتين عجوزين تعيشان مع بعضهما البعض، ثم تقديم صورة لهما في شبابهما نائمتان في أحضان بعضهما البعض، هذا أول اقتحام للمحتوى اللوطي، فيما أعلم، لسينما أفلام الأطفال، وكان هذا في عام ٢٠٠٩.

تلا ذلك في عام ٢٠١٢، ومن خلال نفس الشركة، فيلم Paranorman والذي دار حول قسوة محاكمة المجتمع للإنسان المختلف عن الشائع والطبيعي بخلل وشذوذ لا ذنب له فيه، مثَّل الفيلم للشذوذ برؤية الموتى، ومدى جرم هذا الفعل ووجوب انتهاء هذا باعتذار مجتمعي واضح لصاحب الشذوذ واعتباره إنسانا متميزا موهوبا! لم يترك الفيلم القصة الموحية دون تصريح، يأتي للمرة الأولى، في نهاية الفيلم من أحد أبطاله مفتولي العضلات، أنه لوطي لديه عاشق! وقد قصَّت قناة MBC هذه اللقطة حين عرضت الفيلم، خشية الفجاجة في طرح مثل هذا القول بفيلم

للأطفال! لم تتوقف شركة لايكا عن نقاش مثل تلك الأفكار الفلسفية، فأخرجت

في عام ٢٠١٤ فيلما بعنوان Boxtrolls يعالج فكرة الاضطهاد المجتمعي لفئات شاذة

من المخلوقات، لا ذنب لها إلا تحضيض دعاة الكراهية على معاداتها وتصويرها في هيئة الوحوش القاتلة، بينما لا هم لها حقيقة إلا الابتكار والمرح والعيش تحت الأرض، مما يستدعي بقوة فكرة (الخروج من الخزانة) الشهيرة والمركزية عند اللوطيين، ويعنون بها كسر خوف اللوطيين من التصريح بلوطيتهم، إضافة لفكرة عبقرية اللوطي وتميزه واهتمامه الفني والإبداعي. ويقدم الفيلم في نهايته، في مشهد يشبه التصريح، الحل النهائي للثورة: وهي (الخروج) من الصناديق التي اعتادت تلك المخلوقات الاختباء فيها واتخاذها سكنا ولباسا، وتدمير أبراج دعاة الكراهية، بينما هم عرايا كما ولدتهم أمهاتهم!

ولم يأت عام ٢٠١٧ حتى دخلت ديزني بقوة وصراحة وفجور أكبر في هذا المجال،

بعد مطالبات على مواقع التواصل وغيرها من آلاف العلمانيين الغربيين -ليبراليين أو يساريين- المناصرين للوطية، بأن تقدم بطلة لوطية في جزء جديد من فيلم الأطفال الناجح Frozen والذي سيصدر خلال تلك الأعوام، لإدراكهم عظم المكانة التي سينزلونها إن بدأت آلة تشكيل وعي الأطفال العملاقة تلك، في بناء

الأجيال الجديدة على تطبيع بطولة اللوطيين (٣١٨)!

ثم جاءت الضربة الحقيقية الأولى، عندما قدَّمت ديزني في نسختها الجديدة من فيلم (الجميلة والوحش)، مشهدا لبطل لوطي يتحدث فيه عن مشاعره، وهو الأول من نوعه عند ديزني في فيلم للأطفال، وجاءت شراستها وغطرستها، دالةً على أن

هذا المشهد له مكانة وأي مكانة، حينما امتنعت الشركة عن عرضه في ماليزيا، غضبا لأن الدولة المسلمة التي تجرِّم اللوطية طالبت بحذف هذا المشهد! حينها علا ضُباح

ديزني: لن نحذف شيئا من هذا الفيلم (٣١٩)!

لقد فُتح الطريق نحو الأطفال، ولن يثني الغربيين شيء قبل إعادة تشكيل العالم كافةً فكرا وقانونا وواقعا، كما اعتادوا طوال القرن الماضي = هكذا يؤمنون!
وأود ختاما لتلك الفقرة، أن أنبه لغلبة الطابع التبشيري في كافة الأفلام والنماذج اللوطية، فدائما المرأة اللوطية لا تجد السعادة في الجنس إلا مع امرأة مثلها، وصناع السينما يستحضرون تعاستها في مشاهد مع رجال فحول ليؤكدوا لك أنهن لا يلجأن للوطية بسبب عدم فحولة شركائهم؛ بل لأنهن لوطيات لا محالة! ثم دائما مشهد اليوتوبيا: القفز فوق السحاب حين تمارس الجنس اللوطي مع امرأة مثلها! حتى لو كان الجنس مع امرأة أخرى ليس أكثر من مداعبة سخيفة لبظرها، فلا يُقدَّم هذا المشهد في الإعلام الغربي إلا في صورة مبهرة تحاول إقناعك طوال الوقت أن هذا أكثر إمتاعا للمرأة من الممارسة الجنسية الطبيعية! والمثل بالمثل مع الرجل اللوطي، الذي يُقدَّم طوال الوقت متجاهلا المرأة لا يستطيع أن يمارس معها الجنس، بينما لا ينفك يتغزل ويطلب الرجال! إن الطابع التبشيري الأيدولوجي واضح للأعمى، لا يوجد لوطي يشعر بالاكتئاب مع شريكه، أو يتضايق من الجنس الممل المتكرر، أو يتشكك في حبه لشريكه، أو يشعر بالألم إن كان ذكرا؛ بل الصورة واحدة دائما: اللوطيون يمارسون الجنس طوال الوقت بسعادة، قبلات المرأة للمرأة والرجل للرجل دائما شهية ممتعة مقارنةً بغيرها، الحب يرفرف دائما فوق الشركاء اللوطيين، دائما اللوطي هو الطيب المسكين المرح الذي يشعر باضطهاد المجتمع! حتى عندما تُقدم لوطية شريرة في فيلم هزلي يسارع المخرج ليجعلك تحبها وتكتشف

أنها ليست شريرة على الإطلاق ويتوج حبها في نهاية الفيلم بأن تتبادل العشق مع الفتاة الملكفة بالقبض عليها(٣٢٠)!

إن ظاهرة تقديم (اليهودي الطيب المسكين المضطهد دائما) زودت السينما والإعلام الغربي بوسائل متطورة جدا في جلب التعاطف وترقيق القلوب والحشد من أجل دعم أيدولوجيا أو فئة اجتماعية معينة، فما إن أوشكت ظاهرة (مسكنة اليهودي) وجذب الدعم للأيدولوجيا الصهيونية ومزاعمها على الخفوت = حتى ظهرت ظاهرة (مسكنة اللوطي) وجذب الدعم للأيدولوجيا اللوطية ومزاعمها!

وسيستمر هذا لزمن غير بسيط، حتى تنتهي موجة الصعود الأيدولوجي الشهيرة والمتكررة في الغرب الأحمق، تارة الليبرالية وتارة اليسار وتارة الفاشية وتارة وتارة!

للغرب نمط واضح ومتكرر، مارسه مع الداروينية والعلموية والليبرالية وكافة الأيدولوجيات التي نالت انتشارا: مرحلة الإرهاصات، ثم مرحلة البحث الاجتماعي والنفسي والفلسفي، ثم مرحلة النقاشات الافتتاحية البدائية، ثم مرحلة الموجة الأولى المرتفعة مجتمعيا، ثم مرحلة رد الفعل المجتمعي المقاوم، ثم مرحلة التنظير المكثف فكريا وأكاديميا، ثم مرحلة الإرهاصات الثانية وبدء نشر الفكرة بواسطة المجتمع المدني والإعلام (تُقدم هنا الأفكار في صورة شعارات سطحية براقة وجذابة)، ثم مرحلة تصاعد النبرة وبدء الموجة المجتمعية الثانية التي يكون رد الفعل فيها أضعف، ثم البدء في مراحل المؤسسات والضغط على السلطات السياسية والسيادية.

وفي مرحلة أعلى رسختها العولمة: الضغط على العالم أجمع للإقرار بالأيدولوجيا التي انتهجها الغرب!

ثم بعد أن يستتب الأمر، تبدأ إرهاصات موجة أخرى - كانت موجودة منذ البدء لكن غاب عنها التنظيم، وضربها التذبذب - لإعادة التفكير في تلك الأيدولوجيا وإيراد الاعتراضات والنقود عليها، والسقوط في فخ النسبوية، وهلم جرا!

إن اللوطية ستجابه نقدا غربيا مرتفع الصوت -لن يكون بالضرورة يميني المصدر- يفكك أطروحاتها الأساسية، خاصةً مع هزال أدلتها وخواء منطقها؛ ولن يكون بالضرورة نقدا هادما، بل ربما يُسدد لهزال الطرح ذاته وليس لرفض مطلق اللوطية! وكم سيكون مؤسفا لو ظل العالم الإسلامي في مقعد المشاهدة!

ب: اللوطية في الإعلام العربي المعاصر.

عودٌ على بدء! فإن العمل الإعلامي اللوطي في العالم العربي له وجهان حاليا: وجه مُنظَّم موجه صريح، وكان مركزه الأول شركة بين تونس ولبنان، حتى ظهرت قنوات الجزيرة على مواقع التواصل + AJ فانتزعت قطر الريادة منهما، ووجه يبدو غير منظم، عشوائي لا يُصرِّح إلا نادرا: ويتمركز في مصر.

فالعمل الإعلامي المنظم في السينما والتليفزيون أظهر في لبنان عنه في تونس، بينما العمل التشريعي أظهر في تونس عن غيرها من الدول العربية: فالسينما والبرامج والمجلات اللبنانية تناولت موضوع تطبيع اللوطية منذ وقت مبكر عن غيرها، بينما قفزت تونس بعد الثورة المهدورة فيها قفزات فاحشة نحو عدم تجريم اللوطية، وخروج محطة إذاعية لتطبيع اللوطية هناك (٣٢١).

أما مصر فمزيج من العمل العشوائي، وهو الأكثر، والعمل المنظم: مثل الفيلم الذي عرضناه في صدر هذا الفصل؛ فهذا الفيلم عمل منظم أيدولوجي واضح، يستخدم أساليب وحبكات السينما الغربية في تجييش العواطف مساندةً للوطيين. أما العمل العشوائي - ولنأخذ بالظاهر ونقول: هو عشوائي! - فيتمثل في عشرات المشاهد والدعابات المنتشرة في الأفلام والبرامج الفكاهية مثل (ليلة السبت بالعربي SNL)، وكلها تدور حول غزل بين ذكرين أو أنثيين، أو مزاح التلميحات الجنسية اللوطية،

إضافة للاستضافة المتكررة للوطيين والخِناث والمترجلات في برامج حوارية مختلفة، وميل تلك البرامج مؤخرا لاتخاذ خطاب غير عدائي مع هؤلاء الأضياف المجرمين. وتتبع مثل هذا المنثورات العشوائية في الظاهر أمر يطول، وله امتدادات في السينما المصرية منذ عصر بداياتها تقريبا!

بينما لا تبدو على المسلسلات الخليجية أمارات الإفصاح عن دعم هذه القضية حتى الآن، ويكاد يقتصر عرض اللوطية على بعض مشاهد هنا وهناك عن ظاهرة البويات مثلا، وهن فتيات لوطيات مترجلات المظهر ويتعشقن ويتغزلن في زميلاتهن الطالبات؛ ولكن يظل هذا العرض أندر من العنقاء.

وأتوقع أن تكون الإمارات والكويت من أوائل الدول الخليجية - إن فُتِح باب تطبيع اللوطية في الخليج - مسارعة في هذا الطريق؛ وقد كنت أود أن أقول بصعوبة دخول مملكة آل سعود في هذا الطريق، لكن أنستنكر بعدما رأينا هشاشة هذا المجتمع أمام سلطاته وأمام العلمانية؟ ولعل البعض يحسبها ورقة رابحة لابد أن يلعب بها يوما ما، جذبا لدعم الغرب إن هُدد بالإزاحة، وإن كان هذا ما زال مستبعدا، أو نرجو ذلك!

ويدخل في العمل المنظم الاحترافي مؤسسات أربعة رائدة في التطبيع، هن على التوالي الجزيرة بلس الفرنسية والإنجليزية، فنشر أخبار معاناة اللوطيين والخِناث والوقوف بجوارهم سياسة تحريرية واضحة فيها يعلمها القاصي والداني، وثلاثي

أوروبا الملعون قبحهم الله بي بي سي إنجلترا بالعربية (٣٢٢)، وفرانس ٢٤ الفرنسية

(٣٢٣) (٣٢٤)، ودويتشه فيله الألمانية (٣٢٥) (٣٢٦) - والأخيرة أنشطهم بصورة

تجعلها القناة الأولى في الناطقين بالعربية من جهة النشاط الدفاعي عن اللوطيين

وعرض حكاياتهم دوما، خاصة من جانب الإعلامي اللبناني الأصل جعفر عبد الكريم لعنه الله.

وقد اختارت الجزيرة الرياضية، على سبيل المثال، كلا من لاعبتي كرة القدم اللوطيتين ميشيل هايمان، وليان ساندرسن، كي يكونا رمزي كرة القدم النسائية

في القناة، ومراسلتيها أثناء كأس العالم للنساء‹٣٢٧›، وقد صارت هايمان تحديدا

وجها مألوفا في القناة ألفه المشاهدون حينا، بعدما نفذت إعلانا ترويجيا يدعو الناس للاشتراك بها. ولا يمكن الحديث عن (الصدفة) التي جمعت أنشط رموز اللوطية في كرة القدم النسائية، بل والعالمية، في القناة، بهذا التوقيت تحديدا، رغم أنهن لسن أفضل لاعبات الكرة النسائية، وتلميعهن كي يكُنَّ واجهة لها أمام العالم! أيكون هذا طمعا في رضى العالم عن استضافة قطر لكأس العالم؟! فيا له حينئذٍ من ثمن بخس! أما الغربيون، فمشغولون برصد الإعلام المحلي والإقليمي لغيرهم، والتنبيه على أي خطاب عدواني نحو اللوطية، مع التحريض العالمي الدائم ضد أي نموذج يُلحق الأذى باللوطيين، والمثال على ذلك أن ثورتهم الكبرى على حادث مقتل الناشط الأوغندي اللوطي (كاطو) قد رُبط فوراً من قبل الإنجليز بنشر الصحيفة الأوغندية رولنج ستون لصورته بين لوطيين آخرين في صفحتها الرئيسية بعنوان المعتدين المعلومين Known Offenders إضافة إلى عنوان آخر هو (اشنقوهم)

قبل مدة من قتله ‹٢٩٣›!

إذن يتعرض مسلمو العالم العربي إلى مجموعة متضافرة من مستويات الخطاب الإعلامي المناصر للوطية:

خطاب إقليمي من المجموعات الإعلامية الأوروبية الناطقة بالعربية، وقناة الجزيرة في محتواها الأجنبي تحديدًا، وخطاب محلي أضعف يتفاوت في الوهن والتنظيم بين دولة وأخرى، لكن أنشطه الموجود في تونس ولبنان.

وقد وصلني حالا بعد كتابتي لتلك الفقرة الأخيرة صور لمظاهرات لوطية في البلدين دعما لفرقة من اللوطيين اسمها (مشروع ليلى) ضد ما وصِف بالقمع المجتمعي والديني والسياسي، مع احتفاء بهم لأن ما يفعله هؤلاء اللوطيون المتظاهرون (مستحيل أن يحدث في دولة عربية أخرى)! أنعِم بها حرية!

والله موهِن كيد الكافرين.

القسم الثاني: الاضطراب الاجتماعي

ناقشت في القسم الأول أوجه ضبط المجتمع لبلائم اللوطية، ووسائل ومسالك ذلك الضبط طوعا وقهرا، وأناقش في هذا القسم بعض أوجه الاضطراب الاجتماعي لتلك الداهية، وكيف أن هذا الضبط الصارم ليس إلا تثبيتا للأمم على طريق الهلاك!

أولا: اضطراب الدور الاجتماعي[33].

أي اهتزاز للأدوار المجتمعية وتماسك أنساقها، أكبر من اضطراب الأدوار المجتمعية للرجال والنساء؟

---

[33] يُعرَّف الدور الاجتماعي بأنه السلوك المتوقع للفرد الشاغل لمكانة أو حالة اجتماعية معينة، وهو منظومة من التصورات العقلية لهذا السلوك، المتعارف عليها اجتماعيا. أما توقعات الدور: فهي تمثل ما ينتظره المجتمع من سلوكيات للاعب الدور الاجتماعي. يمكن التمثيل لشرح التعريفين السابقين بالآتي: فدور الوالدين الاجتماعي هو سلوكهم المتوقع من رعاية لأبنائهم ودعم وتشجيع، والمجتمع ينتظر منهم أن يلعبوا هذا الدور بصورة تلقائية، والشذوذ هو مخالفة السلوكات المتوقعة لهذا الدور، كأن يقوم الوالدين بمحاولة قتل الأبناء ! هنا يحدث اضطراب للنسيج المجتمعي(32) .

لا تنشر اللوطية في كل موطن تطأه إلا خللا فادحا في تصور المجتمع للهويات والميول الجنسية، إذ ينتقل هذا بالتنشئة الاجتماعية إلى الطفل ذاته؛ فما هو دور الذكر وما هو دور الأنثى في المجتمع؟ ما هو المتوقع من الذكر سلوكيا وما هو المتوقع من الأنثى؟

تُسيِّل اللوطيَّة كبرى مفاهيم الفِطر؛ وتورِّث الأطفال خاصةً والأفراد عامةً الاختلال؛ فالذكر من الممكن أن يتزوج ذكرا ويتعامل كأنثى، ومن الممكن أن يتحول لأنثى! والأنثى سلوكها يمكن أن يصبح ذكوريا وأن تتزوج أنثى، أو يظل أنثويا، أو تتحول إلى ذكر!

كما أن هناك حالات غريبة غير مفهومة جيدا، مثل حالة محبي ارتداء ملابس النوع الآخر Cross Dresser؛ وفيها يحب الرجل ارتداء ملابس الأنثى والعكس، دون أن يرتبط هذا بميول جنسية لوطية!

ما هو أثر كل ذلك على أسلوب تنشئة الدور وعلى الانسجام المجتمعي؟!

إن توقعات الدور ها هنا مستحيلة، لا يوجد توقع لأي شيء، الذكورة والأنوثة توقفت عن أن تكون دورا اجتماعيا ثابتا له معنىً وقيمة ومعايير وسلوكيات محددة! تذيع اللوطية الفوضى؛ ولا يعلم الآباء كيف يُنشِّئون أولادهم؟ لكن لابد من أسلوب للتنشئة! هنا تتدخل اللوطية فتتحدث عن مناهج للتربية (تعزز) تلك الفوضى: فيُخبرك سدنتها أن عليك تنشئة ابنك دون نسبته إلى (جنس) معين، فلا تشترِ له لعب الأولاد حصرا؛ فإن اختار أن يكون خنِثا، توجَّب عليك دعمه ومساعدته في تخنثه منذ الطفولة! وإن ترجلت الصبية منذ طفولتها، توجَّب عليك مساندتها وتقوية تلك النزعات فيها! لقد نُظِّمت الفوضى ذاتها في مسارات -بحجة رفع درجة التنوع الجنسي والجندري- تؤدي في النهاية إلى هدم كل معاني الأدوار الاجتماعية من جهة، ولكنها من جهة أخرى مبنية عليها! إذ كيف تُهاجم الأدوار الاجتماعية ويقال عنها أنها أوهام وضلالات؛ ثم يُعتمد عليها في تنشئة الخنِث أو المترجلة؟! ألا تلحظ

كيف تُبنى سلوكيات الخنِث على التشبه بالنساء من تثنٍ وتزيُّن، والعكس للأنثى المترجلة؟! إنهم لا يهدمون الدور الاجتماعي بصورة كاملة، بل يتمردون على الدور الفطري المتوقع للجنس، والحواجز الأبدية بين الأدوار!

ثم أنك تلحظ كيف أن المجتمعات الإسلامية المستقيمة غير المتأثرة بالعملنة، تتمثل فيها الأدوار المجتمعية للذكورة والأنوثة بما يوافق الأدوار الفطرية الإسلامية التي حددها الله سبحانه وتعالى للذكران، كأدوارهم الأنشط في الحياة العامة والصراعات والبنية المجتمعية العليا، والإناث، بأدوارهن الأنشط في مجالات الحياة الخاصة والتنشئة والبنية المجتمعية التحتية = فلا يبغي كليهما على الآخر، بل يُلعن كل من يتشبه سلوكيا بدور الآخر، في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال).

لهذا فإن أفضل استقرار مجتمعي، وأسمى تنشئة للأجيال وللأفراد على السلوكيات المتوقعة لدورهم = هو ما بُنى فوق دين لا يفصل الدور الاجتماعي للذكر أو الأنثى عن الفطرة التي خلقوا عليها؛ إذ تصبح عملية التنشئة الاجتماعية حينئذ مجرد تعزيز لما هو مركوز بالفطرة في الإنسان، لا طمسا للفطرة.

وتلك الأدوار لا تزال متماسكة عموما في العالم الإسلامي، حتى في بعض المجتمعات الإسلامية المتعلمنة = مع فارق انتقال الإسلام من مُلزِمٍ بالحلال والحرام، إلى صورة الثقافة المجتمعية الواحدة ضمن التنوعات الثقافية العالمية = وهي صورة ترفع من إمكانية التأثر بل والتغيُّر، ملائمةً للثقافة الليبرالية العالمية! فيصبح التمسك المجتمعي بمفاهيم الدور وتوقعاته لا يزيد عن كونه عرفا ثقافيا (التقليدية مقابل الحداثة)، وهو نموذج أخف بكثير من النموذج العقدي الأول، إذ لا يصبح التخلي عن الأدوار المجتمعية الفطرية تخليا عن الإسلام، بل تخلٍّ عن ثقافة (تقليدية) لصالح ثقافة (عصرية حديثة)!

ثانيا: اضطراب الهوية الاجتماعية[34].

أحد أهم قضايا الإنسان، وشغله الشاغل، هي الهويَّة التي يختار تعريف ذاته ومكانه في المجتمع بها – ويختار المجتمع نفسه تعريف أفراده بها أولا وبصورة محوريَّة.

لنضرب على ذلك مثلا بمقارنة بين محور الهوية الاجتماعية في الغرب حاليا، ومحور الهوية الاجتماعية المطلوبة في الإسلام، والتي يجمعها الجدول الآتي:

الدين	الإسلام	الليبرالية اللوطية
المحور المجتمعي	الهوية الدينية	الهوية الجنسية
مركز الثقافة	الدور الاجتماعي للهوية الدينية	الدور الاجتماعي للهوية الجنسية
الناتج	الانشغال بالإسلام ومسائله	الانشغال بالجنس ومسائله
تبديل الهويات الموروثة	استخلاف من الله على الإرث المفاهيمي	إرث مجتمعي دنيوي يمكن تبديله

تتمحور الهوية المجتمعية في دين المؤتفكات حول الجنس!

هو كعبة الثقافة التي تطوَّف حولها الأفكار والهويات؛ وذاك نتاج الانشغال بالإباحية المعروضة في كل موطئ قدم؛ ولم يكن بمقدور الفرد في مثل ذاك المجتمع وتلك التنشئة، وعلى دين الليبرالية بفردانيته الشهيرة وعبادة التطور، سوى أن يتبنى الهوية المجتمعية الأبرز، ظنا منه أنه بذلك يحقق تفرده وتميزه الفرداني! والحق أنه لا يتميز عن المجتمع؛ بل ينغمس في معاييره الجديدة وثقافته المخترعة!

فإنسان ينشأ في مجتمع يثقِّفه طوال الوقت بمحتوى يفصل بين امتلاكه لأعضاء التناسل الذكرية، وبين هويته الجنسية كرجل؛ بل يحفزه على التوقف وعدم تحديد الهوية المتفردة إلا عندما يُدرك حجم التنوع الهوياتي الجنسي بين لوطي وخنِث ورجل حقيقي، ثم بعد ذلك يحدد ميوله: ألوطيَّة هي أم طبيعية = ليس من المستغرب عدم انشغاله بغير تلك القضية والمسألة الكبرى التي قد يقضي فيها عمره!

---

[34] تعرف الهوية الاجتماعية بأنها فهم الإنسان لذاته، وتصوره لمعتقداته الهامة في الحياة، وهي نوعان: اجتماعية، وهي مركَّبة فالإنسان يكون أبا وأخا وموظفا – وذاتية، تتعلق بالفرد نفسه وصفاته وخصائصه المباينة للآخرين (337).

فأن تُغيِّب أوضح الواضحات الأوَل، ونقطة انطلاق تعريف الإنسان لهويته وذاته منذ الطفولة، وتزوِّده بمفاهيم مضطربة متناقضة مخالفة للفطرة حول الجنس = يعني وجوب تمحور حياة ذاك الإنسان حول الجنس، ومن ثم تمحور المجتمع كله مستقبلا!

وذاك كله من فِعال دين الليبراليَّة وما شاكلها، كما أسلفنا، بزعمها أن كافة المبادئ والمواريث المجتمعية ليست إلا تقاليدا مُخترعة تجري عليها سنن التطور والتقدم ويمكن تبديلها بل يجب = فما اخترعه الأسلاف من حياتهم لإيالة حياتهم لن يُقيِّد المعاصرين عن تجاهله وإيالة شؤونهم بما يناسبهم، وما خطَّه المتقدمون البدائيون دستورا في عقولهم من عقولهم، لا ينبغي أن يكبح المُحدِثين عن تبديله وتغييره لمواكبة التطور الحتمي واللازم! لا مُقدَّس أبدي حقيقي، ويجب نقل مبادئ المجتمعات وأخلاقياته الثابتة التي يُنظر إليها باحترام وإجلال وتقديس، إلى هامش العادات والتقاليد النسبية، تمهيدا لتطويرها!

وقد تسببت محوريَّة دور الجنس في تحديد الهويات المجتمعية والذاتية في الفوضى الحالية، ولن تزيد الأمر إلا فوضىً، وإلا وقعت في التناقض: فما وجه منع الجنس مع الحيوانات ومع المحارم؟ إن هي إلا ترهات لن يمضي وقت طويل حتى تنتهي كتاب من عقول البشرية، ويبلغوا شأوا مناسبا يتفهمون فيه وجوب إلغاء كل تشريع يمنع ذلك، وقد أسلفنا الحديث عن ذلك.

وقد تسببت تلك المحوريّة أيضا في غمس عقل المجتمع في الشهوات الجنسيّة؛ ولولا انفصال المجال السياسي عن الثقافي المجتمعي في الأولويات لضاعت سيادة الغرب وهيمنته، وهم يستبطنون ذاك بوعي أو بدونه -فالمجتمع الأمريكي الزنّاء هو نفسه من ثار على زنا الرئيس الأمريكي كلينتون! إن السياسي الغربي ليبرالي واقعي، أبوه ميكيافيللي وخاله هوبز، يُقدِّس القوة ويثقف وجوب جعلها محور حياة بلاده،

بينما المجتمعي والحقوقي الغربي ليبرالي رومانسي يقدِّس الجنس ويعبد آلاته ويجعله محور حياة أناسه!

ولفحص محور الهوية المجتمعية في الإسلام، يجب التفرقة بين مرحلتين منه: الخلافة الراشدة، والممالك التي تلتها.

فقد ابتلينا في أعصر ممالك المسلمين، بغلبة مفهوم العرق والسلالة كمحور للهويّة المجتمعية، فالمركز المجتمعي للمملكة الأموية فالعباسيَّة كان الهويّة العرقية: أعربي أم أعجمي، ثم سلالي: أقرشي أم غير قرشي! وستزداد التطورات طوال عهد العباسيين والتفريعات في الهوية العرقيّة والسلالية: أأعجمي تركي أم فارسي أم رومي؟ أقرشي أموي أم عباسي أم هاشمي؟ أهاشمي حسيني أم غير حسيني؟!

لقد كانت الهوية العرقية محور بناء المجتمع الدنيوي إضافة إلى المحور الديني ذي التأثير المشابه في القوة، لأن مركب دين تلك الدول كان (العرقية + الإسلام)، وقد أنتج ذلك انشغالا بمسائل العرق والسلالات حتى في الفقه، فرأينا الحديث عن عدم مناسبة تزويج العربية لغير العربي، وما إلى ذلك. إن الصراع المتطرف من الجانبين العربي وغير العربي لم ينتج إلا بسبب محورية الهوية العرقية في تلك الأعصر.

أما عن التغير المفاهيمي المتعلق بالهويّة فقد رأيناه سائلا لينا على مستوى القرون، صلبا على مستوى القرن الواحد أو الدولة الواحدة: فالترك في قرن سيادتهم الأول وتعاملهم مع العرب وتصور العرب لهم وتصورهم هم أنفسهم لهويتهم العرقية، لا يشابه الترك في قرن سيادتهم الأخير وتصور العرب لهم وتصورهم هم لهويتهم العرقية. وشرح ذلك يطول وبحثه متشعب ويحتاج إلى استقلال، فلعل الله ييسر لي النظر فيه يوما.

إذن ما الهوية الاجتماعية المحورية الأصيلة في الإسلام؟

الدين! هو مركز بناء الهوية المجتمعية والذاتية، والهويَّة الدينية هي المحور المجتمعي، فمنها يستمد المرء دوره، وبه ينشغل: فالمسلم ينشغل بالإسلام على مستوى

المجال العام السياسي والخلقي، وعلى المستوى الذاتي، فيعمل على إثبات استحقاقه لتلك الهوية التي تشكل حياته كافةً بالجهاد خارجيا وبالإصلاح داخليا أمرا بمعروف وإنكارا لمنكر، وكذلك بالضبط العقدي والسلوكي والتعبدي الذاتي كي يكون جديرا بهويته كمسلم؛ ولا يظهر ذلك خالصا إلا في دولة الخلافة الراشدة حيث التوحيد الخالص، ثم في القلة المنصورة بكل عصر.

كما أن إمكان التغيُّر بالتحوُّل عن الهوية الموروثة غير ممكن في الإسلام، فالمسلم يرث المفاهيم خليفةً من الله على أرضه، مؤتمنا عليها، وتلك الهويَّة ذات قواعد تشكيل ابنة كتاب مقدس هو القرآن، وعليه يكون أرسخ وأثبت قدما من كافة ما عداه من محاور بناء الهوية المجتمعية.

فأي نائبة تنزل بالمسلمين أدهى من تحوُّلهم عن محورية هويتهم الإسلامية إلى محورية هويتهم الجنسية؟

لقد ذقنا الويلات طوال عقود سيادة ليبرالية النسوية التي حادت بمحورهن إلى الهوية الجنسية ذكرا وأنثى، فأغرق المسلمون في مسائل الذكورة والأنوثة ومن صاحب السيادة والفضل في المعركة الوهمية بينهما؛ فكيف بنا في عصر الهوية الجندرية؟ وكيف يكون الحال عندما نغرق في مسائل من نوعية: أيكون الذكر ذكرا، والأنثى أنثى؟!

ولا أمثل من حالة الخِناث للتمثيل على هذين الاضطرابين معا؛ الهوية والاجتماعية والدور الاجتماعي؛ إذ يظلُّ الخِناث في رأيي هم أكبر المخاطر الجديدة في قادم الزمان، لذا نتحدث عنهم، لبيان أثر انتشار ظاهرتهم، وخطرها الماثل في قدرة الخنِث الحديث على جذب الرجال الطبيعيين، إذ أنه (مظهريا) يُشاكل امرأة ناضجة الأنوثة، بل المُصممة على معايير جمالية عالمية! فما وجه الاندهاش من وقوع الرجل الطبيعي فريسة له؟

لكن المسألة لا تنتهي فقط عند الجانب المظهري؛ ففي فيديو ترويجي، يُعدِّد أحد الخِناث اللوطيين فوائد وأسباب اللواط بالخِناث في مجموعة من النقاط، تحتاج إلى

تدبر وتعليق؛ فيقول (٣٢٨):

إننا نُثمِّن الأفعال الصغيرة التي لا تقدرها عادة الفتاة المعاصرة: نُقدِّر بصورة أكبر إمساك أيدينا في العلن أو مدح جمالنا، وقد كنا يوما في الجانب الآخر، جانب الرجال؛ وبالتالي نفهم جيدا مشاعر واحتياجات الرجل بما يفوق فهم الفتاة العادية.

ونحن عادة أكثر أنوثةً من الفتاة العادية وأشبه بالفتيات تدللا وخلاعةً girly: وهذا بسبب تقديرنا لما لم نملكه من قبل، مثل الثدي! لذا نقوم بإبراز نهودنا دوما، وكذا إرسال شعرنا الطويل. إننا فتيات بسيطة الطبع لطيفة المعشر، ولكننا أقوياء جدا من الناحية العاطفية والإنسانية؛ فقد مررنا بالكثير حتى نصل إلى ما وصلنا إليه اليوم (الخنوثة الكاملة، بما يقتضيه ذلك من قرارات جريئة).

هنا ينتهي كلام الخنِث اللوطي، وهو كلام موجز مركز أحلله في نقاط لتبيين خطورة تلك الظاهرة:

يقدِّم الخنِث للرجل صورة (المرأة النموذجية) الذي صار مُفتقَدًا في الغرب وأغلب عالمنا، الأنثى العاشقة اللطيفة التي يغمرها الحبور بأبسط الأفعال الذكورية المحبة، وتقدرها وترفع معنوياتها، مقابل المرأة المعاصرة المدللة الفاسدة ابنة الحركات النسوية، والتي تعتبر كل شغف ذكوري بها سلاحا تستخدمه في معركة إذلال الرجل وإخضاعه من أجل الانتصار في (الحرب)! المرأة التي تتعامل مع تصرفات الإعجاب الذكورية البسيطة باعتبارها حقا مكتسبا بالولادة لا يجوز مناقشته!

يُقدِّم نموذج المرأة التي تهتم بمشاعر الرجل وتفهمها بعمق، والتي تدرك احتياجاته -في إشارة للاحتياجات الجنسية- وتسعى في إرضائها بكل السبل! فيقول خنِثٌ آخر ردا على سؤال ما إذا كان يصل للنشوة عن طريق دبره أثناء العملية الجنسية مع الرجل: ربما يحدث مع غيري لكنني لا أهتم بهذا، ما أهتم به ويثيرني وأرغب فيه هو

أن أرى رجلي يصل إلى نشوته! متى وصل إليها شعرت بالسعادة والرضى (٣٢٩)!

تدبر خطورة المعنى:

فالمرأة العادية ذات متطلبات جنسية مقابلة لمتطلبات الرجل، ويشتملها الضيق إن صار أنانيا لا يفكر إلا في نشوته وحده، فهي لا تعتبر إشباعها إنجازا يسعدها ويرضيها تماما، إذ خلق الله لها احتياجات، متى قصر الرجل عنها ثارت وأخذها الضيق والارتباك العاطفي والجسدي.

كما أن أغلب النساء لديهن مشاكل جسدية وصحية تعيق استمرار العملية الجنسية وانتظامها؛ فإضافةً لأيام حيضها، لا تتحمل النساء عادةً دوام الجماع وكثرته وإطالته فوق الصورة الطبيعية، إضافة لكثرة الطوارئ الصحية الحادثة لأجسادهن الضعيفة، وهو ما أحسبه أحد أهم أسباب فتح سبل التعدد وملك اليمين للرجال.

في مقابل ذلك يظهر الخنِث: حيث يُقلِّد ويُحاكي (صورة الأنثى النمطية) بل ويزايد دوما عليها لعقدة النقص المركوزة فيه، وتساعد التغيرات النفسية لكونه صار طرفا سالبا في العلاقة في محو رغباته هو ذاته وتمحور سعادته حول الذكر الذي يمارس الجنس معه = إنه يُكرِّس كل ما لديه من أجل إسعاد شريكه ولا يطلب شيئا في المقابل من الناحية الجنسية!

أضف إلى ذلك أن الخنِث لا حيض له، ولا يقيده تكوين جسدي ضعيف كالأنثى الاعتيادية، ولا يملك مشاكلها الصحية المتكررة لغياب المهبل من الأساس بما فيه

هو ذاته من مشاكل تعيق الاتصال الجنسي أحيانا كثيرة، ولا يتسبب جماعه في حمل أو أي مسؤولية حياتية، كما أن طبيعته الذكورية ترشده إلى معرفة (احتياج الرجل) أي الجنس المستمر بصورة رئيسية، وهو يملك توفيره!

إن تدبرت في كل ذلك اكتشفت الكارثة!

فإن كانت الأنثى تقضي زمن مراهقتها وبلوغها وأول شبابها في إظهار مفاتنها سواء للجميع إن كانت متبرجة، أو لزوجها = إلا أن أغلبهن لا يقضين ما بعد زواجهن أو سن العشرينات في هذه التصرفات، فهن ينضجن وينشغلن. الخنِث في المقابل حُرِم من هذا في مطلع شبابه أو طفولته، ويريد استعراض مفاتنه طوال حياته الباقية، وهذا هو السبب في ولع الخِناث الذكور بإظهار المفاتن المصنوعة والتعري بالملابس الفاضحة أو الضيقة.

الخنث يهرول متى جلست الأنثى!

كما أن شغفهم بالأنوثة وإظهارها، قد تساعده في أن يفوق الأنثى ذاتها التي تصنع ذلك طبيعةً، خاصةً في عصر بنت التنسون التي دربها الإعلام والمجتمع كثيرا على عداء الأنوثة الحقيقية بالأنوثة الحديثة المشوهة!

كذلك هناك ملمح خطير قد يصدُق في بعض أولئك الخِناث الذين قاموا بتحولات جسدية: أنهم على المستوى النفسي أقوياء وهذا حقيقي[35]! لقد ذهبوا في إصرار إلى أبعد ما يمكن للوطي أن يذهب إليه، إذ غيروا هيأتهم وربما خسروا الأهل والأصدقاء في سبيل تحولهم هذا؛ فالخنِث بالتأكيد شخص صعب المراس يستحيل تقريبا أن تلقى دعوته إلى إعادة نفسه إلى عالم الذكور الرجال (إن كان خنِثا) أو عالم الإناث النساء (إن كانت مترجلة) أي صدىً! لقد أصبح هذا الشخص آلة لوطية متخصصة

---

[35] لا يُمتدح بقوة وصلابة النفس إلا في خير، ففرعون وأبو جهل وأكثر الكافرين عداوة للإسلام، كانوا ذوي صلابة نفس في طاعة الشيطان وعدم التهاون مع المؤمنين!

في إغواء البشر! وهذا أحد أهم أسباب فهم الحكم الشرعي بقتل أولئك= إن طبيعة شخصياتهم وخاصة بعدما تحولوا إلى تلك الصورة، لا يكاد يسمح لهم بالعودة إلى الصورة الطبيعية أو تقبلها من جديد!

أخيرا: يقدم الخنِث نفسه كفتاة لطيفة، غير مهووسة بما تشغل الفتاة المعاصرة نفسها به، هكذا يقولون، والحقيقة أن السبب بسيط: أنه ذكر وليس أنثى! الذكر في العادة لا يهتم بالتصرفات الراقية والآداب الرفيعة ولن يصيبه هوس الاستعراض ومدح الذات المتغطرسة الذي تغرسه النسوية في بناتها = بالتالي يكون أقرب للأنثى اللطيفة (الطيبة) من الأنثى المغرورة الاستعراضية المتنسونة المعاصرة!

إن الخنِث في مُحاكاته نموذج الأنثى المثالية على فطرتها، أقرب إليها من بنات عصر التنسون أنفسهن! والمُترجِّلة في مُحاكاتها نموذج الذكر الشهم بالفطرة، تُصبح أقرب إليه من ذكر عصر التنسون نفسه!

هذه بعض مخاطر تلك الظاهرة الكارثية، خاصةً مع تقدم وسائل وجراحات تحويل الهيئة والشكل.

تبقى أن نختم كلامنا عن ظاهرة الخِناثة ببعض التعليقات:

أولا: أنه توجد نسبة ضخمة من الخِناث والمترجلات يرجعون إلى الصورة الطبيعية، فقد أثبتت بعض الدراسات أن أكثر من أغلب الحالات المضطربة في مرحلة الطفولة والمراهقة تصبح طبيعية تدريجيا بعد البلوغ (٣٣٠).

وهذه النسب تبين أي إجرام يصنعه الغرب، الذي يشجع الأطفال المضطربين على التحوُّل، حتى وصل الأمر إلى النقاش المحموم حاليا، حول ضرورة إلغاء وجوب موافقة الأهل على التحول الجنسي لأولادهم(٣٣١)!

وأطروحة المؤيدين لإلغاء رأي الأهل، تتلخص في الآتي:

أن من واجبات الدولة حماية الأقليات من الأضرار الجسيمة والإيذاء الذي يتسبب فيه أولئك الذين يتولون الرعاية. وأن الإيذاء الذي يؤدي إلى الانتحار هو ضرر جسيم. وأن الأطفال الخِناث والمترجلات، الذين يعيشون مع آباء غير داعمين لتوجهاتهم، في خطر كبير جراء الأضرار النفسية والتي تنتج عندهم ميولا انتحارية. وبالتالي، على الدولة أن تعتني بأولئك الذين يقع على كاهلها عبء حمايتهم ورعايتهم، وهم الخِناث والمترجلات، ووقايتهم من الإيذاء النفسي الذي يتسبب فيه متولو الرعاية، أي: الأهل (٣٣٢)!

أرأيت كيف أن الأم الليبرالية أشفق على الولد من أهله؟!

ثانيا: أنه توجد شكايات من خِناث ومترجلات كثر أبدين ندما وتأسفا عما خضعوا له من تحويل للجنس، إذ أن أجسادهم قد تغيرت، إلى الأبد(٣٣٤) (٣٣٣).

ثالثا: أن أكثر التغيرات التي تحدث بسبب العلاجات، غير قابلة للانعكاس irreversible، فإن كان هذا جليا في الجِراحات التي تستأصل الأعضاء الجنسية، إلا أنه لا يقل خطورة في العلاج الهورموني:

فهو يصيب الخنِث بالعقم، ويقلص خصيتيه إلى أقل من النصف، وينبت ثدييه، وحتى مشاعره الجنسية الطبيعية لا ترجع إلى فورتها السابقة، ولن ترتبط نشوته بالأعضاء التناسلية كباقي الذكور، بل يصبح أنثوي النمط، نشوته لا مركزية في جسده، ويتضاءل كم المني النازل منه حتى يكاد ينعدم، ويصبح في خطورة دائمة إن أوقف الهرمون الأنثوي قبل سن الخمسين، لأن عظمه سيضعف حينها(٣٣٥)! أما

المترجلة فسيشتد شبقها بأخذ هرمونات الذكورة، وتصبح ذكورية النمط في النشوة، إثارتها مركزية في البظر، ويذبل ثديها، ويتكاسل مبيضها عن العمل، وإن كان لن يتوقف بصورة نهائية، وتكون عرضةً للنزيف من الرحم إن توقفت عن أخذ جرعات الهرمون، ويتبدل نمط الأمراض عندها ليصبح ذكوريا، فتكون أشد عرضة للإصابة بأمراض السكري، وارتفاع ضغط الدم، وتزداد مخاطر الإصابة بالجلطات، لأن التستوستيرون يزيد من كثافة الدم، وترتفع كذلك مخاطر الإصابة بالسرطان(٣٣٦) .

فكل هذه هي (بعض) المخاطر الصحية والأعراض الجانبية لهذه العملية، أي الخِناثة. لذا يكثر الحديث عن الندم، فهو قرار ثقيل، وتوابعه أشد إرهابا، ولا نفع للندم أو التراجع عنه، خاصة إن حدثت تلك التدخلات في سن صغيرة، حيث لن يمر الفتى على مرحلة مراهقة وبلوغ أصلا، وبالتالي يكون أثر هذا التدخل هائلا!

ثالثا: اضطرابات عولمة الثقافة الغربية.

هذه أحد أهم آثار اللوطية على مستوى العلاقات الفردية بين الأشخاص، ففي عصر القطب السياسي الأوحد وسيطرة الإعلام الغربي والسينما الأمريكية بشكل خاص، فإن الثقافات المتنوعة لا تتأثر فقط بالثقافة المجتمعية الأمريكية والغربية، إنما تعيد تشكيل نفسها خاصة في الأجيال الجديدة.

مثال ذلك: عادة التقبيل والعناق، فهما يُعبِّران عن الود الاجتماعي في كثير من الثقافات بينما يُنظر إليهما في المجتمعات الغربية باعتبارهما جانبا من السلوك الجنسي (٣٣٧)!

فما هو أثر إشاعة وذيوع ذلك التصور للعناق والقبلات بآلة العولمة في الشعوب المستقبلة؟

لقد هالني ذات يوم نقاش بين مجموعة من الشباب المصريين صغار السن، رأوا في إحدى الحفلات فتاة تحتضن أخرى، غامزين إياهما باللوطية دون أي قرينة سوى ذلك الحضن فقط، وهما محجبتان ليس في سلوكهما شين!

كيف حدث ذلك؟

لقد انتقلت القبلات والعناق وكلمات الحب اللواتي تعتاد الفتيات تحديدا أن يقلنه إلى بعضهن تفريغا لعواطفهن التي يقمعها المجتمع سواء بتعقيد الزواج أو بتحديد عدد الزوجات، من علامات على الصداقة الحميمة إلى علامات على (اللوطيَّة)! ذاك ما تسبب في تصوُّر أولئك الشباب للوطيتيهما: لقد تمكَّن التصوُّر الليبرالي الغربي المعولم من أعماق نفوسهم؛ فصاروا يفكرون كغربيين، حيث تكون مظاهر الحميمية الشرقية ذات دلالات ورموز جنسية وشهوانية!

واستبطان هذا التصور عند الفتيات أنفسهن مشكلة أكبر وأفدح! فالتي نشأت على انتقال هذه العادات من خانة المزاح البريء أو إظهار عواطف الصداقة والأخوة، إلى خانة العشق والميول الجنسية، يعني أن الفتاة ستتساءل عن (هويتها الجنسية) منذ وقت مبكر! وسيكون من الصعب عليهن، بهذا الانتقال، وقف سيل الخواطر عن كونهن يملن إلى النساء، أو، على الأقل، أن هويتهن مزدوجة (محبة للرجال وللنساء)!

أما في الشباب، فبرغم أن الأمر من هذه الجهة أقل أثرا، إلا أنه فادح كذلك، فإن العناق والقبلات على الوجنتين وبعض المزاح الجنسي الشاذ الذي يعتاده المراهقون دون أن يعتبروه ذا دلالة حقيقية على ميولهم الجنسية وفطرتهم التي أنشأهم عليها المجتمع وثقافته، بل يفهمون أنها تنفيس عن كبت تغييب الجنس الطبيعي = لن يكون كذلك! فستنتقل تلك السلوكيات هي الأخرى إلى خانة الميول الجنسية

الثابتة بداخل المرء، وسيبدأ المراهقون في إطلاق سيل من التساؤلات التائهة عن هوياتهم وميولهم وحقيقتهم، وسيسلم الكثيرون بمزاعم كونهم لوطيين بالخلقة! إن هلكة المسلمين والمشارقة والعرب، أن تُستحضر الدلالات الغربية اللوطية، وتُستبطن في أنفسهم آلة الجنس اللوطية المعولمة في فك رموز الأفعال والسلوكيات = وهم غارقون في أنشطتهم الحميمية بين أهل الجنس الواحد مما اعتاده المسلمون والمشارقة! ستضطرب أفكارهم وتتبلبل شخصياتهم وسيكون سؤال الهوية الجنسية مخيف الإجابة، وستوزَّع الاتهامات يُمنةً ويُسرةً، ما سيؤدي لمزيد من الاضطراب عند المتهمين، الذين قد يُسائلون أنفسهم كذلك ما إذا كانت الاتهامات المحيطة بهم صحيحة، وأنهم لوطيون حقا بالجبلة، وهو ما سيودي بالحرارة في العلاقات المشرقية بين الناس، وانتشار البرود بينهم، وذيوع القلق من المشاعر الذاتية قبل الصورة الخارجية، القلق من أن تميل النفس لإظهار حب بلا معنىً جنسي، إذ لا حب دون معنىً جنسي!

أليس الصبح بقريب؟

شُغلت الصحافة الغربية والعالمية في إحدى ليالي عام ٢٠١٧ بصورة أُخذت من مدينة الرقة السورية، سببت مزيجا من الدهشة والحبور في مجتمعات اللوطيين بالعالم كله.

كان فيها مجموعة من الملثمين في زي الميلشيات المسلحة المقاتلة، يقفون بين خرائب مدينة الرقة التي كنت في ذلك الوقت تعيش مرحلة التنازع الأخير بين قوات سوريا الديمقراطية ذات الأغلبية الكردية عميلة الغرب، وقوات تنظيم الدولة، وهم يرفعون بين أيديهم بيرقا كبيرا كُتب فيه (أولئك اللوطيون يحاربون الفاشيين) وفي الخلفية أشخاص يرفعون علم اللوطيين بشرائطه الملونة، وعلما وردي اللون فيه صورة سلاح الكلاشينكوف AK ٤٧ وفوقه شعار الأناركية.



ثم نزل بيان بعد تلك الصورة التي أذاعها المطرب اللوطي ريكي مارتين، ثم أعلام الصحف والمواقع الغربية فيما بعد، أعلن فيه أصحاب الصورة أنهم مشروع إنشاء جيش اسمه تيكيلا وهو اختصار لعبارة (جيش التمرد والتحرير اللوطي Queer Resurrection and Liberation Army)، ويهدف إلى (سحق Smash) الثنائية الجنسية (ذكر وأنثى) ودعم تحرير المرأة كجزء من الثورة الجندرية والجنسية = وبما أن أعضاء التيكيلا لم يتحملوا الاضطهاد الذي تمارسه الجماعات المتطرفة ضد اللوطيين، بوصفهم بالمرضى والشواذ غير الطبيعيين، وبعجزهم عن الوقوف بلا عمل ضد الصور التي نشرتها (داعش) لقتل لوطيين رجما ورميا من أسطح مرتفعة؛ فقد قرروا إعلان الحرب(٣٣٨)!

وبالرغم من الاحتفاء الغربي الكبير، بانضمام اللوطيين إلى المعركة المسلحة ضد الجهاديين والشريعة الإسلامية؛ إلا أن أخبار تلك المجموعة ستنقطع، وستعتذر قوات سوريا الديمقراطية وتعلن أنها لا تعرف عن تلك المجموعة شيئا، وفي السر ستخبر أفرادها أنها أُجبرت على الاعتذار بسبب الغضب المحلي وحفظاً لسمعتها، وستطلب منهم الرحيل عنها، كما سيعلن بعد ذلك صاحب الفكرة، وهو شخص أمريكي اسمه أجيت Agit من أصول إيرانية كردية يونانية(٣٣٩).

كان أجيت يؤمن أنه لابد من الرد على مشاهد تنفيذ تنظيم الدولة لأحكام الشريعة الإسلامية بقتل اللوطيين؛ حتى لو لم يتجاوز الرد صورة ذات دلالة موحية نفسيا، فانضم إلى ملاحدة الكرد لعنهم الله وخلص أحفاد صلاح الدين من دنسهم، لخلفيته الشيوعية الأناركية.

ثم نفذ خطته بتصميم هذا العلم في القامشلي، ورفعه مع مجموعته اللوطية في قلب الرقة، على بعد مبانٍ قليلة من قناصة تنظيم الدولة حسب زعمه. كان هذا بالنسبة لأجيت ومجموعته تحدٍّ كبير يستحق المخاطرة! أي مجد وعزة وشجاعة للوطيين أكبر من رفع هذه البيارق والرايات في قلب (عاصمة الخلافة) ومأوى الجهاديين؟! حتى لو كان مجدًا وشجاعةً إعلامية ليس لها على أرض الواقع حقيقة؛ إذ يحكي أجيت أنهم ما إن التقطوا الصور حتى هرولوا مبتعدين عن هذا المكان (القريب) من

أماكن سيطرة القناصة الجهادية(٣٣٩)!

لكن مغزى الفعل نفسه مما يستحيل إمراره!

لقد جُلتُ برؤى أغلب الأديان الكبرى في العالم بهذا الكتاب؛ فأي دين فيهم لديه قواعد واحدة صارمة وتشريعات حاسمة في وأد لا اللوطية فقط؛ بل ذرائع اللوطية، كالتشبه بالجنس الآخر تخنثا أو ترجُّلًا؟!

ليس إلا الإسلام وحده لا شريك له!

لا البوذية ولا الهندوسية ولا الكونفوشيوسية ولا الأديان الأفريقية المحلية ولا حتى المسيحية التي كانت تحرمها صراحةً!

الإسلام هو أحزم دين في مواجهتها؛ وأمة الإسلام هي أشد الأمم في أعرافها التي ورثتها من التشريع والفقه.

فهياج اللوطيين واعتبارهم الجهاديين تحديدا أول الأعداء، ليس إلا لتطبيقهم النظري والعملي للتشريع الإسلامي في تلك القضية؛ لا بتعطيل فعلي لا قولي كما يفعل أولئك الذين يُنظِّرون شرع الله وينفذون شرع الملك وملكُ الملك!

ونعوذ بالله من مدح شرعه بالفم، وإيثار شرع أعدائه بالعمل.

ونعوذ به من تمجيد ملك الملوك بالأقوال، ومفارقته إلى أذلاء الملوك بالأفعال!

وقد نارت نائرة العالم الغربي كله قبل أشهر عندما أعلنت سلطنة بروناي إعدادها مشروعا لإقرار عقوبة الرجم في حق اللوطيين(٣٤٠)، ونُظمت دعاوى من مشاهير الممثلين والإعلاميين لمقاطعة الفنادق التابعة لسلطان بروناي أحد أثرياء العالم- والمنتشرة في الغرب(٣٤١) ، وسُحِبت الدكتوراه الفخرية منه من كلية لندن للملوك وطالب الإعلام البريطاني كلا من القوات الجوية والقوات البحرية الإنجليزية بوقف التعاون مع بروناي ومقاطعتها(٣٤٢)، ولم تهدأ ثورة الضغوط العالمية إلا بعد تراجع السلطان نفسه في خطاب له عن هذا المشروع العقابي(٣٤٣)!

فالحرب العالمية على الشريعة الإسلامية، وكل من يسعى في تطبيقها بجد، صار له منظور أقعر غوصًا من كل ما سبق، منظور حرب اللوطيين، ودين المؤتفكات، أسود أديان الغرب المعاصر، على المؤمنين وأهل الحق!

ولأن الحرب على أعمق الفِطر الإنسانية؛ فالمقاومة تتنامى من داخل الغرب نفسه، وقد كانت بولندا من أوائل الدول الغربية التي أعلن رئيس أساقفتها وجوب مقاومة الأيدولوجيا اللوطية LGBT Ideology، حتى لو كان اللوطيون محترمين من الكنيسة؛ فلا يمكن الاستسلام أمام مطالبهم بكسر القيم والمعايير المجتمعية التي خلقها الله(٣٤٤) وقد أعلنت عدة مدن بولندية، بتشجيع من الحزب الحاكم، أنها مناطق خالية من اللوطيين وسعيدة بذلك(٣٤٥).

لكن حرب المبالغة في التمدد؛ ليست كحرب أصل الوجود ذاته! والغربيون يعلمون ذلك؛ لذا لن يخرج الإسلام أبدًا من رأس قائمة الاستهداف!

فها هي قضية كبرى أخرى وجب على المسلمين التكفل بها؛ بل ربما تكون علينا أثقل مما كانت على سيدنا لوط عليه السلام؛ إذ كانت عند قومه شهوة، لا تأصيل لها؛ ثم صارت في زماننا دينا علمانيا، يؤصلون له ويتمنطقون به!

نعم إنَّا قوم مُرزَّؤون؛ لكن لعل الله قد جمع على أمتنا في هذا الزمان كافة ما ابتلي به البشر وبُعِث من أجله النبيين في تاريخ الأرض، لمزيد غربلة لأهل الحق ورسوخ الخيرية فيهم، إذ يصيرون يومًا تلو الآخر منارة الدنيا في كل شأنٍ: فهم أنكى المقاومين للطواغيت والشيوعيين والليبراليين وأخيرًا اللوطيين، ولا كفء لهم ولا نظير؛ فلعل الله يصلح بينهم وبهم، ويرضى عن قتيلهم وأسيرهم ويفرج كروبهم ويذهب أحزانهم، فبدونهم تُظلم الدنيا وتسود الأنكاد، وبخفوت نشاطهم تلتقي في أرضنا الأوحال والأقذار، وتعصف في سمائنا الأنواء وتزأر الشياطين.

أخيرًا،

مكانك أنت في كل ذلك، أين؟!

الإسكندرية

٢٦ أغسطس ٢٠١٩

ملحق: الاستبيان المُعتمد عليه في الدراسة

لتدعيم بعض الآراء الواردة في مباحث هذا الكتاب المختلفة، وفحص رؤى الناس المختلفة، نشرت على صفحتي بموقع التواصل الاجتماعي فيسبوك استبيانًا، حرصت فيه على الحياد قدر الإمكان، فاستخدمت مثلا لفظ (المثلية) الرائج بين العلمانيين والعوام وبعض الإسلاميين بدلا من لفظ الشذوذ أو اللوطية؛ وحاولت صياغة الأسئلة بصورة لا تثير العداء؛ لكن مع اعترافي أن هذا محال تمامًا، لوجود أسئلة كان لابد من التعرف فيها على موقف محدد، كالموقف من الحكم الشرعي، ومثل تلك لابد مثيرة العلمانيين. وحرصت كذلك على عدم طلب الإجابة بالإيميل أو البيانات الشخصية، لرفع الحرج عن المشاركين فيه.

وقد جاءت الإجابات متوقعة في بعض الحالات، ومفاجئة في حالات أخرى، أبرزها كان نسبة الذين يوافقون على الهجرة إلى الغرب رغم دعمه للوطية، وعدة مسائل أخرى.

وقد جاءت الأسئلة والإجابات المتاحة كالآتي:

س١: كيف تصنف توجهك الفكري؟

ج: ليبرالي □ علماني □ إسلامي □ بلا توجه.

وقد فرقت بين الليبرالي والعلماني، بسبب الثقافة العجيبة عند بعض الذين يصنفون أنفسهم ليبراليين لا علمانيين، وكذلك لأن الكثير من التصنيفات الأخرى كالاشتراكية والشيوعية تُدخل نفسها تلقائيا تحت مظلة العلمانية ولا ترضى بمظلة الليبرالية، واعتبرت إجابة بلا توجه دلالة على انعدام الانتماء الفكري، أي أنه شخص عامي.

وقد كانت النسب كالآتي: ٧٩.٩٪ إسلامي (٩٠٥ شخص)، و١٥.٧٪ بلا توجه (١٧٨ شخص)، و٣.٤٪ ليبرالي (٣٩ شخص)، و٠.٨٪ علماني (٩ أشخاص).

ويُلاحظ قلة عدد العلمانيين والليبراليين، بسبب طبيعة صفحتي التي كانت مصبوغة بصبغة إسلامية واضحة، وعدم وجود معارف أو اتصالات لي مع علمانيين من أي نوع -ولله الحمد- ما جعل نسبة تمثيلهم محدودة على عكس ما كنت أرجو، لكن تلك النسبة بالرغم من ذلك أتتنا بمؤشرات مهمة خاصة في مسألة اللغة.

س٢: ما هو نوعك؟

ج: ذكر - أنثى.

وقد كانت النسب كالآتي: ٧٥.٩٪ ذكور، و٢٤.١٪ إناث.

س٣: ما هي الفئة العمرية التي تنتمي إليها؟

ج: ١٠ - ١٥ أو ١٥ - ٢٥ أو ٢٥ - ٣٥ أو ٣٥ - ٥٠ أو أكبر من ٥٠.

وقد كانت النسب كالآتي: الشريحة الأولى: صفر، والشريحة الثانية ٢٦.٩٪،

والشريحة الثالثة ٤٤.٥٪، والشريحة الرابعة ٢٦.٣٪، وأخيرا الشريحة الخامسة

١.٩٪.

بذا تنتهي أسئلة المحددات الرئيسية للعينة.

س٤: هل تشعر أن المجتمعات العربية والإسلامية مهددة بالمثلية؟

ج: نعم - لا - لا أدري، ربما.

وكان غرضي في هذا السؤال والذي يليه قياس حجم الوعي بالقضية والإحساس بخطورتها على العالم الإسلامي والذات، وجاءت الإجابات على الصورة الآتية: نعم

بنسبة (٦٧.١٪) ولا (١٣.٣٪) ولا أدري، ربما (١٩.١٪).

س٥: هل تشعر بتهديد شخصي من انتشار المثلية؟

ج: نعم - لا - ربما.

وجاءت النسب كالآتي: نعم (٣١٪) ولا (٥٥.٤٪) وربما (١٣.٦).

س٦: ما هو وصفك المفضل للمثليين؟

ج: شواذ – مثليين – لوطيين.

وجاءت النسب مجملة كالآتي: شواذ (٤٧.٣٪)، ولوطيين (٤٥.٢٪) ثم مثليين (٧.٣٪).

ولا يمكن الاعتماد على تلك النتائج المجملة كثيرا لأن الدراسة خرجت من صفحتي وأغلب المجيبين ممن يتابعونني، وقد شننت طوال العام الماضي حملة ضد مصطلح (المثليين) وإعادة ترويج لمصطلح (اللوطية)؛ وعليه فمن الطبيعي أن يكون أكثر من صنف نفسه إسلاميا من جمهوري يختار لفظ اللوطية؛ لذا اعتمدت على فحص نتائج العوام والعلمانيين (الليبراليين) تحديدا لأنهم أبعد الناس تأثرًا بي، وظني أن لو كانت الدراسة على صفحة إسلامي آخر غيري ممن يتبنون مصطلح المثلية لأجاب أكثر الإسلاميين باختيار مصطلح الشذوذ والمثلية؛ فما أراه من مواقع التواصل دالٌّ على أن هذين هما الأكثر رواجًا إلى الآن؛ ما لم نتبنى جميعا ونكرر مصطلح اللوطية حتى يرسخ في الأذهان.

س٧: أي من المصطلحات الآتية تشعر نحوها بضيق وغضب وتريد وقف قوله؟

ج: المثليين – اللوطيين – الشواذ – لا أتضايق من أي مصطلح.

وقد جاءت الإجابات كالتالي: المثليين (٥٢.٧٪) ثم اللوطيين (١٣.٩٪) ثم الشواذ (٦.٦٪) وأخيرا لا أتضايق من أي مصطلح بنسبة (٢٦.٧٪).

ويسري على هذا السؤال ونتائجه نفس الملحوظات على السؤال السابق.

س٨: أي مصطلح تفضله لوصف من يريد تغيير نوعه؟

ج: عابر الجنس Transgender - مخنث أو مترجلة - متحول جنسيا - لا أعرف.
وجاءت النتائج بالصورة الآتية:

عابر الجنس (٤.٤٪)، ومخنث أو مترجلة (٥٩.٨٪)، ومتحول جنسيا (٢٥.٥٪) ثم لا

أعرف (١٠.٣٪). مع ملاحظة أني تبنيت على صفحتي الترويج لمصطلح المخنث

والمترجلة، ما يؤثر في دقة النتائج.

س٩: ما رأيك في حقوق المثليين؟

ج: لن أوافق عليها أبدًا - موافق عليها - لا أهتم.
وجاءت النسب كالآتي:

لن أوافق (٩٠.٩٪)، وموافق عليها (٢.٤٪) ثم لا أهتم (٦.٧٪).

س١٠: ما الذي يتبادر إلى ذهنك من مصطلح اللوطية؟

ج: قصة قوم لوط - لا أفهمه.

وقد جاءت النسبة لصالح قصة قوم لوط (٩٨.٥٪).

س١١: أي من المصطلحات الآتية تفضل في وصف المثلية الجنسية عند النساء؟

ج: المثلية النسائية - الشذوذ الجنسي - السحاق - اللوطية النسوية.
وجاءت النسب كالآتي:

المثلية النسائية (٤.٧٪)، ثم الشذوذ الجنسي (٢٦.٦٪)، ثم السحاق (٥٢.٩٪)، وأخيرا اللوطية النسوية (١٥.٦٪). مع ملاحظة أني تبنيت على صفحتي مصطلح اللوطية النسوية طوال العام الماضي.

س١٢: هل ترى أن المثلية الجنسية (متاح اختيار عدة إجابات):

ج: مركبة في المثلي مولود بها ولا ذنب له - من حقوق الإنسان وليس للآخرين شأن بها - انحراف سلوكي ومجتمعي يجب علاجه - انحراف عن الفطرة والدين.
وكانت النسب كالآتي:

مركبة (٣.٦٪)، ثم من حقوق الإنسان (٢٪)، ثم انحراف مجتمعي يجب علاجه (٤٤٪) وأخيرا انحراف عن الفطرة (٨٣.٩٪). مع ملاحظة أن نسبة من قالوا أنها مركبة ولا ذنب للوطي فيها من العوام هي (١١.٧٪)، وحوالي (٥٪) منهم قالوا هي من حقوق الإنسان وليس للآخرين شأن بها.

س١٣: هل ترى ضرورة عقاب المثليين؟

ج: نعم - لا.

كانت النسب: نعم (٨٤.٧٪) ولا (١٥.٣٪).

س١٤: هل تعرف عقوبة المثلية في الشريعة الإسلامية؟

ج: نعم - لا.

كانت النسب: نعم (٨٠.٣٪) ولا (١٩.٧٪).

س١٥: إن كانت عقوبة المثلية الجنسية في الشريعة الإسلامية هي القتل؛ هل توافق على ذلك؟

ج: نعم - لا.

كانت النسب: نعم (٨٥.٨٪) ولا (١٤.٢٪).

س١٦: هل تعرف الفارق بين الخنثى والمخنث في الشريعة؟

ج: نعم - لا - غير مهتم بالمعرفة، كلاهما له حقوق.

وكانت النسب: نعم (٥٠.٥٪) ثم لا (٤٦.٣٪) وأخيرا غير مهتم (٣.٢٪).

س١٧: هل تعيش في العالم العربي والإسلامي؟

ج: نعم - لا.

وصلت نعم إلى (٩٥.٣٪).

س ١٨: هل يؤثر تبني الغرب للمثلية وحقوقها في قرارك السفر أو الهجرة إليه؟

ج: نعم - لا - ربما.
وجاءت النسب كالآتي:

نع (٣٦.٣٪)، ولا (٣٨.١٪)، وأخيرا ربما (٢٥.٦٪).

س١٩: هل تؤيد المشاركة في أي عمل متعلق بالمثلية؟

ج: أريد المشاركة في عمل حقوقي لحماية المثليين - لا أريد المشاركة في أي عمل متعلق بهم - أريد المشاركة في عمل لمكافحة المثلية وعقاب المثليين.
وكانت النسب كلآتي:

حماية المثليين (٢.٧٪)، لا أريد المشاركة (٤٧.٩٪)، وأخيرا أريد المشاركة في المكافحة

(٤٩.٣٪).

وينطبق على هذا السؤال وأسئلة الحقوق عامةً أن النسب الكبرى قد ترجع إلى طبيعة المتابعين الذين يتابعون نشاطي ضد هذه القضية في الأعوام الأخيرة.

س٢٠: هل تتابع الأخبار المتعلقة بالمثلية؟

ج: نعم - لا - متابعة عرضية غير دائمة.

وجاءت النسب كالآتي: نعم (٥٪)، ولا (٣٧.٧٪) وأخيرا متابعة عرضية (٥٦.٥٪).

س٢١: هل تتابع صفحات أشخاص يتحدثون عن المثلية سلبا أو إيجابا على مواقع التواصل؟

ج: نعم - لا - لا أهتم.

وجاءت النسب كالآتي: نعم (٣١.٨٪)، ولا (٤٨.٣٪)، ولا أهتم (١٩.٩٪).

س٢٢: هل تغيرت آراؤك في السنوات الأخيرة فيما يتعلق بتلك القضية؟ (متاح اختيار عدة إجابات).

ج: نعم، كنت أظنها قضية تافهة فوجدتها خطيرة - لا، كنت أعرف أنها قضية خطيرة من قبل - تغير إيجابا مع المثليين بعدما كنت ضدهم - تغير سلبا ضد المثليين بعدما كنت محايدا أو مساندا لهم.

وجاءت النسب كالآتي:

نعم، وكنت أظنها تافهة (٤٤.٥٪)، ولا، كنت أعرف (٥٢.١٪)، وتغيرت إيجابا (٣.٢٪)، وتغيرت سلبا (٢.٤٪).

س٢٣: هل شاهدت فيلما أو مسلسلا أو محتوىً إعلامي متعلق بالمثلية وتفاعلت معه إيجابيا؟ (مع إمكانية إضافة إجابة مختلفة).

ج، مع النسب النهائية:

شاهدت وتفاعلت بالإيجاب وغيرت رأيي في المثلية = (١.٤٪).

شاهدت وتفاعلت بالإيجاب رغم كرهي للمثلية = (٣.٩٪).

شاهدت وتفاعلت سلبا= (٢٧.٢٪).

لا، لا أتابع المحتوى المثلي= (٥٦.١٪).

شاهدت وظلت مشاعري حيادية معهم لا بالسلب ولا بالإيجاب= (٧٪).

أخرى Other= (٤.٤٪)، أكثرها يدور حول الشعور بالصدمة أو المفاجئة أو الاشمئزاز من المحتوى اللوطي.

س٢٤: هل هناك فيلم أو مسلسل معين شكل الكثير من تصوراتك عن المثلية؟ اذكر اسمه. (إجابة مفتوحة).

وكانت أكثر الأفلام أو المسلسلات تكرارا في الإجابات هي:

١- مسلسل Grey s Anatomy.

٢- مسلسل صراع العروش Game of Thrones.

٣- فيلم أسرار عائلية.

٤- فيلم عمارة يعقوبيان.

٥- مسلسل Modern Family.

..

بذا ينتهي الاستبيان، مع التنبيه أني لم ألزم نفسي باستخدام كافة مؤشراته وإجاباته في البحوث، فما لزم استخدامه وظفته وعلى صورة الاستئناس أو تحرير إجابة محيرة؛ وما لم يلزم استغنيت عن وضعه في المتن مطمئنا أن المهتم به سيقرؤه في الملحق.

وأرجو أن أكون قد وُفِّقت فيه.

المصادر

1. **نصر محمد عارف**. *نظريات التنمية السياسية المعاصرة*. القاهرة : دار القارئ العربي، 1993. صفحة 162.

2. **Sekulic, Dusko**. Social Change. [ed.] George Ritzer. *The Blackwell Encyclopedia of Sociology.* s.l. : Blackwell Publishing, 2007, pp. 4368-4372.

3. *Durkheim's Evolutionary Conception of Social Change.* **Hinkle, Roscoe C**. 3, s.l. : http://www.jstor.org/stable/4105955, 1976, The Sociological Quarterly, Vol. 17, pp. 336-346.

4. *Herbert Spencer's Four Theories of Social Evolution.* **Perrin, Robert G**. 6, 1976, American Journal of Sociology , Vol. 81, pp. 1339-1359.

5. **Bruce, Steve and Yearley, Steven** . *The SAGE Dictionary of Sociology.* s.l. : SAGE Publications, 2006. p. 149.

6. *Liberal Feminism and Academic Feminism.* **Almeder, Robert**. 4, s.l. : JSTOR, 1994, Public Affairs Quarterly, Vol. 8, pp. 299-315.

7. **Abercrombie, Nicholas , Hill, Stephen and Turner, Bryan Stanley** . *The Penguin Dictionary of Sociology.* Fifth. s.l. : Penguin Books, 2006. pp. 194,195.

8. **ميل تشيرتون و آن براون**. *علم الاجتماع: النظرية والمنهج*. [المترجمون] هناء الجوهري. القاهرة : المركز القومي للترجمة، 2012.

9. *What is gender? Feminist theory and the sociology of human reproduction.* **Annandale, Ellen and Clark, Judith** . 1, 1996, Sociology of Health & Illne, Vol. 18, pp. 17-44.

10. **أورزولا شوي**. *أصل الفروق بين الجنسين*. [المترجمون] بو علي ياسين. اللاذقية : دار الحوار، 1995.

11. **Seabright, Paul**. *The war of the sexes: How Conflict and Cooperation Have Shaped Men and Women from Prehistory to the Present.* s.l. : Princeton University Press, 2012. p. 20.

12. *Cultural transmission and the evolution of gender roles.* **Hiller, Victor and Baudin, Thomas** . 2016, Mathematical Social Sciences.

13. **Fricker, Miranda and Hornsby, Jennifer** . *The Cambridge Companion to Feminism in Philosophy.* s.l. : Cambridge University Press, 2000.

14. **Press, The Associated.** Trans athletes make great gains, yet resentment still flares. [Online] 25 February 2019. [Cited: 14 March 2019.] https://www.nbcnews.com/feature/nbc-out/trans-athletes-make-great-gains-yet-resentment-still-flares-n975646?cid=sm_npd_nn_fb_ma&fbclid=IwAR3jZJ_r9FwFYFR2reN8PxmisywBYWbXy6UvlNxxLMECfuFwP6BgLMYriDw.

15. **Press, Australian Associated.** Hannah Mouncey hits out at AFL as she withdraws from AFLW draft. [Online] 10 Septembre 2018. [Cited: 14 March 2019.] https://www.theguardian.com/sport/2018/sep/10/hannah-mouncey-hits-out-at-afl-as-she-withdraws-from-aflw-draft.

16. **WQAD DIGITAL TEAM.** Male rapper identifying as female, declares he broke female deadlift record. [Online] March 11, 2019. [Cited: September 28, 2019.] https://wqad.com/2019/03/11/male-rapper-identifying-as-female-informally-breaks-female-dead-lift-record-to-prove-a-point/.

17. **Turner, Bryan Stanley.** *The Cambridge Dictionary of Sociology.* [ed.] Bryan Stanley Turner. s.l. : Cambridge University Press, 2006. pp. 282,283.

18. **أندرو هيود.** *مدخل إلى الأيدولوجيات السياسية.* [المترجمون] محمد صفار. الأولى. مكان غير معروف : المركز القومي للترجمة، 2012. الصفحات 45-48.

19. **أحمد عزت راجح.** *أصول علم النفس .* القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1968.

20. **Tyldum, Morten.** *The Imitation Game.* Black Bear Pictures, FilmNation Entertainment, Bristol Automotive and Others., 2014.

21. **Salerno, Roger A.** *Beyond the Enlightenment: Live and thoughts of social theorists.* s.l. : Praeger Publishers, 2004. pp. 114-115.

22. **Ritzer, George**. *The Blackwell Encyclopedia of Sociology.* s.l. : Blackwell Publishing , 2007. p. 875.

23. **Malti-Douglas, Fedwa**. *Encyclopedia of Sex and Gender.* s.l. : Thomoson Gale, 2007. pp. 250-251.

24. **Dearden, Lizzie.** German ethics council calls for incest between siblings to be legalised by Government. [Online] 9 24, 2014. [Cited: 11 3, 2018.] https://www.independent.co.uk/news/world/europe/german-ethics-council-calls-for-incest-between-siblings-to-be-legalised-by-government-9753506.html.

25. ***Making Love Not War: The Wild Sexual World of Bonobos.*** **Seeker, 2018.**

26. **Gruber, Thibaud and Clay, Zanna. A Comparison Between Bonobos and Chimpanzees: A Review and Update. *Evolutionary Anthropolgy.* 2016, Vol. 25, 5, pp. 239-252.**

27. **de Waal, Frans B. M. Bonobos Use Sex to Cool Tempers. [Online] 2016. https://www.scientificamerican.com/article/bonobos-use-sex-to-cool-tempers/.**

28. ***Rethinking Reification: Marcuse, Psychoanalysis, and Gay Liberation.*** **Floyd, Kevin. s.l. : Duke University Press, 2001, Social Text, Vol. 19, pp. 103-128 .**

29. ميشال فوكو. *تاريخ الجنسانية: إرادة العرفان.* [المترجمون] محمد هشام. مكان غير معروف : أفريقيا الشرق، 2013.

30. **Ree, Jonathan and Urmson, J. O. *The concise Encyclopedia of western philosophy.* 3rd. s.l. : Routledge, 2005. pp. 329-331.**

31. **Thiselton, Anthony C. *Encycloedia of the Philosophy of religion.* s.l. : Oneworld, 2002. p. 288.**

32. **Macionis, John. *Sociology.* 12. s.l. : Prentice Mall, 2008. p. 512.**

33. Callicott, J. Baird and Frodeman, Robert. *Encyclopedia of environmental ethics and Philosophy.* s.l. : MACMILLAN, 2009. p. 427.

34. بيتر تشارلز هوفر. *تناقضات المؤرخين: دراسة التاريخ في زماننا* . [المترجمون] قاسم عبده قاسم. القاهرة : المركز القومي للترجمة، 2013. صفحة 27.

35. Salo, Jackie. Transracial' man was born white, identifies as Filipino. [Online] 13 11 2017. [Cited: 10 11 2018.] https://nypost.com/2017/11/13/transracial-man-was-born-white-identifies-as-filipino/.

36. Pasha-Robinson, Lucy. Rachel Dolezal: White woman who identifies as black calls for 'racial fluidity' to be accepted. [Online] 27 3 2017. [Cited: 10 11 2018.] https://www.independent.co.uk/news/people/rachel-dolezal-white-woman-black-racial-fluidity-accepted-transracial-naacp-a7653131.html.

37. BBC.com. Dutchman, 69, brings lawsuit to lower his age 20 years. [Online] 11 8, 2018. [Cited: 11 10, 2018.] https://www.bbc.com/news/world-europe-46133262.

38. Clary, Sasha. Facial Feminization Surgery: What You Should Know. [Online] 19 February 2018. [Cited: 5 July 2019.] https://www.healthline.com/health/transgender/facial-feminization-surgery.

39. Gralapp, Chris. *The History of FTM Facial Masculinization Surgery.* Deschamps-Braly Clinic, s.l. : 2019.

40. Taylor, Chris. Transgender Surgery Can Cost More Than $100.000. [Online] 29 10 2015. [Cited: 10 11 2018.] http://time.com/money/4092680/transgender-surgery-costs/.

41. Grinberg, Emanuella, Kantor, Alice and Walker, Christina. To be herself, she needs to change her body. But first, comes the battle with

insurers. [Online] 1 June 2018. [Cited: 5 July 2019.] https://edition.cnn.com/2018/05/31/health/transgender-surgery-insurance/index.html.

42. Rinzler, Carol Ann. *The Encyclopedia of Cosmetic and Plastic Surgery.* s.l. : Facts On File, 2009. p. 195.

43. Cheslock, Debbie and Edwards, Eric. Social Construction of Vaginal Surgeries. *UNIVERSITY OF WISCONSIN-SUPERIOR.* [Online] [Cited: 5 July 2019.] https://minds.wisconsin.edu/bitstream/handle/1793/70820/Debbie%20Cheslock%20final.pdf?sequence=4&isAllowed=y.

44. Tourjée, Diana. The Straight Men Who Have Sex with Trans Women. [Online] 2 May 2019. [Cited: https://www.vice.com/en_in/article/kb4jw9/the-straight-men-who-have-sex-with-trans-women5 July 2019.]

45. Upbin, Bruce. Alexander The Great: Gay or Straight? [Online] 10 February 2011. [Cited: 5 July 2019.] https://www.forbes.com/sites/booked/2011/02/10/alexander-the-great-gay-or-straight/#502eee5c3447.

46. Fant, Maureen B. and Lefkowitz, Mary R. *Women's Life in Greece and Rome.* s.l. : Bloomsbury Academic, 2016.

47. Tranquillus, Suetonius. *The Lives of the Twelve Caesars .* s.l. : Loeb Classical Librar, 1913.

48. Hubbard, Thomas. *Homosexuality in Greece and Rome.* s.l. : Uuniversity of California Press, 2003. p. 311.

49. Myers, David G. and Dewall, Nathan. *Psychology.* 11th. New York : Worth Publishers, 2015. pp. 437, etc.

50. *Homosexuality: A Mode of Adaptation in a prison for women.* Ward, David A. and Kassebaum, Gene G. 2, s.l. : University of California Press, 1964, Social Problems, Vol. 12, pp. 159-177.

51. Evans, Martin. Transgender prisoner born a male who sexually assaulted female inmates after being jailed for rape is sentenced to life. [Online] 11 October 2018. [Cited: 26 August 2019.] https://www.telegraph.co.uk/news/2018/10/11/transgender-prisoner-born-male-sexually-assaulted-female-inmates/.

52. جين إتشسن. *اللسانيات: مقدمة إلى المقدمات.* [المترجمون] عبد الكريم محمد جبل. القاهرة : المركز القومي للترجمة، 2016. صفحة 257.

53. نورمان فيركلف. *اللغة والسلطة.* [المترجمون] محمد عناني. القاهرة : المركز القومي للترجمة، 2016.

54. Cottier, Cody. From Mouth to Mind: How Language Governs Our Perceptions of Gender. [Online] 1 June 2018. [Cited: 1 June 2019.] http://blogs.discovermagazine.com/crux/2018/06/01/gendered-language-pronouns-perceptions/#.XPHCGtlzblV.

55. *Naming to empower: lesbianism in the Arab Islamicate world today.* Amer, Sahar. 2012, Lesbian studies, pp. 381-79.

56. محمد بن إدريس بن المنذر بن الحنظلي الرازي. *الزهد.* [المحرر] منذر سليم محمود الدومي. الرياض : أطلس للنشر والتوزيع، 2000. صفحة 71.

57. شيلدون كاشدان. *علم نفس الشواذ.* [المترجمون] أحمد عبد العزيز سلامة. القاهرة : دار الشروق، 1984. صفحة 14.

58. Conte, Ron. Catholic teaching on homosexuality 3: Saint Thomas Aquinas. [Online] 2 April 2011. [Cited: 7 July 2019.] https://ronconte.com/2011/04/02/catholic-teaching-on-homosexuality-3-saint-thomas-aquinas/.

59. editors, BBC. منظمة حقوق الإنسان المصرية ترفض الدفاع عن المثليين جنسيا. [Online] 11 February 2002. [Cited: 7 June 2019.] http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid_1814000/1814501.stm.

60. editors, Swissinfo. المثليون قد "يتزوجون" قريبا في سويسرا. [Online] 9 May 2005. [Cited: 7 June 2019.] https://www.swissinfo.ch/ara/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AB%D9%84%D9%8A%D9%88%D9%86-%D9%82%D8%AF--%D9%8A%D8%AA%D8%B2%D9%88%D8%AC%D9%88%D9%86--%D9%82%D8%B1%D9%8A%D8%A8%D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D9%88%D9%8A%D8%B3%D8%B1%D8%A7/4498754.

61. عبد الله زقوت. العلاقات الجنسية المثلية في فلسطين. [متصل] 29 مايو, 2005. [تاريخ الاقتباس: 7 يونيو, 2019.] https://elaph.com/Web/Reports/2005/5/65629.html.

62. محمد عبد العليم. أسباب الوقوع في الشذوذ الجنسي. [متصل] 1 نوفمبر, 2005. [تاريخ الاقتباس: 7 يونيو, 2019.] https://www.islamweb.net/ar/consult/index.php?page=Details&id=24398.0

63. بشرى ناصر. المثلية أو الشذوذ الجنسي. [متصل] 22 سبتمبر, 2005. [تاريخ الاقتباس: 7 يونيو, 2019.] http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=46077&r=0.

64. كلود ليفي شتراوس. *العرق والتاريخ.* [المترجمون] سليم حداد. مكان غير معروف : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2008.

65. صابر عزت، محمد الشرقاوي. مملكة الشواذ فى مصر.. ما هى كانت ناقصاهم! [متصل] 3 10, 2017. [تاريخ الاقتباس: 25 5, 2019.] http://bit.ly/2HWXeaZ.

66. مهى إغبارية. mahaighbaria. [متصل] 10 11, 2012. [تاريخ الاقتباس: 25 5, 2019.] http://bit.ly/2YKmdVv.

67. Anonymous. blackgayarab - Gay And Proud. [Online] 22 6 2012. [Cited: 25 5 2019.] http://black-gay-arab.blogspot.com/.

68. Olsen, Martine Berg. ‘Mum and dad’ to become ‘parent 1 and 2’ under new law in France. [Online] 18 2 2019. [Cited: 25 5 2019.] https://metro.co.uk/2019/02/18/mum-dad-become-parent-1-2-new-law-france-8652239/.

69. Vaughn, Natasha. 'Fireman’ or ‘policeman’: New York may soon go to gender-neutral names. [Online] 4 May 2018. [Cited: 31 May 2019.] https://www.democratandchronicle.com/story/news/politics/albany/2018/05/04/fireman-policeman-new-york-may-soon-go-gender-neutral-names/580853002/.

70. BBc.com. Canada: Schools axe 'he' and 'she' in favour of 'xe'. [Online] 18 6 2014. [Cited: 25 5 2019.] https://www.bbc.com/news/blogs-news-from-elsewhere-27904621.

71. Chak, Avinash. Beyond 'he' and 'she': The rise of non-binary pronouns. [Online] 7 December 2015. [Cited: 1 June 2019.] https://www.bbc.com/news/magazine-34901704.

72. Durden, Tyler. 60 Different Genders? Leftist LGBTTQQ-Proposal Ridiculed By AfD Politician In German Parliament. [Online] 13 July 2017. [Cited: 1 June 2019.] https://www.zerohedge.com/news/2016-07-13/60-different-genders-leftist-lgbttqq-proposal-ridiculed-afd-politician-german-parlia.

73. فوزية الخليوي. سقوط نوال السعداوي. [متصل] 17 نوفمبر, 2006. [تاريخ الاقتباس: 1 يونيو, 2019.]
https://ar.islamway.net/article/2025/%D8%B3%D9%82%D9%88%D8%B7-%D9%86%D9%88%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B9%D8%AF%D8%A7%D9%88%D9%8A.

74. Dias, Elizabeth. For Rashida Tlaib, Palestinian Heritage Infuses a Detroit Sense of Community. [Online] 14 Agust 2018. [Cited: 1 June

2019.] https://www.nytimes.com/2018/08/14/us/politics/rashida-tlaib-muslim-congress.html.

75. كاتي رومي. سويسرا تسنّ قانونا يعزّز حماية المثليين. [متصل] 13 ديسمبر, 2018. [تاريخ الاقتباس: 1 مايو, 2019.]
https://www.swissinfo.ch/ara/politics/%D8%AA%D9%88%D8%B3%D8%B9%D8%A9-%D9%85%D8%AC%D8%A7%D9%84-%D9%82%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86-%D9%85%D9%83%D8%A7%D9%81%D8%AD%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%86%D8%B5%D8%B1%D9%8A%D8%A%9_%D8%B3%D9%88%D9%8A%D8%B3%D8%B1%D8%A7-%D8%AA.

76. محمد أمين ابن عابدين. *رد المحتار على الدر المختار*. بيروت : دار الفكر، 1992. الصفحات 18-19, 27. المجلد 4 و 5.

77. البهوتي الخلوتي. *حاشية الخلوتي على منتهى الإرادات*. سوريا : دار النوادر، 2011. صفحة 227. المجلد 6.

78. محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي. *المبسوط*. بيروت : دار المعرفة، 1993. الصفحات 77-79. المجلد 9.

79. ابن نجيم المصري. *البحر الرائق شرح كنز الدقائق*. مكان غير معروف : دار الكتاب الإسلامي، 970 هجري. صفحة 18. المجلد 5.

80. صدر الدين بن أبي العز الحنفي. *التنبيه على مشكلات الهداية*. [المحرر] عبد الحكيم محمد شاكر، أنور صالح أبو زيد. السعودية : مكتبة الرشد ناشرون، 2003. صفحة 157. المجلد 4.

81. الحطاب الرُّعيني. *مواهب الجليل شرح مختصر خليل*. مكان غير معروف : دار الفكر، 1992. صفحة 296. المجلد 6.

82. عبد الباقي الزرقاني. *شرح الزرقاني على مختصر خليل وحاشية البناني*. [المحرر] عبد السلام محمد أمين. بيروت : دار الكتب العلمية، 2002. الصفحات 133-140. المجلد 8.

83. محمد بن عرفة الدسوقي. *حاشية الدسوقي على الشرح الكبير*. مكان غير معروف : دار الفكر. الصفحات 314 - 316. المجلد 4.

84. بن عرفة محمد. *المختصر الفقهي.* [المحرر] حافظ عبد الرحمن محمد خير. مكان غير معروف : مؤسسة خلف أحمد الخبتور للأعمال الخيرية، 2014. صفحة 193. المجلد 10.

85. منهاج الطالبين. *أبو زكريا محيي الدين النووي.* [المحرر] عوض قاسم أحمد عوض. مكان غير معروف : دار الفكر، 2005. صفحة 296.

86. شمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربيني. ***مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج.*** دمشق : دار الفيحاء، 2009.

87. عبد اللطيف السبكي الحجاوي. *الإقناع.* [المحرر] موسى بن أحمد. بيروت : دار المعرفة. صفحة 253. المجلد 4.

88. منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى. ***كشاف القناع عن متن الإقناع.*** بيروت : عالم الكتب، 1983.

89. علاء الدين المرداوي. *الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف.* مكان غير معروف : دار إحياء التراث العربي. الصفحات 271 - 273. المجلد 26.

90. أبو عبد الله محمد عليش المالكي. *منح الجليل شرح مختصر خليل.* بيروت : دار الفكر، 1989. صفحة 702. المجلد 9.

91. أبو الحسن الماوردي. *الحاوي الكبير.* [المحرر] علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود. لبنان : دار الكتب العلمية، 1999. صفحة 412. المجلد 11.

92. جلال الدين السيوطي. *الأشباه والنظائر.* مكان غير معروف : دار الكتب العلمية، 1990.

93. مجد الدين أبو الفضل. *الاختيار لتعليل المختار.* القاهرة : مطبعة الحلبي، 1937.

94. مصطفى الخِن، مصطفى البغا، علي الشربجي. *الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي.* دمشق : دار القلم، 1992. صفحة 104. المجلد 3.

95. Power, Tynan. As a trans Muslim, I used to feel vulnerable all the time. [Online] 17 june 2016. [Cited: 7 May 2019.] https://www.washingtonpost.com/posteverything/wp/2016/06/17/as-a-trans-muslim-i-used-to-feel-vulnerable-all-the-time/?utm_term=.668e369c9148.

96. Lynn, Mahdia. So You Want to Convert to Islam: A practical primer for those who are new to the faith. [Online] 1 March 2017. [Cited: 7 May

2019.] https://medium.com/@mahdialynn/so-you-want-to-convert-to-islam-ee2d818ef386.

97. Gee, Tabi Jackson. Why female sex robots are more dangerous than you think. [Online] 5 July 2017. [Cited: 7 May 2019.] https://www.telegraph.co.uk/women/life/female-robots-why-this-scarlett-johansson-bot-is-more-dangerous/.

98. Lockett, Jon. ROBOT PHWOARS World's first brothel staffed entirely by robot sex workers now looking for investors to go global. [Online] 30 July 2017. [Cited: 7 MAy 2019.] https://www.thesun.co.uk/news/4131258/worlds-first-brothel-staffed-entirely-by-robot-sex-workers-now-looking-for-investors-to-go-global/.

99. Turner, Bryan Stanley , [ed.]. *The Cambridge Dictionary of Sociology.* s.l. : Cambridge University Press, 2006. p. 591.

100. Shen, Francis X. Sex robots are here, but laws aren't keeping up with the ethical and privacy issues they raise. [Online] 12 February 2019. [Cited: 7 May 2019.] http://theconversation.com/sex-robots-are-here-but-laws-arent-keeping-up-with-the-ethical-and-privacy-issues-they-raise-109852.

101. علي جمعة محمد. حكم من ينادي بالزنا والشذوذ الجنسي. [متصل] 26 9, 2005. [تاريخ الاقتباس: 2019 ,5 .10] http://dar-alifta.org/ar/ViewFatwa.aspx?ID=13989&LangID=1&MuftiType=0.

102. لؤي علي. كيف يتعامل الأزهر مع حالات تغيير الجنس؟.. رئيس لجنة الفتوى: نستقبل الحالات من نقابة الأطباء ونبحثها فقهيا ثم تحوّل للجنة المختصة بالمجمع.. وعملنا على ثلاث حالات منذ عام.. وعلى جمعة: لا يجوز إجراء هذه العمليات. [متصل] 15 مارس , 2019. [تاريخ الاقتباس: 7 يوليو, 2019.]

https://www.youm7.com/story/2019/3/15/%D9%83%D9%8A%D9%81-%D9%8A%D8%AA%D8%B9%D8%A7%D9%85%D9%84-

%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B2%D9%87%D8%B1-
%D9%85%D8%B9-%D8%AD%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA-
%D8%AA%D8%BA%D9%8A%D9%8A%D8%B1-
%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%86%D8%B3-
.%D8%B1%D8%A6%D9%8A

103. إسلام ويب. عملية تحويل الجنس من المحرمات. [متصل] 26 إبريل, 2000. [تاريخ الاقتباس: 7 يوليو, 2019.]
https://www.islamweb.net/ar/fatwa/1771/%D8%B9%D9%85%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D8%AD%D9%88%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%86%D8%B3-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AD%D8%B1%D9%85%D8%A7%D8%A.A

104. SCIMEX.com. EXPERT REACTION: Genetic study finds possible links to male sexual orientation. [Online] 8 December 2017. [Cited: 14 July 2019.] https://www.scimex.org/newsfeed/while-theres-no-gay-gene,-some-areas-of-your-play-a-role-in-sexual-development.

105. V, Jim and eHei. Dean Says Faith Swayed Decision on Gay Unions. [Online] 8 January 2004. [Cited: 26 June 2019.] https://www.washingtonpost.com/archive/politics/2004/01/08/dean-says-faith-swayed-decision-on-gay-unions/ed8c9465-2506-495a-8b31-725afca8f09a/?noredirect=on&utm_term=.0273bf2caec2.

106. Boysen, G.A. and Vogel, D.L. Biased Assimilation and Attitude Polarization in Response to Learning About Biological Explanations of Homosexuality. *Sex Roles.* 2007, Vol. 57, 9-10, pp. 755-62.

107. Whitehead, Neil and Whitehead, Briar. *My Genes Made Me Do It!: Homosexuality and the Scientific Evidence.* s.l. : Whitehead Associates, 2018. ISBN 978-0-473-17486-6.

108. O'Riordan, Kate. The life of the gay gene: from hypothetical genetic marker to social reality. *Journal of Sex Reserarch.* 2012, Vol. 49, 4, pp. 362-368.

109. Hamer, Dean H., et al. A Linkage Between DNA Markers on the X Chromosome and Male Sexual Orientation. *Science.* 1993, Vol. 261, 5119, pp. 321-7.

110. Rice, George, et al. Male homsexuality: Absence of linkage to microsatellite markers at Xq28. *Science.* 1999, Vol. 284, 5414.

111. Bailey, JM, et al. A Family history study of male sexual orientation using three independent samples. *Behavior Genetics.* 1999, Vol. 29, 2, pp. 79-86.

112. M Lee, Philip. Review of Xq28 and the Effect on Homosexuality. *Revue interdisciplinaire des sciences de la santé - Interdisciplinary Journal of Health Sciences.* 2010, Vol. 1, 1.

113. Truth Wins Out. Dean Hamer Talks About Gay Gene Study and Research on Sexual Orientation. s.l. : Youtube.com, 29 Octobre 2013.

114. Truth Wins Out. Dr. Alan Sanders -- Clinical Associate Professor of Psychiatry, Northwestern. s.l. : Youtube.com, 29 Octobre 2013.

115. LeVay, Simon. A Difference in Hypothalamic Structure between Heterosexual and Homosexual Men. *Science.* 1991, Vol. 253, 5023, pp. 1034-1037.

116. *Zone of Brain Linked to Men's Sexual Orientation.* Angier, Natalie. s.l. : New York Times, 1991.

117. Harrub, Brad, Thompson, Bert and Miller, Dave. *"This Is The Way God Made Me" A Scientific Examination of Homosexuality.* s.l. : Apologetics Press, 2003.

118. Rogers, Kara. *The Brain and the nervous system.* New York : Britannica Educational Publishing, 2011. pp. 158-162.

119. King, M. and McDonald, E. Homosexuals who are twins. A study of 46 probands. *The British Journal of Psychiatry.* 1992, Vol. 160, 3.

120. Bailey, J. Michael and Pillard, Richard C. A Genetic Study of Male Sexual Orientation. *Archives of General Psychiatry.* 1991, Vol. 48, 12.

121. Bailey, J. M., et al. Sexual Orientation, Controversy, and Science. *Psychological Science in the Public Interest.* 2016, Vol. 17, 2.

122. Carey, Benedict. Criticism of Gender Theory, a Scientist Under Siege. *NYTIMES.com.* [Online] 22 August 2007. [Cited: 8 August 2019.] https://www.nytimes.com/2007/08/22/health/22iht-21gender.7211615.html.

123. Sudo, Chuck. Fuck Saw Fallout:" NU Launches Investigation into Sex Toy Demo. [Online] 3 March 2011. [Cited: 8 August 2019.] https://chicagoist.com/2011/03/03/fuck_saw_fallout_nu_launches_invest.php.

124. Burr, Chandler. Homosexuality and Biology. [Online] March 1993. [Cited: 8 August 2019.] https://www.theatlantic.com/magazine/archive/1993/03/homosexuality-and-biology/304683/.

125. Allis, C. David, et al. *Epigenetics.* s.l. : COLD SPRING HARBOR LABORATORY PRESS, 2007.

126. Balter, Michael. Can epigenetics explain homosexuality puzzle? *Science.* 2015, Vol. 350, 6257.

127. Ngun, Tuck C. and Vilain, Eric. The Biological Basis of Human Sexual Orientation: Is There a Role for Epigenetics? *Advances in Genetics.* 2014, Vol. 86.

128. Osterweil, Neil. New Clues That Sexual Orientation Could Be Epigenetic. *Medscape.com.* [Online] 14 Octobre 2015. [Cited: 9 August 2019.] https://www.medscape.com/viewarticle/852639#vp_1.

129. Notterman, Daniel A and Mitchell, Colter. Epigenetics and Understanding the Impact of Social Determinants of Health. *Pediatric clinics of North America.* 2015, Vol. 62, 5.

130. Lee, J, et al. An Epigenetics-Based, Lifestyle Medicine–Driven Approach to Stress Management for Primary Patient Care: Implications for Medical Education. *American Journal of Lifestyle Medicine.* 2019.

131. Cunliffe, Vincent T. The epigenetic impacts of social stress: how does social adversity become biologically embedded? *Epigenomics.* 2016, Vol. 8, 12.

132. إيمي وارتون. *علم اجتماع النوع: مقدمة في النظرية والبحث.* [المترجمون] هاني خميس أحمد عبده. الأولى. القاهرة : المركز القومي للترجمة، 2014. الصفحات 214-220.

133. Levinson-King, Robin. Children's toys: The backlash against pink and blue branding. [Online] 19 Decembre 2018. [Cited: 9 August 2019.] https://www.bbc.com/news/world-us-canada-46613032.

134. Engle, Michael J., et al. The attitudes of American sociologists toward causal theories of male homosexuality. *The American Sociologist.* 2006, Vol. 37, 1.

135. Risman, Barbara and Schwartz, Pepper. Sociological Research on Male and Female Homosexuality. *Annual Review of Sociology.* 1988, Vol. 14, pp. 125-147.

136. Biever, Joan L., et al. The social construction of gender: A comparison of feminist and postmodern approaches. *Counselling Psychology Quarterly.* 1998, Vol. 11, 2.

137. Minton, Henry L. Queer Theory: Historical Roots and Implications for Psychology. *Theory & Psychology.* 1997, Vol. 7, 3, pp. 337-353.

138. بول فيرأبند. *طغيان العلم.* الرياض : مركز دلائل، 2018.

139. Watson, Katherine. Queer Theory. " *Group Analysis.* 2005, Vol. 38, 1, pp. 67-81.

140. Slagle, R. Anthony. In defense of queer nation: From identity politics to a politics of difference. *Western Journal of Communication.* 1995, Vol. 59, 2, pp. 85-102.

141. Siker, Jeffrey S. *Homosexuality and Religion: An Encyclopedia.* London : GREENWOOD PRESS, 2007.

142. *The "Third Sex" Theory of Karl Heinrich Ulrichs.* Kennedy, Hubert. 1-2, January 1981, Journal of Homosexuality, Vol. 6, pp. 103-111.

143. *Policing Epistemic Deviance: Albert von Schrenck-Notzing and Albert Moll.* Sommer, Andreas. 2, 2012, Medical history , Vol. 56, pp. 255-76.

144. Blakemore, Erin. Gay Conversion Therapy's Disturbing 19th-Century Origins. *History.com.* [Online] 22 June 2018. [Cited: 11 July 2019.] https://www.history.com/news/gay-conversion-therapy-origins-19th-century.

145. Perry, Kristin. *BRIEF OF AMICUS CURIAE, NATIONAL ASSOCIATION FOR RESEARCH & THERAPY OF HOMOSEXUALITY (NARTH), IN SUPPORT OF THE INTERVENING DEFENDANTS-APPELLANTS.* s.l. : Counsel Press, 2010.

146. *Taking Prisoners: Havelock Ellis, Sigmund Freud, and the Construction of Homosexuality, 1897-1951.* Crozier, Ivan D. 3, 2000, Social History of Medicine, Vol. 13.

147. Hoffman, Louise E. Reviewed Work: The Complete Letters of Sigmund Freud to Wilhelm Fliess, 1887-1904 by Sigmund Freud, Jeffrey Moussaieff Masson. *Isis.* 1989, Vol. 80, 3, pp. 561-562.

148. Simkin, John. Wilhelm Fliess. *Spartacus-Educational.com.* [Online] Septembre 1997. [Cited: 12 July 2019.] https://spartacus-educational.com/Wilhelm_Fliess.htm.

149. *The Freudian construction of sexuality: the gay foundations of heterosexuality and straight homophobia.* de Kuper, E. 3-4, 1993, Jornal of Homosexuality, Vol. 24, pp. 137-144.

150. *Infantile bisexuality and the 'complete oedipal complex': Freudian views on heterosexuality and homosexuality.* Heenen-Wolff, Susann . 5, 2011, The International Journal of Psychoanalysis, Vol. 92.

151. Bergeret, Jean. HOMOSEXUALITY OR HOMOEROTICISM?: 'NARCISSISTIC EROTICISM'. *The International Journal of Psychoanalysis.* 2002, Vol. 83, 2.

152. American Psychological Association. *Task Force on Appropriate Therapeutic Responses to Sexual Orientation.* USA : APA, 2009.

153. Drucker, Donna J. Male Sexuality and Alfred Kinsey's 0-6 Scale: toward a sound understanding of the realities of sex. *Journal of Homosexuality.* 2010, Vol. 57, 9, pp. 1105-1123.

154. LaTorre, Ronald A. and Piper, William E. The Terman-Miles M - F Test: An Examination of Exercises 1, 2, and 3 Forty Years Later. *Sex Roles.* 1979, Vol. 4, 1.

155. Allyn, David. Private Acts/Public Policy: Alfred Kinsey, the American Law Institute and the Privatization of American Sexual Morality. *Journal of American Studies.* 1996, Vol. 30, 3, pp. 405-428.

156. Kinseyinstitute.com. The Kinsey Scale. [Online] [Cited: 19 July 2019.] https://kinseyinstitute.org/research/publications/kinsey-scale.php.

157. Morantz, Regina Markell. The scientist as sex crusader: Alfred C. Kinsey and American culture. *American Quarterly.* 1977, Vol. 29, 5, pp. 563-589.

158. Bullough, Vern L. Alfred Kinsey and the Kinsey report: Historical overview and lasting contribution. *The Journal of Sex Research.* 1998, Vol. 35, 2, pp. 127-131.

159. Drucker, Donna j. 'A most interesting chapter in the history of science': intellectual responses to Alfred Kinsey's Sexual Behavior in the Human Male. *History of the Human Sciences.* 2012, Vol. 25, 1, pp. 75-98.

160. Bullough, Vern L. Sex Will Never Be the Same: The Contributions of Alfred C. Kinsey. *Archives of Sexual Behavior.* 2004, Vol. 33, 3.

161. Kameny, Franklin. How It All Started. *Journal of Gay & Lesbian Mental Health.* 2009, Vol. 13, 2, pp. 76-81.

162. Iovannone, Jeffry J. Frank Kameny: Father of the Gay Rights Movement. [Online] 1 January 2018. [Cited: 3 August 2019.] https://medium.com/queer-history-for-the-people/frank-kameny-father-of-the-gay-rights-movement-891e0e993864.

163. فاندنبوس، جاري ر. *القاموس الموسوعي في العلوم النفسية والسلوكية.* [المترجمون] نخبة. القاهرة : المركز القومي للترجمة، 2015. صفحة 322. المجلد 1.

164. Stonewall riots. *Britannica.com.* [Online] 21 June 2019. [Cited: 3 August 2019.] https://www.britannica.com/event/Stonewall-riots.

165. Fried, Ronald K. How the Mafia Muscled in and Controlled the Stonewall Inn. *thedailybeast.com.* [Online] 30 June 2019. [Cited: 3 August 2019.] https://www.thedailybeast.com/how-the-mafia-muscled-in-and-controlled-the-stonewall-inn.

166. Mafia Hearings on capitol Hill. *History.com.* [Online] [Cited: 3 August 2019.] https://www.history.com/topics/crime/speeches-mafia-hearings-on-capitol-hill-video.

167. Wallenfeldt, Jeff. Why Is Pride Month Celebrated in June? [Online] 7 June 2019. [Cited: 3 August 2019.] https://www.britannica.com/story/why-is-pride-month-celebrated-in-june.

168. Yue, Frances. Corporate America gets on the Pride parade, and it's appreciated, but also complicated. [Online] 28 June 2019. [Cited: 3 August 2019.] https://www.usatoday.com/story/money/2019/06/28/pride-marketing-benefits-lgbtq-community-corporate-america/1511433001/.

169. American Psychiatric Association. *Diagnostic and statistical manual of mental mental disorders.* 3rd. Washington : American Psychiatric Association, 1980.

170. Haldeman, Douglas C. Sexual orientation conversion therapy for gay men and lesbians: a scientific examination. *Homosexuality: Research implications for public policy.* 1991, pp. 149-160.

171. American Psychiatric Association. *Diagnostic and statistical manual of mental disorders.* 4th. Washington : American Psychiatric Association, 1994.

172. Nicolosi, Joseph, Byrd, A. Dean and Potts, Richard W. BELIEFS AND PRACTICES OF THERAPISTS WHO PRACTICE SEXUAL REORIENTATION PSYCHOTHERAPY. *PsychologicalReports.* 2000, 86.

173. Freeman, William and Meyer, Robert G. A behavioral alteration of sexual preferences in the human male. *Behavior Therapy.* 1975, Vol. 6, 2, pp. 206-212.

174. Pattison, E.M. and Pattison, M.L. Ex-Gays": Religiously mediated change in homosexuals. *American Journal of Psychiatry.* 1980, Vol. 137, 12, pp. 1553-1562.

175. Throckmorton, Warren. Who Invented the Therapy in Those Joseph Nicolosi Books Banned by Amazon? [Online] 17 July 2019. [Cited: 5 August 2019.] https://www.wthrockmorton.com/tag/elizabeth-moberly/.

176. Nicolosi, Joseph. *Reparative Therapy of Male Homosexuality.* s.l. : ROWMAN & LITTLEFIELD PUBLISHERS, INC. , 1991.

177. Nicolosi, Joseph and Byrd, A. Dean. A meta-analytic review of treatment of homosexuality. *Psychological Reports.* 2002, Vol. 90, 3.

178. Myers, David G. *Social Psychology.* [ed.] 11. s.l. : Mc Graw Hill, 2013. p. 155.

179. Payne, Ed. Group apologizes to gay community, shuts down 'cure' ministry. [Online] 8 July 2013. [Cited: 6 August 2019.] https://edition.cnn.com/2013/06/20/us/exodus-international-shutdown/index.html.

180. NCLRIGHTS.ORG. [Online] [Cited: 6 August 2019.] http://www.nclrights.org/our-work/bornperfect/.

181. Shear, Michael D. Obama Calls for End to 'Conversion' Therapies for Gay and Transgender Youth. [Online] 15 April 2015. [Cited: 6 August 2019.] https://www.nytimes.com/2015/04/09/us/politics/obama-to-call-for-end-to-conversion-therapies-for-gay-and-transgender-youth.html.

182. Aviles, Gwen. Amazon removes controversial books by 'father of conversion therapy'. [Online] 3 July 2019. [Cited: 6 August 2019.] https://www.nbcnews.com/feature/nbc-out/amazon-removes-controversial-books-father-conversion-therapy-n1026446.

183. AP. Rep. Omar: Gay Conversion Therapy Is 'Torture'. [Online] 21 March 2019. [Cited: 6 August 2019.] https://minnesota.cbslocal.com/2019/03/21/rep-omar-gay-conversion-therapy-is-torture/.

184. Kováts, Eszter. Questioning Consensuses: Right-Wing Populism, Anti-Populism, and the Threat of 'Gender Ideology'. *Sociological Research Online.* 2018, Vol. 23, 2, pp. 528-283.

185. Russell, Stephen T., et al. Chosen Name Use Is Linked to Reduced Depressive Symptoms, Suicidal Ideation, and Suicidal Behavior Among Transgender Youth. *Journal of Adolescent Health.* 2018, Vol. 63, pp. 503–505.

186. وصفي، أوسم. *شفاء الحب: كشف الحقائق عن الجنسية المثلية.* القاهرة : اسم غير معروف، 2007. الصفحات 111-115.

187. Ford, Jeffry. Healing Homosexuals: A Psychologist's Journey Through the Ex-Gay Movement and the Pseudo-Science of Reparative Therapy. *Journal of Gay and Lesbian Psychotherapy.* , 2002, Vol. 5, 3-4.

188. Asencio, Marysol, et al. The prospect of prostate cancer: A challenge for gay men's sexualities as they age. *Sexuality Research and Social Policy.* 2009, Vol. 6, 4.

189. Moskowitz, David A and Hart, Trevor A. The Influence of Physical Body Traits and Masculinity on Anal Sex Roles in Gay and Bisexual Men. *Archive of Sexual Behavior.* 2011, Vol. 40, 4.

190. American Psychiatric Association. *Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders.* s.l. : American Psychiatric Publishing, 2013.

191. Berryessa, Colleen M. Potential Implications of Research on Genetic or Heritable Contributions to Pedophilia for the Objectives of Criminal Law. *Recent Advances in DNA & Gene Sequences.* 2014, Vol. 8, 2.

192. Seto, Michael C. The Puzzle of Male Chronophilias. *Archives of Sexual Behavior.* 2017, Vol. 46, 1.

193. —. Is Pedophilia a Sexual Orientation? *Archives of Sexual Behavior.* 2012, Vol. 41, 1.

194. Blackshield, A R. secularism and social control in the west: the material and the ethereal. [ed.] G S Sharma. *Secularism: its implication in law and life in india 60.* 1966, p. 14.

195. Cohen, Stanley. *Visions of Social control.* s.l. : Polity Press, 2007.

196. جيل فيريول. *معجم مصطلحات علم الاجتماع.* [المترجمون] أنسام محمد الأسعد. مكان غير معروف : دار ومكتبة الهلال، 2011. الصفحات 150,157.

197. ممدوح محمود منصور. *محاضرات في علم الاجتماع السياسي.* مكان غير معروف : غير منشورة، 2018.

198. Steimetz, Katy. See Obama's 20-Year Evolution on LGBT Rights. [Online] 10 April 2015. http://time.com/3816952/obama-gay-lesbian-transgender-lgbt-rights/.

199. DiStaso, John. Sununu signs bills banning discrimination based on gender identity, conversion therapy. [Online] 8 June 2018. https://www.wmur.com/article/sununu-signs-bill-banning-discrimination-based-on-gender-identity/21238908.

200. Deaton, Margaret Hoover and Tyler. Republicans are essential to winning full LGBT freedom. [Online] 12 June 2018. https://edition.cnn.com/2018/06/12/opinions/gop-essential-for-lgbt-rights-hoover-deaton-opinion/index.html.

201. Mack, David. Trump Is The First Republican President To Acknowledge LGBT Pride Month, And Yet.. [Online] 31 May 2019. [Cited: 16 August 2019.] https://www.buzzfeednews.com/article/davidmack/trump-pride-month-tweet-anti-lgbt-record.

202. Duffy, Nick. LGBT+ Conservatives sorry for 'calling anti-trans Tory MP a c*nt'. [Online] 30 Jan 2018. https://www.pinknews.co.uk/2018/01/30/lgbt-conservatives-sorry-for-calling-anti-trans-tory-mp-a-cnt/.

203. lgbt.libdems.org. [Online] 2018. https://lgbt.libdems.org.uk/en/page/about.

204. lgbtlabour.org. [Online] 2018. http://www.lgbtlabour.org.uk/.

205. Stadel, Florian. Outing perfekt inszeniert. [Online] 22 July 2004. https://www.focus.de/politik/deutschland/westerwelle_aid_84757.html.

206. Bild.de. Guido Westerwelle heiratet Michael Mronz. [Online] 17 9 2010. https://www.bild.de/politik/2010/heiratet-michael-mronz-14003248.bild.html.

207. Ring, Trudy. The Legacy of the World's First Out Lesbian Prime Minister. [Online] 3 May 2013. https://www.advocate.com/politics/politicians/2013/05/03/legacy-worlds-first-out-lesbian-prime-minister.

208. Parker, Fiona. Husband of Luxembourg's gay prime minister joins Nato leaders' wives in photo. [Online] 26 May 2017. https://metro.co.uk/2017/05/26/husband-of-luxembourgs-gay-prime-minister-joins-nato-leaders-wives-in-photo-6664770/.

209. France24. Far right threatens to hijack gay marriage protest. [Online] 2 November 2012. [Cited: 16 August 2019.] https://www.france24.com/en/20121102-french-national-front-would-hijack-gay-marriage-protests-marine-le-pen-jean-francois-cope-ump.

210. Segalov, Michael. From Marine Le Pen to Theresa May, why do white gay men continue to support right-wing candidates? [Online] 24 4 2017.

https://www.independent.co.uk/voices/theresa-may-marine-le-pen-homophobia-gay-voters-islamophobia-tim-farron-a7699196.html.

211. Wildman, Sarah. Marine Le Pen wants to protect France's LGBTQ community — but opposes same-sex marriage. [Online] 5 May 2017. https://www.vox.com/world/2017/5/5/15542242/marine-le-pen-french-elections-gay-outreach.

212. osce.usmission.gov. Human Rights Abuses in Chechnya: 15 OSCE Countries Invoke Vienna Mechanism. [Online] 30 8 2018. https://osce.usmission.gov/human-rights-abuses-in-chechnya-15-osce-countries-invoke-vienna-mechanism/.

213. Avery, Dan. [Online] 2017. http://www.newnownext.com/gauthier-destenay-xavier-bettel-luxembourg/05/2017/.

214. Mohamed Abd El Ghany. رد فعل القادة العرب عندما أعلن زعيم أوروبي زواجه من رجل في قمة شرم الشيخ. [متصل] 2 March, 2019. [تاريخ الاقتباس: 7 October, 2019.] https://arabic.sputniknews.com/arab_world/201903021039460075-%D8%B1%D8%AF-%D9%81%D8%B9%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8-%D8%A3%D8%B9%D9%84%D9%86-%D8%B2%D8%B9%D9%8A%D9%85-%D8%A3%D9%88%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%8A-%D8%B2%.

215. صلاح عبد البديع شلبي. *الوجيز الميسر في القانون الدولي*. 2017. الصفحات 52, 90, 228.

216. KAOS GL Meeting. *arc-international*. [متصل] 2006. http://arc-international.net/network-development/conference-/presentations/presentation-un-mechanism.

217. Joint Statement. Joint Statement. [Online] 2006. http://arc-international.net/global-advocacy/sogi-statements/2006-joint-statement/.

218. Joint Statement. [متصل] .2008. http://arc-international.net/global-advocacy/sogi-statements/2008-joint-statement/.

219. Robert Evans. Reuters. [متصل] .2012. https://af.reuters.com/article/topNews/idAFJOE82702T20120308?sp=true.

220. Rauch, Jonathan. Why Gay Rights May Be President Obama's Biggest Legacy. [Online] 11 May 2012. [Cited: 17 August 2019.] https://www.brookings.edu/opinions/why-gay-rights-may-be-president-obamas-biggest-legacy/.

221. Gash, Alison. How Trump Will Roll Back Obama's Progress on Gay Rights. [Online] 31 January 2017. [Cited: 17 August 2019.] https://washingtonmonthly.com/2017/01/31/how-trump-will-roll-back-obamas-progress-on-gay-rights/.

222. Evans, Robert. Islamic states, Africans walk out on UN gay panel. [Online] 8 March 2012. [Cited: 17 August 2019.] https://af.reuters.com/article/topNews/idAFJOE82702T20120308?sp=true.

223. Associated Press. UN issues first resolution condemning discrimination against gay people. [Online] 17 June 2011. [Cited: 17 August 2019.] https://www.theguardian.com/world/2011/jun/17/un-resolution-discrimination-gay-people.

224. Morello, Carol. the Washington Post. [Online] 2016. https://www.washingtonpost.com/world/national-security/un-council-creates-watchdog-for-lgbt-rights/2016/06/30/54976de6-3eee-11e6-

80bc-d06711fd2125_story.html?noredirect=on&utm_term=.85af27bae13e.

225. Humanists International. IHEU criticises OIC countries and allies for their position on LGBT rights. [Online] 30 June 2015. [Cited: 17 August 2019.] https://humanists.international/2015/06/iheu-criticises-oic-countries-and-allies-for-their-position-on-lgbt-rights/.

226. فراس صابر عبد العزيز الدوري. *إشكالية التدخل الإنساني الدولي ومبدأ عدم التدخل في القانون الدولي العام.* عمان الأردن : جامعة الشرق الأوسط، 2017. صفحة 17، رسالة ماجستير.

227. Picq, Manuela Lavinas and Thiel, Markus. *Sexualities in World Politics: How LGBTQ claims shape the International Relations.* s.l. : Routledge, 2015.

228. Kaku, Sechiyama. Rainbow in the East: LGBT Rights in Japan. [Online] 28 5 2015. https://www.nippon.com/en/currents/d00174/.

229. Shibun, Nagayasu. Sexual Minorities in Japan: The Myth of Tolerance. [Online] 21 10 2016. https://www.nippon.com/en/currents/d00253/.

230. Jackman, Josh. Japanese city of two million becomes biggest to recognise same-sex partnerships. [Online] 1 June 2017. https://www.pinknews.co.uk/2017/06/01/japanese-city-of-two-million-becomes-biggest-to-recognise-same-sex-partnerships/.

231. Withnall, Adam. India's Supreme Court rules gay sex is no longer a crime in historic Section 377 judgment. [Online] 6 9 2018. https://www.independent.co.uk/news/world/asia/india-gay-sex-crime-supreme-court-section-377-decision-lgbt-rights-illegal-a8524971.html.

232. بسام بونني. انقسامات في تونس حول "الإعدام والإرث والمثلية". [متصل] 12 8, 2018. http://www.bbc.com/arabic/middleeast-45161032.

233. Lifelongadoptions.com. [Online] 2018. https://www.lifelongadoptions.com/lgbt-adoption/lgbt-adoption-statistics.

234. Mcdonald, Leah. Man, 30, who tore down and burned an LGBTQ flag at an Iowa church is jailed for more than 15 years. [Online] December 19, 2019. [Cited: December 20, 2019.] https://www.dailymail.co.uk/news/article-7810925/Man-tore-burned-LGBTQ-flag-flying-Iowa-church-jailed.html.

235. Bostock, Bill. A UK judge ruled that it is legal to fire workers for saying that transgender women are not real women. [Online] December 19, 2019. [Cited: December 20, 2019.] https://www.insider.com/uk-ruling-legal-fire-employee-said-trans-women-not-real-women-2019-12?utm_content=bufferb947a&utm_medium=social&utm_source=facebook.com&utm_campaign=buffer-bi&fbclid=IwAR0Ih2khzYHJIuPoqzIVEyA7JpIBb2s1AHIHmnGhwDSzIOEJtCqPgWCWeCI.

236. Bowcott, Owen. Judge rules against researcher who lost job over transgender tweets. [Online] December 18, 2019. [Cited: December 20, 2019.] https://www.theguardian.com/society/2019/dec/18/judge-rules-against-charity-worker-who-lost-job-over-transgender-tweets?utm_term=Autofeed&CMP=fb_us&utm_medium=Social&utm_source=Facebook&fbclid=IwAR35GY1X4KLv8Yubd22hz2Ka6zjy5Oevb7u_oFVaWXnqtEth.

237. Innes, Martin. *Understanding Social Control: Deviance, Crime and Social order.* s.l. : Open University Press, 2003. pp. 61, 58.

238. Rose, Nikolas. *Governing the Soul: The Shaping of the Private Self.* Second. s.l. : FREE ASSOCIATION BOOKS., 1999. pp. 123-124, 205.

239. سعيد إسماعيل علي. *الأصول الاجتماعية للتربية*. القاهرة : دار السلام، 2013.

240. Bourdieu, Pierre and Passeron, Jean-Claude . *Reproduction in Education, Society and Culture.* [trans.] Richard Nice. s.l. : Sage Publications, 1990. pp. 7-10.

241. Stickings, Tim. Girls are banned from wearing skirts at 40 secondaries across England as schools opt for gender-neutral uniforms to cater for transgender pupils. [Online] 1 7 2018. [Cited: 30 9 2018.] https://www.dailymail.co.uk/news/article-5906031/Girls-banned-wearing-skirts-40-schools-insist-gender-neutral-uniforms.html.

242. Hosie, Rachel. 40 SECONDARY SCHOOLS ACROSS ENGLAND HAVE BANNED PUPILS FROM WEARING SKIRTS. [Online] 2 7 2018. [Cited: 30 9 2018.] https://www.independent.co.uk/life-style/skirt-ban-secondary-schools-uniform-england-gender-neutral-transgender-pupils-a8426411.html.

243. Chaplain, Chloe. Pakistan launches first school for transgender people. [Online] 24 4 2018. [Cited: 30 9 2018.] https://www.standard.co.uk/news/world/pakistan-launches-first-school-for-transgender-people-a3821716.html.

244. *Questioning Heteronormativity: Lesbian and gay challenges to education practice in British Columbia, Canada.* Smith, Miriam. 2004, Journal of, pp. 131-145.

245. cdn-hr-reporter.ca. HOMOPHOBIC HARASSMENT BY STUDENT BREACHES CODE. [Online] 2005. https://www.cdn-hr-reporter.ca/hr_topics/sexual-orientation/homophobic-harassment-student-breaches-code.

246. UNESCO. *Out in the open: education sector responses to violence based on sexual orientation or gender identity/expression.* France : UNESCO, 2016. pp. 73-75.

247. kayekory.com. Family Life Education Should Include Material about LGBT and Questioning Students and Families. [Online] 2015. http://www.kayekory.com/blog/family-life-education-should-include-material-about-lgbt-and-questioning-students-and-families.

248. Lukitsch, Bill. Gay rights advocates want Illinois schools to be required to teach LGBT history. [Online] 13 4 2018. [Cited: 30 9 2018.] http://www.chicagotribune.com/news/local/politics/ct-met-illinois-legislature-lgbtq-20180412-story.html.

249. DeNisco, Alison. California schools adopt inclusive textbooks that highlight LGBT figures in history. [Online] 22 2 2018. https://www.districtadministration.com/article/california-schools-adopt-inclusive-textbooks-highlight-lgbt-figures-history.

250. AssociatedPress. NY Library Brings Drag Queens to Kids Story Hour. [Online] 16 May 2017. https://www.youtube.com/watch?v=YOFkVZQ8etE.

251. BBC.com. في سويسرا، غرامة مالية لأب مسلم رفض ان تتعلم بناته السباحة. [متصل] 30 6, 2016. [تاريخ الاقتباس: 5 10, 2018.] http://www.bbc.com/arabic/worldnews/2016/06/160629_switzerland_muslim.

252. Euronews. محكمة أوروبية تحكم بإلزامية السباحة المدرسية في سويسرا لبنات المسلمين. [Online] 10 1 2017. [Cited: 5 10 2018.] https://www.youtube.com/watch?v=sTtno37BVuE.

253. maghress.com. فرنسا ترفض منح الجنسية لمغربي امتنع عن مصافحة النساء. [متصل] 12 7, 2010. [تاريخ الاقتباس: 5 10, 2018.] https://www.maghress.com/zapress/4651.

254. DW.com. جدل في هولندا بسبب امتناع لاعب مسلم عن مصافحة صحفية. [Online] 6 11 2015. [Cited: 5 10 2018.] https://p.dw.com/p/1H1Pa.

255. —. جدل المصافحة يصل ألمانيا بعد رفض إمام مد يده لمعلمة ابنه. [متصل] 23 6, 2016. [تاريخ الاقتباس: 5 10, 2018.] https://p.dw.com/p/1JBjP.

256. alquds.co. سويسرا تعلّق تجنيس عائلة تلميذين مسلمين رفضا مصافحة معلمتهما. [متصل] 20 4, 2016. [تاريخ الاقتباس: 5 10, 2018.] http://www.alquds.co.uk/?p=518844.

257. BBC.com. زوجان مسلمان يُحرمان من الجنسية السويسرية "لرفضهما مصافحة الجنس الآخر". [متصل] 18 8, 2018. [تاريخ الاقتباس: 5 10, 2018.] http://www.bbc.com/arabic/world-45233967.

258. نيفين عبدالهادي. حكم قضائي سويدي بانتزاع 4 أطفال من أسرتهم الأردنية. [متصل] 17 4, 2010. [تاريخ الاقتباس: 5 10, 2018.] https://www.addustour.com/articles/665618-%D8%AD%D9%83%D9%85-%D9%82%D8%B6%D8%A7%D8%A6%D9%8A-%D8%B3%D9%88%D9%8A%D8%AF%D9%8A-%D8%A8%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%B2%D8%A7%D8%B9-4-%D8%A3%D8%B7%D9%81%D8%A7%D9%84-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D8%A3%D8%B3%D8%B1%D8%AA%D9%87%D9%85-%D8%A7.

259. sverigesrost.se. السوسيال يوضح أسباب سحب الأطفال الثلاثة من الأسرة السورية. [متصل] 1 12, 2017. [تاريخ الاقتباس: 5 10, 2018.] https://sverigesrost.se/archives/32222.

260. نزار عسكر. "الاختطاف الشرعي" متى تأخذ الدولة الأطفال من عائلاتهم؟ [متصل] 13 4, 2014. [تاريخ الاقتباس: 5 10, 2018.] https://alkompis.se/special/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AE%D8%AA%D8%B7%D8%A7%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D8%B9%D9%8A-%D9%85%D8%AA%D9%89-%D8%AA%D8%A3%D8%AE%D8%B0-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B7%D9%81/.

261. DW.com. سحب حق حضانة الأطفال..إجراء قانوني بوقع الصاعقة على اللاجئين. [Online] 2 8 2017. [Cited: 5 10 2018.] https://p.dw.com/p/2X7CU.

262. Wilkinson, Laurence. Norway's Government-Abducted Children, And Ramifications For Europe. [Online] 27 February 2017. [Cited: 18 August 2019.] https://www.forbes.com/sites/realspin/2017/02/27/norways-government-abducted-children-and-ramifications-for-europe/#56720b914f73.

263. mc-doualiya.com. "أبناء الأقليات في النرويج يتهمون الحكومة بـ "خطف أطفالهم. [Online] 4 5 2016. [Cited: 5 10 2018.] https://www.mc-doualiya.com/articles/20160504-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B1%D9%88%D9%8A%D8%AC-%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%A6%D9%88%D9%86-%D8%A3%D8%AC%D8%A7%D9%86%D8%A8-%D8%A3%D9%82%D9%84%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%AE%D8%B7%D9%81-%D8%A3%D8%B7%D9%81%D8%A7%D9%84.

264. paliraq.com. في السويد :76 طفل فلسطيني ينتزعون من عائلاتهم تحت ذريعة القانون يتم خطف أطفال من ذويهم. [Online] 11 11 2010. [Cited: 5 10 2018.] http://www.paliraq.com/news.aspx?id=4127.

265. Rawlinson, Kevin. High court bans Birmingham school protests against LGBT lessons. [Online] 31 'May 2019. [Cited: 19 June 2019.] https://www.theguardian.com/education/2019/may/31/high-court-bans-birmingham-school-protests-against-lgbt-lessons.

266. Spiegel.de. Kardinal Marx stellt Segnung homosexueller Paare in Aussicht. [Online] 3 February 2018. [Cited: 18 August 2019.] https://www.spiegel.de/panorama/gesellschaft/reinhard-marx-kardinal-stellt-segnung-homosexueller-paare-in-aussicht-a-1191270.html.

267. Roberts, Louisa L. Changing worldwide attitudes toward homosexuality: The influence of global and. *Social Science Researc.* 2019, Vol. 80.

268. Norton, Anne Lucie. *Dictionary of Ideas.* s.l. : Brockhampton, 1997.

269. Collin, P. H. *Dictionary of Politics and Government.* 3rd. s.l. : Bloomsbury, 2004.

270. McLean, Dorothy Cummings. TEDx speaker: 'Pedophilia is an unchangeable sexual orientation,' 'anyone' could be born that way. [Online] 18 7 2018. [Cited: 29 3 2019.] https://www.lifesitenews.com/news/ted-speaker-pedophilia-is-an-unchangeable-sexual-orientation-anyone-could-b.

271. نايرة أنطون. في قضايا حريات الجسد.. كيف تغيّر موقف المجتمع من عنف الدولة؟ [متصل] 2017. https://madamasr-com.cdn.ampproject.org/c/s/madamasr.com/ar/2017/12/02/feature/%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9/%D8%AD%D9%88%D8%A7%D8%B1-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%8A%D8%AF%D9%8A%D9%88-%D9%81%D9%8A-%D9%82%D8%B6%D8%A7%D9%8A%D8%A7-%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D8.

272. Gillibrand, Kirsten. Tamika Mallory, Bob Bland, Carmen Perez and Linda Sarsour. [Online] 2017. http://time.com/collection/2017-time-100/4742711/tamika-mallory-bob-bland-carmen-perez-linda-sarsour/.

273. Haqiqatjou, Daniel. Does Linda Sarsour Think Islam Accepts Homosexuality? [Online] 2019. https://muslimskeptic.com/2019/02/25/does-linda-sarsour-think-islam-accepts-homosexuality/.

274. Wong, Curtis M. The History And Meaning Of The Rainbow Pride Flag. [Online] 6 July 2018. [Cited: 21 August 2019.] https://www.huffpost.com/entry/rainbow-pride-flag-history_n_5b193aafe4b0599bc6e124a0.

275. Nawaz, Maajid. Why Does Gay Sex Scare Modern Muslims? It Didn't in the Golden Age. [Online] 2016. https://www.thedailybeast.com/why-does-gay-sex-scare-modern-muslims-it-didnt-in-the-golden-age?fbclid=IwAR08tGJ28MsTYfBq-dPuFWTErJkTVFrFwpZqslTfp9Ym84j0HDnClMslkrE.

276. Fight for LGBTQIA+ Rights. [متصل] https://www.ilhanomar.com/lgbtqia.

277. Rep. Omar: Gay Conversion Therapy Is 'Torture'. [Online] 3 2019. https://minnesota.cbslocal.com/2019/03/21/rep-omar-gay-conversion-therapy-is-torture/.

278. Johnson, Chris. Keith Ellison unveils LGBT plan in bid to become DNC chair. [Online] 1 2017. https://www.washingtonblade.com/2017/01/12/exclusive-keith-ellison-veils-lgbt-plan-bid-become-dnc-chair/.

279. Johnston, Chris. London Pride parade: 30,000 march as huge crowds line route. [Online] 7 2018. https://www.theguardian.com/world/2018/jul/07/london-pride-parade-lgbt-30000-march-huge-crowds-line-route.

280. Wilford, Greg. All of Germany's Muslim MPs voted in favour of same-sex marriage. [Online] 7 2017. https://www.independent.co.uk/news/world/europe/angela-merkel-chancellor-germany-same-sex-marriage-vote-lgbt-muslim-mps-berlin-bundestag-cdu-sdp-a7819391.html.

281. Hilton-Morrow, Wendy and Battles, Kathleen. *Sexual Identities and the Media: An Introduction.* New York : Routledge, 2015.

282. Forshaw, Barry. *Sex and Filam: The Erotic in British, American and World Cinema.* s.l. : Palgrave Macmillan, 2015.

283. Cleghorn, Sophie. Film: The Hollywood Production Code of 1930 and LGBT Characters. [Online] 6 November 2017. [Cited: 23 June 2019.] https://medium.com/@sophiecleg/how-did-the-hollywood-production-code-of-1930-shape-the-representation-of-lgbt-characters-in-film-93e92a4fec62.

284. Noriega, Chon. "Something's Missing Here!": Homosexuality and Film Reviews during the Production Code Era, 1934-1962. *Cinema Journal.* 1990, Vol. 30, 1.

285. Mislak, Mikayla. From Sissies to Secrecy: The Evolution of the Hays Code Queer. [Online] 1 August 2015. [Cited: 23 June 2019.] https://filmicmag.com/2015/08/01/from-sissies-to-secrecy-the-evolution-of-the-hays-code-queer/.

286. أحمد السماحي. هنا شيحه تصدم الجمهور بتجسيد دور "سحاقية". [متصل] 31 يوليو, 2013. [تاريخ الاقتباس: 23 يونيو, 2019.] https://www.eremnews.com/latest-news/6862.

287. Cohen, Sascha. How One Movie Changed LGBT History. [Online] 17 March 2015. [Cited: 23 June 2019.] How One Movie Changed LGBT History.

288. سامح سليمان. المثليه الجنسيه النسائيه فى السينما المصريه (1). [متصل] 2013. http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=362694&r=0.

289. Bartlett, Sarah. *Exploring the Influence of Media on Sexual Identity Development in Lesbian and Bisexual women.* s.l. : ProQuest LLC, 2018.

290. History of Homosexuality on Film. *Just write.* [Online] Just write, 2015. https://www.youtube.com/watch?v=SeDhMKd83r4.

291. Meslow, Scott. Will Moviegoers Ever Be Comfortable Watching Two Dudes Kiss? [Online] 17 March 2017. [Cited: 22 August 2019.] https://www.gq.com/story/will-moviegoers-ever-be-comfortable-watching-two-dudes-kiss.

292. Puhl, Kristin. *The eroticization of lesbianism by heterosexual men (Master Thesis).* s.l. : Western Washington University, 2010.

293. Pullen, Christopher. *LGBT Transnational Identity and the Media.* s.l. : Palgrave Macmillan, 2012. pp. 3,..

294. Weaver, Hilary. Ellen DeGeneres's Groundbreaking Coming Out: 20 Years Later. [Online] 28 April 2017. [Cited: 22 June 2019.] https://www.vanityfair.com/style/2017/04/20th-anniversary-of-ellen-degeneres-coming-out.

295. Flynn, Liz. 20 Things You Didn't Know About Kate McKinnon. [Online] May 2019. https://www.tvovermind.com/kate-mckinnon/.

296. Gebauer, Dianne. Strange facts about Ellen and Portia's marriage. [Online] https://www.nickiswift.com/79477/strange-facts-ellen-degeneres-portia-de-rossis-marriage/.

297. Warn, Sarah. Erosion Media Launches Gay Political Blog. [Online] 2005. https://www.prweb.com/releases/2005/11/prweb311619.htm.

298. Osborn, Andrew. Elton John tells Russians he still wants to meet Putin to talk gay rights. [Online] 31 May 2016. [Cited: 22 June 2019.] https://www.reuters.com/article/us-russia-putin-elton-john/elton-john-tells-russians-he-still-wants-to-meet-putin-to-talk-gay-rights-idUSKCN0YM10M.

299. Palazzo, Chiara. Vladimir Putin calls Elton John and tells him not to 'get offended' over prank call. [Online] 24 Septembre 2015. [Cited: 22 June 2019.] https://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/europe/russia/11888713/

Vladimir-Putin-tells-Elton-John-not-to-get-offended-over-prank-call.html.

300. Frei, Dana. *Challenging Heterosexism from the other point of view: Representation of Homosexuality in Queer as Folk and L Word.* s.l. : Peter Lang, 2012.

301. Rodriguez, Mathew. 'Queer as Folk' Rewatch: Conversion Therapy, Top Privilege and Leather Daddies. [Online] 23 August 2018. [Cited: 21 June 2019.] https://www.intomore.com/culture/queer-as-folk-rewatch-conversion-therapy-top-privilege-and-leather-daddies.

302. Kim, Jeongmin. Queer cultural movements and local counterpublics of sexuality: a case of Seoul Queer Films and Videos Festival. [Online] 2007. https://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080/14649370701568086.

303. Lee, Joseph. How Queer as Folk broke the mould for gay people on TV. [Online] 27 February 2019. [Cited: 21 June 2019.] https://www.bbc.com/news/uk-47304685.

304. Khazan, Olga. Why Straight Men Gaze at Gay Women. [Online] 2016. https://www.theatlantic.com/health/archive/2016/03/straight-men-and-lesbian-porn/472521/.

305. Hamill, Jasper. Men say lesbians are all about them. [Online] 2017. https://nypost.com/2017/06/01/study-claiming-lesbians-evolved-to-turn-men-on-evokes-outrage/.

306. Natale, Richard. 'Gaysploitation' Films Find a Nicely Profitable Niche. [Online] 10 December 1995. [Cited: 21 June 2019.] https://www.latimes.com/archives/la-xpm-1995-12-10-ca-12328-story.html.

307. Datalounge.com. The popularity of lesbianism in Hollywood. [Online] 2015. https://www.datalounge.com/thread/15571090-the-popularity-of-lesbianism-in-hollywood.

308. *Becoming the homovoyeur: consuming homosexual representation in Queer as Folk, Social Semiotics.* Manuel, Sheri L. 2009.

309. Bermudez, Pilar Aurelia. *The Social Impact of "Brokeback Mountain:" A Reception Study".* https://scholarlyrepository.miami.edu/oa_theses/125. s.l. : University of Miami, 2008.

310. Riedel, Samantha. This Film Proves That Casting Trans Actors Isn't Enough — We Need Fully Fleshed-Out Characters. [Online] 19 August 2018. [Cited: 22 August 2019.] https://www.them.us/story/boy-meets-girl.

311. Anonym. Jamie Clayton Husband, Transgender, Relationship With Keanu Reeves. [Online] 2015. https://heightline.com/jamie-clayton-transgender-keanu-reeves/.

312. Dellal, Gaby. *3 Generations.* Big Beach, InFilm Productions and IM Global, 2015.

313. Ghazvinizadeh, Anahita. *They.* Mass Ornament Films , 2017.

314. Howard, Silas. *A Kid Like Jake.* Bankside Films, Burn Later Productions, Double Nickel Entertainment, Head Gear Films, Metrol Technology, That's Wonderful Productions and XS Media, 2018.

315. Vigilant Citizen. Netflix is Losing Subscribers in the US: The Untold Reason. [Online] 18 July 2019. [Cited: 22 August 2019.] https://vigilantcitizen.com/latestnews/netflix-is-losing-subscribers-in-the-us-the-untold-reason/.

316. Blacklow, Jeremy. Why 2018 is a Banner Year for LGBTQ Representation at the Oscars (Guest Column). [Online] 21 February 2018.

[Cited: 23 August 2019.] https://variety.com/2018/film/opinion/lgbtq-gay-oscars-2018-glaad-column-1202705989/.

317. Dry, Jude. Valkyrie Will Officially Be Marvel's First LGBTQ Superhero. [Online] 21 July 2019. [Cited: 23 August 2019.] https://www.indiewire.com/2019/07/marvel-gay-superhero-valkyrie-tessa-thompson-thor-lgbt-1202159737/.

318. McCarthy Tyler. nypost.com. [متصل] 2018. https://nypost.com/2018/02/28/frozen-2-director-open-to-possibility-of-elsa-having-female-love-interest/.

319. Hider, Alex. Disney refuses to censor 'gay moment,' pulls 'Beauty and the Beast' from Malaysian theaters. [Online] 14 March 2017. [Cited: 23 August 2019.] https://www.nbc26.com/news/national/disney-delays-release-of-beauty-and-the-beast-in-malaysia-after-gay-moment-cut-from-film.

320. Robinson, Angela. *D.E.B.S.* Screen Gems and Others, 2004.

321. إد رام. "شمس راد" التونسية، أول إذاعة عربية تتحدث بلسان المثليين. [متصل] 18 يونيو, 2018. [تاريخ الاقتباس: 23 أغسطس, 2019.] http://www.bbc.com/arabic/middleeast-44524693.

322. فتاة قوس قزح. [Online] 19 أبريل 2018. [Cited: 23 أغسطس 2019.] http://www.bbc.com/arabic/media-43826443.

323. حملة "لست وحدك" تدعم حقوق المثليين وثنائيي الميول والمتحولين جنسيا العرب. [متصل] 18 أبريل, 2018. [تاريخ الاقتباس: 23 أغسطس, 2019.] https://www.france24.com/ar/20180418-%D9%85%D8%AB%D9%84%D9%8A-%D8%AC%D9%86%D8%B3-%D8%B9%D8%B1%D8%A8-%D9%85%D8%AA%D8%AD%D9%88%D9%84-%D9%84%D8%B3%D8%AA-%D9%88%D8%AD%D8%AF%D9%83-

%D8%AD%D9%82%D9%88%D9%82-
.%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86

324. لبنان: اعتصام للمثليين للمطالبة بإلغاء قانون "يجرم العلاقات المنافية للطبيعة". [متصل] 16 مايو, 2016. [تاريخ الاقتباس: 23 أغسطس, 2019.]
https://www.france24.com/ar/20160516-
%D9%84%D8%A8%D9%86%D8%A7%D9%86-
%D8%A7%D8%B9%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D9%85-
%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AB%D9%84%D9%8A%D9%88%D9%8
6-%D9%85%D8%B7%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%A9-
%D8%A5%D9%84%D8%BA%D8%A7%D8%A1-
.%D9%85%D8%A7%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D

325. نجمي، ريم. جمعية المسلمين المثليين في فرنسا ومحاولات إثبات الذات. [متصل] 30 أكتوبر, 2012. [تاريخ الاقتباس: 23 أغسطس, 2019.]
https://www.dw.com/ar/%D8%AC%D9%85%D8%B9%D9%8A%D8%A9-
%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%84%D9%85%D9%8A%D9%86
-
%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AB%D9%84%D9%8A%D9%8A%D9%8
6-%D9%81%D9%8A-%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D8%A7-
%D9%88%D9%85%D8%AD%D8%A7%D9%88%D9%84%D8%A7%D8%A
.A-%D8%A5%D8%A

326. حلوة، رشا. الحملة ضد مشروع ليلى في لبنان..القمع باسم حماية المقدسات. [متصل] 26 يوليو, 2019. [تاريخ الاقتباس: 23 أغسطس, 2019.] رشا حلوة: الحملة ضد مشروع ليلى في لبنان..القمع باسم حماية المقدسات.

327. Staff. Women's World Cup Daily with Lianne Sanderson & Michelle Heyman. [Online] June 9, 2019. [Cited: December 20, 2019.] https://anchor.fm/beinsports/episodes/Womens-World-Cup-Daily-with-Lianne-Sanderson--Michelle-Heyman-e49p4t.

328. Anonymous. Benefits & Reasons To Date A Transgender Girl. [Online] 2016. https://www.youtube.com/watch?v=llhfiBu_N7s.

329. Ask A Transsexual: Anal Orgasm, Straight Guys and Castration. [Online] 2011. https://www.youtube.com/watch?v=txdMQCHg8w0.

330. Wallien, Madeleine S. C. and Cohen-Kettenis, Peggy T. Psychosexual outcome of gender-dysphoric children. *Journal of the American Academy of Child and Adolescent Psychiatry.* 2008, Vol. 47, 12, pp. 1413-1423.

331. Zaczek, Zoe. Transgender children SHOULD undergo irreversible surgery without their parents' permission or counselling, psychologists say. [Online] October 1, 2019. [Cited: December 18, 2019.] https://www.dailymail.co.uk/news/article-7525483/Transgender-children-undergo-surgery-without-parents-permission-according-psychologists.html.

332. Smith, Wesley J. Bioethicist: Block Transgender Puberty Even If Parents Say No. [Online] February 25, 2019. [Cited: December 18, 2019.] https://www.nationalreview.com/corner/bioethicist-block-transgender-puberty-even-if-parents-say-no/.

333. Lockwood, Sally. 'Hundreds' of young trans people seeking help to return to original sex. [Online] October 5, 2019. [Cited: December 17, 2019.] https://news.sky.com/story/hundreds-of-young-trans-people-seeking-help-to-return-to-original-sex-11827740.

334. Heyer, Walt. Hormones, surgery, regret: I was a transgender woman for 8 years — time I can't get back. [Online] February 11, 2019. [Cited: December 17, 2019.] https://www.usatoday.com/story/opinion/voices/2019/02/11/transgender-debate-transitioning-sex-gender-column/1894076002/.

335. Deutsch, Maddie. Information on Estrogen Hormone Therapy. [Online] [Cited: December 17, 2019.] https://transcare.ucsf.edu/article/information-estrogen-hormone-therapy.

336. —. Information on Testosterone Hormone Therapy. [Online] [Cited: December 17, 2019.] https://transcare.ucsf.edu/article/information-testosterone-hormone-therapy.

337. أنتوني جدنز. *علم الاجتماع.* [المترجمون] فايز الصياغ. مكان غير معروف : المنظمة العربية للترجمة، 2005.

338. Kenish, Benjamin. 'The Queer Insurrection': Coalition forces fighting Isis in Syria form first LGBT unit. [Online] 25 July 2017. [Cited: 25 August 2019.] https://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/queer-insurrection-isis-lgbt-unit-gay-islamic-state-fight-forces-coalition-syria-middle-east-a7858651.html.

339. Barber, Ferran. "I AM ONE OF THE 'FAGGOTS' WHO FOUGHT AGAINST ISIS". [Online] 23 April 2019. [Cited: 25 August 2019.] https://www.ferranbarber.info/i-am-one-of-the-faggots-who-fought-against-isis/.

340. Tan, Yvette. Brunei implements stoning to death under anti-LGBT laws. [Online] 3 April 2019. [Cited: 25 August 2019.] https://www.bbc.com/news/world-asia-47769964.

341. Holson, Laura M and Rueb, Emily S. Brunei Hotel Boycott Gathers Steam as Anti-Gay Law Goes Into Effect. [Online] 3 April 2019. [Cited: 25 August 2019.] https://www.nytimes.com/2019/04/03/world/asia/brunei-hotel-boycotts.html.

342. Doward, Jamie. RAF and Royal Navy urged to cut ties to sultan of Brunei over anti-gay law. [Online] 6 April 2019. [Cited: 25 August 2019.]

https://www.theguardian.com/world/2019/apr/06/oxford-university-navy-raf-must-cut-ties-sultan-brunei-gay-death-stoning-law.

343. Begawan, Bandar Seri. Brunei says it won't enforce gay death penalty after backlash. [Online] 5 May 2019. [Cited: 25 August 2019.] https://www.reuters.com/article/us-brunei-lgbt-sultan/brunei-says-it-wont-enforce-gay-death-penalty-after-backlash-idUSKCN1SB0FS.

344. Luxmoore, Jonathan. Polish Archbishop vows to resist 'LGBT Ideology'. [Online] 9 Augut 2019. [Cited: 25 August 2019.] https://catholicherald.co.uk/news/2019/08/09/polish-archbishop-vows-to-resist-lgbt-ideology/.

345. Noack, Rick. Polish towns advocate 'LGBT-free' zones while the ruling party cheers them on. [Online] 21 July 2019. [Cited: 25 August 2019.] https://www.washingtonpost.com/world/europe/polands-right-wing-ruling-party-has-found-a-new-targetlgbt-ideology/2019/07/19/775f25c6-a4ad-11e9-a767-d7ab84aef3e9_story.html.

346. شارلوت سيمور-سميث. *موسوعة مصطلحات علم الإنسان.* [المحرر] محمد الجوهري. [المترجمون] مجموعة من أساتذة علم الاجتماع. الثاني. القاهرة : المركز القومي للترجمة، 2009.

347. VandenBos, Gary R., [ed.]. *APA Dictionary of Psychology.* Washington : American Psychological Association, 2015.

348. عبد الرحمن عباس. «النكسة».. لماذا رفض هيكل أن يكتب كلمة هزيمة في خطاب التنحي؟ [متصل] 5 يونيو, 2017. [تاريخ الاقتباس: 1 يونيو, 2019.] https://www.vetogate.com/2734424.

349. محمد بن محمد بن محمود البابرتي. *العناية شرح الهداية.* مكان غير معروف : دار الفكر.

350. Anonymous. LGBT + Conservatives. [Online] 2018. https://www.lgbtconservatives.org.uk/about-us.

351. Editors, Trans Health. The Total Guide to Penile Implants For Transsexual Men. [Online] 2013. http://www.trans-health.com/2013/penile-implants-guide/.

352. Beckstead, A. Lee. Cures versus Choices: Agendas in Sexual Reorientation Therapy. *Journal of Gay & Lesbian Psychotherapy* . 2001.

353. Moskowitz, D A and Hart, T A. The influence of physical body traits and masculinity on anal sex roles in gay and bisexual men. *Archive of Sexual Behavior* . 2011, Vol. 40, 4.

354. أنتوني إف لانج الابن. *مقدمة في النظرية السياسية الدولية.* [المترجمون] خضر، محمد فتحي. القاهرة : المركز القومي للترجمة، 2018. صفحة 263.

الفهرس